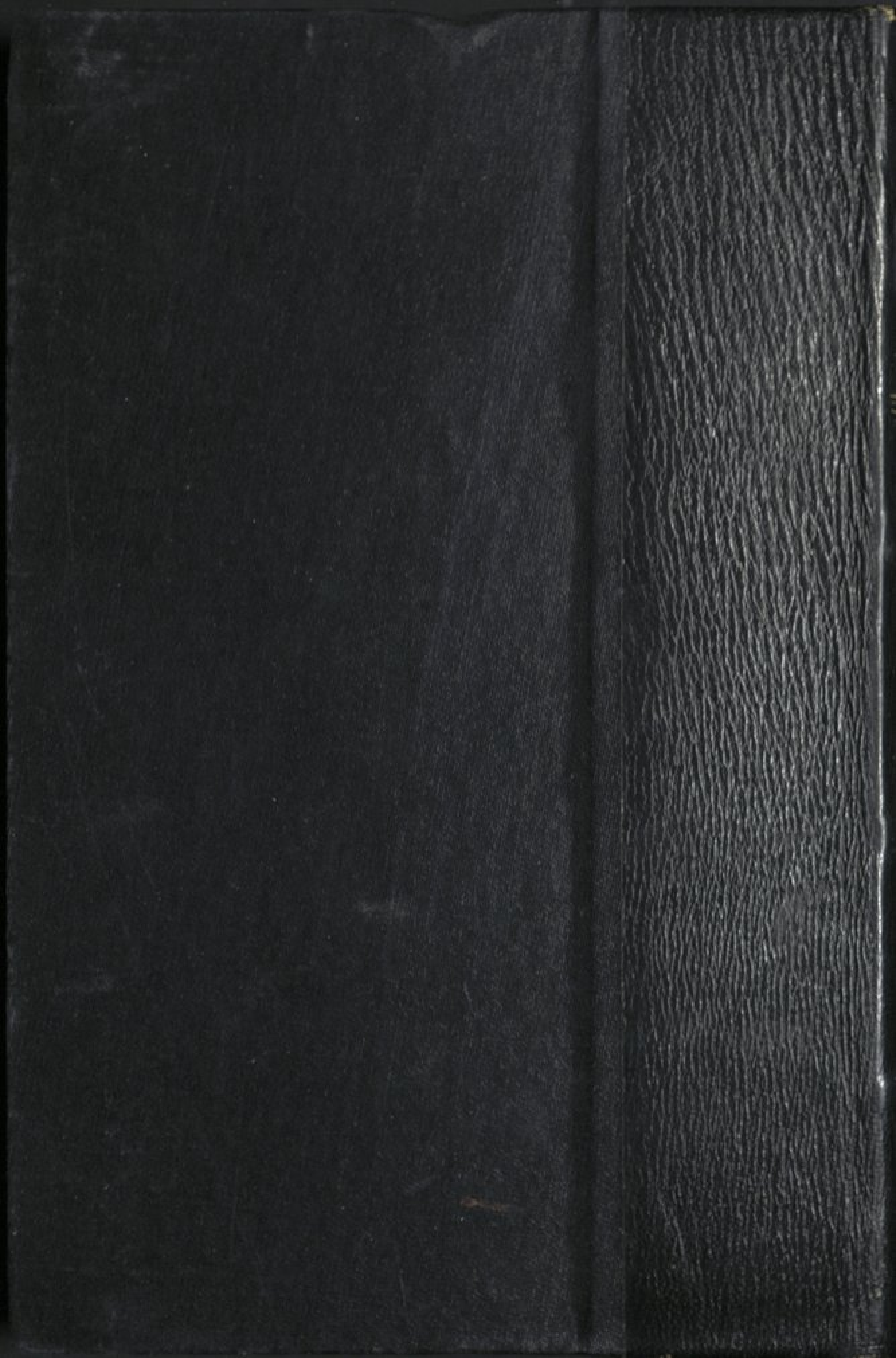
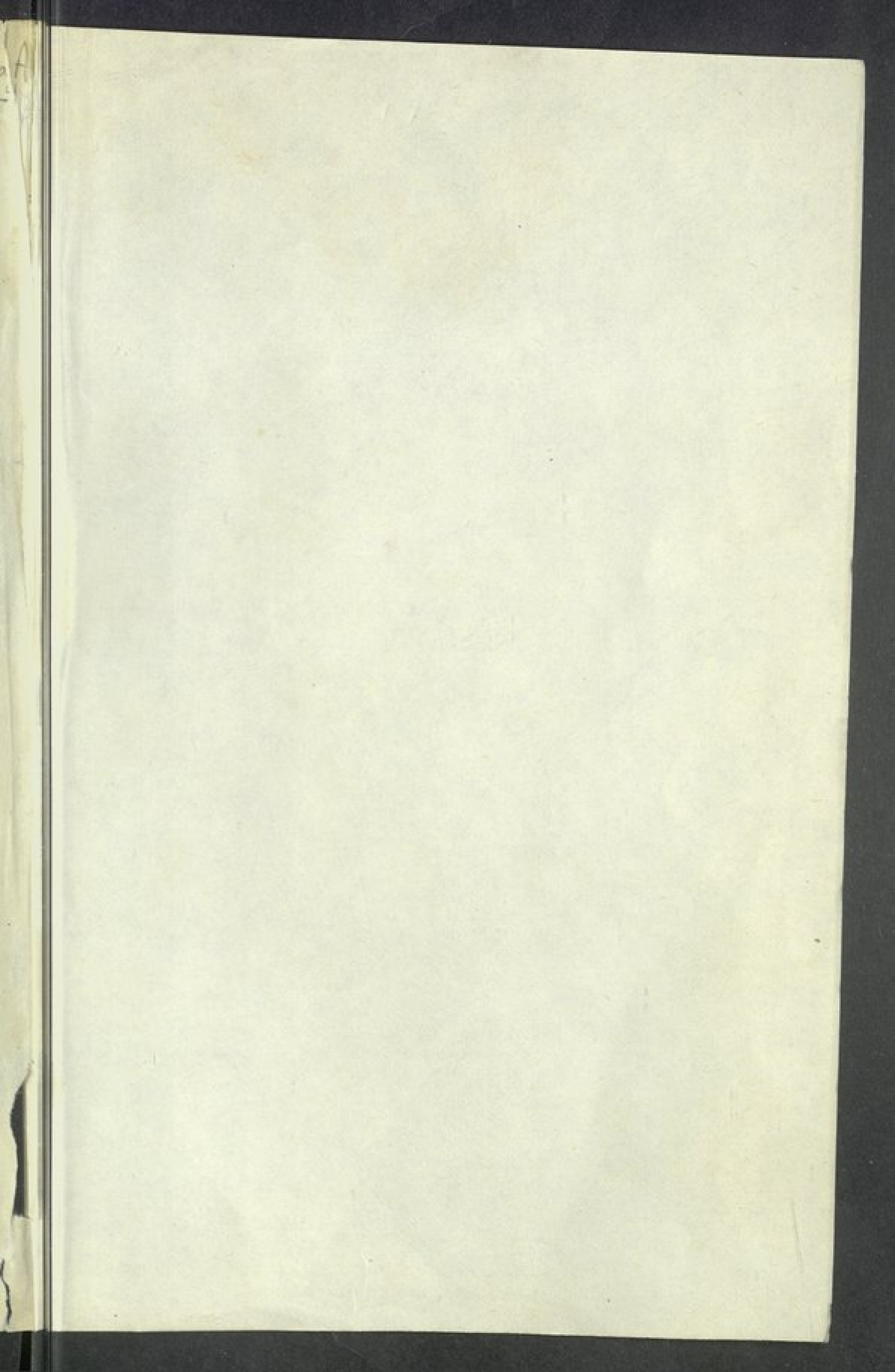






على شواهد التلخيص

تأليف

الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسى
المتوفى فى عام ٩٦٣ من الهجرة

حققه ، وعلق حواشيه ، وصنع فهارسه

محمد محيى الدين عبد الحميد
مفتش العلوم الدينية والعربية
بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية



مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

تمتاز هذه الطبعة بدقة الضبط ، وبإضافة الشروح والتعليقات

١٣٦٧ هـ — ١٩٤٧ م

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر

لصاحبها

مصطفى محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله

شاهد الجمع مع التفريق

١٢٨ — فَوَجْهُكَ كالنَّارِ في ضَوْئِهَا وَقَلْبِيَ كالنَّارِ في حَرِّهَا

البيت لرشيد الدين الوطواط ، من الخفيف

والشاهد فيه : الجمع مع التفريق ، وهو : إدخال شيئين فى معنى ، والتفريق بين جهتى الادخال ، فهنا أدخل وجه الحبيب وقلبه فى كونهما كالنار ، ثم فرق بينهما بأن جهة إدخال الوجه من جهة الضوء ، وإدخال القلب من جهة الحرّ والاحراق ، وفى معناه قول بعضهم [من المتقارب] :

فكالنَّارِ ضَوْءاً وكالنَّارِ حرّاً مُحَيَّا حبيبى وحُرْقَةُ بالى

فَذَلكَ مِنْ ضَوْئه فى اختيالٍ وهذا لحرقتهِ فى اختِلاَل

وقريب منه قول الصفى الحلى [من البسيط] :

سَناه كالنُّور يجلو كلَّ مُظْلمةٍ والبَأْسُ كالنَّار يُفنى كلَّ مُجْترِم

ومما يُستشهد به على هذا النوع قولُ الفخر عيسى [من الطويل] :

تَشَابهَ دمْعَانا غَدَاةَ فِراقنا مُشَابهَةً فى قصةٍ دُونَ قِصةِ

فَوَجنتها تكْسُو المَدَامعَ حُمْرَةً ودمعى يَكْسُو حُمْرَةَ اللونِ وجنتى

وقول مروان بن أبى حفصة [من الطويل] :

تَشَابهَ يوْماهُ عَلينَا فأشْكلا فما نَحْنُ ندرى أىُّ يوميهِ أفْضلُ

أيوْمُ نَدَاهُ الغمرُ أم يَوْمُ بؤسه وما مِنهُما إلا أغرُّ محجّل

وقول البحترى أيضاً [من الطويل] :

ولما التقينَا والنوى موْعدٌ لنا تعجَّبَ رائى الدُّرِّ مِنَّا ولاقِطُهْ (١)

فمن لُؤلؤٍ تجلوهُ عِندَ ابتسامها ومن لؤلؤٍ عِندَ الحديث تُساقِطُهْ

وقول بعضهم أيضاً [من مجزوء الوافر] :

أرى قمرَين قَدْ طلعا علَى غُصنين فى نَسَقِ

وفى ثوْبين قد صُبغا صباغَ الخدِّ والحدَقِ

---

(١) فى الأصول «والتقى موعد لنا» محرفا ، ولعل أصله «والنقى» بالنون

فهذى الشمسُ فى شَفَقٍ   وهذا البَدْرُ فى غَسق

وما أحسن قول على بن مليك فى هذا النوع [من السريع] :

بالرُّوحِ أفدى صاحِباً لم يَزَل   مُحْتَقراً ذنبى فى عفْوه
فـكَفُّهُ كالماء فى جُودِه   وقلبُهُ كالماء فى صفْوِهِ

وقد أحسن هنا ابن حجة فى تسمية النوع حيث قال [من البسيط] :

يُمناه كالبرق إن أبدَوْا ظلام وغًى   والعزْم كالبرْق فى تفريق جَمْعهم

* * *

١٢٩ حتى أقامَ على أرْباض خَرْشنةٍ   تَشقى به الرُّومُ والصُّلْبانُ والبِيَعُ
للسَّبى ما نكحُوا والقتلِ ما ولَدُوا   والنَّهْبِ ما جمعوا والنَّار ما زرَعوا

شاهد الجمع مع التقسيم

البيتان لأبى الطيب المتنبى، من قصيدة من البسيط، يمدح بها سيف الدولة ابن حمدان ، أولها (١)

غَيْرِى بأكْثرِ هذا النَّاسِ يَنْخَدِعُ   إنْ قاتلوا جبُنُوا أو حدّثوا شَجعُوا
أهلُ الحفيظةِ إلاّ أنْ تُجرِّبَهُمْ   وفى التّجارِبِ بَعْدَ الغىِّ ما يزَعُ
وما الحيَاةُ ونفسى بَعْدَ ما علمت   أنّ الحيَاةَ كما لا تَشْتَهى طَبَعُ
لَيْسَ الجمالُ لِوَجْهٍ صحّ مارِنُهُ   أنفُ العزيزِ بقَطْعِ العزِّ يُجْتَدَعُ
أأطْرَحُ المجْدَ عنْ كِتِفى وأطْلُبُهُ   وأترُكُ الغيْثَ فى غمدى وأنْتجعُ
والمَشْرَفيَّةُ لا زالتْ مُشرَّفةً   دواءُ كلِّ كريمٍ أوْ هِىَ الوَجَعُ
وفارسُ الخيل مَنْ خفّتْ فوقّرها   فى الدّرْبِ والدّمُ فى أعطافها دُفَعُ
وأوجدَتْهُ وما فى قلبهِ قلَقٌ   وأغضبتْهُ وما فى لفظهِ قَذَعُ (٢)

(١) ارجع إليها فى الديوان (٢-٢٢١)
(٢) فى الأصول « وأغضبته ومافى قلبه فزع » وهو تحريف لا يتناسب مع ما انبنى عليه ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان ، والقذع : الفحش والسب يعنى أنه إذا غضب لم يفحش لأنه حليم .

بالجيش يمتنعُ الساداتُ كلُّهمُ ... والجيشُ بابن أبي الهيجاء يمتنع
قاد المقانبَ أقصى شُربها نَهَلٌ ... على الشكيم وأدنى سَيْرِها سَرَعُ
لا يعتقي بلدٌ مَسْراهُ عن بلدٍ ... كالموت ليسَ له ريٌّ ولا شِبعُ[1]

و بعده البيتان ، والقصيدة طويلة فريدة .

والأرباض : جمع ربض، بفتح الباء ، وهو سور المدينة، وخرشنة: بلد بالروم وهى التى تسمى الآن أماضية ، والبيع: جمع بيعة، بكسر الباء ، وهى معبد النصارى وإنما لم يقل « من نكحوا » أو « من ولدوا » ليوافق قوله « والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا » وللدلالة على إهانتهم وقلة المبالاة بهم ، حتى كأنهم ليسوا من جنس من يعقل فيخاطبون بخطابه .

والشاهد فيهما : الجمع مع التقسيم ، وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه ، أو تقسيم متعدد ثم جمعه تحت حكم ، فالأول كما فى البيتين وهو ظاهر ، والثانى كما فى البيتين الآتيين بعدهما، وهما:

***

من شواهد الجمع مع التقسيم

١٣٠ — قومٌ إذا حاربوا ضرُّوا عدوَّهُمُ ... أو حاولوا النفعَ فى أشياعِهِم نفعُوا
سَجيةٌ تلك منهم غيرُ محدَثةٍ ... إن الخلائقَ فاعلم شرُّها البدع

البيتان لحسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه ، من قصيدة من البسيط قالها[2] حين قدم وفد تميم على النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيهم الأقرع بن حابس، والزبرقان بن بدر ، وعطارد بن حاجب، وأرادوا المفاخرة بخطيبهم - وهو عطارد — وشاعرهم — وهو الزبرقان — فى خبر طويل ، والقصيدة أولها :

---

(١) لا يعتقى : لا يعوق ، ووقع فى بعض الأصول « لا يكتفى » وليس بشىء

(٢) ارجع إليها فى الديوان (٢٤٨) وفى الأغانى (٤ - ٩ بولاق) وفيه الخبر الذى يشير اليه المؤلف .

إن الذوائب من فهرٍ وإخوتهم قد بيّنوا سُنّةً للناس تُتّبع
يَرْضى بها كل من كانتْ سريرتُه تقوى الاله وبالأمر الذى شرعوا

وبعده البيتان، وبعدها :

لا يرقعُ الناسُ ما أوهتْ أكفهُمُ عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
إن كان فى الناس سباقون بعدهم فكل سَبْقٍ لأدنى سبقِهِم تبَع
أعفةٌ ذكرتْ فى الوحْىِ عفتُهمْ لا يطبعون ولا يُزْرِى بهم طبَع
ولا يضنون عن جارٍ بفضلهم ولا يمسهمُ من مطمعٍ طمع
يسمون للحرْب تبْدو وهى كالحةٌ إذا الزعانفُ من أظفارها خَشَعوا
لا يفرَحونَ إذا نالوا عدوَّهمُ وإن أُصيبوا فلا خورٌ ولا جزُعُ
كأنهمْ فى الوَغى والموتُ مكتنعٌ أُسودُ بيشةَ فى أرساغها فدَعُ
خُذْ منهمُ ما أَتَوْا عفواً وما منَعوا فلا يكنْ همُّكَ الأمرَ الذى منَعُوا (١)
فإنَّ فى حربهم فاتركْ عداوتَهمْ سُمًّا يخاضُ عليه الصابُ والسلَعُ
أكرِمْ بقومٍ رسولُ الله قائدُهمْ إذا تفرّقتِ الأهواءُ والشيَعُ
أهدَى لهم مِدْحَتى قلبٌ يؤازرُهُ فيما أرادَ لسانٌ حاذقٌ صنَعُ
وأنهمْ أفضلُ الأحياءِ كلهمُ إنْ جدّ بالناسِ جِدُّ القولِ أو شمَعُوا (٢)

ولما أنشد حسّان رضى الله عنه هذه القصيدة بعد أن خطب ثابت بن شماس خطبته المشهورة، قال الأقرع بن حابس : إن هذا الرجل لمؤتّى له، والله لشاعرُه أشعر من شاعرنا، ولخطيبه أخطبُ من خطيبنا، ولأصواتُهم أرفع من أصواتنا، أعطنى يا محمد، فأعطاه، فقال : زدنى، فزاده، فقال : اللهم إنه سيد

(١) فى الأصل «وما غضبوا، ولا يكن همك» وأثبتنا مافى الأغانى لأنه ظاهر المعنى واضح المقابلة.

(٢) فى الأغانى والأصول «سمعوا»

العرب ، وهم الذين أنزل الله فى حقهم (إنّ الذينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لايَعْقِلُونَ)

ومعنى «حاولوا» راموا وطلبوا ، والأشياع : جمع شيعة ـ بكسر الشين المعجمة ـ وهى : الأنصار والأتباع ، والفرقة : تقع على الواحد والاثنين ، والجمع والمذكر والمؤنث ، والسجية : الغريزة ، وما جُبل عليه الانسان ، والخلائق : جمع خليقة ، وهى الطبيعة هنا ، والبِدَع : جمع بدعة ، وهى الحدَث فى الدين بعد الكمال ، والمراد بها هنا مستحدثات الأخلاق لا ما هو كالغرائز فيها .

والشاهد فيهما : القسم الثانى من الجمع مع التقسيم ، فانه قسَّمَ فى البيت الأول صفة الممدوحين إلى ضرر الأعداء ، ونفع الأولياء ، ثم جمعهما فى البيت الثانى فى كونهما سجية .

وقد أخذ ابن مفرغ عجز البيت الثانى برُمَّتِهِ ، فقال من قصيدة ، [من البسيط] :

جاوِرْ بنى خلفٍ تحمدْ جوارَهُمُ ... والأعظمين دفاعاً كلما دفعوا
والمطعمين إذا ما شَتْوَةٌ أزمتْ ... فالناس شَتّى إلى أبوابهم سُرُعُ
هم خيرُ أقوامهم: إن حدّثوا صدقوا ، ... أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

وقد أجاد ابن حجة فى قوله هنا مع تسمية النوع [من البسيط] :

جمع الأعادى بتقسيمٍ يفرّقه ... فالحىّ للأسر والأمواتُ للضَّرَمِ

***

١٣١ — ثقالٌ إذا لاقَوْا ، خِفَافٌ إذا دُعُوا
كثيرٌ إذا شدُّوا قليلٌ إذا عُدُّوا

شاهد وجه آخر من التقسيم

البيت للمتنبى ، من قصيدة (١) من الطويل ، أولها :

---

(١) اقرأها فى الديوان (١ ـ ٣٧٣)

أقلٌ فعالى بلْهَ أ كْثرَهُ مَجْدُ وذا الجدّ فيه نلت أو لم أنل جدٌ(١)
سأطلب حقى بالقَنا ومشايخ كأنهم من طول ما التثموا مُرْدُ

و بعده البيت ، و بعده :

وطعن كأنّ الطعن لاطعن عنده وضرب كأنّ النار من حرّه بَرْدُ
إذا شئت حفّتْ بى على كل سابح رجالٌ كأنّ الموت فى فمها شهد
أذمُّ إلى هذا الزمان أُهَيْلَهُ فأعلمهم فَدْمٌ وأحزمهم وَغْدُ
وأ كرمهم كلبٌ وأبصرهم عَمٍ وأسهدهم فَهْدٌ وأشجعهم قِرْدُ
ومن نكدالدنياعلى الحرّ أن يرَى عدواً له ما من صداقته بُدٌّ

فهو فى البيت المذكور يصف شدة وطأتهم على العدا ، وثباتهم على اللقاء ، وأنهم مسرعون إلى الاجابة إذا دعوا إلى كفاية مهم، ومدافعة خطب مدلهمّ ، وأن الواحد منهم يقوم مقام جماعة من غيرهم .

والشاهد فيه : مجىء التقسيم على وجه آخر ، وهو : أن تُذْكر أحوال الشىء مضافاً إلى كل من تلك الأحوال ما يليق به ، فانه ذكر أحوال المشايخ وأضاف إلى كل منها ما يليق به ، وهو ظاهر .

ومن أنواع الجمع مع التقسيم قول الخالدى [من البسيط] :

فى وجهه كل رَيحانٍ تراح له منا قلوبٌ وأبصارٌ وتهواه
النرجس الغضُّ عيناه ، وطُرّته بنفسجٌ ، وجنىُّ الورد خدّاه

ومثله قول ابن قلاقس [من الكامل] :

حملت من الأزهار أشباه الرُّبا فتساوتِ الأمثالُ وَالأشكالُ
فالآس صدغٌ ، والأقاحى مبسمٌ والورد خدٌّ ، والبنفسج خَالُ

(١) وقع فى أصول هذا الكتاب « بل وأ كثره مجد » ومعناه ضعيف وما أثبتناه موافق لما فى الديوان .

وقول الصاحب بن عباد فى الوزير بن العميد [من الكامل] :

قدِمَ الوزيرُ مقدَّما فى سبقهِ ... فكأنما الدُّنيا جرَتْ فى طَوْقِهِ

فجبالهَا من حلمِهِ ، وبحارُها ... منْ جُودِهِ، ورياضُها من خُلْقِهِ

ومن بديع الجمع مع التقسيم قول ابن سكرة الهاشمى [من البسيط] :

جاء الشتاء وعندِى من حوَائجِهِ ... سبعٌ إذا القطرُ عَنْ حاجاتِنَا حبسا

كِنٌّ وكيسٌ وكانونٌ وكأسُ طِلاً ... معَ الكبابِ وكُسٌ ناعمٌ وكِسا

وقد تبع ابن سكرة فى جادته هذه التى سلكها جماعة من الأدباء فمنهم من جاراه ، ومنهم من كبا ، فمن ذلك قول بعضهم [من الوافر] :

وكافات الشتاء تعدّ سبعاً ... ومالى طاقةٌ بلقاء سبع

إذا ظفِرت بكافِ الكيس كفّى ... ظَفِرْتُ بمفْرد يأتى بجمع

وقول الآخر أيضاً [من البسيط] :

جاء الشتاء وما الكافات حاضرة ... وإنما حَضَرَت منهنّ أبدال

قلٌّ وقرٌّ وقلبٌ موجعٌ وقلاً ... وقادرٌ هاجرٌ والقيلُ والقالُ

وقول جمال الدين ياقوت الكاتب [من البسيط] :

جاء الشتاء ببردٍ لا مَرَدَّ له ... ولم يطق حجرٌ قاسٍ يقاسيه

لا الكاس عندى ولا الكانون متقدٌ ... كنى ظلامى وَكيسى قلٌّ مافيه

دع الكباب وخلّ الكسّ وا أسفا ... كساً أتغطّى فى دياجيه

ولمؤلفه فى قريب له [من مخلع البسيط] :

قلت لذى صبوةٍ بكافا ... تِ شتوةٍ منْ عَناكَ دعنى

والهْفَ قلبى على كساء ... يردُّ برد الشتاء عَنّى

ومن باب « جاء الشتاء » قول الأعرابى [من الكامل] :

جاء الشتاء وليس عندى درهمٌ ... ولقد يصاب بمثل هذا المسلم

وتقسم الناس الجِبابَ وغيرها … وكأنني بفناء مكة مُحْرِمُ

وقول آخر من الأعراب [من الكامل]:

جاء الشتاء ومَسَّنَا قرٌّ … وأصابنا فى عيشنا ضرٌّ

ضرٌّ وفقرٌ ونحن بينهما … هذا لعمر أبيكما الشرُّ (١)

وقول جحظة أيضاً [من البسيط]:

جاء الشتاء وما عندى له وَرِقٌ … مما وهبت ولا عندى له خِلَعُ

كانت فبدّدها جودٌ ولعت به … وللمساكين أيضاً بالندى وَلَعُ

وقول أبى نصر بن نباتة السعدى [من البسيط]:

جاء الشتاء وما عندى له عُدَدٌ … إلا ارتعادٌ وتقريض بأسنانى

ولو قضيت لما قصَّرْتَ فى كفنى … هبنى قضيت فهبنى بعض أكفانى

وقول أبى طالب المأمون فى طست الشمع [من الكامل]:

وحديقةٍ تهتز فيها روضةٌ … لم ينْمِهَا تربٌ ولا أمطار

فصعيدها صفرٌ، ونامى غصنها … شمع، وما قد أثمرته نار

وقول أبى الفضل الميكالى [من مجزوء الكامل]:

ومهفهفٍ تهفو بلبِّ المـــرء منه شمائلُ

فالردف دِعْصٌ هائل … والقد غُصْنٌ مائل

والخدُّ نَوْرُ شقائق … تنقدُّ عنه غلائل

والعرف مثل حدائق … نَمَّتْ بهن شمائل

والطرف سيفٌ ماله … إلا العـذار حمائلُ

ولطيف قول منصور الفقيه [من الهزج]:

(١) كذا فى الأصل « ضر وفقر » وليس به بأس، لكن الأنسب بما تقدمه أن يقول « ضر وقر – إلخ »

بنو آدم كالنبْت ونبْتُ الأرض ألوانُ
فمنه شَجَرُ الصند ل والكافورُ والبانُ
ومنه شجرٌ أفضـــلُ ما يحمل قطرانُ

وفى معناه قول رجل من عبد القيس [من الرمل] :

إنما الناس كأمثال الشجر جامل الناس إذا ماجئتهم
وَهوَ صلبٌ عودهُ حلو الثمرْ منهمُ المذمومُ فى منظرهِ
طعمهُ مرٌّ وفى العودِ خَوَرْ وترى منهم أثيثاً نبتهُ

ومثله قول الآخر أيضا [من السريع] :

من خَشِنِ اللمس ومن لَيِّنِ الناسُ كالترب ومنها هُمُ
وإثمدٌ يوضعُ فى الأعينِ فجلمدٌ تدمى بهِ أرجلٌ

وقول الآخر [من البسيط] :

وللبصيرةِ حكمٌ ليس للبصرِ والناسُ كالناس إلا أن تجربهمْ
وإنما يقعُ التفضيل فى الثمرِ كالأيك مشتبهاتٍ فى منابتها

ولأبى عبد الله الغوّاص فى وصف دار [من الكامل] :

بُنيتْ شبيهةَ قبلةٍ للناسِ يادارَ سعدٍ قدْ علتْ شُرُفاتها
أو ببذلِ مالٍ، أو إدارةِ كاسِ لوُرُود وَفدٍ ، أو لِدفعِ ملمة ،

وما أحسن قول الرستمى [من الكامل] :

أسدَوْا يداً عادوا، و إن يَعِدوا يَفُوا يا ابنَ الذينَ إذا بنوْا شادُوا ، و إن
لم يندموا ، أو عاقبوا لم يشتفُوا إن حاربوا لم يُحجِموا ، أو قاربُوا
ـلوا أسرفوا، ومتى استعيدوا أضعفوا ومتى استجيرُوا أسعفوا، ومتى استُنيـــ
لم يغدرُوا ، أو ملَّكُوا لم يعسفُوا إن عاهـدوا لم يخفرُوا ، أو عاقدوا

وَ بديع قول ابن شمس الخلافة [من الطويل] :

أناسٌ أبَوْا غيرَ التلوُّن عادةً فشأنهم في الحبِّ هونٌ و إذلالُ
وصالٌ وهَجرٌ ، واجتماعٌ وفرقةٌ وبذلٌ وإمساكٌ ، وحلٌّ وترحالُ
فإنْ سمحُوا ضنّوا ، و إنْ عطفُوا جنَوْا و إنْ عقَدوا حلّوا ، و إنْ عهدوا حالوا

وقول ابن هرمة [من البسيط] :

قومٌ لهمْ شرفُ الدنيا وسودَدُها صفوٌ على الناسِ لم يُخلطْ بهمْ رَنَقُ
إن حاربوا وضعوا ، أو سالموا رفعوا ، أو عاقدوا ضمنوا ، أو حدّثوا صدقوا

ومنه قول حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه يهجو [من البسيط] :

قومٌ لِئامٌ فلنْ تلقى لهمْ شبهاً إلاّ التيوسَ على أكتافها الشَعَر
إنْ سابقوا سُبقوا، أوْ نافروا نُفروا، أو كاثروا أحداً من غيرهمْ كثروا
قومٌ لئامٌ أقل اللهُ خيرهمُ كما تساقطَ حولَ الفقحة البعَرُ
كأنّ رِيحهم فى الناس إذ برزوا رِيحُ الكلاب إذا ما بلّها المطر

* * *

١٣٢ — وشوْهاء تعدو بِى إلى صارخِ الوَغى
بمستلئمٍ مِثل الفنيق المُرَحَّلِ

شاهد التجريد

البيت من الطويل ، ولا يعرف قائله

وشوهاء: صفة لفرس، وهى الطويلة الرائعة، والمفرطة رحب الشدقين والمنخرين، والوغى : الحرب ، والمستلئم : لابس اللأمة وهو الدرع ، والفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب ، ويجمع على فُنُق — بضم أوله وثانيه — والمرحل: من رَحَل البعير أشخصه عن مكانه وأرسله

والشاهد فيه : التجريد ، وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة آخر مثله فيها مبالغة لكمالها فيه، وهنا قال: تعدو بى ومعى من نفسى لابس درع لكمال استعدادى للحرب ، فبالغ فى اتصافه بالاستعداد حتى انتزع منه مستعداً آخر لابس درع ، والله أعلم .

شاهد التجريد من غير توسط حرف

١٣٣ — ولئنْ بَقيتُ لأَرْحلنَّ بِغزْوةٍ   تحوى الغنائم أو يموتَ كريمُ

البيت لقتادة بن مسلمة الحنفى ، من قصيدة من الكامل أولها :

بكرتْ علىَّ منَ السَّفاهِ تلومُنى   سفهاً تُعَجِّزُ بعلَها وتلومُ

لما رأتنى قدْ رُزِئتُ فوارسى   وبدتْ بِجسمى نَهكةٌ وكلومُ

ما كنتُ أوَّلَ منْ أصابَ بنكبةٍ   دهرٌ وحىٌّ باسلونَ تَميمُ

إلى أن يقول فيها :

ومعى أسودٌ منْ حنيفةَ فى الوَغى   للبيضِ فوقَ رُؤُوسِهمْ تسويمُ

قومٌ إذا لبسوا الحديدَ كأنهمْ   فى البَيْضِ والحلقِ الدِّلاصِ نُجومُ

و بعده البيت

والغنائم : جمع غنيمة ، وهى الفوز بالشىء بلا مشقة .

والشاهد فيه : التجريد بدون توسط حرف ، فإنه عنى بالكريم نفسه ، فكأنه انتزع من نفسه كريماً مبالغة فى كرمه ، ولذا لم يقل أو أموت .

* * *

شاهد التجريد بطريق الكناية

١٣٤ — يا خيرَ منْ يركبُ المطىَّ ولاَ   يشربُ كأساً بكفِّ منْ بَخلاَ

البيت من المنسرح ، وقائله الأعشى ، من قصيدته السابقة[1] فى شواهد المسند

والشاهد فيه : التجريد بطريق الكناية ، فإنه انتزع من الممدوح جوادا يشرب هو الكأس بكفه ، على طريق الكناية ، لأنه إذا نفى عنه الشرب بكف البخيل فقد أثبته له بكف الكريم ، ومعلوم أنه شرب بكفه ، فهو ذلك الكريم .

* * *

١٣٥ — * لاَ خيلَ عِندكَ تُهديها ولاَ مالُ *

قائله أبو الطيب المتنبى ، وهو أول قصيدة من البسيط[2] يمدح بها فاتكا

(١) انظر شرح الشاهد (رقم ٣٥ فى ج ١ ص ١٩٤ من هذا الكتاب)

(٢) اقرأها فى الديوان (٣ — ٢٧٦)

وقد حمل إليه هدية ألف دينار، وكان بمصر مقيما، وتمامه :

* فليسعدِ النطقُ إنْ لم تُسعدِ الحالُ *

وبعده :

واجزِ الأميرَ الذي نعماهُ فاجئةٌ بغير قولٍ، ونُعمى الناسِ أقوالُ
فربّما جزتِ الاحسانَ موليهُ خريدةٌ منْ عذارَى الحيّ مكسالُ
وإنْ تكنْ مُحكماتُ الشكلِ تمنعني ظهورَ جريٍ فلي فيهن تَصْهالُ
وما شكرْتُ لأنَّ المالَ فرحني سيّانِ عندي إكثارٌ وإقلالُ
لكنْ رأيتُ قبيحاً أنْ يجادَ لنا وأننا بقضاءِ الحقّ بُخّالُ

وهي طويلة، وأراد بالحال الغنى

والشاهد فيه : التجريد بمخاطبة الانسان نفسه، فكأنه انتزع من نفسه شخصاً آخر مثله في فقد الخيل والمال والحال، ومثله قول الأعشى [من البسيط]

ودّعْ هريرةَ إنَّ الركبَ مُرْتحِلُ وهلْ تُطيق فِراقا أيُّها الرَّجل(١)

ومن الأمثلة في التجريد قول التميمي لنجدة بن عامر الحنفي الخارجي [من الوافر]:

متى تلقَ الجريشَ جريشَ سعدٍ وعبّاداً يقودُ الدّارعينا
تبينْ أنّ أمّك لم تورّكْ ولم ترضعْ أميرَ المؤمنينا

ومثله قول ذي الرمة أيضاً [من الطويل] :

وليلٍ كجلبابِ العروسِ ادّرعْتُهُ بأربعةٍ والشخص في العينِ واحدُ(٢)

---

(١) الرواية * وهل تطيق وداعا أيها الرجل *

(٢) وقع في أصول هذا الكتاب صدر هذا البيت * وليل كأبناء الدويدي جبته * وما أثبتناه موافق لما في الحيوان للجاحظ (٣-٢٥٠) وفي ديوان المعاني (٢ - ٣٥٢) وفي الصناعتين (١٧٥ و ٢٢١) وفي العمدة (٢-٢٩) وفي شرح الشريشي على المقامات (١-٧١) وفي الموازنة بتحقيقنا (٧٠)

أحمَّ علافيٌّ وأبيض صارمٌ وأعيس مهريٌّ وأروع ماجدُ

أراد بالأحم العلا فى الرحل، وهو منسوب إلى علاف رجل من قضاعة تنسب إليه الرحال لأنه أول من عملها، وأراد بالأروع الماجد نفسه، وهو تجريد ظاهر، لأن قوله «جبته بأربعة» ثم عد فيها الأروع الماجد مُشْعِر بأنه شخص آخر، وهو معنى التجريد.

ومنه قول الشاعر [من الطويل] :

أباحتْ بنو مروانَ ظلماً دِماءنَا وَفى اللهِ إنْ لم يُنْصِفوا حكَمٌ عدلُ

وقول المعرى [من البسيط] :

هاجتْ نمير فهاجتْ منك ذا لبَدٍ والليثُ أفتكُ أفعالاً من النَّمِرِ

وقول الشاعر أيضاً [من الطويل] :

وبى ظَبيةٌ أدماء ناعمةُ الصلاَ تحار الظباء الغِيدُ منْ لفتاتِها

أعانق غصنَ البانِ من لينِ قدِّها وأجْنِى جَنِيَّ الوردِ من وَجنَاتِها

وقول الآخر أيضاً [من البسيط] :

إنْ تلقَنِى لاترى غيرى بناظرةٍ ينسى السلاحَ ويغزو جَبْهَةَ الأسدِ

وقول ابن جابر الأندلسى [من المتقارب] :

جزيل الندَى ذُو أيادٍ غدتْ يُحدِّثُ عنهنَّ فى كلِّ نادِى

يُلاقيكَ مِنه إذا جئتَهُ كثير الرَّمادِ طويلُ النجادِ

* * *

شاهد المبالغة (التبليغ)

١٣٦ — فعادَى عِداء بينَ ثورٍ ونعجةٍ دِراكاً ولم يُنْضَحْ بماء فيُغْسَلِ

البيت لامرىء القيس، من قصيدته المشهورة السابقة فى شواهد المقدمة(١)

وقبل البيت :

---

(١) انظر شرح الشاهد (رقم ١ فى ج ١ ص ٨ من هذا الكتاب)

فَعَنّ لنا سِربٌ كأنّ نِعاجهُ عذارَى دَوارٍ فى مُلاَءٍ مُذيَّلِ
فأدْبرْن كالجزْعِ المفَصَّل بينه بجيدٍ مُعِمّ فى العشيرة مُخْوِلِ
فألْحَقَنا بالهاديات ودونهُ جَوَاحِرُها فى صَرّةٍ لم تزَيَّلِ (١)

وبعده البيت ، وبعده :

فظَلّ طُهاةُ اللحم من بين مُنْضِجٍ صفيفَ شِوَاءٍ أو قَديرٍ مُعَجّلِ (٢)
ورُحنا يكادالطَّرْفُ يُقصرُ دونهُ متى ما ترَقَّ العينُ فيه تَسهَّلِ
فباتَ عليه سَرْجُهُ ولجامُـهُ وبَاتَ بعيني قائماً غيرَ مُرْسَلِ

والمعنى فى البيت أنه يصف فرسه بأنه لا يعرق وإن كثر العَدْوُ منه، والعِداء بالكسر والمد — الموالاة بين الصيدين يصرع أحدهما على أثر الآخر فى طلق واحد، وأراد بالثور الذكر من بقر الوحش ، وبالنعجة الأنثى منها ، ومعنى « دراكا » متتابعاً ، و « يغسل » مجزوم معطوف على ينضح ، والمعنى لم يعرق فيغسل .

والشاهد فيه : المبالغة ، ويسمى التبليغ ، وهو : ادعاء ممكن عقلا وعادة ، فانه ادعى أن فرسه أدرك ثوراً وبقرة وحشيين فى مضمار واحد ولم يعرق ، وهذا ممكن عقلا وعادة .

وقد استعمل امرؤ القيس هـذا المعنى فى شعره كثيراً ، فقال من قصيدة [من الطويل]

وعاديتُ منهُ بين ثَوْرٍ ونعجةٍ وكان عِدائى إذ ركبتُ على بالى

وقال أيضا من أخرى [من الطويل] :

فأقصدَ نعجة وأعرض ثورُهَا كفحل الهجان ينتحى لغضيض

---

(١) فى شرح القصائد العشر للتبريزى « فالحقه بالهاديات . . . . »

(٢) فى الأصل « ضعيف شواء » وهو تحريف صوابه ما أثبتناه عن شرحي التبريزى والزوزنى على المعلقات .

ووالى ثلاثاً واثنتين وأربعاً وغادرَ أُخرى فى قناةٍ رفيض

وقال أيضاً من أخرى [من الطويل] :

فأدرك لم يعرقْ مَنَاطُ عذارهِ يمرُّ كخذروفِ الوليد المثقبِ

إلى أن قال بعد أبيات [من الطويل] :

فغادرَ صَرْعَى من حمارٍ وخاضبٍ وتيسٍ وثَوْرٍ كالهشيمة قرهبِ

وقال من أخرى [من الطويل] :

فصادَ لنا عيراً وثوراً وخاضباً عِداء ولم يَنْضَحْ بماء فيعرَقِ

وقد ألم المتنبى بهذا المعنى ، فقال فى وصف جواد وأجاد [من الطويل] :

وأصرَعُ أىَّ الوحش قفّيْتُهُ بهِ وأنزلُ عنهُ مثلهُ حين أركبُ

وينظر إلى صدر بيت المتنبى قوله أيضا [من الطويل] :

وَخَيْلٍ إذا مرّتْ بوحشٍ ورَوضةٍ أبَتْ رَعْيَها إلا ومِرْجَلُنَا يغلى

وقد ألم به أبو طاهر الأردستانى بقوله من قصيدة [من الطويل] :

طِمِرٍّ أبَىَّ أن يرتعَ العشبَ فى الطَّوَى ولم نغلِ للأضياف فى الحىّ مِرْجَلا

ومنه قول امرىء القيس أيضا [من الطويل] :

إذا ما ركبنا قالَ ولدانُ بيتنا تعالَوْا إلى أن يأتىَ الصيدُ نحطِب

يشير إلى سرعة مجيئهم بالصيد وقوة يقينهم بالظفر به .

ومثله قول ابن المعتز فى وصف البازى [من الرجز] :

قدْ وثقَ القومُ لهُ بما طلبْ فهوَ إذا خلى لِصيدٍ واضطربْ

عدُّوا سكاكينهم منَ القرَبْ

ومثله قول الآخر فيه [من الرجز] :

٭ مُبارَكٌ إذا رأى فقدْ رُزقْ ٭

رجع إلى المبالغة و إن لم نخرج عنها .

قال ابن أبي الأصبع : أبلغ شعر سمعته في باب المبالغة قول شاعر الحماسة [من الطويل] :

رَهَنْتُ يدي بالعجز عن شُكْرِ بِرِّهِ وما فوقَ شكري للشكورِ مَزِيدُ
ولو كان مِمَّا يستطاعُ استطعتُه ولكنّ ما لا يستطاعُ شديدُ

ومن هنا قال أبو نواس [من الكامل] :

لا تُسْدِيَنّ إليّ عارفةً حتى أقومَ بشكر ماسلفا

ومن المبالغة قول النظام [من الطويل] :

تَوَهَّمَهُ طرْفي فآلمَ خدَّهُ فصار مكانُ الوهْمِ من نظرى أثرُ
وصافحه كفى فآلم كفَّه فمِنْ صفح كفي في أناملهِ عقْرُ
ومرّ بفكري خاطرا فجرحته ولم أرَ خلقاً قط يجرحهُ الفكرُ

يقال إن الجاحظ لما بلغه ذلك قال : هذا ينبغي أن لاينالك إلا بأيرٍ من الوهم .

وعجيب في المبالغة قول السلامي في عضد الدولة أيضا [من الطويل] :

إليكَ طوَى عرْضَ البسيطة عاجلاً قُصارَى المطايا أن يلوحَ لها القصرْ
فكنتُ وعزمي في الظلام وصارمي ثلاثةَ أشباهٍ كما اجتمع النسْرُ
وبشَّرْتُ آمالي بملْكٍ هو الورى ودارٍ هي الدنيا ويومٍ هوَ الدَّهرُ

وقوله أيضا ، وأجاد [من البسيط] :

أقْبِلْ عَلَيّ وقلْ ضيفي ومتّبعي وشاعري قاصدي راجيّ مُمْتَارِي
أنتَ الأنامُ فمن أدعو وحضرتكَ الدُّنيا فأينَ أقضّي بعضَ أوطارِي

ومثله قول المتنبي [من الطويل] :

هي الغرضُ الأقصى ، ورُؤيتكَ المُنَى ومنزلُكَ الدُّنيا ، وأنتَ الخلائقُ

وقول القاضي ناصح الدين الأرجاني [من البسيط] :

ياسائلي عنهُ لَمّا جئتُ أمدحهُ هذا هوَ الرجُلُ العارى من العار
لقيتهُ فرأيتُ الناسَ في رجُلٍ والدهر في ساعةٍ والأرض في دارِ

وقول أبي محمد الخوارزمي [من الطويل]:

ألا ياسائلي عن كنهِ علياهُ إنهُ　　لأُعطِيَ ما لم يُعْطَهُ الثقلانِ
فمن يَرَهُ فى منزلٍ فكأنما　　رأى كلَّ إنسانٍ وكلَّ مكانِ

ومن بديع المبالغة قولُ ابن نباتة السعدى فى سيف الدولة من قصيدة وأجاد [من البسيط]:

قَدْ جُدْتَ لى باللُّهَى حتى ضَجِرْتُ بها　　وكدْتُ من ضَجَرى أُثْنى على البخَلِ
إن كنت ترغبُ فى بذلِ النوالِ لنَا　　فاخْلُقْ لنَا رغبةً أولا فلا تُنِلِ
لم يُبْقِ جودُكَ لى شيئاً أُؤَمِّلُه　　تركتَنى أصحَبُ الدنيَا بلاَ أمَلِ

وأبلغ منه قول أبي الفرج الببغاء، فى سعد الدولة، ابن سيف الدولة، [من المنسرح]:

لاغيثُ نعماهُ فى الورَى خلَبَ الـبرقَ وَلا وردُ جوده وَشَلُ
جَادَ إلى أن لم يُبْقِ نائلُهُ　　مَالاً وَلم يبقَ للورَى أملُ

وقريب من هذا المعنى قول ابن بابك فى الصاحب بن عباد [من البسيط]:

فحسنُ ظنكَ بى استوفى مَدَى أملي　　وحُسنُ رأيكَ بى لم يُبْقِ لى أرَبَا

ومن محاسن المبالغة قول ابن اللبانة، وقد رأى ابن المعتمد بن عباد صائغاً بعد الملك [من البسيط]:

أذكى القلوبَ أسًى أجرَى الدُّموعَ دمًا　　خطبٌ وُجودُكَ فيه يشبهُ العَدَمَا
وعادَ كونكَ فى دكّانِ قارعةٍ　　من بعدِ ما كنتَ فى قصرٍ حكى إرما
صرَّفتَ فى آلةِ الصُّوَّاغِ أنمُلةً　　لم تدرِ إلا النَّدَى والسيفَ والقلَمَا
يدٌ عهدتُكَ للتقبيلِ تبسطها　　فتستقلُّ الثُّرَيَّا أن تكون فمَا
ياصائغاً كانتِ العليا تصاغُ لهُ　　حلياً وكانَ عليهِ الحَلْىُ منتظمَا
للنفخِ فِى الصورِ هولٌ ماحكاهُ سوَى　　يومٍ رأيتكَ فيهِ تنفخُ الفحمَا

وَدِدْتُ إذْ نظَرَتْ عينى إليكَ بهِ   لَوْ أنَّ عينيَ تشكو قبلَ ذاكَ عمى
لُحْ فى العلا كوكباً إن لم تَلُحْ قمراً   وقُمْ بها ربوةً إنْ لم تَقُمْ علما

وما أبلغ قول السلامى [من الطويل] :

فنى جيشهِ خمسونَ ألفاً كعنترٍ   وأمضَى وفى خزّانهِ ألفُ حاتمِ

ولمؤلفه فيها من قصيدة [من المتقارب] :

متى لَمَسَتْ كفهُ مُعدماً   أصابَ الغنى وانثنى مُسْعَفَا
و إنْ لَمَحَتْ عينهُ خاملاً   غدَا نابهاً قبلَ أنْ يطرِفَا

ومن المبالغة فى المجون قول ابن حجاج [من الوافر] :

فتاةٌ كالمهاةِ تروقُ عيني   مشاهِدُها وتفتنُ من رآها
تكادُ تَرُدُّ للمجبوبِ أيراً   وتحدثُ للفتى العنّينِ باها

وهو من قول جحظة البرمكى [من الكامل] :

لو مرَّ بالأعمى لأبصرَ أو بعِنِّينٍ لأنعظْ

ولقد أحسن الخالدى وأجاد إلى الغاية فى قوله من قصيدة [من البسيط] :

كأنما من ثناياها ومبسمِها   أيدى الغمام سرقْنَ البردَ والبردا

وبديع قول السلامى أيضا [من الطويل] :

تبسمتَ والخيلُ العتاقُ عوابسٌ   وأقدمتها والحربُ لم تتأججِ
فما وطئتْ إلا على خدّ سيدٍ   ولا عثرتْ إلا برأسٍ متوّجِ

وقد أغرب الوأواء الدمشقى بقوله [من الوافر] :

متى أرْعى رياضَ الحسنِ منهُ   وعَينى قدْ تضمنها غديرُ
ولو نُصبتْ رحَى بإزاء دمعى   لكانتْ مِنْ تحدُّرهِ تدورُ

ومن المبالغة فى البخل قول ابن الرُّومى [من الكامل] :

لو أنَّ قصرك يا ابن يوسف مُمتلٍ إبراً يضيقُ بها فناء المنزلِ
وأتاك يوسفُ يستعيرك إبرةً ليخيط قدَّ قميصه لم تفعلِ

ومثله قول كشاجم [من الكامل]:

يا مَن يؤمّلُ جعفراً من بين أهلِ زمانهِ
لو أنَّ في آستك درهماً لاستلَّهُ بلسانهِ

وقول دعبل [من الخفيف]:

إنَّ هذا الفتى يصونُ رغيفاً ما إليه لناظرٍ مِنْ سبيلِ
هو في سفرتين مِن أدمِ الطا ئف في سلّتين في منديلِ
خُتمتْ كلُّ سلّةٍ بحديدٍ وسيورٍ قُددْنَ من جلدِ فيلِ
في جرابٍ في جوف تابوت موسى والمفاتيحُ عند إسرافيلِ

وقول بعضهم أيضا [من الوافر]:

فتى لو أُدخلَ الحمامَ حولاً وحولاً بعد أحوالٍ كثيرهْ
وألبس ألفَ فروٍ بعد ألفٍ ولُحفٍ حشوُها قطنُ الجزيرهْ
وأوقدتِ الجحيمُ عليه حتى تصيرَ عظامهُ مثل الذَّريرهْ
لما عرقتْ أناملهُ لبخلٍ بعُشرِ عُشيرِ معشارِ الشَّعيرهْ

ومنه قول بعضهم [من الوافر]:

رغيفكَ في الحجاب عليه قفلٌ وحرّاسٌ وأبوابٌ منيعهْ
رأوا في بيتهِ يوماً رغيفاً فقالَ لضيفهِ: هذا وديعهْ

ومنه قول عبدان الأصبهاني [من المتقارب]:

رغيفكَ في الأمن يا سيدي يحِلُّ محلَّ حمامِ الحَرَمْ
فلله درُّكَ مِن سيدٍ حرامِ الرغيفِ حلالِ الحُرَمِ

وقول ابن الرومي أيضاً [من المنسرح]:

فتىً علَى خُبزِهِ ونائلِهِ أشفقُ من والدٍ على ولَدِهْ
رَغيفُهُ مِنهُ حينَ تسألهُ مكانَ روحِ الجبانِ من جسَدِهْ

ومن المبالغة فى الهجو قول الشريف الناسخ [من الخفيف] :

لستُ أخشى حرَّ الهجيرِ إذا كا ن حسينُ الصوَّافِ فى الناسِ حيًّا
فبَبيتٍ من شعرِهِ أتـقِى الحَرَّ وَفى ظلِّ أنفِهِ أتفيَّا

ومنه قول الآخر أيضا [من السريع] :

وَرُبَّ أنفٍ لصديقٍ لنا تحديدُهُ ليسَ بمعلومِ
ليسَ عنِ العرشِ له حاجبٌ كأنهُ دعوةُ مظلومِ

وقول النجم يحيى أيضا [من الكامل] :

شبهتُ أنفكَ كردكوهَ بعينهِا والفرقُ بينهما جلىٌّ المقصدِ
إنَّ الملاحدَ أصبحوا فى قلعةٍ وَرأيتُ أنفكَ قلعةً فى ملحَدِ

وقول الصابى يهجو أبخر [من الكامل] :

قد أبصرتْ عينى العجائبَ كلها ما أبصرت مثلَ ابن نصر أبخرا
مَا شمَّ نكهتهُ امرؤٌ متعطرٌ إلا وعادَ مُخاطهُ منها خرًا

وقوله فيه أيضًا [من الكامل] :

نطق ابن نصرٍ فاستطارتْ جيفةٌ فى العالمينَ لنتْنِ فيهِ الفاسدِ
فكأنَّ أهلَ الأرضِ كلهم فَسَوْا متواطئينَ علَى اتفاقٍ واحدِ

ومثله قول ابن زريق الكوفى الكاتب [من الطويل] :

ولى صاحبٌ أفسى البريةِ كلها يشككنى فيهِ إذا ما تنفسَا
تحوَّلتِ الأنفاسُ منهُ إلى استه فما أحدٌ يدرى تنفسَ أمْ فسَا

ولبعضهم ، وأجاد [من الوافر] :

أتانا عالمٌ من أرض فاسٍ يجادلُ بالدليل وبالقياسِ
وما فاسٌ ببلدته ولكنْ فسَا يفْسُو فساء فهو فاسِي

وقول ابن درة الشاعر فى معيان [من مخلع البسيط] :

مدوّر الكعب، فاتخذه لِتلّ غرس وثلّ عرش
لو رمقت عينه الثريا أخرجها فى بنات نعش

وقد بالغ بعضهم فى ملازمة الرقيب بقوله [من الخفيف] :

أنا والحب ما خلونا ولاطر فة عين إلا علينا رقيب
ما اجتمعنا بحيث أن يمكن الدهـ ـر بأنى أقول أنت الحبيب
بل خلونا بقدر ما قلت أنت الـ ـح فوافى فقلت كيم الطبيب

ومن المبالغة نوع يسمى الاستظهار، كقول ابن المعتز العباسى لابن طبا طبا العلوى أو غيره [من المتقارب] :

الاستظهار (نوع من المبالغة)

فأنتم بنو بنته دوننا ونحن بنو عمه المسلم

فقوله « المسلم » استظهار لأن العلوية من بنى عم النبى صلى الله عليه وسلم أيضاً أعنى أبا طالب ، ومات جاهليا ، فكأن ابن المعتز أشار بحذقه إلى ميراث الخلافة وقد أخذه ابن المعتز من قول مروان[1] بن أبى حفصة وكان شديد العداوة لآل أبى طالب حين قال مخاطبا لهم [من الكامل] :

خلوا الطريق لمعشر عاداتهم حطم المناكب يوم كل زحام
ارضوا بما قسم الإله لكم به ودعوا وراثة كل أصيد سامى
أنى يكون وليس ذاك بكائن لبنى البنات وراثة الأعمام

وقد أخذه من مولى لتمام بن العباس بن عبد المطلب ، قاله لمولى من موالى النبى صلى الله عليه وسلم ، لما أتى الحسين رضى الله عنه، فقال له : أنا مولاك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم [من الطويل] :

---

(١) فى المطبوعتين « من قول ابن مروان » بزيادة ابن .

جحدتَ بنى العباسِ حقَّ أبيهمُ　　فما كنت فى الدَّعوَى كريمَ العواقبِ
متى كانَ أوْلادُ البنــاتِ كوارثٍ　　يحوزُ ويُدْعَى والداً فى المنـاسبِ

ومثله قول الطاهر بن على بن سليمان بن على بن عبدالله بن العباس فى الطالبيِّين [من الـكامل] :

لو كانَ جدُّكمُ هُناكَ وجدُّنا　　فتنازَعا فيهِ لوَقتِ خصامِ
كانَ التراثُ لجدِّنا من دونهِ　　لحَواهُ بالقرْبى وبالإسلامِ
حقُّ البناتِ فريضةٌ معلومة　　والعَمُّ أوْلى من بنى الأعمامِ

***

١٣٧ — ونـكرمُ جارَنا ما دامَ فِينا　　ونُتبعهُ الـكرامةَ حيثُ مالاَ

البيت من الوافر ، وهو لعمرو بن الأهتم التغلبى .

شاهد الاغراق

والشاهد فيه : الإغراق ، وهو : ادعاء ممكن عقلا لا عادة ، فإنه ادعى أن جاره لا يميل عنه إلى جانب إلا وهو يرسل الـكرامة والعطاء إليه على أثره ، وهذا ممكن عقلا ممتنع عادة ، ومن أمثلته قول امرىء القيس [من الطويل] :

تنوَّرْتُها من أذْرعاتٍ وأهلُها　　بِيثربَ ، أدْنى دارِها نَظَرٌ عالى

فإن أذرعات من الشام ، ويثرب مدينة النبى صلى الله عليه وسلم ، وَرؤية النار من بعد هذه المسافة لا يمتنع عقلا ، ويمتنع عادة

ومن محاسن ما استشهدوا به على نوع الإغراق قول القائل [من الطويل] :

ولو أنَّ ما بِى من جوًى وصبابةٍ　　على جملٍ لم يدخُل النار كافرُ

يريد أنه لو كان ما به من الحب بجمل لنحل حتى يدخل فى سم الخياط ، وذلك لا يستحيل عقلا ، إذ القدرة صالحة لذلك ، لـكنه ممتنع عادة

أمثلة من مبالغات الشعراء

وقد تفنن الشعراء فى المبالغة فى النحول ، فمن ذلك قول المتنبي [من البسيط] :

رُوحٌ تردَّدُ فى مثلِ الخلالِ إذَا　　أطارتِ الرِّيحُ عنهُ الثَّوبَ لم يَبِنِ
كفى بِجسمى نحُولاً أننى رجلٌ　　لوْلا مخـاطبتى إيَّاكَ لم ترَنِى

وقد أخذه من قول الآخر [من البسيط] :

بري ضنًى لم يدعْ مني سوى شبحي لوْ لم أقلْ ها أنا لِلنَّاس لم أبنِ

ومثله قول بعضهم [من البسيط] :

ها فانظروني سقيماً بعد فرقتكمْ لوْ لم أقلْ ها أنا للناسِ لم أبنِ
لوْ أن إبرَةَ رفاء أكلفُها جرَيت في ثقبهامنْ دقةِ البدنِ

وما ألطف قول الشيخ شرف الدين بن الفارض في هذا المعنى [من الطويل]:

كأني هلالُ الشكِّ لوْلاَ تأوُّهي خفيتُ فلم تُهدَ العيونُ لرؤيتي

ومثله قول نصر السفاقسي [من البسيط] :

أذابهُ الحبُّ حتى لوْ تَمثلهُ بالوَهمِ خلقٌ لأعياهمْ توَهُّمهُ
لوْلاَ الأنينُ ولوْعاتٌ تحركهُ لم يدْرِهِ بعيانٍ منْ يكلمهُ

ومثله قول بعضهم [من الخفيف] :

قدْ سمعتمْ أنينهُ منْ بعيدٍ فاطلبُوا الشَّخْصَ حيثُ كانَ الأنينُ

وقول ابن حجة الحموي [من البسيط] :

وقدْ تجاوَز جسمي حدَّ كلِّ ضنًى وَها أنا اليومَ في الأوْهامِ تخييلُ

وما أحسن قول بشار [من الطويل] :

سلبْتِ عظامي لحمها فتركتِها عوَاريَ في أجْلادِها تتكسَّرُ
وأخليْتِ منها مُخها فتركتِها أنابيبَ في أجوافِها الرِّيحُ تَصفِرُ
خُذي بِيدِي ثمَّ ارْفعي الثوْبَ فانظرِي ضنى جسدِي لكنَّني أتسترُ
وليسَ الذِي يجري منَ العينِ ماؤُها ولكنها نفسٌ تَذوبُ فتقطرُ

ومثل البيت الأخير قول ديك الجن [من الخفيف] :

ليسَ ذَا الدمعُ دمعَ عيني ولكنْ هي نَفْسٌ تُذيبها أنفاسِي

وقول ابن دريد أيضاً [من الكامل] :

لا تحسبي دَمعي تحدَّرَ ، إنَّما رُوحي جرَتْ في دَمْعِيَ المتحدِّرِ

ومن الإغراق قول أبى القاسم بن هانى [من الكامل] :

لبسَ الصباحُ بهِ صباحاً مسفراً وسقتْ شمائلهُ السحابَ سحابا

وقول المتنبي [من الطويل] :

وثِقنا بأنْ تُعطِي فلوْ لم تجُدْ لنا حسبْناكَ قدْ أعطَيْتَ من قوةِ الوَهمِ

ولم أقف على ترجمة ابن الأهتم التغلبى قائل البيت

*
* *

١٣٨ — وأخفتَ أهلَ الشِّرْكِ حتى إنهُ لتخافكَ النطفُ التى لم تُخلَقِ

البيت لأبى نواس ، من قصيدة من الكامل يمدح بها الرشيد ، أولها : شاهد الغلو

خلَقَ الزمانُ وشِرَّتى لم تخلق ورَمَيْتُ فى غرضِ الزّمانِ بأفوقِ

تقعُ السهامُ وَراءهُ وكأنهُ أثرَ الخوالفِ طالبٌ لم يلحقِ

وأرى قُوايَ تكاءدَتْها رِيثةٌ فإذا بطشتُ بطشتُ رِخْوَ المرْفقِ

ولقدْ غدوْتُ بدستبان معلم صخب الجلاجل فى الوظيف منسق

حر صنعناه لتحسن كفّهُ عملَ الرفيقة واستلابَ الأخرَق

واستمر فى وصف البازى إلى أن قال :

هذا أميرُ المؤمنينَ انتاشنى والنفسُ بينَ مخنجر ومُخنَق

نفسى فداؤكَ يومَ دابقَ منهما لولا عواطفُ حلمهِ لم أُطلَقِ

حرَمتَ من لحمى عليكَ محللاً وجمعتَ منْ شتى إلى متفرقِ

فاقذفْ برَحلكَ فى جنابِ خليفة سباقِ غاياتٍ بها لم يُسبقِ

إلى أن قال :

إنى حلفتُ عليكَ جهدَ أليّةٍ قسماً بكلِّ مُقصرٍ ومُحلّقِ

لقدِ اتقيتَ اللهَ حقَّ تُقاتهِ وجهدْتَ فيهِ فوقَ جهدِ المُتقى

وبعده البيت ، وبعده :

وبضاعةُ الشُّعراء إنْ أنفقتها نفقتْ وإنْ أكسدْتَها لم تنفقِ

والشاهد فى البيت : الغلو ، وهو : ادعاء مالا يمكن عقلا ولا عادة ، فانه ادعى أن النُّطَفَ غير المخلوقة تخاف من سطوته ، وهذا ممتنع عقلا وعادة .

ومن ألطف ما يحكى هنا أن العتابى الشاعر لقى أبا نواس فقال له : أما استحييت من الله بقولك:

* وأخفت أهل الشرك — البيت *

فقال له أبو نواس : وأنت ما استحييت من الله بقولك [من البسيط]:

ما زلتُ فى غَمرات الموتِ مُنطرحاً يضيقُ عنى وسيعُ الرأى من حِيلى

فلمْ تزَلْ دائماً تَسعى بلطفكَ لِى حتى اختلَسْتَ حياتى من يدَىْ أجلى

فقال له العتابى : قد علم الله وعلمت أن هذا ليس مثل ذاك ، ولكنك أعددت لكل ناصح جوابا .

وقد استعمل أبو نواس معنى البيت ثانيا ، فقال من قصيدة أخرى [من الكامل] :

أمثلة من الغلو

حتى الذِى فى الرَّحم لم يكُ صورةً لفؤادهِ منْ خوفهِ خفقانُ

ومن الغلو أيضا قول البحترى [من الكامل]:

ولوَ انَّ مُشتاقاً تكلفَ فوقَ ما فى وُسعهِ لسعى إليكَ المنبرُ

ومن هنا أخذ المتنبى قوله [من الكامل]

لوْ تعقلُ الشجَرُ التى قابلتَها مدتْ مُحيِّيَةً إليكَ الأغصُنا

إلا أن بيت البحترى أحسن وأمكن

حدث أحمد البلاذرى المؤرخ ، قال : كنت من جلساء المستعين بالله ، فقصده الشعراء ، فقال: لست أقبل إلا ممن قال مثل قول البحترى فى المتوكل :

* ولو أن مشتاقا — البيت *

فرجعت إلى بيتى ، وأتيته ، وقلت : قد قلت فيك أحسن مما قاله البحترى فقال : هات ، فأنشدته [من الطويل] :

ولوْ أن بُرْدَ المصطفى إذْ لبستَهُ يظنُّ لظنَّ البردُ أنكَ صاحِبهْ
وقالَ وقدْ أُعطيتهُ ولبستَهُ نَعَمْ هذهِ أعطافهُ ومناكبهْ

فقال : ارجع إلى منزلك وافعل ما آمرك به ، فرجعت ، فبعث إلى بسبعة آلاف دينار ، وقال : ادخر هذه للحوادث بعدى ، ولك على الجراية والكفاية ما دمت حيا .

ومنه قول أبى نواس فى وصف الخمر [من مخلع البسيط] :

لاينزلُ الليلُ حيثُ حلَّتْ فدهرُ شُرَّابِها نهارُ

وقول الآخر أيضا [من الكامل] :

منعتْ مهابتُكَ القلوبَ كلاَمَها بالأمرِ تكرَهُهُ وإنْ لم تعلمِ

وقول التمار الواسطى ، وقيل : نصر الخابز [من السريع] :

قدْ كانَ لِى فيما مَضى خاتمٌ واليومَ لوْ شئْتُ تمنطقْتُ بهْ
وذُبْتُ حتى صِرْتُ لوزُجَّ بِى فى مُقلةِ النائمِ لم ينتبهْ

وقول كشاجم [من الطويل] :

وما زَال يبرِى جُمْلةَ الجسمِ حُبُّهَا وينقصهُ حتى لطفْتُ عنِ النقصِ
وقدْ ذُبْتُ حتى صرْتُ إذا أنا جئتُها أمنْتُ عليها أنْ يرَى أهلها شَخْصى

وقول المظفر بن كيغلغ [من مخلع البسيط] :

عبدُكَ أمرضْتَهُ فعُدْهُ أتلفهُ إنْ لم تكنْ تُرِدْهُ
ذَابَ فلوْ فتَّشْتَ عليه كفُّكَ فى الفرْشِ لم تجدْهُ

وقول ابن دانيال أيضا [من المتقارب] :

مُحِبٌّ غدا بجسمه ناحلاً يكاد لفرط الضنى أن يذوبا
ورقّ فلو حرّكته الصَّبا لصار نسيما وعادت قضيبا

ومن الغلو قول الفرزدق يمدح العذافر بن زيد [من الطويل] :

لعمرك ما الأرزاق حين اكتيالها بأكثر خبزاً من خوان العذافر
ولو ضافه الدجال يلتمس القِرَى وحلّ على خبازه بالعساكر
بعدة يأجوج ومأجوج كلهم لأشبعهم يوما غداء العذافر

وقال بعض أهل الأدب : هذا طعام اتخذ فى قِدْرِ القائل [من الطويل] :

وبوّأتُ قِدْرِى موضعاً فوضعتها برابيةٍ من بين ميثٍ وأجرعِ
جعلتُ لها هضبَ الرجام وطخفةٍ وغولا أثافى جذرها لم ينزع
لقدر كأنَّ الليلَ سحمة قعرها ترى الفيلَ فيها طافياً لم يقطّع

وهذه الأبيات للفرزدق أيضا

ومن الغلو قول ابن دريد فى النحول [من السريع] :

إنى امرؤٌ أبقيتَ من جسمهِ يا مُتلفَ الصبِّ ولم يشعرِ
صبابةً لو أنها قطرةٌ تجولُ فى عينكَ لم تقطرِ

وقول بعضهم أيضا [من الطويل] :

ولو شئتُ فى طىِّ الكتابِ لزُرتكم ولم تدرِكنى أحرفٌ وسطورُ

وأزيد منه فى الغلو قول أبى عثمان الخالدى [من الطويل] :

بنفسى حبيبٌ بانَ صبرى ببينهِ وأودعنى الأحزان ساعةَ ودّعا
وأنحلنى بالهجر حتى لوَ انّنى قذًى بين جفنىْ أرمدٍ ما توجعا

ومثله قول الوزير أبى الفضل بن العميد [من الكامل] :

فلَوَ انَّ ماأبقيتَ من جسمى قذًى فى العينِ لم يمنع مِنَ الإغفاء

وزاد عليه المتنبى بقوله [من الطويل] :

أراكَ ظننتَ السِّلْكَ فَعقْتَهُ جسمى عليكَ بِدُرٍّ عن لقاء الترائبِ
ولو قلم أُلقيتُ فى شَقِّ رأسهِ من السقم ماغيرتُ من سَطر كاتبِ

ومن الغلو المفرط قول بعضهم [من الطويل] :

غرامٌ وَوجدٌ واشتياقٌ وغربةٌ وماذاق إنسانٌ من الحب ماذقتُ
نحلتُ فلو عُلِّقْتُ فى رجل ذرَّةٍ لطارتْ ولم تشعرُ بأنى تعلقت
ولو نمتُ فى جفن الذباب معرَّضاً منَ السقم لم تشعر بأنّىَ قد نمتُ
ولَوْ نَفَسٌ من أنفها قد أصابنى من الشوق أوْمن حر أنفاسها ذُبتُ

وهذه الأبيات خبر غريب أحببت ذكره

حدث الشيخ المقرى الصوفى الواعظ أبو عبد الله بن الخباز، قال: كنت مع جماعة من أهل التصوف بأصبهان فى رباط هناك ، واجتمع أصحابنا ليلة فى سماع ، فلما كان فى أثناء ذلك بعد مضى جزء من الليل والوقت قد طاب، إذ طرق الباب طارق ، فخرج إليه مَنْ سمع ذلك ، فوجد شيخا طويل القامة ، عظيم الهامة ، على رأسه كرزية ، وعليه فرجية ، و بيده إبريق وعكاز ، فقال : ما هذا ؟ قلنا : سماع اجتمع فيه الأصحاب، فقال: ندخل؟ فدخل فوجد القائل يقول [من الطويل] :

خليلى لا والله ما القلبُ سالمٌ وإن ظهرتْ منّى شمائلُ صاحى
وإلا فَمـا بالى ولمْ أشهدِ الوغَى أبيتُ كأنى مُثْخَنٌ بجراح

فرمى للمنشد ما كان على رأسه ، ثم قال له : قل ، فقال [من البسيط] :

يابانةَ الجزعِ لولاَ رنة الحادِى لما تنقلتُ مِنْ وادِ إلى وادِ
ولا سلَكْتَ بنعمان الأراك ولا شربت ماء بهِ يا نهلةَ الصادِى

ثم قال أيضا [من الكامل] :

كرّرْ على أحاديثهم ياحادِى فحديثهم يُطْفِى لهيب فؤادِى

كرِّزْ علىَّ حديثهمْ فلربما لانَ الحديدُ لضربة الحدَّادِ

فنزع فرجيته، و بقى الشيخ عريانا، وقال: قل، فقال الأبيات السابقة، قال الشيخ أبو عبد الله بن الخباز: فصاح الشيخ صيحة عظيمة وشهق شهقة قوية وخرجت روحه، رحمة الله عليه! ولما أصبح الصباح وطلع النهار غسلناه وكفناه وجهزناه إلى حفرته، وتركناه فى عظيم رتبته

ونظير ذلك ما حكاه بعض أهل دمشق قال: قال شيخ من الفقراء لآخر: إنى أحب اليوم أن نجتمع وأغنى لكم، قال: فاجتمعوا، فغنى لهم [من البسيط]:

سَلى نُجومَ السَّماَ يا طلعةَ القمر عنْ مدمعى كيفَ يدمى فيكِ بالسهر

إيهِ بعيشكِ ماذَا أنتِ صانعةٌ منَ الجميل فهذَا آخرُ العمر

ثم شهق ومات رحمه الله تعالى

ومثل ذلك ما رواه ابن القماح قال: سمعت الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد يذكر فى مجلس درسه بجامع ابن طولون أنه حضر سماعا، وكان هناك فقير، فغنى مغن بأبيات ابن الخياط الدمشقى، وهى [من الطويل]:

خذَا منْ صبَا نجدٍ أماناً لقلبهِ فقدْ كادَ رياها يطيرُ بلبهِ

وإياكما ذاكَ النسيم فانه إذا هَبَّ كان الموتُ أيْسَرَ خطبه

أغارُ إذا آنستُ فى الحىِّ أنةً حذاراً وخوفاً أنْ تكونَ لحبهِ

وفى الركبِ مطوىُّ الضلوعِ على جوًى متى يدعهُ داعى الغرامِ يُلَبِّهِ

قال: فقال ذلك الفقير: لبيك، و رفع رأسه فاذا هو ميت، رحمه الله ونفعنا به

ولنرجع إلى ذكر الغلو — ومراتبه تتفاوت إلى أن تؤول بقائلها إلى الكفر والعياذ بالله تعالى، فمن ذلك قول ابن دريد فى المقصورة [من الرجز]:

مارستَ منْ لوهوتِ الأفلاكُ منْ جوانب الجوِّ عليهِ ماشكا

قيل: لأجل ادعائه فى هذا البيت ابتلاه الله بمرضٍ كان يخاف فيه من

من الذباب أن يقع عليه .

ومنه قوله أيضا [من الرجز] :

ولوْ حَمَى المقدُورُ منهُ مُهجةً   لَرَامها أو يستبيحَ ما حَمَى
تغدو المنايا طائعاتٍ أمرهِ   ترضى الذى يرضى وتأبىَ ماأبىَ

ومنه قول أبى الطيب المتنبى [من الطويل] :

كأنى دَحَوْتُ الأرضَ مِنْ خِبْرَتِي بها
وكانَ بِنَا الإسكندَرِ السدَّ مِنْ عَزمِي

وقوله أيضا [من الكامل] :

لو كانَ ذو القرنينِ أعملَ رَأيهُ   لما أتى الظلماتِ صِرْنَ شمُوسَا
أو كانَ صادفَ رَأسَ عازرَ سيفهُ   فى يومِ معركةٍ لأعيْا عِيسَى
أو كانَ لُجُّ البحرِ مثلَ يمينهِ   ما انشقَّ حتى جاز فيهِ موسَى

وقوله أيضا [من الخفيف] :

يترَشّفْنَ مِن فمى رَشفَاتٍ   هُنَّ فيهِ أحلى مِنَ التوحيدِ

وقال بعض من اعتذرَ للمتنبي : إن المرادَ بالتوحيد هنا : نوع من التمر ، وبعضٌ أصلح البيت ، فقال:

* هُنَّ فيهِ حَلاَوَةُ التوحيدِ *

وَمنه قول الوزير أبى القاسم المغربى [من السريع] :

قارَعَتِ الأيامُ مِنى امرءًا   قدْ عَلقَ المجدَ بأمراسهِ
تستنزلُ الرزقَ بأقدامه   وتستمدُّ العزَّ من باسهِ
أرْوَعَ لا ينحطُّ عنْ تيههِ   والسيفُ مسلولٌ على راسِهِ

ومن الغلو القبيح قول عضد الدولة [١] بن بُوَيْه [من الرمل] :

لیس شُرْبُ الكأس إلاّ في المطرْ ... وغناء مِنْ جوارٍ في السحرْ

غانياتٍ سالباتٍ للنُّهَى ... ناغماتٍ مِنْ تضاعيف الوترْ

مبرزَاتِ الكأسِ من مطلعها ... ساقياتِ الرَّاح مَنْ فاقَ البشرْ

عَضُدَ الدولةِ وابنَ رُكنها ... مَلِكَ الأملاكِ غلاّبَ القدَرْ

يُرْوَى أنه لم يفلح بعد هذا القول، وأخذته علة الصرع، ودخل في غمرات الموت، فكان لا ينطق إلا بقوله تعالى (مَا أغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ).

والمتساهلون في هذا النوع كثيرون - كأبي نُوَاس، وابن هانىء الأندلسي، والمتنبي، وأبي العلاء المعرِّي، وغيرهم من المتأخرين - كابن النبيه، ومَنْ جرَى مجراه، والاضراب عن ذكر ذلك أنسب، والله أعلم.

* * *

شاهد الغلو المقبول

١٣٩ - عَقَدَتْ سَنابِكُهَا عَلَيْهَا عِثْيَرًا ... لَوْ تَبْتَغِي عَنَقًا عَلَيْهِ أمْكَنَا

البيت لأبي الطيب المتنبي، وهو من قصيدة من الكامل [٢]، يمدح بها ابن عمار، أولها :

الحبُّ مامنعَ الكلامَ الألسُنَا ... وألذُّ شكْوَى عاشقٍ ما أعلنَا

(١) روى هذه الأبيات الأربعة ابن حجة في خزانة الأدب (٢٨٥) وذكر ماذكره المؤلف عنه من أنه لم يفلح بعد هذا القول.

(٢) اقرأها في ديوانه (٤ - ١٩٥)

ليتَ الحبيبَ الهاجرى هجْرَ الكَرَى

مِنْ غيرِ جرْمٍ واصلِى صِلةَ الضنَى

بنَّا فلَوْ حاوَلْتَنا لمْ تدْرِ ما ... ألوانَنا مما امتقِعْنَ تلوُّنَا(١)

وتَوَقَّدَتْ أنفاسنا حتى لقدْ ... أشفقْتُ تحترِقُ العواذلُ بيننا

إلى أن قال :

طَرِبَتْ مَرَا كِبنَا فخلنا أنها ... لولا حياءٌ عاقها رقَصتْ بنَا

أقبلت تبسمُ والجيادُ عوابسٌ ... يَخببنَ بالحلق المضاعفِ والقنَا

وبعده البيت ، وبعده :

وَالأمرُ أمرُكَ والقلوبُ خوافقٌ ... فى موقفٍ بينَ المنيةِ وَالْمُنَى

فعجبتُ حتى ماعجبتُ مِنَ الظبَا ... وَرَأيتُ حتى مارأيتُ من السنَا

وهى طويلة .

والسنابك : جمع سُنبك — بضمّ أوله وثالثه — وهو طرَفُ الحافرِ ، والعثير — بكسر أوله — التراب والعجاج ، والعَنَقُ — محركه — سيرٌ مستطرد للإبل والدابة

والشاهد فيه : الغلو المقبول ، وهو : ماتضمن معنى حسنا من التخييل ، فانه ادّعى أن الغبار المرتفع من سنابك الخيل قد اجتمع فوق رؤوسها مترا كما متكاثفاً بحيث صار أرضا يمكن أن تسير عليها تلك الجياد ، وهذا ممتنع عقلا وعادة ، لكنه تخييلٌ حسن .

---

(١) فى نسخة الديوان « بنا فلو حليتنا » ومعنى حليتنا وصفتنا . يريد انهم لعظم ما نالهم من ألم الفراق لو حاول محاول أن يصفهم ما استطاع لشدة تغير ألوانهم ، يريد أنه لا يستطيع وصفهم بلون خاص من بين الألوان .

وقريب من معناه قول ابن فضال القيرَوانى [من الوافر] :

بنيتَ الأرضَ فوقهمُ سماء وقدْ أجرَيت من عَرَقٍ بحارَا
فليسَ ترَاكَ ألحاظُ الدَّرَارِى وأنتَ حشوْتَ أعيُنَهَا غبَارَا

ومنه قول على بن عاصم الأصبهانى [من الكامل] :

مدّتْ سنابكُهُ عليكَ سُرَادقاً نسجتْ مضاربهُ من القسطَالِ
فى حَومةٍ ما إن يبينُ من الوغَى إلاَّ هَلاً منْ زَجرهنَّ وهَالِ
لَيلٌ من الغمرَاتِ أنتَ سِرَاجهُ ونجومـهُ هِنـدِيَّةٌ وعوَالِ (١)

وقول الببغاء أيضا [من الكامل] :

كالليلِ إلا أن ثوب ظلامهِ من عِثْيَرٍ ونجومه من لامِ

وقول السرى الرفاء أيضا [من الكامل] :

فى معرَكٍ طافَ الرَّدَى بكُمَاتهِ عند اختلاف الطعن أىَّ مطافِ
فإذا السنابكُ أنشأتْ ليلاً به بعث الصباحَ لها سنَا الأسيافِ

وقول البحترى أيضا [من الخفيف] :

فِى نهارٍ مِنَ السيوفِ مضىءٍ تحتَ لَيْلٍ من مُسْتَثَارِ الصعيدِ

وقد تقدم طرَف من ذلك فى شواهد التشبيه .

***

شاهد تقريب الغلو من الصحة

١٤٠ — يُخَيَّلُ لِى أن سُمِّرَ الشهبُ فى الدّجى
وَشُدَّتْ بأهدَابِى إليهِنَّ أجفَانِى

البيت للقاضى الأرجانى ، من قصيدة من الطويل ، يمدح بها شمس الملك عثمان بن نظام الملك ، أولها :

---

(١) هندية : أراد بها السيوف ، وعوال : أراد بها الرماح

أأجفانُ بيضٍ هنَّ أم بيضُ أجفانِ ... فوَاتكُ لا تُبقِي على الدَّنِف العاني
صوارمُ عشاق يقتُلْنَ ذا الهوَى ... ومن دونها أيضاً صوارمُ فرسانِ
مررْتُ بنعمان فما زلتُ واجداً ... إلى الحول نَشْرَ المسك من بطن نعمانِ
سوَافر فى خضرِ الملاءِ سوَائر ... كما ماسَ فى الأوراق أعطاف أغصانِ
وقد أطلعت وردَ الخدُودِ نوَاضرا ... ومن دونها شوكُ القنَا فمَنِ الجاني

إلى أن قال :

وقفتُ بها صبحاً أُناشدُ معشرِي ... وأُنْشِدُ أشعارى وأنْشُدُ إخوانى
ولما توَسمتُ المنازلَ شاقنى ... تذكرُ أيامٍ عهدتُ وإخوانِ
مضَتْ ومضوْا عنى فقلت تأسفاً ... قِفَا نبكِ من ذكرى أُناسٍ وأزمانِ (١)
تأوّبنى ذكرُ الأحبةِ طارقاً ... وللَيلِ فى الآفاقِ وقفةُ حيرانِ
وأرّقنى والمشرفىُّ مضَاجعِى ... سنَا بارقٍ أسْرَى فهيّجَ أحزانى
ثلاثةُ أجفانٍ ففى طىّ واحدٍ ... غِرَارٌ وخالٍ من غِرَارَيهما اثنان

وبعده البيت ، وبعده :

نظرْتُ إلى البرْق الخفىّ كأنهُ ... حديثٌ مُضاعٌ بينَ سِرّ وإعلانِ
وباتَ له منى وَقد طَنَّبَ الدُّجَى ... كلُوءُ الليالى طرفهُ غير وَسنَانِ

وهى طويلة .

والشاهد فى البيت : إدْخال شىء على الغلو يقرب به إلى الصحة ، مع تضمنه نوعاً حسنا من التخييل ، فانه يقول : يوقع فى خيالى أن الشُّهُبَ محكمة بالمسامير

---

(١) عجز هذا البيت من قول امرىء القيس بن حجر الكندى :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ... وربع عفت آياته منذ أزمان

لا تزول عن مكانها ، وأن أجفان عينى قد شُدت بأهدابها إلى الشهب لطول سهرى فى ذلك الليل وعدم انطباقها والتقائها ، وهذا ممتنع عقلا وعادة ، ولكنه تخييل حسن ، ولفظ « يخيل » مما يقرب به إلى الصحة .

ومن المقبول فى الغلو أيضا قول أبى العلاء المعرى [من الوافر] :

تكادُ قِسِيُّهُ من غيرِ رَامٍ ... تمكنُ فى قلوبهم النِّبالاَ
تكادُ سيوفهُ مِن غيرِ سَلٍّ ... تجدُّ إلى رقابهم انسلاَلاَ

وما أبدع قوله فى هذه الأبيات ، وهو مما نحن فيه :

يذيبُ الرُّعبُ منهُ كلَّ عضبٍ ... فلو لاَ الغمدُ يمسكهُ لَسالاَ

وفى معناه قول ابن المعتز [من المنسرح] :

يكادُ يجرى من القميصِ من النعـ ... ـمة لو لا القميصُ يمسكهُ

وقوله أيضا يصف فرساً [من الرجز] :

يكاد أن يخرج من إهابهِ ... إذا تدلى السوطُ لو لا اللَّبَبُ

ومنه قول أبى الشيص [من الكامل] :

لو لا التمنطق والسوار معاً ... والحجلُ والدملوج فى العضدِ
لتزايلت من كل ناحيةٍ ... لكن جُعِلْنَ لها على عمدِ

وَقد أخذه ابن النبيه ، فقال [من الطويل] :

لها معصمٌ لولا السوارُ يصدُّهُ ... إذا حَسَرَتْ أكمامها لجرى نهرا

ومثله قول بعضهم أيضا [من الرجز]:

لها من الليل البهيم طُرَّةٌ ... على جبينٍ واضحٍ نهارهُ
ومعصمٌ يكاد يجرى رقةً ... وإنما يعصمه سوارُهُ

ولعز الدين بن عبد الرزاق فى معناه [من السريع] :

قالتْ وقد صرت كطيف الخيالْ　　كيفَ ترى فعل الدمى بالرجالْ
وسـددت سهماً إلى مقتلى　　تقولُ هل فيك لدفع النصالْ
رقيقـةُ الجسم ، فلولا الذي　　يمسكهُ من قسوة القلب سالْ

وما ألطف قولَ شرف الدين الحلاوى ، يصف كأساً من أبيـات ، [من المنسرح] :

رقّ فلولا الأكفُّ تمسكه　　سالَ مع الخمر حين ترشفه

ومنه قول ابن حمديس فى وصف فرس [من الكامل] :

يجرى فلمعُ البرْق فى آثارهِ　　من كثرة الكبوات غيرُ مفيقِ
ويكاد يخرجُ سرعةً من ظلهِ　　لو كان يرغبُ فى فراق رفيقِ

ومثله قول شمس الدولة بن عبدان [من الكامل] :

أبَتِ الحوافرأن تَمَسَّ بها الثرى　　فكأنهُ فى جريهِ متعلقُ
وكأنَّ أربعـةً تُراهِنُ طَرْفَهُ　　فتكاد تسبقهُ إلى ما يرمقُ

وقول الآخر أيضا [من الكامل] :

كم سابحٍ أعددتهُ فوجدتهُ　　عند الكريهة وهو نسرٌ طائرُ
لم يرم قطُّ بطرفهِ فى غايةٍ　　إلا وسابقهُ إليها الحافرُ

وَقول الطاهر الجزرى [من الطويل] :

وأدهمَ كالليل البهيم مطهم　　فقد عزَّ من يعلو بساحة عُرْفهِ
يفوت هبوبَ الريح سبقاإذاجرى　　تُرَاهِنُ رجلاهُ مواقع طرفـهِ

وَقول جمال الدين الصوفى [من البسيط] :

وَأدهم اللون فاق البرْق وانتظرهْ　　ففارت الريح حتى غيَّبَتْ أثرهْ
فواضعٌ رجله حيث انتهت يدهُ　　وَواضعٌ يَدَهُ أنَّى رمى بَصَرَهْ
سهمٌ تراه يحاكى السهم منطلقاً　　وماله غرضٌ مستوقفٌ خبرهْ
يعفر الوحش فى البيداء فارسهُ　　وَينثنى وادعاً لم يستثر غَبَرَهْ

وقد أبدع أبو القاسم بن هانىء ، فقال [من الكامل] :

عُرِفَتْ بسرعة سَبْقِها لا أنها ... علقت بها يوم الرِّهان عيون
وأجلُّ علم البرْق فيها أنها ... مرّت بجانحتيه وَهْىَ ظنونُ

ومثله قول ابن نباتة السعدى [من الكامل] :

لا تعلق الألحاظ من أعطافه ... إلا إذا كفكفت من غلوائه

وما أبلغ قول ابن الخطيب الأندلسى مع التورية المرشحة [من المتدارك] :

يعتدُّ بها ملكٌ شهمٌ ... لو رام بها الشعرى سبقا
أو عارضها بالبرْق كبَا ... أو أورد عين الشمس سقَا

وأبدع امرؤ القيس بقوله [من الطويل] :

كأن غلامى إذ علا حالَ متنه ... على ظهر طير فى السماء محلق

هكذا قيل ، والرواية فى ديوانه بلفظ « باز » بدل « طير »

وأجاد معاوية بن مرداس بقوله أيضا [من البسيط] :

يكاد فى شأوه لولا أسكّنهُ ... لو طار ذو حافر من سرعة طارا

ومثله لبعض الأعراب أيضا [من المتقارب] :

فلو طار ذو حافرٍ قبلها ... لطارت ولكنه لم يطرْ

وما أبدع قول ابن المعتز [من الكامل] :

فكأنه موجٌ يذوبُ إذا ... أطلقتهُ فإذا حبست جمدْ

وهو مأخوذ من قول العكوك [من الرجز] :

مضرَّجٌ برِّيج فى أقطاره ... كالماء جالتْ فيه ريح فاضطربْ

وما أحسن قول أبى العلاء المعرى [من الوافر] :

ولمّا لم يُسابقهنَّ شىء ... من الحيوان سابَقْنَ الظِّلالا

ولمؤيد الدين الطغرائى [من الكامل] :

سَبَقَتْ حوَافِرَها النَّواظِرَ فاستوى سَبْقٌ إلى غاياتها وسُكُونُ
لَوْلَا تَرامى الرَّايتَينِ لأقسَمَ الرَّاءُونَ أنَّ حِراكَها تَسْكِينُ
وتكادُ تُشبِهُها البُرُوقُ لوَ انَّها لم تعتلِقها أعينٌ وظنُونُ

وبالغ ابن الحجاج فى مرثية فرس له فقال [من السريع] :

قال لهُ البرْقُ وقالت لهُ الرِّيحُ جميعاً وهُما ماهُما
أأنتَ تجرى معَنا قال لا إنْ شِئتُ أُضحكتُكُما منكما
هذا ارْتِدادُ الطَّرْفِ قدفُتُّه إلى المَدَى سبقاً فَمَنْ أنتُما

وبديع قول الصلاح الصفدى [من السريع] :

يا حُسنَهُ من أشقرٍ قصَّرَتْ عَنهُ بُرُوقُ الجَوِّ فى الرَّكضِ
لاتَستطيعُ الشمسُ من جَرْيه تَرْسمُهُ ظِلاً على الأرْضِ

ومن الغلو المقبول قول الفرزدق فى على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم [من البسيط] :

يكادُ يُمْسِكُهُ عِرفانَ رَاحتِهِ رُكْنُ الحَطيم إذا ماجاء يَستلِمُ

ترجمة القاضى الأرجانى

والقاضى الأرجانى هو : أحمد(١) بن محمد بن الحسين بن على ناصح الدين(٢) وهومنسوب إلى أرجان- بتشديد الراء المفتوحة وبالجيم - وهى من كور الأهواز من بلاد خوزستان ، وأكثر الناس يقولونها بالراء المخففة ، واستعملها المتنبى فى شعره (٣) كذلك ، وكان القاضى المذكور أحد أفاضل الزمان ، كامل الأوصاف ،

---

(١) له ترجمة فى ابن خلكان (١-٨٣)

(٢) فى الأصول « بن ناصح الدين » وكلمة « بن » مقحمة ، يؤيده قول ابن خلكان « الملقب ناصح الدين » وسيأتى للمؤلف (ص٤٥) يقول «ومن شعر القاضى ناصح الدين» .

(٣) وقع ذلك فى قوله من قصيدة :

أرجان أيتها الجياد فانه عزمى الذى يذر الوشيج مكسرا

لطيف العبارة ، غواصا على المعانى ، إذا ظفر بالمعنى لا يدع فيه لمن بعده فضلا ، قال أبو القاسم هبة الله بن الفضل الشاعر : كان الغزّى صاحب معنًى لا لفظٍ ، وكان الأبيوردىُّ صاحب لفظٍ لا معنى ، وكان القاضى أبو بكر صاحب لفظ ومعنى . قال ابن الخشاب : والأمر كما قال ، وأشعارهم تُصدق هذا الحكم إذا تؤملت ، وكان فى عنفوان شبابه بالمدرسة النظامية بأصبهان وكان ينوب فى القضاء ببلاد خوزستان تارة بتستر وتارة بعسكر مكرم ، ومن شعره فى ذلك [من الكامل] :

ومنَ النوَائِب أننى فى مِثْلِ هذَا الشغْلِ نائِبْ
ومنَ العجَائِب أنَّ لى صبراً على هذِى العجَائِبْ

وكان فقيها شاعرا ولذلك قال [من الكامل] :

أنا أفْقَهُ الشُّعَراءِ غيرَ مُدَافع فى العَصْرِ لا بَلْ أشعَرُ الفُقَهاءِ
شِعْرٌ إذا ماقُلْتُ دَوَّنَهُ الورَى بالطَّبْعِ لا بتكَلُّفِ الالقاءِ
كالصوْتِ فى قُلَلِ الجبَالِ إذا علا لِلسَّمْعِ هاجَ تجاوُبَ الأصداءِ

وقد قدم الأرجانى بغداد مرات ، ومدح الامام المستظهر وغيره ومن شعره وهو غريب [من الطويل] :

رَثَى لى وقَدْ ساوَيْتهُ فى نُحُولِهِ خَيَالِىَ لمّا لم يكُنْ لى راحمُ[1]
فَدَلّسَ بى حتَّى طرَقْتُ مكانهُ وأوهمْتُ إلفى أنه بى حالِمُ
وبِتْنا ولم يَشْعُرْ بنا النّاسُ لَيلَةً أنا ساهِرٌ فى جفْنِهِ وهْوَ نائِمُ

وله قصيدة يصف فيها الشمعة، وقد أحسن فيها كل الاحسان ، واستغرق

(١) فى الأصول كلها « أنى لى » فى مكان « رثى لى » وهو تحريف عما أثبتناه عن ابن خلكان ، وعن الديوان (٣٥٥) أيضا . و « يكن» ههنا تامة ، و « راحم » فاعلها

سائر الصفات ، ولم يكد يخلى لمن بعده فيها فضلا ، ولنذكر طرفا منها ، فأولها [من البسيط] :

نَمَّتْ بأسْرارِ لَيْلٍ كانَ يُخفيها ... وأطْلَعتْ قَلْبها لِلنّاسِ مِنْ فيها
قَلْبٌ لهَا لم يَرُعنا وهْوَ مكتَمِنٌ ... ألا ترى فِيهِ ناراً مِنْ تَرَاقيهَا
سَفيهَةٌ لم يَزَلْ طُولُ اللّسانِ لهَا ... فى الحَىِّ يُجنى عليها حَذْفَ هاديها
غَرِيقَةٌ فى دُموعٍ وهْىَ تَحْرِقُهَا ... أنفاسُها بِدَوامٍ مِنْ تَلَظّيهَا
تَنَفّستْ نَفَسَ المَهْجُورِ إذ ذكَرَت ... عَهْدَ الخَليطِ فَبَاتَ الوَجْدُ يُذْكِيها
يُخشَى عليْهَا الرَّدى مَهما ألَمَّ بها ... نَسيمُ ريحٍ إذا وافى يُحَيِّيهَا
بدَت كنَجْمٍ هوَى فى إثْرِ عِفْرِيَةٍ ... فى الأرضِ فاشتَعلَتْ مِنهُ نواصيهَا
كأنّها غرَّةٌ قَدْ سادَ شادخُهَا ... فى وجْهِ دَهْماءَ يَزْهاها تجلّيها
أوضَرَّةٌ خُلِقَتْ لِلشّمْسِ حاسدةً ... فكُلَّما حُجِبَتْ قامتْ تُحاكيهَا
وحيدَةٌ بشَباةِ الرُّمْحِ هازمةٌ ... عسا كِرَ اللّيلِ إن حلّتْ بواديهَا
ما طنبت قَطُّ فى أرضٍ مُخَيِّمَةً ... إلا وأقمَرَ لِلأبْصارِ داجيهَا
لهَا غرَائِبُ تَبدو من محَاسِنِها ... إذا تفكّرتَ يوماً فى معَانيهَا
فالوَجنَةُ الوَرْدُ إلا فى تَناوُلِهَا ... والقَامَةُ الغصْنُ إلا فى تثنّيهَا
قدْ أثمَرَتْ وَرْدَةً حَمْراءَ طالِعةً ... تجنى على الكفّ إنْ أهويتَ تجنيهَا
وَرْدٌ تُشاكُ بهِ الأيْدى إذا قطفت ... وما علَى غُصنِها شوْكٌ يُوَقّيها
صفْرٌ غلائلُهَا حُمْرٌ عمائمُهَا ... سُودٌ ذَوائبُها بِيضٌ لَيالِيهَا

ومنها :

وصيفَةٌ لستَ مِنها قاضياً وَطَراً ... إن أنتَ لَمْ تكسُها تاجاً يُحلّيها
صَفْراءُ هِنْدِيةٌ فى اللّونِ إن نُعِتت ... والقدِّ واللّين إن أتممت تشبيها

فالهندُ تقتلُ بالنيرانِ أنفُسها وعندَها أن ذاكَ القتلَ يُحييهَا

منها :

غرّاء فرْعاء ما تنفكُّ خاليةً تقصُّ لمّتها طوراً وتفليهـا
شيباء شمطاء لا تكسى غدائرها لونَ الشبيبةِ إلا حين تبليها
يلمها فى سوادِ الليل مسعدة إذا الهُموم دعت قلبي دواعيها
لولا اختلافُ طِباعينا بِواحِدةٍ وللطِّباع اختلافٌ فى مبانيها(١)
بأنها فى سوادِ الليل مُظهِرةٌ تِلكَ التى فى سوادِ القلبِ أخفيها
وبيننا عبراتٌ إنْ هُمُ نظَروا غيَّضتُهاخوفَ واشٍ وهى تجريها
ما عاندَتها الليالى فى مطالبهَا ولا عدتها العوادى فى مباغيها
ولا رمتها ببعدٍ مِنْ أحِبتها كما رمتنى ، وقُربٍ من أعاديها
ولا تُكابِدُ حُسّاداً أكابدُها ولا تُداجى بنى دهرٍ أداجيها

وعلى ذكر الشمعة فما أحسن قول الصنوبرى فيها أيضاً [من الكامل] :

مجدولة تحكى لنَا فى قدِّها قدَّ الأسَلْ
كأنها عُمرُ الفتى والنّار فيها كالأجَلْ

ومنه قول ابن شبل [من البسيط] :

وساعدَتنى على الظلماء مُشبهتى هيفاء حاف عليها السقمُ والأرقُ
الفَضْلُ فىَّ وفيها النّار نفعُهما لغيرِنا وكِلانا فيهِ يحترِقُ

وهو من قول العباس بن الأحنف [من المنسرح] :

---

(١) فى الأصول « لولا اختلاف طبائعنا » ولا يستقيم معه الوزن وما أثبتناه يوافق ما وجدناه فى الديوان (٤٢٧) بعد ذلك ، والحمد لله .

أحْرَمُ مِنكُمْ بِما أقولُ وقَدْ ... نالَ بِهِ العاشِقُونَ مَنْ عشقُوا
حتى كأنِّى ذُبالَةٌ نُصِبَتْ ... تُضىءُ للنّاسِ وَهْىَ تَحتَرِقُ

ومن شعر القاضى ناصح الدين الأرجانى قوله [من البسيط] :

تَقُولُ لِلبَدْرِ فى الظلْماء طَلْعتُهُ ... بأىِّ وجهٍ إذا أقبلْتُ تلقانى
وجهُ السّمائِ مِرآةٌ أُطالِعُها ... والبَدْرُ وهنا خَيالى فيهِ لاقانى (١)
لم أنْسَهُ يوم أبكانى وأضحكَهُ ... وقُوفُنا حيْثُ أرعاهُ ويَرْعانى
كلٌّ رأى نفْسه فى عَيْنِ صاحبه ... فالحسنُ أضحكَهُ والحُزْنُ أبكانى

ومنه [من الطويل] :

تمتَّعْتمـا ياناظِرَىَّ بنظْرَةٍ ... فأوْرَدتما قلبى أشرَّ الموَارِدِ
أعيْنَىَّ كُفّاعَنْ فُؤادى فانه ... من البغْىِ سَعْىُ اثنين فى قتلِ واحد

ومنه [من الكامل] :

اقرنْ برأيكَ رأىَ غيْرِكَ واستشِرْ ... فالحَقُّ لا يَخْفَى على إثنَيْنِ
المَرْءُ مرآة تريه وَجْهَهُ ... ويَرَى قفَـاه بِجَمْعِ مِرْآتينِ

ومنه [من البسيط] :

شاوِرْ سواكَ إذا نابَتْكَ نائبةٌ ... يوما وإن كنتَ من أهلِ المشورات
فالعين تلقى كفاحاً ما نأى ودَنا ... ولاَ ترَى نفْسَها إلاَّ بمِرآةِ

وبالجملة فمحاسنه كثيرة، ولطائفه غزيرة، وشعره كثير، والذى جمع منه

---

(١) فى الأصول * والبدر وهنا خيـالا فيه لاقانى * ولا يستقيم عليه المعنى، وما أثبتناه يوافق ما فى الديوان (٤١٦) يريد أنها إنما رأت فى البدر خيالها، ففيه تشبيه ضمنى لها بالبدر، وصدر هذا البيت فى الديوان * وجه السماء مراة لى أطالعها * وما هنا أسلم

لا يكون عشره ، ويقال : إنه كان له فى كل يوم ثمانية أبيات ينظمها على الدوام وكانت ولادته سنة ستين وأربعمائة ، ووفاته بتستر فى ربيع الأول سنة أربع وأربعين وخمسمائة

***

شاهد إخراج الغلو مخرج الهزل

١٤١ — أَسْكَرُ بالأمْسِ إنْ عَزَمْتُ عَلَى الشُّرْبِ غَدًا ، إنَّ ذا من العَجَبِ

البيت من المنسرح، ولا أعلم من قائله

والشاهد فيه : إخراج الغلو مخرج الهزل والخلاعة ، وهو ظاهر، ومنه قول أبى نواس [من الطويل] :

فلما شَرِبناها وَدَبَّ دبيبها إلى مَوْضِع الأسْرَارِ قلت لها قفى
مَخافة أن يَسطو على شعاعها فتُطْلِعَ نَدْمانى على سِرِّىَ الخفى (١)

ومنه قول ابن لنكك البصرى [من الوافر] :

فديتكَ لوْ علمت ببَعْضِ مابى لمـا جرَّعتنى إلاَّ بِسعطْ
بِحَسبكَ أنَّ كَرْماً فى جوَارى أمرُّ بِبـابهِ فأكاد أسقُطْ

وقوله أيضا [من المجتث] :

قرأت عهدة كَرْمٍ فأسكرَتنى سنينا

وقول أبى الحسن أحمد بن المؤمل [من الطويل] :

وقائِلَة لى مالكَ الدَّهْرَ طافحاً وأنتَ مُسِنٌ لا يَليق بكَ السُّكْر

(١) معنى هذا البيت أنه لما دب دبيب الخمر إلى باطنه امتنع عن الشرب مخافة أن يسطو شعاعها عليه فيصير جسمه شفافا لا يحجب ما وراءه وحينئذ يظهر لنديمه ويتجلى لعينيه ما فى باطنه

فقلت لها أفكرت فى الخمر مرة فأسكرنى ذاك التوهم والفكر

ومنه قول السراج الوراق [من السريع]:

ومرة من طول ما عمرت كنى إبليس أبا مره
ترى الندامى حول حيطانها صرعى وماذاقوا ولا قطره

وقول بعضهم يهجو [من المنسرح]:

أخشن من قنفذ ومن حسك ومن عظام تكون فى السمك
ويدعى ضيقه وأسفله يصلح طوقا لدارة الفلك

وهو ينظر إلى قول ابن الرومى فى معناه [من الرجز]:

أوسع من وقت العشاء الآخره أولج فيه كالقناة العابره
كأن أيرى نقطة فى الدائره

وهو على إساءة أدبه مخطىء فى المعنى.

وظريف قول ابن سناء الملك [من السريع]:

إن قلت ما أحسنه شادنا فإنما قصدى ما أخشنه
يظل أيرى ضائعا فى استه كأنه المغزل فى الروزنه

وقول ابن حجاج [من السريع]:

فتى له عزم إذا كلت الأسياف مثل المرهف الصارم
وراحة لو صفعت حاتما تعلم الجود قفا حاتم

وقول النفرى البغدادى [من مجزوء الرمل]:

وصديق جاءنى يسألنى ماذا لديك
قلت عندى بحر خمر حوله آجام نيك

○○○

١٤٢ حلَفتُ فلم أترُكْ لنفسك رِيبَةً ... وليس وراء الله للمرء مطلَبُ
لئن كنتَ قد بُلِّغتَ عنّى خيانة ... لَمُبلِغكَ الواشى أغشُّ وأكذَبُ
ولكنّنى كنتُ امرأً لى جانبٌ ... من الأرض فيه مُسْتَرادٌ ومذهبُ
ملوكٌ و إخوانٌ إذا ما مدحتهم ... أُحكَّم فى أموالهم وأُقرَّب
كفعلك فى قوم أراكَ اصطَفَيتَهُم ... فلم تَرَهم فى مَدْحِهم لكَ أذنبوا

الأبيات للنابغة من قصيدته السابقة فى أواخر الفن الأول [١] وقبلها :

أتانى وَعيدٌ والتَّنائفُ بيننا ... سخاويُّها والغائط المتصوِّبُ [٢]
فبتُّ كأنَّ العائداتِ فَرَشننى ... هراساً به يعلى فراشى ويُقشَبُ [٣]

والريبة: التهمة ، والمستراد : موضع يتردد فيه لطلب الرزق ومنتجع من راد الكلأ ، ومعنى أقرَّبُ يجعلوننى حكما فى أموالهم مقربا منهم رفيع المنزلة عندهم

والشاهد فيها : المذهب الكلامى ، وهو : إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام ، وهو : أن تكون المقدمات بعد تسليمها مستلزمة للمطلوب ، فهوهنا يقول : لا تلمنى ولا تعاتبنى على مدح آل جَفْنة وقد أحسنوا إلى كما لاتلوم قوماً مدحوك وقد أحسنت إليهم ، فكما أن مدح أولئك لك لايعدُّ ذنبا كذلك مدحى لمن أحسن إلى ، وهذه الحجة على صورة التمثيل الذى تسميه الفقهاء قياسا ، ويمكن

---

(١) ارجع الى شرح الشاهد (رقم ٦٦)
(٢) فى الأصل « سخاوية » وما أثبتناه عن لسان العرب (س خ ١) وروى هذا البيت فى الديوان
أتانى أبيت اللعن أنك لمتنى ... وتلك التى أهتم منها وأنصب
والسخاوية : الأرض التى لا شىء فيها .
(٣) العائدات : الزائرات فى المرض ، والهراس : نبات من نبات البرية كثير الشوك . ووقع فى الأصل « يقلى » بالقاف ــ وهو تحريف عما أثبتناه عن الديوان واللسان (ه) ويقشب : يخلط ويجدد لى مرة بعد مرة

رده إلى صورة قياس استثنائى بأن يقال : لو كان مدحى لآل جفنة ذنبا لكان مدح أولئك القوم لك أيضاً ذنبا ، لكن اللازم باطل ، فكذا الملزوم ، وآل جفنة كانوا ملوك الشام ، كما أن آل النعمان كانوا ملوك الحيرة

أمثلة من المذهب الكلامى

ومن المذهب الكلامى قول الفرزدق [من الطويل] :

لكلِّ امرىءٍ نفسانِ نفسٌ كريمةٌ وأُخرَى يُعاصِيها الهوَى فيطيعُها
ونفسكَ منْ نفسيكَ تشفعُ للندَى إذا قلَّ مِنْ أحرارهنَّ شفيعُها

وقول إبراهيم بن العباس [من الطويل] :

وَعَلَّمتنى كيفَ الهوَى وَجهلتهُ وعَلَّمكُمْ صبرِى على ظلمِكمُ ظُلمِى
وأعلم مالى عِندكم فيميل بِى هوَايَ إلى جهلى فأعْرِضُ عن علمى

وقولُ إبراهيم بن المهدى ، يعتذرُ للمأمون من وثوبه على الخلافة ، [من البسيط] :

البرُّ منك وطاءُ العذرِ عندكَ لِى فيما فعلتُ فلمْ تعذِلْ ولم تلُمِ
وقامَ علمكَ بى فاحتجَّ عندكَ لى مقامَ شاهدِ عدلٍ غيرِ متهمِ

وقول ابن المعتز [من المجتث] :

أسرفتُ فى الكتمانِ وذاكَ مِنِّى دَهانى
كتمتُ حبكَ حتى كتمتهُ كتمانى
فلم يكنْ لِيَ بدٌّ مِنْ ذِكرهِ بلسانى

وقوله أيضاً [من المديد] :

كيفَ لا يخضرُّ شاربهُ ومياهُ الحسنِ تسقيهِ

وَقول قابوس [من البسيط] :

ياذا الذى بصرُوفِ الدَّهرِ عيَّرَنا هلْ عاندَ الدهرُ إلاَّ مَنْ له خطَرُ

أما نرَى البحرَ تطفو فوقهُ جِيفٌ   وتستقرُّ بأقصى قعرِهِ الدُّرَرُ
وفى السماء نجومٌ لا عِدَادَ لهَا   وَليس يَكسفُ إلا الشمسُ والقمرُ

وقول أبى عبد الرحمن العطوى [من الخفيف] :

فوَحقّ البيانِ يعضدهُ البرْ   هان فى مأقطِ ألدّ الخصامِ
ما رأينا سوَى الحبيبةِ شيئاً   جمعَ الحسنَ كله فى نظامِ
هى تجرى مجرَى الاصابة فى الرأ   ى ومجرى الأرواح فى الأجسامِ

وقول ابن رشيق [من السريع] :

فيكَ خلافٌ لخلافِ الذى   فيهِ خلافٌ لخلافِ الجميلْ
وغيرُ من أنتَ سوَى غيرهِ   وغيرُ من غيرِكَ غيرُ البخيلْ

وقول الآخر أيضا [من الوافر] :

محاسنه هيُولاَ كلّ حسنٍ   ومغناطيس أفئدة الرِّجالِ

وقول مالك بن المرحل الأندلسى [من الرمل] :

لو يكون الحبُّ وصلاً كلّهُ   لم تكنْ غايته إلاّ المَلَلْ
أو يكون الحبّ هجراً كله   لم تكنْ غايته إلاّ الكَلَلْ
إنما الوصل كمثل الماء لاَ   يستطاب الماء إلا بالعللْ

البيتان الأولان قياس شرطى ، والثالث قياسٌ فقهى ، فانه قاس الوصل على الماء ، فكما أن الماء لا يستطاب إلا بعد العطش ، فالوصل مثله لا يستطاب إلا بعد حرارة الهجر .

يروى أن أبا دُلَفٍ قصده شاعر تميمى ، فقال له : ممن أنت ؟ قال : من تميم ، فقال [من الطويل] :

تميمٌ بِطُرْقِ اللؤمِ أهْدَى منَ القطَا   ولو سلكتْ سبلَ المكارمِ ضلّتِ

فقال له التميمي : نعم بتلك الهداية جئت إليك ، فأفحمه بدليل حملي ألزمه فيه أن المجيء إليه ضلال .

وظريفٌ قول ابن لنكك [من الطويل] :

تعسْتمْ جميعاً مِنْ وجوهٍ لبلدةٍ تكنفهمْ جهلٌ ولؤمٌ فأفرطا
أراكم تعيبونَ اللئامَ وإنني أراكم بطرق اللؤم أهدى من القطا(١)

ومنَ المذهب الكلامي قول ابن جابر الأندلسي [من الخفيف] :

لوْ قضى الله أنَّ قلبي يبقَى ما حكى لحظه الغزالَ التفاتا
لكنِ اللحظ قد حكاه فقلبي قدْ قضى نحْبهُ زماناً وماتا

وقول أبي جعفر الأندلسي [من البسيط] :

لو كنتَ تعلم ما عيناكَ قدْ صنعا لما بخلت على المشتاق بالأملِ
لكن بخلت فلم تعلم بما صنعتْ في مهجتي لحظاتُ الأعين النجُلِ

***

١٤٣ — لمْ يحكِ نائلكَ السحابُ وإنما
حُمتْ بهِ فصبيبها الرُّحضاء

شاهد حسن التعليل

البيت للمتنبي من قصيدة من الكامل(٢)، ذكر أولها : في شواهد التشبيه، (٣) وبعده قوله :

---

(١) آخر هذا البيت مأخوذ من قول الشاعر ، وقد تقدم قريبا إنشاده
تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت
(٢) اقرأها في الديوان (١ : ١٢ - ٣١)
(٣) ارجع إلى شرح الشاهد (رقم ٩٤ ج ٢ ص ٩٣)

لَمْ تلقَ هذا الوجه شمسُ نهارنا ... إلا بوجهٍ ليسَ فيهِ حياءُ
فبأىَّ ما قدمٍ سعيتَ إلى العلاَ ... أُدمُ الهلالِ لأخْمُصيكَ حذاءُ
ولكَ الزمان منَ الزمانِ وقايةٌ ... ولكَ الحمام منَ الحمام فداءُ
لوْلَمْ تكنْ منْ ذاالورَى الَّذْ منكَ هو ... عقمت بمولدِ نسلها حوّاءُ(١)

والنائل : العطاء ، والرحضاء : العرق أثر الحمى .

والشاهد فيه : حسن التعليل لصفة لا يظهر لها فى العادة علة ، وقد عللها بأن عرق حماها الحادثة بسبب عطاء الممدوح

ويقرب من معنى البيت قول أبى القاسم الزعفرانى [من الطويل] :

رَأى المزنُ ما تُعْطِى فضمَّ على الأسى ... فؤاداً كأنَّ البرْق فيهِ لهيب

وما أحسن قوله بعده :

وكم لاح برقٌ وابتسمت لِشَائِمٍ ... فكنت صدوقَ الْوَبْلِ وهو كذوب

* * *

(١) الذ : لغة فى الذى ، يريد ـ لو لم تكن من هذا الورى الذى كأنه منك لأنك جماله وشرفه وأنت أفضل أهله لكانت حواء فى حكم العقيم التى لم تلد ، لكنها صارت ذات ولد بك ، ولولا أنت لكان أولادها كلاولد ، وقد استعمل « الذ » بدون الياء كما استعملها الراجز فى قوله :

* كالذ تزبى زبية فاصطيدا *

والسر فى اجترائهم على هذا الحذف أن الموصول طويل بسبب ما يستلزمه من الصلة والعائد ، فهم يحذفون بعض الموصول أحيانا ، ويحذفون الصلة أحيانا ، ويحذفون العائد أحيانا ، ولكن حذف بعض الموصول وحذف الصلة مما لا يقدم عليه إلا للضرورة

١٤٤ – ما به قتلُ أعاديه ولكنْ يتَّقِي إخلافَ ما ترجو الذئاب

البيت للمتنبي ، من قصيدة من الرمل (١) ؛ قالها فى بدر بن عمار ارتجالا ، وهو على الشراب ، [أولها] (٢) :

شاهد ظهور علة لشيء غير علته

إنما بدرُ ابن عمار سحابُ هَطِلٌ فيه ثوابٌ وعقابُ *

إنما بدرٌ رزايا وعطايا ومنايا وطعانٌ وضرابُ *

ما يجيلُ الطرف إلا حمدتهُ جَهْدَها الأيدى وذمته الرقابُ

وبعده البيت ، وبعده :

فله هيبة مَنْ لا يرتجى وله جود مُرَجًّى لا يهاب (٣)

طاعن الفرسان فى الأحداق شزراً وعَجَاجُ الحرب للشمس نقابُ

باعث النفس على الهول الذى ليس لنفس وقعتْ فيه إيابُ

بأبى رِيحكَ لا نرجسنا ذا وأحاديثكَ لا هذا الشَّراب

ليسَ بالمنكر أن برَّزتَ سبقاً غيرُ مدفوعٍ عن السَّبْقِ العِرَاب

والشاهد فيه : ظهور علة لصفة غير علتها الحقيقية ، فلا يكون من حسن التعليل ؛ فان قتال الأعداء فى العاده : إنما يكون لدفع مضرتهم ، لا لما ذكره من أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ومحبة تصديق رجاء آمليه بعثته على قتل أعدائه ، لما علم أنه لما غدا للحرب غدت الذئاب ترجو سعة الرزق من قتلاه وهذا مبالغة فى وصفه بالجود ، ويتضمن المبالغة فى وصفه بالشجاعة على وجه تخييلى : أى تناهى فى الشجاعة ، حتى ظهر ذلك للحيوانات العجم من الذئاب

---

(١) اقرأها فى الديوان (١ – ١٣٣)

(٢) زيادة يقتضيها المقام

(٣) فى الديوان * فله هيبة من لا يترجي * وهى الصواب للوزن

وغيرها ، فاذا غدا للحرب رَجَتْ أن تنال من لحوم أعدائه ، ويتضمن أيضا مدحه بأنه ليس ممن يُسْرف فى القتل طاعة للغيظ والحنق ، أى ليست قوته الغضبية متصلة برذيلة الافراط ، ويتضمن أيضا قصور أعدائه عنه ، وفرط أمنه منهم ، وأنه لا يحتاج إلىَ قتلهم واستئصالهم .

ومثله أيضا قول أبى طالب المأمونى [من الخفيف] :

مغرمٌ بالثناء صبٌّ بكسب المجـد يهتز للسماح ارتياحَا
لا يذوقُ الاغفاء إلا رجاءً أنْ يَرَى طيف مستميح رَوَاحا

وأصله من قول الآخر [من الطويل] :

وإنى لأستغفى وما بى نعسةٌ لعلّ خيالا منك يَلْقَى خياليا

***

١٤٥ — ياواشياً حَسُنَتْ فينا إساءته نَجَّى حذارُكَ إنسانى من الغَرَق

شاهد إثبات صفة ممكنة لموصوف

البيت لمسلم بن الوليد ، من قصيدة من البسيط ، لم أقف منها إلا علىَ هذه الأبيات :

إنى أصدُّ دموعاً لَجَّ سائقها مطروفة العين بالمَرْضَى من الحدقِ
إيه فإن النوى وافت مصيبته مولَّعَ القلب بين الشوق والقلقِ
ما كلّ عاذلةٍ تُصغِى لها أُذنى وقد سمعت على الاكراهِ فانطلقِ
فما سلوت الهوى جهلا بلذتهِ ولا عصيت إلهَ الحلم عن خرقِ

والمراد بالانسان هنا : إنسان العين .

والشاهد فيه : إثبات صفة ممكنة لموصوف ، فان استحسان إساءة الواشى شىء ممكن ، لكن لما خالف الناس فيه عقّبه بأن حذاره منه نجى إنسان عينه من الغرق فى الدموع حيث ترك البكاء خوفا منه .

وقد تشبث القاضى السعيد بن سناء الملك بأذيال مسلم بن الوليد وأحسن اتباعه بقوله [من الخفيف] :

علمتنى بهجرها الصبرَ عنها فهْىَ مشكورةٌ على التقبيحِ

وهو من قول القائل [من المنسرح] :

أعتقنى سوءُ ما صنعتَ من الرق فيا بَرْدَها على كبدى

فصرت عبدًا للسوء فيك وما أحْسَنَ سوءٌ قبلى إلى أحد

ومنه قول أسامة بن منقذ، ولم أدر أيهما أخذ من الآخر [من مخلع البسيط] :

قل للملول الذى تَجَنَّى وخان من بعد ملك رقى

أحسن بى لا عن اعتماد غَدْرُكَ إذ جاد لى بعتق

ومنه قول الشاعر [من الكامل] :

أهلا وسهلاً بالمشيب فانه سِمَةُ العفيف وحلية الزهاد

ومنه قول بعضهم [من الوافر]:

جزى الله الشدائد كل خير و إن جرَّعْنَنِى غصصى بريقى

وما شكرى لها إلا لأنى عرفتُ بها عدوّى من صديقى

وقول الآخر [من الطويل] :

عداتى لهم فضل على ومنة فلا أذْهَبَ الرحمنُ عنى الأعاديا

هُمُ بحثوا عن زلتى فاجتنبتها وهم نافسونى فاكتسبت المعاليا

ومسلم بن الوليد هو صريع الغوانى ، وأبوه مولى أبى أمامة أسعد بن زرارة الخزرجى ، ومسلم شاعر متقدم من شعراء الدولة العباسية ، منشؤه ومولده بالكوفة وهو - فيما زعموا - أول من قال الشعر المعروف بالبديع ،وهو لَقَّبَ هذا الجنس بالبديع واللطيف ، وتبعه فيه جماعة ، وأشهرهم فيه أبو تمام الطائى، فانه جعل شعره كله

ترجمة مسلم بن الوليد

مذهبا واحدا فيه ، ومسلم كان متفننا متصرفا فى شعره .

وقال محمد بن يزيد : كان مسلم شاعرا حسن النمط ، جيد القول فى الشراب ، وكثير من الرواة يقرنه بأبى نواس فى هذا المعنى ، وهو أول من عقد هذه المعانى اللطيفة الظريفة واستخرجها

وحدث محمد بن القاسم بن مهرويه قال : سمعت أبى يقول : أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد ، جاء بهذا المعنى الذى سماه الناس بالبديع ، ثم جاء الطائى بعده فتحير الناس(١)

واجتمع أصحاب المأمون عنده يوما فأفاضوا فى ذكر الشعر والشعراء ، فقال له بعضهم : أين أنت يا أمير المؤمنين من مسلم بن الوليد حيث يقول ، قال : ماذا قال ؟ قال : حيث يقول وقد رثى رجلا [من الطويل] :

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوّه ... فطيبُ تراب القبر دلّ على القبرِ

وحيث مدح رجلا بالشجاعة فقال [من البسيط] :

يجود بالنفس إنْ ضنّ الجواد بها ... والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وهجا رجلا بقبح الوجه والأخلاق فقال [من الكامل] :

قبحتْ مناظره فحين خبرته ... حسنتْ مناظره لقبح المخبرِ

وتغازل فقال [من الرجز] :

هوى يجدُّ وحبيبٌ يلعب ... أنتَ لقىً بينهما معذَّبُ

فقال المأمون : هذا أشعر من خضتم اليوم فى ذكره

وحدث أبو القاسم الفقيه الموصلى قال : جاريت ابن فراس الكاتب بحضرة

---

(١) فى مهذب الأغانى وقد نقل هذا الكلام كله (٨ ـ ٢) «ثم جاء بعده الطائى فتفنن فيه»

القاسم بن عبيد الله فى شىء من أشعار المحدَثين ، فاعتقد تفضيل أبى نواس ، واعتقدت تفضيل مسلم بن الوليد ، وطال الخطاب فى ذلك حتى دخل أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، فتحا كمنا إليه ، فقال : قال لى عبد الصمد بن المعذل وما رأيت أغربَ معرفة منه بالشعر وقد سألته عنهما : والله ما جرى أبو نواس قط فى ميدان مسلم ، ولا تسمو نفسه إلى أن يفاضل بينهما ، إلا أن له حظا من الشهرة والذكر ليس لمسلم مثله

وكان مسلم منقطعا إلى البرامكة ، ثم اتصل بعد ذلك بالفضل بن سهل ، وقرب من قلبه وحظى عنده حتى قلده أعمالا بجرجان اكتسب فيها ألف ألف درهم ، فلما حصل المال عنده لزم منزله ، وكان كريما سمحاً ، فأتلف جميع ما اكتسبه ، ثم صار إلى الفضل بن سهل بعد ذلك مستجديا ، فقال له : ألم أغنك؟ قال : ما أغناى فى ألف ألف وألف ألف وألف ألف ، ولا هى قدرك ولا قدرى ، فقال له الفضل : إن بيوت الأموال لا تقوم على هذا الفعل ، ثم قلده الضياع بأصبهان ، وضم إليه رجلا يأخذ مرافق العمل ويطلق له منها شيئا يحتاج إليه بقدر نفقته ويبتاع له بالباقى ضياعا ، فاكتسب منها أيضاً ألف ألف ابتيع له بها ضياع ، فلما قتل الفضل بن سهل لزم منزله ولم يمدح أحداً حتى مات

وحدثت رابعة البرمكية قالت : كنت يوماً وأنا وصيفة على رأس مولاى الفضل بن يحيى بن خالد البرمكى وبيدى مِذَبة أذب بها عنه إذ استؤذن لمسلم بن الوليد الأنصارى ، فأذن له ، فلما دخل عليه أعظمه وأكرمه واستنشده ، قالت : ثم خلع عليه وأجازه وانصرف ، فما قلت إنه جاز الستر حتى استؤذن لأبى نواس فامتنع من الاذن له ، حتى سأله بعض من كان فى المجلس أن يأذن له ، ففعل على تكره منه ، فلما دخل سلم عليه ، فما علمت أنه ردَّ عليه ، ولا أمره بالجلوس ، ولا رفع إليه رأسه ، فلما طال عليه الوقوف قال : معى أبيات أفأنشدها ؟ قال : افعل ، وهو فى غاية التكره والثقل ، فأنشده إياها [من الطويل] :

طرحتم على الترحالِ أمراً فغمَّنا ولو قد فعلتم صبَّح الموتُ بعضَنا

فلما بلغ إلى قوله :

سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالدٍ هواكِ لعلَّ الفضلَ يجمع بيننَا

قَطَّبَ وجهه وقال : أمسك عليك لعنة الله ، اعزب قبحك الله ، وأمر بإخراجه محروما ، فأخرج ، والتَفَتَ الفضلُ إلى أنس بن أبي شيخ وقال : مارأيت مثل هذا الرجل ولا أقل تمييزاً فى كلامه منه ، فقال أنس : إن اسمه كبير ، فقال : عند من ويلك ؟ هل هو إلا عند سقَّاط مثله وخَلْق يشاكلونه ، فقال له : وأين هو من مسلم ؟ فقال الفضل وقد غضب : والله لأحجبنك ثلاثاً ، ولا كلمتك سبعا إذ كان هذا مبلغ عقلك ونهاية معرفتك ، والله إن مسلما ليفضل عندى الطبقة المتقدمة أو يساويهم ، فلا أرينَّكَ ثلاثا

وحدث حماد بن إسحاق عن أبيه قال : لقى مسلم بن الوليد أبا نواس فقال له : ما أعرف لك بيتا إلا فيه سقط ، قال : ما تحفظ من ذلك ؟ قال : قل أنت ماشئت حتى أريك سقطه فيه ، فأنشده [من الكامل] :

ذكرَ الصبوح بسحرةٍ فارتاحا وأملَّه ديكُ الصباح صياحا(١)

فقال مسلم : فلم أملَّه وهو الذى أذكره وبه ارتاح ؟ فقال أبو نواس : فأنشدنى أنت شيئا من شعرك ليس فيه خلل ، فأنشده مسلم [من الكامل] :

عَاصَى الشبابَ فراح غير مفنَّدٍ وأقام بين عزيمة وتجلدِ

فقال له أبو نواس : قد جعلته رائحا مقيما فى حالة ، فتشاغبا وتسابَّا ساعة ، وكلا البيتين صحيح المعنى

وقال يزيد بن مزيد : أرسل إلى الرشيد يوماً فى وقت لا يرسل فيه إلى مثلى فأتيته لابسا سلاحى مستعدا لأمر إن أراده ، فلما رآنى ضحك إلى ثم قال : يا يزيد خبرنى من الذى يقول فيك [من البسيط] :

(١) فى الأصل * وأمله ديك الصباح فصاحا * وأثبتنا ما فى الديوان

تراه فى الأمن فى درع مُضَاعَفَةٍ لا يأمن الدهر أن يُدْعَى على عجل
لله من هاشم فى أرضه جبل وأنت وابناك ركنا ذلك الجبل

فقلت : لا أعرفه يا أمير المؤمنين ، فقال : سوءةً لك من سيد قوم يُمْدَح بمثل هذا الشعر ولا يعرف قائله ، وقد بلغ أميرَ المؤمنين فرواه ووصل قائله ، وهو مسلم بن الوليد ، فانصرفت فدعوت به ووصلته و واليته

وحدث ذو الهدمين قال : دخل يزيد بن مزيد على الرشيد فقال له: يايزيد ، من الذى يقول فيك [من البسيط] :

لا يعبق الطيب خدَّيْهِ ومفرقه ولا يمسح عينيه من الكحل
قد عوَّدَ الطيرعاداتٍ وثقن بها فهن يتبعنه فى كل مُرْتَحَلِ

فقال : لا أعرف قائله يا أمير المؤمنين ، فقال له : أيقال فيك مثل هذا الشعر ولاتعرف قائله ؟ فخرج من عنده خَجِلاً ، فلما صار إلى منزله دعا حاجبه ، فقال له : مَنْ بالباب من الشعراء ، قال : مسلم بن الوليد ، فقال : وكيف حجبته عنى فلم تعلمنى بمكانه ؟ قال : أخبرته أنك مُضَيَّق وأنه ليس فى يدك شىء تعطيه إياه وسألته الامساك والمقام أياما إلى أن تتسع ، قال : فأنكر ذلك عليه ، وقال : أدخله إلى ، فأدخله إليه فأنشده قوله [من البسيط] :

أجررتُ حبلَ خليعٍ فى الصِّبَا غزلٍ وشَمَّرَتْ هِمَمُ العذالِ عن عذَلى
رد البكاء على العين الطموح هوًى مفرقٌ بين توديعٍ ومرتحلِ
أما كفى البينَ أن أُرْمَى بأسهمه حتى رمانى بسهم الأعين النجلِ
مماجنت لى و إن كانت مُنًى صدقتْ صبابةٌ خُلَسُ التسليم بالمقلِ

فقال له : قد أمرنالك بخمسين ألف درهم ، فاقبضها واعذر ، فخرج الحاجب فقال لمسلم: قد أمرنى أن أرهن ضيعة من ضياعه على مائة ألف درهم خمسون ألفا منها لك وخمسون ألفاً لنفقته ، فأعطاه إياها وكتب صاحب الخبر بذلك إلى الرشيد

فأمر له بمائتى ألف ، وقال : اقض الخمسين ألفاً التى أخذها الشاعر ، وزده مثلها وخذ مائة ألف لنفقتك ، فافتكّ ضيعته وأعطى مسلما خمسين ألفاً أخرى

وحدث مسلم قال : كنت يوما جالساً فى دكان خياط بازاء منزلى إذ رأيت طارقا ببابى ، فقمت إليه فاذا هو صديق لى من أهل الكوفة قد قدم من قُمّ ، فسررت به ، وكأن إنسانا لطم وجهى حيث لم يكن عندى درهم واحد أنفقه ، فقمت فسلمت عليه وأدخلته منزلى ، وأخذت خفين كانا لى أتجمل بهما فدفعتهما إلى جاريتى ، وكتبت معها رقعة إلى بعض معارفى فى السوق أسأله أن يبيع الخفين ويشترى لحما وخبزا ، فمضت الجارية وعادت إلى وقد اشترى لها ما حددته له ، وقد باع الخفين بتسعة دراهم ، فكأنها إنما جاءت إلى بخفين جديدين ، فقعدت أنا وضيفى نطبخ ، وسألت جاراً لى أن يسقينا قارورةَ نبيذٍ فوجه بها إلى ، وأمرت الجارية بأن تغلق باب الدار ، فأنا لجالسان نطبخ إذ طرق طارق الباب ، فقلت لجاريتى : انظرى من هذا ، فنظرت من شق الباب فاذا رجل على جواد عليه سواد وشاشية وقطيفة ومعه شاكرى ، فخبرتنى بموضعه ، فأنكرت أمرى ، ثم رجعت إلى نفسى فقلت : لست بصاحب دَعارة ، ولا للسلطان على سبيل ، ففتحت الباب وخرجت إليه ، فنزل عن دابته وقال : أنت مسلم بن الوليد ؟ قلت : نعم ، قال : كيف لى بمعرفتك ؟ قلت : الذى دَلَّكَ على منزلى يصحح لك معرفتى ، فقال لغلامه : امض إلى الخياط فسله عنه ، فمضى فسأله عنى ، فقال : نعم هو مسلم بن الوليد ، فأخرج إلى كتابا من خفه وقال : هذا كتاب الأمير يزيد بن مزيد يأمرنى أن لا أفضه إلا عند لقائك ، فاذا فيه « إذا لقيت مسلم بن الوليد فادفع إليه هذه العشرة آلاف درهم تكون له فى منزله ، وادفع له أيضاً ثلاثة آلاف درهم نفقة ليتحمل بها إلينا » فأخذت الثلاثة والعشرة ودخلت إلى منزلى والرجل معى فأكلنا ذلك الطعام ، وازددت فيه وفى الشراب ، واشتريت فاكهة ، واتسعت ، ووهبت لصاحبى من الدراهم ما يُهْدِى به هدية لعياله ، وأخذت فى الجهاز ، ثم

مازلت معه حتى صرت إلى الرقة إلى باب يزيد بن مزيد ، فدخل الرجل و إذا هو أحد حجابه فوجده فى الحمام فخرج إلى فجلس معى قليلا ، ثم خبرنى الحاجب بأنه قد خرج من الحمام ، فأدخلنى إليه فاذا هو جالس على كرسى وعلى رأسه وصيفة وبيدها غلاف مرآة ومشط يسرح به لحيته ، فقال لى : يامسلم ، ما الذى أبطأ بك عنا ؟ فقلت : أيها الأمير قلة ذات اليد ، قال : فأنشدنى ، فأنشدته قصيدتى التى مدحته بها ، فلماصرت إلى قولى منها [من البسيط]:

لا يَعْبَق الطِّيبُ خديه ومَفْرِقَهُ ... ولا يُمَسّحُ عينيه من الكحلِ

وضع المرآة فى غلافها وقال للجارية : انصرفى فقد حرم علينا مسلم الطيب ، فلما فرغت من القصيدة قال لى: يامسلم ، أتدرى ما حدانى إلى أن وجهت إليك ؟ قلت : لا والله ما أدرى ، قال : كنت عند الرشيد منذ ليالى أغمز رجليه إذ قال: يايزيد من القائل فيك [من البسيط]:

سلَّ الخليفةُ سيفاً من بنى مَطر ... يَمْضى فيَخترمُ الأجسادَ والهاما
كالدَّهر لا ينثنى عمَّا يهمُّ به ... قد أوسعَ الناسَ إنعاماً و إرغاما(١)

فقلت : لا والله ماأدرى ، فقال لى الرشيد : يا سبحان الله ! أنت مقيم على أعرابيتك ، يقال فيك مثل هذا الشعر ولا تدرى من قائله فيك ، فسألت عنه فأخبرت أنك هو، فقم حتى أدخلك على أمير المؤمنين ، ثم قام فدخل على الرشيد فما علمت حتى خرج على الآذن ، فأذن لى فدخلت على الرشيد فأنشدته مالى فيه من الشعر فأمر لى بمائتى ألف درهم ، فلما انصرفت إلى يزيد بن مزيد أمر لى بمائة وتسعين ألفاً وقال : لا يجوز أن أعطيك مثل ما أعطاك أمير المؤمنين ، وأقطعنى إقطاعات تبلغ غلتها مائتى ألف درهم ، قال مسلم : ثم أفضت بى الأمور بعد ذلك إلى أن أغضبنى ، فهجوته ، فشكانى إلى الرشيد ، فدعانى وقال لى : أتبيعنى عرض يزيد؟ قلت: نعم ،فقال لى : بكم؟ فقلت: برغيف خبز ، فغضب حتى خفته على نفسى وقال

(١) فى الأصل * لاينثنى عمابهم أبدا * محرفا ، وأثبتنا ما فى الديوان

قد كنت أرى أن أشتريه منك بمال جسيم ، ولست أفعل ولا كرامة، فقد علمت إحسانه إليك ، وأنا نفيٌّ عن أبى والله ثم والله لئن بلغنى أنك هجوته لأنزعنّ لسانك من بين فكيك ، فأمسكت عنه بعد ذلك ولا ذكرته بخير ولا شر

وحدث أبو توبة قال : كان مسلم بن الوليد جالساً بين يدى يزيد بن مزيد ، فأتاه كتاب فيه مُهم له ثم أراد القيام ، فقال له مسلم بن الوليد [من البسيط] :

الحزمُ تخريقهُ إن كنتَ ذا حذر وإنما الحزمُ سوءُ الظنِّ بالناس
لقدْ أتاكَ وقدْ أدّى أمانتَهُ فاجعلْ صيانتَهُ فى بطن أرماس

قال : فضحك يزيد وقال : صدقت لعمرى ، وخرق الكتاب وأمر باحراقه

وحدث الحسن بن سعيد عن أبيه قال : كان داود بن يزيد بن حاتم المهلبى يجلس للشعراء فى السنة مجلسا واحداً ، فيقصدونه لذلك اليوم وينشدونه ، فوجه إليه مسلم بن الوليد براويته بشعره الذى يقول فيه [من البسيط] :

جعلته حيثُ ترتابُ الرياحُ بهِ وتحسدُ الطير فيهِ أضبُعَ البيدِ

فقدم عليه يوم جلوسه للشعراء ، ولحقه بعقب خروجهم عنه ، فتقدم إلى الحاجب وحسّرَ لثامه عن وجهه ثم قال له : استأذن لى على الأمير ، قال : ومن أنت لقد انصرم وقتك وانصرف الشعراء وهو على القيام ؟ فقال له : ويحك ! قد وفدت على الأمير بشعر ماقالت العرب مثله ، قال : وكان مع الحاجب أدب يفهم به مايسمع ، فقال : هات حتى أسمع فان كان الأمر كما ذكرت أوصلتك إليه ، فأنشده بعض القصيدة، فسمع شيئاً يَقْصُرُ الوصف عنه ، فدخل على داود فقال له: قد قدم على الأمير شاعر بشعر ماقيل فيه مثلُه ، فقال: أدخل قائله، فلما مثل بين يديه سلم وقال : قد قدمت على الأمير أعزه الله بشعر يسمعه فيعلم به تقدمى على غيرى ممن امتدحه ، فقال : هات ، فلما افتتح القصيدة فقال [من البسيط] :

لاتدعُ بى الشوقَ إنى غيرُ معمُود نهىَ النهى عنْ هوى البيض الرّعاديدَ

استوى جالسا وأطرق حتى أتى الرجلُ على آخر الشعر ، ثم رفع رأسه إليه فقال : أهذا شعرك؟ قال : نعم أعز الله الأمير ، قال : فى كم قلته ؟ قال : فى أربعة أشهر أبقاك الله ، قال : لو قلته فى ثمانية أشهر لكنت محسنا ، وقد اتهمتك لجودة شعرك وخمول ذكرك ، فان كنت قائل هذا الشعر فقد أنظرتك أربعة أشهر فى مثلها ، وأمرت بالأجراء عليك ، فان جئتنا بمثل هذا الشعر وهبت لك مائة ألف درهم وإلا حرمتك ، فقال : أو الاقالةَ أعز الله الأمير ، قال : قد أقلتك ، قال : الشعر لمسلم بن الوليد ، وأنا راويته والوافد عليك بشعره ، قال : أنا ابن حاتم ، إنك لما افتتحت شعره فقلت :

* لاتَدْعُ بى الشَّوْقَ إنى غيرُ مَعْمُودِ *

سمعت كلام مسلم بن الوليد يُنادى ، فأجبت نداءه واستويت جالسا ، ثم قال : ياغلام ، أعطه عشرة آلاف درهم ، واحمل الساعة إلى مسلم بن الوليد مائة ألف درهم

وحدث محمد بن عبدالله التميمىّ ، قال : دخل مسلم بن الوليد على الفضل ابن سهل لينشده شعراً فقال : أيها الكهل إنى أجلك عن الشعر ، فسل حاجتك قال : بل تستتم اليد علىّ بأن تسمع ، فأنشده [من البسيط] :

دُمُوعُها من حِذَارِ البين تنسكِبُ ... وقَلْبُها مُغرمٌ من حَرِّ ما يَجِبُ (١)
جدَّ الرَّحيلُ بها عَنْهُ ففارقَهُ ... لبينِهَا اللَّهْوُ واللذات والطَّرَبُ
يهوى المسيرَ إلى مروٍ فيحزنُهُ ... فراقُها فهو ذو نفسينِ يرتقبُ

فقال له الفضل : إنى لأجلك عن الشعر ، قال : فأغننى بما أحببت من عملك ، فولاه البريد بجرجان

وحدث محمد بن عمرو بن سعيد قال : خرج دعبل الخزاعى إلى خراسان لما بلغه حظوة مسلم بن الوليد عند الفضل بن سهل ، فصار إلى مرو وكتب إلى الفضل ابن سهل [من الكامل] :

(١) يجب : يخفق ويضطرب

لا تعبأنْ بابن الوليـدِ فانهُ ... يرميك بعدَ ثلاثةٍ بملالِ
إنَّ الملولَ وإن تقادم عهدُه ... كانت مودّته كفيْءِ ظلالِ

قال: فدفع الفضل الرقعة إلى مسلم وقال: انظر يا ابن الوليد رقعة دعبل فيك فلما قرأها قال له: هل عرفت لقب دعبل وهو غلام أمرد يفسق به؟ قال: لا، قال: كان يلقب بمياس، ثم كتب إليه يقول [من الكامل]:

مَيَّاسُ قل لى أين أنت من الورى ... لا أنت مَعْلومٌ ولا مجهولُ
أما الهجاء فَدَقَّ عرضُكَ دونه ... والمدحُ عنك كما علمت جليلُ
فاذهب فأنت طليق عرضك إنه ... عِرضٌ عززت به وأنت ذليلُ

وكان مسلم أستاذ دعبل، وعنه أخذ، ومن بحره استقى

وحدث الحسين بن دعبل قال: سمعت أبى يقول: بينا أنا جالس بباب الكَرْخ إذ مرت جارية لم أرَ أحسنَ منها وجها ولا قدًّا، تتثنى فى مشيها وتنظر فى أعطافها، فقلت متعرضا لها [من مخلع البسيط]:

دموعُ عينى بها انبساطُ ... ونومُ عينى به انقباضُ

فأجابتنى مسرعة فقالت:

وذا قليلٌ لمن دهتْهُ ... بلحظها الأعينُ المِراضُ

فأدهشتنى وأعجبتنى فقلت:

فهل لمولاتِ عطفُ قلبٍ ... وللذى فى الحشى انقراضُ(١)

فأجابتنى غير متوقفة وقالت:

إن كنتَ تهوى الودادَ منا ... فالودُّ فى ديننا قِراضُ

قال: فما دخل فى أذنى كلام قط أحلى من كلامها، ولا رأيت أنضر وجها منها، فعدلت بها عن ذلك الوجه وقلت [من الكامل]:

(١) حذف ياء المتكلم من «لمولات» اكتفاء بالكسرة قبلها

أترى الزمان يسرنا بتلاقِ ويضم مشتاقا إلى مشتاقِ

فأجابتني بسرعة فقالت :

ما للزمان وللتحكم بيننا أنت الزمان فَسُرَّنا بتلاقِ

قال : فمضيت أمامها أؤم بها دار مسلم بن الوليد وهي تتبعني ، فصرت إلى منزله ، فصادفته على عسرة فدفع إلى منديلا وقال : اذهب فبعه وخذ لنا ما نحتاج إليه وعُدْ ، فمضيت مسرعا فلما رجعت وجدت مسلما قد خلا بها في سرداب، فلما أحس بي وَثَبَ إلى وقال : عرَّفَكَ الله يا أبا على جميل ما فعلت ، ولقَّاك ثوابه ، وجعله أحسن حسنةٍ لك ، فغاظني قوله وطَنْزه بي ، وجعلت أفكر أي شيء أعمل به ، فقال : بحياتي يا أبا على أخبرني من الذي يقول [من الخفيف] :

بتُّ في درعها وبات رفيقي جُنُبَ القلب طاهر الأعطاف

فقلت :

من له في حِرامهِ ألفُ قَرْنٍ قد أنافت على علوّ منافِ

وجعلت أشتمه وأثب عليه، فقال لي : يا أحمق منزلي دخلت ، ومنديلي بعت ، ودراهمي أنفقت ، على من تَحْرَدُ أنت(١) ؟ وأي شيء سبب حَرَدِك يا قواد ؟ فقلت له : مهما كذبت على فيه من شيء فما كذبت في الحمق والقيادة

ولقي محمد بن أبي أمية مسلم بن الوليد وهو يمشي وطويلته مع بعض أصحابه ورواته ، فسلم عليه ثم قال: قد حضرني شيء ، فقال : هاته ، فقال: على أنه مزاح ولا تغضب ، قال : هاته ولو كان شتما ، فأنشده [من المديد]

مَنْ رأى فيما خلا رجلا تيهُهُ أربَى على جِدَّتِهْ

يتمشَّى راجلا وله شاكريٌّ في قلنسيَتِهْ

فسكت عنه مسلم ولم يجبه ، وضحك ابن أبي أمية ، وافترقا

(١) حرد حردا : مثل غضب غضبا ، وزنا ومعنى

وكان لمحمد بن أبي أمية بِرْذَوْنٌ يركبه ، فنفق ، فلقيه مسلم وهو راجل فقال له : مافعل برذونك ؟ قال : نفق ، قال : فنجازيك إذاً على ما أسلفتنا ، ثم أنشده [من السريع] :

قل لابن مَيّ لا تَكُنْ جازعاً لَنْ يرْجِعَ البرذَوْن بالليتِ (١)
طامنَ أحشاءَكَ فِقْدَانه وكنتَ فيهِ عالى الصَّوْت (٢)
وكنْت لاتنزل عَنْ ظَهْرِهِ ولو مِنَ الحُشِّ إلى البيت
مامات مِنْ سُقْمٍ وَلكِنَّه ماتَ مِنَ الشَّوْقِ إلى المَوت (٣)

وعن الحسين بن أبي السرىّ قال : قيل لمسلم بن الوليد : أى شعرك أحب إليك ؟ قال : إن فى شعرى لبيتا أخذت معناه من التوراة وهو قولى [من البسيط] :

دَلَّتْ عَلى عَيبِها الدُّنيَا وصدّقها ما استَرْجَعَ الدَّهْرُ مِمَّا كانَ أعطانى

قال الحسين : وحدثنى جماعة من أهل جرجان أن راوية مسلم جاءه بعد أن تاب ليعرض عليه شعره ، فتغافل مسلم ، ثم أخذ منه الدفتر الذى فى يده فقذف به فى البحر ، فلهذا قل شعره ، فليس فى أيدى الناس منه إلا ما كان بالعراق وما كان فى أيدى الممد وحين من مدائحه

وحدث الحسين بن دعبل قال :قال أبي لمسلم بن الوليد : مامعنى قولك

* لا تَدْعُ بى الشَّوقَ إنى غير مَعْمُود *

---

(١) يروى عجز هذا البيت :

* ليس على البرذون من فوت *

(٢) فى مهذب الأغانى (٨ - ١٩)

*طأطأ من تيهك فقدانه *

(٣) فى المهذب « مامات من حتف »

قال: لاتدعني صريع الغواني فإني لست كذلك ، وكان يلقب هذا اللقب ، وكان له كارها

وحدث محمد بن المهنا قال : كان العباس بن الأحنف مع إخوان له على الشراب فذكروا مسلم بن الوليد ، فقال بعضهم : صريع الغواني ، فقال العباس : ذلك ينبغي أن يسمى صريع الغيلان ، لاصريع الغواني ، وبلغ ذلك مسلما فقال يهجوه (١) [من البسيط] :

بَنو حنيفة لا تَرْضَى الدَّعِيّ بهم ... فاتْرُكْ حنيفةَ واطْلُبْ غيرها نَسَبا

فاذْهَبْ فأنت طليقُ الحلم مُرْتَهَنٌ ... بسورَةِ الجهلِ مالم أملكِ الغضَبا

ارْجعْ إلى عرَب تَرْضَى بنسبَتِهِمْ ... إني أرى لكَ خَلْقاً يشبهُ العرَبا

مُنيت مني وقدْ جدَّ الجرَاءُ بنا ... بغايةٍ مَنعتْكَ الفوْت والطَّلَبا

وكانت وفاته بجُرجان وهو يتقلد بها عملا ، يروى أنه لما احتضر نظر إلى نخلة لم يكن بجرجان مثلها فقال [من الهزج] :

ألا يانَخْلةً بالسَّفْـ ... حِ مِنْ أكنافِ جُرْجَانِ

ألا إني وإياكِ ... بجُرْجان غريبان

ثم مات عند آخرها ، رحمه الله تعالى !

* * *

١٤٦ — لوْلَمْ تكنْ نيةُ الجوْزاءِ خِدْمَتَهُ ... لَما رَأيْت عَلَيْها عِقدَ مُنْتَطِقِ

شاهد إثبات صفة غير ممكنة لموصوف

البيت من البسيط ، وهو مترجم من الفارسية

والجوزاء : برج في السماء ، والانتطاق شد المنطقة ، ونطاق الجوزاء : كواكب حولها .

---

(١) في المهذب ذكر هذه الأبيات ضمن ستة أبيات مع اختلاف في ترتيبها وفي بعض ألفاظها

والشاهد فيه: إثبات صفة غير ممكنة لموصوف، فنية الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ممكنة قصد إثباتها له

أمثلة من إثبات صفة غير ممكنة

ومثله قول التهامي [من البسيط]:

لو لم يَكنْ أقحوانًا ثغرُ مبسمها ما كان يَزْدادُ طيبًا ساعةَ السَّحَرِ

وقوله أيضا [من السريع]:

لو لم تكُنْ ريقتُهُ خمرةً لما تثنى غصنُهُ وهوَ صاحْ

وقول الأمير مجير الدين بن تميم فى مليح وقاد [من السريع]:

لاموا على الوقّاد فى حُسنِهِ وَحبُّهُ باللوْم يزدادُ

لو لم يكنْ فى حُسنِهِ كوْكبًا ما كانَ أمْسَى وهوَ وقّادُ

وقول السرى الرفاء [من الرمل]:

مَوْقِفٌ لو لم يَكُنْ نارًا إذًا لم تكنْ زُرْقَ عواليهِ شَرَرْ

وقول أبى إسحاق إبراهيم الغرناطى [من المتقارب]:

لَعَمْرُكَ ما ثغرهُ باسمٌ ولكِنهُ حَبَبٌ لاعِبُ

ولو لم يَكُنْ ريقهُ مُسكرًا لَمَا دارَ من حوْلهِ الشارب

وقوله: وكتب به على الكتاب المسمى بتاج المفرق [من الكامل]:

إنّ الإمامَ أبا البقاءِ الأوحدَا عجَبٌ يعزُّ بمَغربٍ وبمَشرقِ

لولم تكنْ دُرَرًا لنا كلماته ما نُظِمَتْ حَلْيًا بتاج المَفرِق

وما أحسن قول محمد بن هانىء [من الكامل]:

قدْ طيَّبَ الأفواه طيبُ ثنائه من أجْل ذا تَجِدُ الثُّغور عِذَابا

وقول الآخر أيضا [من السريع]:

قد قُلتُ إذْ أبْصَرْتها حاسِرًا عَنْ سَاقها فاضِلَ سِرْبالهَا

لو لم تَكُنْ من بَرَدٍ ساقُها لاحترَقتْ من نار خلخالهَا

شاهد التعليل على سبيل الشك

١٤٧ – كأنَّ السَّحابَ الغُرَّ غَيَّبنَ تحتَها | حبيباً فما ترقَا لهُنَّ مدَامعُ

البيت لأبى تمام الطائى، من قصيدة من الطويل(١) يمدح بها قومه طيئا، أولها:

ألا صَنَعَ البينُ الذى هُوَ صانِعُ | فإنْ تكُ مجزاعاً فما البينُ جازع
هُوَ العامُ من أسماءَ والعامُ رابعٌ | لهُ بلوَى خَبْتٍ فهلْ أنتَ رابع(٢)
ألا إنَّ صَدْرى من عزائى بَلقَعُ | عشيةَ شاقتْنى الدِّيارُ البلاقع(٣)

و بعده البيت، و بعده:

رُبًّا شفعت ريحُ الصَّبا لِرياضها | إلى الغيث حتَّى جادها وهْوَ هامعُ
فبشْرُ الضُّحَى غدْوٌ لهنَّ مُضاحكٌ | وجنبُ النَّدَى ليلا لهنَّ مُضاجع(٤)
كساكَ من الأنوارِ أبيضُ ناصعٌ | وأصفرُ فقّاعٌ وأحمرُ ساطع(٥)
لئنْ كانَ أمسَى شَمْلُ وحشِكَ جامِعًا | لقدْ كانَ لِى شَمْلٌ بأُنسِكَ جامِعُ

وهى طويلة

والسحاب الغر: جمع أغر، وهى الماطرة الغزيرة الماء، والضمير فى «تحتها» راجع للديار فى البيت الذى قبله

والشاهد فيه: التعليل على سبيل الشك، فانه علل شاكًّا نزولَ المطر من السحاب بأنها غيبت تحت تلك الربا حبيبا فهى تبكى عليه

---

(١) انظرها فى الديوان (٤٧٧) فى باب الفخر
(٢) فى الديوان «هو الربع من أسماء»
(٣) فى الديوان «ألا إن صدرى من بلائى بلاقع»
(٤) غدوا: لغة فى غد، ومنه قول لبيد:

وما الناس إلا كالديار وأهلها | بها يوم حلوها، وغدوا بلاقع

وأراد هنا وقت الغداة
(٥) ورد هذا البيت فى الديوان:

كساك من الأنوار أصفر فاقع | وأبيض نصاع وأحمر ساطع

ومنه قول محمد بن أبي زرعة [من البسيط] :

كأنَّ صَبَّيْنِ باتا طولَ ليلهما يستمطِرانِ على غُدْرانها المُقَلا

ومنه قول أبي الطيب المتنبي [من الكامل] :

وكأنَّ كل سحابةٍ وقفتْ بها تبكي بعينَيْ عروةَ بنِ حزامِ

ومنه قوله أيضا [من الكامل] :

رَحلَ العزاءُ برحلتي فكأنني أتبعتهُ الأنفاسَ للتشييعِ

ومنه قول بعضهم ، وقد مات صديق له في يوم ماطر [من الطويل] :

برُوحي الذي جاء الغمامُ يعودُهُ فصادَفَهُ نحوَ المنية قدْ سرَى

فما زالَ يبدي حُرْقةً وتنهداً ويبكي إلى أن بلَّ من دَمعه الثرَى

وقريب منه قول ابن رَشيق ، وقد غاب المعز صاحب أفريقية عن حضرته وكان العيد ماطراً [من البسيط] :

تَجَهَّمَ العيدُ وانهلَّتْ بوادرُهُ وكنتُ أعهَدُ منه البشرَ والضحكا

كأنما جاءَ يَطوِي الأرضَ من بُعُدٍ شوقاً إليكَ فلما لم يجدْكَ بكَى

وبديعٌ قولُ الوزير الأديب أبي الأصبع بن رشيد ، وقد هطلت بأشبيلية سحابة بقطر أحمر في يوم السبت الثالث عشر من صفر عام أربعة وستين وخمسمائة [من المتقارب] :

لقد آنَ للناس أن يَقْلِعُوا ويَمْشُوا على المَنهج الأقومِ

متى عَهِدَ الغيثُ يا غافلاً كلون العقيقِ أو العَنْدَمِ

أظنُّ الغمائمَ في جوِّها بكتْ رَحمةً للورَى بالدَّمِ

ولنذكر طرَفاً من محاسن حسن التعليل : فمما جاء من ذلك قول البحتري ، [من المتقارب] :

طرف من حسن التعليل

ولو لم يكن ساخطاً لم أكن أذمُّ الزمانَ وأشكو الخطوبا

وقول أبى هفان أيضا [من الطويل] :

ولو لم تصافحْ رجلُها صفحةَ الثرَى لما كنتُ أدرى علةً للتيممِ

وقد أخذه ابن رشيق ، فقال [من الوافر] :

سألت الأرضَ لِمْ كانت مُصَلًّى ولمْ كانت لنا طهراً وطيبا

فقالَتْ غيرَ ناطقةٍ : لأنى حَوَيتُ لكل إنسان حبيبا

وقول مسلم بن الوليد [من الكامل] :

إن يقعدوا فوْق لغيرِ نزاهةٍ وعلوِّ مرتبةٍ وعزٍّ ومكانِ

فالنارُ يعلوها الدخانُ وربما يعلو الغبار عمائم الفرسانِ

ولمؤلفه فى معناه [من السريع] :

إن يقعد الجاهلُ فوْق ولمْ يرعَ ذمامَ العلم والأصلِ

فالشمسُ يعلو زُحلٌ فوقها وهى على الغاية فى الفضلِ

ومن لطيف حسن التعليل قول ابن المعتز [من المنسرح] :

قالوا اشتكتْ عينهُ فقلتُ لهمْ من كثرة الفتك نالها وَصَبُ

حُمْرَتُها منْ دماء ما قتلتْ والدمُ فى النصل شاهدٌ عَجَبُ

وقد أخذه ابن المعتز من قول الواثق بالله [الخفيف] :

لى حبيبٌ قد طالَ شوقى إليهِ لا أسميهِ من حِذَارى عليهِ

لم تكن عينهُ لتجحدَ قتلى ودَمى شاهدٌ على وَجنتيهِ

ولأبى خلف العكبرى فى مثله ، وقيل : لأبى محمد الباقى الشافعى ،

[من البسيط] :

لم تستعرْ عينهُ منْ وَرْدِ وَجنتهِ إلا خضاباً وحاشاها مِنَ الوصبِ

تَبَيَّنَتْ من محبٍ كان يألفها شواهدَ الغدرِ فاحمرَّتْ من الغضبِ

ومثله قول بعض الأندلسيين أيضا [من الكامل] :

قالوا الحبيبُ شكا جُعلتُ فداءهُ رَمَداً أضرَّ بعينه كالعَنْدَمِ

فأجبتهمْ ما زالَ يفتكُ لحظهُ في مهجتي حتى تلطخَ بالدَّمِ

وقول أبي الفرج الببغاء [من الطويل] :

بنفسيَ مايشكوهُ مَنْ راحَ طرفهُ ونرجسهُ ممازها حُسْنُهُ وَرْدُ

أراقت دمي ظلماً محاسنُ وجههِ فأضحى وفي عينيه آثارهُ تبدُو

غدتْ عينه كالخدِّ حتى كأنما سقَى عينه من ماء توريده الخدُّ

لئن أصبحتْ رمداء مقلةُ مالكي لقد طالما استشفت بها مقلٌ رُمْدُ

ومن بديع حسن التعليل قول ابن نباتة السعدي ، في فرس أدهم محجل القوائم ذي غُرَّة [من الوافر] :

وأدهمَ يستمدُّ الليلُ منهُ وتطلعُ بينَ عينيهِ الثُّرَيَّا

سرَى خلف الصباح يطيرُ زهواً ويطوى خلفهُ الأفلاكَ طيًّا

فلما خافَ وشكَ الفوْتِ منهُ تَشَبَّثَ بالقوائم والمحيَّا

وفي معناه ، وهو جيد إلى الغاية [من الكامل] :

وكأنما لطمَ الصباحُ جبينهُ فاقتصَّ منهُ فخاض في أحشائه

وقد أخذه ابن الشهيد الأندلسي ، وقصر عنه بقوله [من الكامل] :

وأغرَّ قد لبسَ الدُّجى برداً فراقك وهو فاحمْ

يحكي بغُرَّتهِ هِلا لَ الفطر لاَحَ لعين صائمْ

وكأنما خاضَ الصبا حَ فجاء مبيضَّ القوائمْ

ولطيف قول ابن قلاقس فيه أيضا [من الوافر] :

وأدهمَ كالغرابِ سوادَ لونٍ يطيرُ معَ الرياحِ ولاَ جناحُ
كساهُ الليلُ شملتهُ وولَّى فقبَّلَ بين عينيهِ الصباحُ

وما أحسن قول ابن القصار البغدادى فيه [من مخلع البسيط] :

أدهمُ كالليل ذو حجولٍ قد غوَّرَتْ صبحهُ بليلهْ
كأنما البرقُ خافَ منهُ فجاء مستمسكاً بذيلهْ

وما ألطف قول التهامى أيضاً [من البسيط] :

لو لم يكن ريقها خمراً لما نطقت بلؤلؤٍ من حبابِ الثغر مبتسمِ

و بديع قول الأرجانى فى التعليل [من البسيط] :

أبدى صنيعك تقصيرَ الزمانِ ففى وقتِ الربيع طلوعُ الوردِ من خجلِ

وقول أبى طالب المأمونى يصف دارا من أبيات [من الخفيف] :

وثراها من عنبر شيب بالمســـكِ فإن هبَّتِ الصَّبا فيه فاحا
ما بكاء الرياض بالطلِّ إلاَّ خجلاً منْ رياضها وافتضاحا

وقوله أيضاً يمدح [من الوافر] :

وما جاراكَ صوبُ المزْنِ لما جرَى وجرَى نداكَ وما حكاكَا
ولكنَّ الغمام عنَى سجوداً على وجهِ الثرَى لما رآكَا

وما أحسن قول الصلاح الأربلى ، معللا عدم نزول المطر بأرضِ مصر غالباً [من البسيط] :

ماقصرَ الغيثُ عن مصرٍ وتربتها طبعاً ولكنْ تعدَّاكم منَ الخجلِ
ولاجرَى النيلُ إلا وهوَ معترفٌ بسبقكمْ فلذا يجرى علَى مهلِ

ويقرب منه قول ابن رشيق القيروانى [من الطويل] :

وأهوَى الذى أهوَى له البدرُ ساجداً ألستَ ترَى فى وجههِ أثرَ التربِ

وَمن بديع حسن تعليل دنوّ السحاب من الأرض ، قول أبى العباس ابن حديدة اللخمى [من الكامل] :

يا رُبَّ مُثقلةٍ تنوء بثقلها   تسقى البلادَ بوابلٍ غيداقِ
مرّت فُوَيق الأرض تسحب ذَيلها   وَالريحُ تحملها على الأعناقِ
ودَنت فكاد الترب يُنهض نحوهَا   كنهوض مشتاقٍ إلى مشتاقِ
فكأنما جاءتْ تقبلُ تربهَا   أوْ حاولتْ منها لذيذَ عناقِ

وما أحسن تعليل أبى العلاء المعرى فى قوله [من الطويل] :

وَما كَلَفُ البدرِ المنيرِ مذمةٌ   ولكنهُ فى وجههِ أثرُ الدمِ

ومن حسن التعليل ، ما أنشده عبد الملك بن إدريس الحريرىّ بديهاً ، وكان بين يدى المنصور أبى عامر فى ليلة يبدو فيها القمر تارة ويختفى بالسحاب تارة ، وهو [من الوافر] :

أرَى بدرَ السماء يلوحُ حيناً   وَيبدو ثم يلتحفُ السحابَا
وَذَاكَ لأنهُ لما تبدّى   وأبصرَ وجهكَ استحيا وَغابَا

ومثله ما حكى أن أبا الحسن النوبختى ، كان مع جماعة من أهله ، على سطح ابن سهل النوبختى ، فى ليلة من الليالى يشربون ، ومعهم إبراهيم بن زرزر المغنى وكان أمرد حسن الوجه ، وكان فى السماء غيمٌ ينجاب مرة ، ويتصل أخرى ، فانجاب الغيم عن القمر فانبسط ، فقال أبو الحسن النوبختى ، وأقبلَ على إبراهيم [من البسيط] :

لم يطلعِ البدرُ إلا من تَشوُّقهِ   إليكَ حتى يوافى وجهكَ النضِرَا

ثم لما غاب القمر تحت الغيم ، قال :

ولا تَغَيَّبَ إلا عندَ خجلتهِ   لما رآكَ فولّى عنكَ واستترا

ومن رقيق حسن التعليل قول ابن عمار ، حين أُخرج من الأندلس ، [من الطويل] :

عليَّ وإلا ما بكاء الغمائمِ وفيَّ وإلا ما صياح الحمائمِ
وعنّى أثار الرعدُ صرخةَ طالبٍ لثارٍ وهزّ البرقُ صفحةَ صارمِ
وهل لبستْ زُهرُ النجوم حدادها لمثليَ أو قامت له فى المآتمِ
وهل شققتْ هوجُ الرياح جيوبها لغيرىَ أو حنتْ حنينَ الروائمِ

وما أرشق قول بعضهم [من الكامل] :

لو لم أُعانق من أحبُّ بروضةٍ أحداقُ نرجسها إلينا تنظرُ
ماشقَّ جيبَ شقيقها حسداً ولا باتَ النسيمُ بذيله يتعثّرُ

ولبعضهم فيه أيضاً [من الطويل] :

ولما نضا وجهُ الربيع نقابهُ وفاحت بأطراف الرياض النسائمُ
فطارتْ عقولُ الطير لما رأينهُ وقدْ بُهتتْ مِنْ بينهنَّ الحمائمُ
وخفنَ جنوناً بالرياض وحسنها فدخنَ وفى أعناقهنَّ التمائمُ

ومنه قول وجيه الدين الأنصارى [من الطويل] :

بروحىَ معشوقُ الجمال فماله شبيهٌ ولا فى حبه لىَ لائمُ
تثنّى فمات الغصنُ من حسدٍ له ألم ترهُ ناحتْ عليه الحمائمُ

ومنه قول بعضهم فى الآذريون ، ويسمى المنثور الرومى ، وهو ينضم ليلا وينفتح نهارا [من المنسرح] .

عيونُ تبرٍ كأنها سرقتْ سوادَ أحداقها من الغسقِ
فإن دجاَ ليلها بظلمته ضممن من خوفها على السَّرقِ

وما أحسن قول بعضهم أيضاً [من الخفيف]

وَرِياضٍ من الشقائق أضحَتْ يتهادى بها نسيمُ الرِّياحِ
زُرْتها والغمامُ يجلدُ منها زهراتٍ تفوق لَوْنَ الرّاحِ
قلْتُ: ماذَنبها؟ فقالَ مجيباً: سرَقَتْ حمرةَ الخدودِ الملاحِ

وما أظرف قول بعضهم أيضاً [من الكامل]:

ومعذَّرٍ رَقَّتْ حواشى وجههِ فقلوبنَا وَجْداً عليهِ رقاقُ
لمْ يكسُ عارضهُ السوادَ وإنما نفضتْ عليهِ سوادها الأحداقُ

وقول غوث الدين بن العجمى فى العذار، وفى الخال [من الوافر]:

لهيبُ الخدِّ حين بدا لعينى هوَى قلبى عليه كالفَراشِ
فأحرَقهُ فصارَ عليهِ خالاً وهَا أثرُ الدخان على الحواشى

وقول مظفرٍ الأعمى فيه [من البسيط]:

لا تحسبوا شامةً فى خدِّهِ طبعتْ على صحيفةِ خدّ رَاقَ منظرُهُ
وإنما خدُّهُ الصافى تخالُ بهِ سوَادَ عينكَ خالاً حين تنظرُهُ

وما ألطف قول ابن رشيق فى تعليل حمرة الخد [من السريع]:

همتْ عذاراهُ بتقبيلهِ فاستَلَّ من عينيه سيفينِ
فذلكَ المحمرُّ من خدِّهِ دِماءُ ما بينَ الفريقينِ

ومنه قول ابن حمديس الصقلى فى الخال [من الكامل]:

ياسالباً قَمَرَ السماء جمَالهُ ألبستنى فى الحب ثوب سمائهِ
أشعلت قلبى فارتمى بشرارة علقتْ بخدِّكَ فانطفت فى مائهِ

ومن لطيف حسن التعليل، فى خال تحت الحنك، ما حكاه ابن رشيق، قال: كنت أجالس محمد بن حبيب، وكان كثيراً ما يجالسنا غلامٌ مليح، ذو خال تحت لحييه، فنظرَ إليَّ ابن حبيب يوماً، وأشار إلى الخال ثم أطرقَ ساعة

قال : ففهمت منه أنه يصنع شيئاً فيه ، فصنعت بيتين ، وأمسكت عنهما خوف الوقوع دونه ، فلما رفع رأسه قال : اسمع وأنشد [من الطويل] :

يقولون لِمْ من تحت صفحة خدِّهِ تنزَّلَ خالٌ كان منزلهُ الخدُّ
فقلت رأى بهرَ الجمال فهابَهُ فحطّ خضوعاً مثل ما خضع العبدُ

فقلت : أحسنت أحسن الله إليك . ولكن اسمع . قال : أو صنعت شيئاً ؟ قلتُ : نعم، وأنشدته [من الخفيف] :

حبذا الخالُ كائناً منه بين الخـــدّ والجيد رِقْبةً وحذارا
رامَ تقبيلهُ اختلاساً ولكنْ خافَ من لحظ طرْفهِ فتوارَى

فقالَ : فضحتنى قطع الله لسانك .

ولأبى سعيد المغربى وأجاد [من الرمل] :

إنّ للجبهة فى قلبي هوًى لم يكن عندى للوجه الجميلْ
يرقصُ الماءُ بها من طربٍ ويميلُ الغصن للظلّ الظليلْ
وتودُّ الشمسُ لو باتتْ بها فلذا تصفرُّ أوقاتَ الرحيلِ

ومثله قول بعضهم أيضاً [من الكامل] :

نهدٌ يهيم بحسنه مَن لم يهمْ ويُجيد فيهِ الشعر مَنْ لم يشعرِ
ما اصفر وجه الشمس عند غروبها إلا لفرقةِ حسن ذاك المنظر

ولعله سرقهُ من قول ابن الرومى [من البسيط] :

أمّا ذُكاء فلم تصفرّ إذ جنحتْ إلا لفرقةِ ذاكَ المنظر الحسنِ

وما ألطف قول عبد الله بن القابلة البستى [من الطويل] :

ووجهُ غزالٍ رقّ حسناً جمالهُ يرى الصبُّ فيهِ وجههُ حين ينظرُ
تعرّضَ لى عندَ اللقاء بهِ رشاً تكادُ الحيا من مُحيّاه تقطرُ

ولم يتعرَّض كى أراهُ ، وإنما أرادَ يُرِيني أن وَجهى أصفرُ

وما أحسن قول بعضهم فى مليح يطيل حمل الكأس ، وقد تشاغل بشم الآس [من الطويل] :

حبيبى وَعدتَ الكأس منك بقبلةٍ وأعقبَ ذاكَ الوعدَ منكَ نِفارُ
فأوقفتها تحتَ الرَّجاء وقلبُها بِهِ خوفَ خُلفِ الوعد منكَ شَرَارُ
وما كانَ هذا لَونها غيرَ أنها عَلاَها لِطولِ الانتظار صفارُ

وما أحلى قول ابن نباتة هنا [من الخفيف] :

لم يزلْ جودهُ يجورُ على المالِ إلى أن كسا النضار اصفرارا

ولابن الدهان الموصلى [من الكامل] :

تزدِى الكتائبَ كتبهُ فإذا سرتْ لم تدرِ أنفذَ أسطراً أمْ عسكرا
لم يَحسُن الأترابُ فوق سطورها إلا لأنَّ الجيشَ يعقدُ عِثيرا

ومن لطيف حسن التعليل ، ما أنشده الملك الأشرف ، شاه أرمن موسى ، فى مملوك له جميل ، وقعت عليه شمعة فأصابت شاربه [من المتقارب] :

وذى هيفٍ زارنى ليلةً فأمسى بهِ الهمُّ فى معزلِ
فمالتْ لتقبيلهِ شمعةٌ ولم تخشَ من ذلكَ المحفلِ
فقلت لصحبي وقد حكمتْ صوارمُ لحظيهِ فى مقتلى
أتدرُون شمعتَنا لِمْ هوتْ لتقبيل هذا الرشا الأكحلِ
درَتْ أنَّ ريقتَهُ شهدةٌ فمالت إلى إلفها الأولِ

ومن المضحك فيه قول ابن قلاقس ، فى أصفر الوجه ، ذى لحية حمراء ، [من المتقارب] :

لئنْ زادَ فى ذقنهِ حُمْرَةً بما زادَ فى الوجهِ من صُفْرَتِهْ

فمن كثرة الصفع فى رأسهِ تَصَفَّى لهُ الدَّمُ فى لحيته

ومن ظريف حسن التعليلُ قولُ ابن النبيه ، وقد دخل على الصاحب صفى الدين بن شكر فى مرضه فوجده قد حُمَّ بقشعريرة [من الرجز المشطور] :

تبًّا لحماكَ التى أصلتْ فؤادى وَلَهَا

هَلْ سألتكَ حاجةً فأنتَ تهتزُّ لها

فكانت جائزة هذين البيتين استخدامه على ديوان أوقاف الجامع المعمور بدمشق المحروسة بجراية وافرة وجار موفور .

ومنه قول المتنبى ، مخاطباً لسيف الدولة ، وقد وقعت عليه الخيمة ، [من المتقارب] :

رأتْ لونَ نوركَ فى لونها كلون الغزالة لا يغسلُ

* وأنَّ لها شرفاً باذخاً وأنَّ الخيامَ بها تخجلُ

فلا تنكرنَّ لها صرعةً فمن فرحِ النفس مايقتلُ

ولصاحب الدوح شاعر الحاكم ، وقد زلزلت مصر فى أيامه [من البسيط] :

ياالحاكم العدلِ أضحى الدينُ معتلياً نجلِ العلاَ وسليلِ السادةَ النجبا

ما زلزلتْ مصرُ مِنْ كيدٍ يرادُ بها وإنما رقصتْ مِنْ عدلهِ طربَا

ولشرف الدين التيفاشى فى مثله [من البسيط] :

أما ترى الأرضَ من زلزالها عجباً تدعو إلى طاعةِ الرحمنِ كلَّ تقى

أضحتْ كوالدةٍ خرقاءَ مرضعة أولادَها دَرَّ ثدىٍ حافلٍ غدقِ

قدْ مهدتهم مِهاداً غيرَ مضطربٍ وأفرشتهم فراشاً غيرَ ما قلقِ

حتى إذا أبصرت بعض الذى كرهتْ مما يَشقُّ مِنَ الأولاد مِنْ خُلقِ

هزتْ بهم مهدهم شيئاً تنبههم ثم استشاطتْ وآلَ الطبعُ للخرُقَ

فصكت المهدَ غضبى وهىَ لافظةٌ بعضاً على بعضهم مِنْ شدة النَّزَقِ

ومثله أيضا قول الحظيرى [من المجتث] :

يقولُ لى حِينَ وافى قَدْ نِلْتَ ما ترتجيهِ
فما لقلبكَ قد جا بخَفْقَةٍ تعتريهِ
فقلتُ وصلكَ عُرْسٌ والقلبُ يرقُصُ فيهِ

وفى معناه قول بهاء الدين[1] زهير [من مجزوء الكامل] :

لا تنكرُوا خفقانَ قلــبي والحبيبُ لدىّ حاضِرْ
ما القلبُ إلا دارُهُ دُقَّتْ له فيها البشائرْ

وما ألطف تعليل خفقان القلب فى قول ابن رشيق [من الكامل] :

ومُهَفْهفٍ يحميه عن نظرِ الوَرَى غَيرَ ان سكنى الملك تحتَ قبابهِ
أوْمىَ إلىّ أنِ ائتنى فأتيتهُ والفجرُ يرمقُ من خلال نقابهِ
وضممتهُ للصدْرِ حتى استوهبتْ منى ثيابى بعضَ طيبِ ثيابهِ
فكأن قلبي منْ وَراء ضلوعـهِ طرَباً يخبرُ قلبهُ عما بهِ

ومن لطيف حسن التعليل، وهو قريب من هذا المعنى، قول ابن بقى الأندلسى [من الكامل] :

بأبى غزالاً غازلتهُ مُقلتى بينَ العُذَيبِ وَ بينَ شطى بارِقِ
وسألتُ منهُ زيارة تشفى الجوَى فأجابنى منها بوعدٍ صادقِ
بتنا ونحنُ من الدّجا فى خَيْمَةٍ ومن النجوم الزهر تحتَ سرادقِ

---

(١) وينسبان إلى سلطان العاشقين أبى حفص عمر بن الفارض، ولكنهما بشعر البهاء زهير أشبه .

عاطيْتُه والليلُ يَسحب ذيْلَهُ   صهباء كالمسكِ الفتيق الناشقِ
وضَممتهُ ضَمَّ الكَمِيِّ لسيفِهِ   وذؤابتاهُ حمائلٌ فى عاتِقى
حتى إذا مالَتْ به سِنَةُ الكَرَى   زحزَحتُهُ شيئاً وكان مُعانِقى
أبْعدْتهُ عن أضلُعٍ تشتاقهُ   كى لا ينامَ على وسادٍ خافِقِ

وقد ناقض ابن عيال اللبيب البيتَ الأخير والذى قبله بقوله [من مخلع البسيط] :

إن كانَ لا بدَّ من رُقادِ   فأضلعى هاكَ كالوِسادِ
قمْ على خَفْقِها هدواً   كالطفلِ فى هزة المِهادِ

وقد تعصب لابن بقى قوم ، ولابن عيال آخرون ، وقالوا : إن بيتى ابن بقى عليهما اعتراضان : الأول : إفحاشه العبارة بقوله « أبعدته » وكان ينبغى أن يقول « أبعدت عنه أضالعاً » والثانى : ما ذكره ابن عيال ، فقال المتعصبون لابن بقى : أما الاعتراض الأول فسلَّم ، وأما الثانى فممنوع ، فان شعر ابن بقى يدل على أن خفقانه لكثرة قوته مما يمنع النوم ، بخلاف ما ذكره ابن عيال ، فان تشبيهه بتحريك المهد يقتضى أنه يسير ضعيف ، ويدل عليه قوله « هدواً » فقول ابن بقى أدل على قوة المحبة والشفقة على المحبوب والرفق به ، وقد سئل ابن فضل الله عن فصل الحكومة بينهما فأجاب بقوله [من الكامل] :

قولُ ابن بقى عليهِ مأخَذٌ   لكنهُ قول المحبِّ الوامِقِ
يكفيهِ فى صدق المحبةِ قولهُ   «زحزحتهُ شيئاً وكان معانقى»
وأرادَ شيئاً ما ليهدأ فى الكَرَى   « كى لاينامَ على وسادٍ خافقٍ »
ماحبهُ كذبٌ كدعوَى غيرهِ   ماالكاذبُ الدعوى نظيرُ الصادقِ
تا الله ماهذا فؤادُ متيَّمٍ   كلا ولا هذا المَقالُ بلائقِ

ولقولُ من قد قال إن ضُلُوعَه خفقانُها كالمهدِ غيرُ موافقِ
ما الحب إلا تذل مالَ له الحشا وبيره يهدا فؤاد العاشق

وقد رد الصلاح الصفدى على ابن بقى بقوله [من الكامل] :

أبعدتَهُ من بعد ما زحزحتَهُ ما أنتَ عندذوىالغرام بعاشقِ
هذا يدلُّ الناسَ منك على الجفا إذ لَيْسَ هذا فعلَ صَبٍّ وامقِ
إن شئتَ قلْ أبعدْتَ عنهُ أضالعى ليكونَ فعلَ المستهام الصادقِ
أو قلْ فبات على اضطِراب جوانحى كالطفل مضطجماً بمهدٍ خافقِ

ومن بديع حسن التعليل فى العذار قول ابن عبد ربه [من الكامل] :

ياذا الذى خطَّ العذارُ بخدِّه خطين هاجا لوعةً وبلابلا
ما كنتُ أقطعُ أن لحظك صارم حتى رأيتُ بعارضيك حمائلا

ومثله فى الحسن قوله أيضاً فى العذار [من الكامل] :

ومعذَّرٍ نقشَ الجمالُ بخطه خداً له بدم القلوب مضرَّجا
لما تيقَّنَ أن عضبَ جفونه من نرجس جعل النجاد بنفسجا

وينظر إلى البيتين الأولين قول على بن حسن الاشبيلى [من المتقارب]

غزالٌ كحيلٌ له ريقةٌ يشابُ بها المسكُ والقرقفُ
كأن العذار على خده نجادٌ ومقلته مرهفُ

ومثله قول ابن رشيق أيضا [من مخلع البسيط] :

وأسمرُ اللون عسجدىّ يكاد يستمطر الجهاما
ضاق بحمل العذارِ ذرعاً كالمهر لايعرف اللجاما
ونكس الرأس إذ رآنى كآبةً وا كتسى احتشاما
وظن أن العذارَ مما يزيح عن قلبىَ الغراما

وما دَرَى أنهُ نباتٌ أنبتَ فى جِسْمِيَ السقاما
وهلْ ترى عارضيه إلاّ حمائلاً حملتْ حُساما

ومثله قول ابن جكينا البغدادى [من الوافر] :

تبرَّمَ بالعذارِ وظنَّ أنى أقاطِعُهُ وأخْرُجُ من يديهِ
وخافتْ عارضاهُ خلاص قلبي من التبريح فانعلقت عليه

وما أحسن قول ابن الشقاق أيضاً [من البسيط] :

بخدْ أحمد للأبصارِ مُعْتَبَرُ عِذارمسكٍ جرى فى صفحتى بَرَد
كأن وجْنتهُ من حُسنه خجلتْ واسْوَدَّ عارضهُ من شدَّة الحسد

ولطيف قول ابن الخباز فى العذار والخال [من الطويل] :

ولى كاتبٌ أضْمَرْتُ فى القلب حبهُ مخافة حسَّادِى عليه وعذَّالى
له صنعةٌ فى خطٌ لام عذاره ولكن سهَا إذ نقَّطَ اللام بالخال

وما أبدع تعليل ابن اللبانة للعذار بقوله [من مخلع البسيط] :

بدا على خده عذارٌ بمثله يُعْذر اللبيبُ
وليس ذاك العذارُ شَعَراً لكنما سِرُّهُ غريبُ
لما أراق الدماء ظلماً بدتْ على خدِّهِ الذنوبُ

وهذا كقول عبد الجليل المرسى أيضا [من الوافر] :

فطوَّقهُ الزمانُ بما جناهَ وعلَّق فى عذاريه الذُّنوبا

ومن لطيف حسن التعليل قول ابن رشيق فى العذار [من البسيط] :

خطُّ العذارُ لهُ لاماً بصفحتهِ من أجلها يستغيثُ الناسُ باللاَّم (١)

---

(١) يريد أن عبارة الاستغاثة فى كلام العرب تستعمل فيها لام فيقول المستغيث : يالله للمسلمين ، مثلا ، ولكن اللام فى صدر البيت يراد بها العذار الذى يشبه اللام

وقد تفنن الشعراء فى تشبيه العذار باللام ، وقد عكس ابن غالب وأبدع وأبعد حيث قال [من الطويل] :

سأصنعُ فى ذم العذار بدائعاً فمن شاء يقفى بالدليل كما أقفى
ألا إنهُ كاللام واللامُ شأنُها إذا التصقت بالاسم آل إلى الخفض

فاجعله محتملا لما شئت من الذم : إن شئت وجهت الخفض لانخفاضه للعمل المطلوب منه ، و إن شئت جعلته انخفاض حاله .

رجع إلى حسن التعليل .

ومن لطيف حسن التعليل ما جاء فيه قول السراج الورّاق فى العذار [من الرجز] :

وفاتك يجُرَحُ سيفُ لحظِهِ مجرّداً من جفنهِ ومُغمدا
خافَ على خدّيه من لحاظهِ فبات فى عِذارهِ مزرّدا

ومنه قول ابن جكينا البغدادى [من المنسرح] :

عينـاكَ ترمى قلبى بأسهُمِها فما لخدّيك تلبَسُ الزَّرَدَا
ريقَتُهُ الشّهْدُ والدليـل على ذلك نَمْلٌ بخدّه صَعَدَا

وما أحسن قول ابن معد القيروانى فيه [من الخفيف] :

أطلَعَ الحسنُ من جَبينك شمساً فوقَ وردٍ من وجنَتيك أطلاَّ
فكأنَّ العِذارَ خاف على الوَرْ دِ ذبولاً فمدَّ بالشَّعْرِ ظِلاَّ

وللأمير سيف الدين المشد أيضاً [من السريع] :

يا من عذارُهُ وأصداغهُ حـدائقٌ هِمتُ بأزهارها
لولم يكن خـدك لى كَعبةً لما تعلّقتُ بأستارها

ولأبى هلال العسكرى فى حسن التعليل أيضاً [من الكامل] :

ومُهفهفٍ قال الإله لِحُسْنِهِ كُنْ فتنةً لِلعالمينَ فكانَهُ

زعمَ البنفسجُ أنهُ كعِذاره حسداً فسلُّوا من قفاه لسانَهُ

ولبعضهم [من المتقارب]:

أتتني تؤنبني بالبكا فأهلاً بها وبتأنيبها
تقولُ وفي قولها حشمةٌ أتبكي بعينٍ تراني بها
فقلتُ إذا استحسنت غيركم أمرتُ الدموع بتأديبها

ولابن الخازن أيضاً [من الكامل] :

لوْ فاخرتْ ذاتُ العمادِ بيوتَها عادتْ مقوَّضةً بغيرِ عمادِ
لاتكذبنَّ فما لها دار إذا أنصفتني إلا صميمُ فؤادي
فلذاك لا تسقي السحائبُ أرضها إلا يزدْنَ حرارة الأكبادِ

ولابن قلاقس في بركة عليها قبة مذهبة [من الكامل] :

فسقيةٌ نصبتْ عليها قبةٌ تزهو بابريز لها متوقدِ
لوْ لم يكنْ ملكٌ على أرجائها ماشرفتْ بمظلةٍ من عسجدِ

ولابن الساعاتي أيضاً [من الكامل] :

لا تعجبنَّ لطالبٍ بلغ المنى كهلاً وأخفق في الشبابِ المقبلِ
فالخمرُ تحكم في العقول مسنةً وتداسُ أوَّل عصرِها بالأرجلِ

ولبعضهم يرثي ابن البواب الكاتب [من الكامل] :

استشعرَ الكتابُ فقدكَ سالفاً وقضتْ بصحةِ ذلكَ الأيامُ
فلذاك سوِّدتِ الدويُّ كآبةً أسفاً عليكَ وشقَّتِ الأقلامُ

ولصرَّدُرَّ في جارية سوداء [من السريع] :

علقتها سوداء مصقولة سوادُ قلبي صفةٌ فيها
ما انكسفَ البدرُ على تمِّه ونورهِ إلا ليحكيها

لأجلها الأزمانُ أوقاتُها مؤرَّخات بلياليهـــا

وبديع فى معناه قول ابن رشيق أيضا [من مخلع البسيط] :

دَعَابكِ الحُسْنُ فاستجيبى يامِسكُ فى صِبْغَةٍ وطيبِ

تيهِى على البيض واستَطيلى تِيهَ شبابٍ على مَشيبِ

ولا يَرُعْكِ اسْوِدَادُ لونٍ كمُقْلةِ الشادِنِ الرَّبيب

فإنّمَا النُّورُ عن سَوَادٍ فى أعيُنِ الناس وَالقلوبِ

وقد أخذه ابن قلاقس فقال [من الخفيف] :

رُبَّ سَوْداء وهْىَ بيضاء معنى نافَسَ المِسك فى اسمِها الكافُورُ

مثْلُ حبِّ العُيُونِ يَحْسبهُ النَّا سُ سواداً وإنما هُوَ نُورُ

والأصل فى هذا المعنى قول الوزير المهلبي [من الوافر] :

وسمّوْهُ مع القرْبَى غَرِيباً كنُورِ العين سَمّوْهُ سوَادا

وما أحسن تعليل اليغمورى بقوله [من الرمل] :

أنا مِرآةٌ فإنْ أبصرتُمُ حَسَناً أنتمْ بها ذاكَ الحَسَنْ

أوْ ترَوْاما ليس يُرْضيكم فقد صدئتْ إذ لم ترَوْها من زمنْ

وفى معناه قول ابن اللبانة [من الكامل] :

زَادُوا جفاءً فانتَقَصتْ مَوَدّةً ومِنَ الزِّيادة مُوجبُ النُّقْصان

أنا مثلُ مِرآةٍ صقيلٍ صفحُها ألقى الوجُوه بمثـل ما تلقانى

ومن لطيف حسن التعليل قول الصفى الحلى [من المتقارب] :

وعدْتَ جميلاً فأخلفتَهُ وذَلكَ بالحُرِّ لا يجمُلُ

وقُلت بأنكَ لى ناصِرٌ إذا قابل الجحفَلَ الجحفَلُ

وكم قدْ نصرْتك فى كرّةٍ تكسَّرَ فيها القنا الذُّبَّلُ

ولستُ أمُنّ بفضلى عليكَ فأعجبُ بالقول إذ أعجلُ
كما قالهُ البازفى عزّةٍ بهِ حينَ فاخرَهُ البلبلُ
وقالَ أراكَ جليسَ الملوكِ ومِنْ فوْق أيديهم تحمَل
وأنت كما علموا صامتٌ وعن بعضِ ما قلتهُ تنكل
وأحبَسُ مع أننى ناطقٌ وحالىَ عِندَهمُ مُهْمَلُ
فقالَ صدقت ولكنّهم بذا عرَفُوا أيّنا الأكملُ
لأنى فعلتُ وما قلْتُ قط وَأنتَ تقولُ ولا تفعلُ

ولابن القيسرانى أيضاً [من البسيط] :

هذا الذِى سلبَ العُشّاق نَوْمَهمُ أما ترى عَينَهُ مَلأى من الوسَن

وللخباز البلدى أيضاً [من البسيط]:

ليلُ المحبين مطوىٌّ جوانبهُ مشمّرُ الذّيل منسوبٌ إلى القصر
إذا الحبيبان باتا تحت جانبه غابَتْ أوائله فى آخر السَّحر
ما ذاكَ إلا لأن الصبْح نمّ بنا فأطلع الشّمْس من غيظٍ على القمر

ولصدر الدين بن الوكيل [من الكامل] :

لم يُصْلَب الراووقُ إلا عِنْدما قطع الطريق على الهموم وساقها

وهو من قول سيف الدين المشد فى مليح نصرانى [من البسيط] :

يصبو الحَبابُ إلى تقبيل مَبْسِمِهِ وتكتسى الرّاحُ من خدّيهِ أنوارا
من أجلهِ أصبحَ الرّاوُوق منعكساً على الصّليب وشدّ الكاس زنارا

وما أحسن قول صدرالدين بن الوكيل أيضاً [من الطويل] :

أرَقْتُ دم الرّاووق حلاً لأننى رأيت صليباً فوْقه وهوَ مشرك
وزَوّجْتُ بنتَ الكرْمِ لابن غمامةٍ فصحّ على التّعْليق والشرط أمْلَكُ

وما أحسن قول ابن دانيال فيما ينقش على مشراط حجام ، وضمنه المثل الذى أتى به صدر الدين بن الوكيل حيث قال [من مجزوء الكامل]:

أنا لا أُكَلِّمُ واصباً إلا بإذن منه يُعلَكُ
شَرْطى شفاء الهالكينَ من الأذى والشَّرْطُ أملكْ

وقد ذكرت بهذين البيتين بيتين قلتهما قديما وهما [من مجزوء الخفيف]:

بى من الحَبْش غادةٌ وصفها لَيْسَ يُدْرَكُ
مَلَكَ القلبَ شرطُها وكذا الشَّرْطُ أملكُ

رجعنا إلى حسن التعليل .

ولابن سناء الملك فيه [من السريع]:

يا بأبى مَنْ ذِكْرُه فى الحشا ضيفى وذِكْرِى فى الحشا ضَيْفُهُ
لا تحسبونى ناعساً إنّما سَجَدْتُ لما مَرَّ بى طَيْفُهُ

٥٥٥

١٤٨ — أحلامُكُمْ لِسَقَامِ الجهلِ شافيةٌ كما دِماؤُكُمْ تَشْفِى مِنَ الكَلَبِ شاهد التفريع

البيت للكميت الشاعر ، من قصيدة من البسيط ، أولها :

هل للشبابِ الذى قد فاتَ من طلبِ أمْ ليسَ غابرُهُ الماضى بمنقلبِ
دَعِ البكاءَ على ما فاتَ مَطلبهُ فالدهرُ يأتى بألوانٍ منَ العجبِ

والأحلام : جمع حلم - بالكسر - وهو الأناة والعقل ، والكَلَبُ : جنون الكلاب المعترى من أكل لحم إنسان ، وشبه جنونها المعترى للانسان من عضها ، أو هو داء لا يصبر الانسان معه عن الأكل ساعة واحدة ، ولا دواء له أنجح من شرب دم ملك . قال ابن الأعرابى : كانت العرب تقول : من

أصابه الـكَلَبُ والجنون لا يبرأ منه ، إلا أن يسقى من دم ملك ، فهو يقول : إن ممدوحيه أربابَ العقول الراجحة ملوكٌ وأشراف .

ومثله قول الحماسى ، وهو القاسم بن حنبل المزنى حيث قال [من الوافر] :

بُناةُ مكارمٍ وأُساةُ كَلْمٍ دماؤكم منَ الـكَلَبِ الشفاء[١]

وقول عبد الله بن الزَّبِير الأسدى فى عبيد الله بن زياد [من البسيط] :

من خيرِ بيتٍ علمناهُ وأكرَمِهِ كانتْ دماؤهُمُ تشفى من الـكَلَبِ

وقريب من معناه قول العباس بن مرداس [من الطويل] :

وإنى منَ القوم الذينَ دماؤهمْ شفاءٌ لطلاب التِرَاتِ منَ الوَغْمِ[٢]

وقول البحترى مهنئاً من افتصد [من البسيط] :

لِيَهْنِكَ البرْءُ مما كنتَ تألمهُ وليهنكَ الأجرُ عقبى صائب الوصبِ

لئنْ فُصِدْتَ ابتغاء البرْءِ من سقَمٍ فقد أرَقْتَ دماً يشفى من الـكَلَبِ

والشاهد فى البيت : التفريع ، وهو : إثبات حكم لمتعلق أمر بعد إثباته لمتعلق له آخر ، على وجه يشعر بالتفريع والتعقيب ، فها هنا فرَّعَ على وصفهم بشفاء أحلامهم لسقام الجهل ، وَصفَهم بشفاء دمائهم من الـكلب .

ومن التفريع قول الشريف الرضى [من الطويل] :

إذا فاتَ شئ سمعَهُ دلَّ أنفهُ وإن فاتَ عينيهِ رَأى بالمسامعِ

وقول ابن المعتز أيضا [من السريع] :

كلامُهُ أخدعُ منْ لحظهِ ووَعدُهُ أكذبُ منْ طيفهِ

فبينما هو يصف خدع كلامه فرع خدع لحظه ، وبينا هو يصف كذب وعده فرع كذب طيفه .

وقوله أيضا يصف ساقى كأس ، حيث قال : [من الـكامل] :

---

(١) الأساة : جمع آس ، وهو المداوى ، والـكلم : كالجرح ، وزنا ومعنى

(٢) الوغم — بفتح فسكون — الترة ، والحقد الثابت

فكأنّ حمرة لونها من خدّه ... وكأنّ طيبَ نسيمها من نَشْرِهِ(١)
حتى إذا صب المزاجُ تبسمتْ ... عن ثغرها فحسبتهُ من ثغره

ومن التفريع الجيد قول الصَّنوبرى [من الكامل] :

ما أخطأت نوناتهُ من صدغه ... شيئاً ولا ألفاتهُ من قدِّه
وكأنما أقلامهُ من شعْرِهِ ... وكأنما قرطاسهُ من جلده

وشتان ما بين هذا الوصف وقول الآخر يهجو كاتبا ، أنشده الصولى فى أبيات [من الوافر]

كأنّ دواتَهُ من ريق فِيهِ ... تُلَاقُ فنَشْرُها أبداً كريه

ومنه قول ابن النطاح يصف البحر [من المنسرح] :

يامادح البحر وَهْوَ يجهلهُ ... مهلاً فانى قتلتهُ عِلْمَا
مكسبه مثل قعره بعداً ... ورزقهُ مثل مائه طَعْمَا

وذكرت بهذين البيتين ، قول ابن رشيق فى ذم البحر وركوبه [من مخلع البسيط]

البحرُ صعْبُ المرَام مُرٌّ ... لا جُعِلَتْ حاجتى إليه
أليس ماء ونحنُ طينٌ ... فما عسى صَبْرُنا عليه

قال ابن حمديس : اجتمعت مع أبى الفضل الكاتب جعفر بن المقترح بسبتة ، فذكر لى بيتى ابن رشيق ، ثم قال لى : أتقدر على اختصار هذا المعنى؟ قلت : نعم أقدر على ذلك، وأنشدته [من المجتث] :

لا أركبُ البحر خوفاً ... علىَّ منهُ المعاطب
طينٌ أنا وَهوَ ماء ... والطينُ فى الماء ذائبْ

---

(١) النشر ـ بفتح فسكون ـ الرائحة الطيبة ، أو مطلقا

فاستحسن ذلك إذ كان على الحال ، وأقام عنى أياماً ثم اجتمعت به فأنشدنى لنفسه فى المعنى [من المجتث] :

إنّ ابن آدم طينٌ والبحرُ ماءٌ يذيبُهْ
لولا الذى فيه يُتلَى ماجازعندى رُكوبُهْ

فأنشدته لى فيه [من الطويل] :

وأخضر لولا آيةٌ ما رَكِبتهُ ولله تصريفُ القضاء بما شاء
أقولُ حذاراً من ركوب عُبابه أيارب إنّ الطين قد ركب الماء

ومن التفريع قولُ كشاجم [من المنسرح] :

شيخٌ لنا من مشايخ الكوفه نسبتهُ للمريض مَوْصوفهْ
لوْ حوّل الله قمله غنماً ماطمع الكلب منهُ فى صُوفَهْ

ومن المستحسن فيه قول الخوارزمى [من الكامل] :

سَمْحُ البديهة ليس يمسك لفظهُ فكأنما ألفاظهُ من مالهِ
وكأنما عزماته وسيوفهُ من حَدِّهن خُلِقن من إقباله
متبسمٌ فى الخطب تحسبُ أنهُ تحت العجاج ملثمٌ بفعاله

ومثله قول ابن جابر [من الطويل] :

كريمٌ شكتْ أموالهُ منْ سَماحه كما قدْ شكتْ أعداؤهُ من سِنانهِ
فلوْ لمْ يبدْ جمع العداة برمحه لأغرقهمْ بحر الندى منْ بنانه

وقوله أيضا [من الطويل] :

يزين منها الخصرَ لطفٌ ورقة كرقَّةِ معناها ولطف جوابها
وتسمعنا حلو الجواب كأنما قدِ امتزجتْ ألفاظها برُضابِهَا

وقوله أيضا [من الكامل] :

خضبتْ أناملَهَا فخلنا أنها ... مخضوبةٌ من حمرةٍ فى خدّها
ويكون قائم نَهْدِهَا رُمانةً ... حَقَّقْتُ أنَّ الغصنَ مُشبهُ قدّها

ولأبى جعفر الأندلسى أيضا [من الطويل] :

وكيف يكون الصبرُ عنها لعاشقٍ ... وقدْ حُكِّمتْ ألحاظها فى فؤاده
إذا أرسلتْ سودَ الغدائر خلتها ... صبغن بما فى طَرْفِهَا منْ سواده

ومن التفريع أيضا قول العسجدى [من السريع] :

رأيتهُ ممتطياً أشهبا ... يحملُ بازاً حمل قفازه
وطرْفُهُ أسبق من طَرْفِهِ ... ولحظهُ أصيدُ منْ بازه

ومنه قول المتنبى على غير هذا النظام [من الطويل] :

أسيرُ إلى أقطاعه فى ثيابه ... على طِرْفه منْ داره بحسامه
وما مطرتنيه من البيض والقنا ... وروم العِبدّى هاطلات غمامه

وهذا التفريع تناوله من قول أبى تمام [من الطويل] :

وقالوا فما أولاك صِفْ بعضَ فعله ... فقلت لهم من عِنده كلُّ ماعندى

وأصله قول أبى نواس يصف كلب صيد [من الرجز] :

أنعتُ كلباً أهلهُ فى كدِّهِ ... قدْ سَعِدَتْ جُدُودُهمْ بجدِّهْ
وكلُّ خيرٍ عندهمْ من عندهِ ... وكلُّ رِفْدٍ عندهمْ من رِفْدِهِ

وأخبث ما سمع فى باب التفريع ، قول ابن الرومى ، يهجو رجلا ، [من مجزوء المتقارب] :

لهُ سائسٌ ماهرٌ ... يجولُ على متنهِ
ويطعنُ فى دُبرهِ ... أفانينَ منْ طعنهِ
بأطولَ من قرْنهِ ... وأغلظ من ذهنهِ

ترجمة الكميت

والكميت (١) : هو ابن زيد الأسدى ، شاعر مقدم ، عالم بلغات العرب ، خبير بأيامها ، فصيح ، من شعراء مضر وألسنتها ، والمتعصبين على القحطانية المقارنين المقارعين لشعرائهم ، العلماء بالمثالب والأيام ، المفاخرين بهـا . وكان فى أيام بنى أمية ، ولم يدرك الدوله العباسية ، ومات قبلها ، وكان معروفاً بالتشيع لبنى هاشم ، مشهوراً بذلك ، وقصائده الهاشميات من جيد شعره ومختاره .

قال ابن قتيبة : وكان بين الكميت والطرماح خلطة ومودة وصفاء لم يكن بين اثنين ، حتى إن راوية الكميت . قال : أنشدت الكميت قول الطرماح [من الطويل] :

إذَا قُبِضَتْ نفسُ الطرماحِ أخلَقَتْ
عُرَى المجدِ وَاسترخى عِنانُ القصائدِ

فقال الكميت : إى والله وعنان الخطابة وَالرواية .

قال : وهذه الأحوال بينهما على تفاوت المذاهب والعصبية والديانة ، وكان الكميت شيعياً عصبيا عدنانيا من شعراء مضر متعصبا لأهل الكوفة ، والطرماح خارجيا صفريا قحطانيا عصبيا لقحطان من شعراء اليمن متعصبا لأهل الشام ، فقيل لهما : ففيم اتفقتما هـذا الاتفاق مع سائر اختلاف الأهواء ؟ قال : اتفقنا على بغض العامة

وحدّث محمد بن أنس السلامى الأسدى ، قال : سئل معاذ الهراء : مَنْ أشعر النـاس ؟ قال : من الجاهليين ، أم من الاسـلاميين ؟ قالوا : بل من الجاهليين! قال : امرؤ القيس وزُهَير وعَبِيد بن الأبرص ،قالوا : فمن الاسلاميين ؟ قال : الفرزدَق ، وجرير ، وَالأخطل ، والراعى ، فقيل له : يا أبامحمد ، مارأيناك

---

(١) للكميت ترجمة فى الأغانى (١٥ / ١١٣ - ١٣٠) ومهذب الأغانى (٥ / ٢٠٣ - ٢١٦) وطبقات الشعراء لابن قتيبة (٣٦٨ - ٣٧١) ليدن

ذكرت الكميت فيمن ذكرت. قال: ذاك أشعر الأولين والآخرين!.

وحدَّث محمد بن النوفلي قال: لما قال الكميت بن زيد الشعر كان أول ماقال الهاشميات، فسترها، ثم أتى الفرزدق، فقال له: يا أبا فراس: إنك شيخ مضر وشاعرها، وأنا ابن أخيك الكميتُ بن زيد الأسدى. قال له: صدقت أنت ابن أخى، فما حاجتك؟ قال: نفث على لسانى، فقلت شعرا فأحببت أن أعرضه عليك، فان كان حسنا أمرتنى باذاعته، وإن كان قبيحا أمرتنى بستره، وكنت أولى (١) من ستره علىَّ، فقال له الفرزدق: أما عقلك فحسن، وإنى لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك، فأنشدنى ماقلته، فأنشدته [من الطويل]:

* طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطْربُ *

فقال لى: ففيم تطرب يا ابن أخى؟ فقلت:

* وَلا لعباً منى وَذُو الشوقِ يلعبُ *

فقال: يا ابن أخى فالعب فانك فى أوان اللعب، فقلت:

ولمْ تُلهِنى دارٌ ولارسمُ منزل ... ولمْ يَتطرَّبْنِى بنانٌ مخضَّبُ

فقال: مايطربك يا ابن أخى؟ فقلت:

ولا السانحاتُ البارحاتُ عشيةً ... أمرَّ سليمُ القرْنِ أمْ مرَّ أعضبُ

فقال: أجل لم تتطير، فقلت:

ولكنْ إلى أهل الفضائلِ والنُهى ... وخيرِ بنى حوَّاء والخيرُ يطلبُ

فقال: مَنْ هؤلاء ويحك؟! فقلت:

إلى النفرِ البيضِ الذينَ بحبهمْ ... إلى الله فيما نابنى أتقرَّبُ

(١) فى الأصل «وكنت أول» وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى (١٥-١٢٥)

فقال : أرحنى ويحك مَنْ هؤلاء ؟ فقلت :

بنى هاشم رَهطِ النبىِّ فإننى ... بهم ولهُمْ أرضى مِرَاراً وأغضبُ

خفضت لهم منى جناحَىْ مودَّةٍ ... إلى كنفٍ عطفاه أهلٌ ومرحَبُ

وكنت لهمْ منْ هؤلاء وهؤلا ... مِجَنًّا على أنِّى أذمُّ وأُقصَبُ

وأُرمى وَأرْمى بالعداوَةِ أهلها ... وإنى لأوذَى فيهمُ وأؤنبُ

فقال له الفرزدق : يا ابن أخى ، أذع ثم أذع . فأنت والله أشعر مَنْ مضى ومن بقى .

وحدث إبراهيم بن سعد الأسدى ، قال : سمعت أبى يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم ، فقال لى : من أىِّ الناس أنتَ ؟ قلت : من العرب ، قال : أعلم فمن أىّ العرب أنت ؟ قلت : من بنى أسد ، قال : من أسد بن خزيمة ؟ قلت : نعم ، قال : أهلا لىّ أنت ؟ قلت : نعم ، قال : أتعرف الكميت بن زيد ؟ قلت : يا رسول الله ، عمى ومن قبيلتى . قال : أتحفظ من شعره شيئا ؟ قلت : نعم ، قال : أنشدنى :

* طربتُ وما شوقا إلى البيضِ أطرَبُ *

قال : فأنشدته حتى وصلت إلى قوله :

فمالىَ إلا آل أحمد شيعةٌ ... ومالى إلا مشعب الحق مشعبُ

فقال لى : إذا أصبحت فاقرأ عليه السلام وقل له : قد غفر الله لك بهذه القصيدة .

وحدَّث نصر ابن مزاحم المنقرى أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم ورجل بين يديه ينشده [من الخفيف] :

* مَنْ لقلبٍ متيم مستهامِ (١) *

---

(١) هذا صدر مطلع قصيده هاشمية أيضا ، وعجزه قوله :

* غير ما صبوة ولا أحلام *

قال : فسألت عنه ، فقيل لى : هـذا الـكميت بن زيد الأسدى . قال: فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : جزاك الله خيرا ! وأثنى عليه .

وحدَّث محمد بن سهل صاحب الـكميت قال: دخلت مع الـكميت على أبى عبد الله جعفر بن محمد فى أيام التشريق : فقال له : جعلت فداك ألا أنشدك فقال : إنها أيامٌ عظامٌ ، قال : إنها فيكم : قال: هات ، و بعث أبو عبد الله إلى بعض أهله ، فقرّب ، فأنشده ، فـكثر البـكاء ، حتى أتى على هذا البيت ، [من الطويل] :

يُصيبُ بهِ الرَّامُونَ عنْ قوْسِ غيرهمْ
فَيـا آخراً أسـدَى لهُ الغىَّ أوَّلُ

فرفع أبو عبد الله رحمه الله تعالى يديه فقال : اللهم اغفر للكميت ما قدَّم وما أخر وما أسر وما أعلن ، وأعطه حتى يرضى .

وحدث صاعد مولى الكميت قال : دخلنا على أبى جعفر محمد بن على، فأنشده الـكميت قصيدته التى أولها :

* مَنْ لِقلْبٍ مُتيَّمٍ مُسْتهامِ *

فأمر له بمال وثياب ، فقال الـكميت : والله ما أحببتكم للدنيا ، ولو أردت الدنيا لأتيت مَنْ هى فى يديه ، ولـكننى أحببتكم للآخرة ، فأما الثياب التى أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبركاتها ، وأما المال فلا أقبله ، فرده وقبل الثياب .

قال : ودخلنا على فاطمة بنت الحسين رضى الله عنهما فقالت : هذا شاعرنا أهل البيت ، وجاءت بقدح فيه سويق فحركته بيدها وأسقته الـكميت ، فشربه، ثم أمرت له بثلاثين دينارا ومركب ، فهملت عيناه وقال : لا والله لا أقبلها ، إنى لا أحبكم للدنيا .

وكان خالد بن عبد الله القسرى قد أُنشد قصيدة الـكميت التى يهجو فيها اليمن ، وهى التى أولها:

* ألاَ حُيِّيتِ عنّا يا مدِينا *

فقال : فَعَلَهَا(١) ؟ والله لأقتلنه ، ثم اشترى ثلاثين جارية بأغلى ثمن وتخيرهن نهايةً فى الحسن والكمال والأدب، فروَّاهن الهاشميات، ودسهن مع نخاس إلى هشام ابن عبد الملك ، فاشتراهن جميعا ، فلما أنس به واستنطقهن رأى منهن فصاحة وأدبا ، فاستقرأهن القرآن فقرأن ، واستنشدهن الشعر فأنشدن قصائد الكميت الهاشميات ، فقال هشام : وَيْلَكُن! مَنْ قائل هذا الشعر ؟ قلن : الكميت بن زيد الأسدى ، قال : وفى أى بلد هو ؟ قلن : بالعراق ثم بالكوفة ، فكتب إلى خالد عامله فى العراق : ابعث إلى برأس الكميت بن زيد ، فلم يشعر الكميت إلا والخيل محدقة بداره ، فأخذ وحُبس فى الحبس ، وكان أبان بن الوليد عاملا على واسط ، وكان الكميت صديقه ، فبعث إليه بغلام على بغل، وقال له : أنت حر إن لحقته، والبغل لك ، وكتب له : أما بعد فقد بلغنى ما صرتَ إليه، وهو القتل إلا أن يدفع الله عز وجل ، وأرى لك أن تبعث إلى حُبَّى — يعنى زوجة الكميت وكانت ممن يتشيع أيضاً — فإذا دخلتْ عليك تنقبت نقابها ولبست ثيابها وخرجت ، فانى أرجو الاوبة لك ، قال : فركب الغلام البغل وسار بقية يومه وليلته من واسط إلى الكوفة فصبحها فدخل الحبس متنكراً وخبر الكميت بالقصة ، فبعث إلى امرأته وقص عليها القصة ، وقال لها : أى ابنة عم ، إن الوالى لا يقدم عليك ولا يسلمك قومك ، ولو خفتُ عليك ما عرضتك له ، فألبسته ثيابها وإزارها وخمرته وقالت له : أقبل وأدبر ، ففعل ، فقالت: ما أنكر منك شيئاً إلا يبساً فى كتفيك ، فاخرج على اسم الله تعالى ، وأخرجت معه جاريتين لها ، فخرج وعلى باب السجن أبو الوضاح حبيب بن بدير ومعه فتيان من أسد فلم يُؤْبَه

(١) فى الأغانى أنهم لما أنشدوا خالدا أوائل قصيدة الكميت قال خالد : لا أبالى ما لم يجر لعشيرتى ذكر ، فأنشدوه ماقال فى قومه ، فقال : فعلها ؟ والله لأقتلنه - إلخ مانقله المؤلف. ووقع فى المطبوعتين « فقال بعلها » محرفا

له ، ومشى الفتيان بين يديه إلى سكة شبيب بناحية الكناس ، فمر بمجلس من مجالس بنى تميم ، فقال بعضهم : رجل و رب الكعبة ، وأمر غلامه فاتبعه ، فصاح به أبوالوضاح : يا كذا وكذا أراك تتبع هذه المرأة منذ اليوم ، وأومأ إليه بنعله ، فولى العبد مدبراً ، وأدخله أبو الوضاح منزله ، ولما طال على السجان الأمر نادى الكميت فلم يجبه ، فدخل ليعرف خبره ، فصاحت به المرأة : وراءك لا أم لك فشق ثوبه ، ومضى صارخا إلى باب خالد . فأخبره الخبر ، فأحضر المرأة فقال : يا عدوة الله ، احتلت على أمير المؤمنين وأخرجت عدو أمير المؤمنين ، لأنكلن بك ولأصنعن ولأفعلن ، فاجتمعت بنو أسد عليه ، وقالوا له : ما سبيلك على امرأة منا خدعت ، فخافهم فخلى سبيلها ، وسقط غراب على الحائط ونعب فقال الكميت لأبى الوضاح : إنى لمأخوذ و إن حائطك لساقط ، فقال : سبحان الله ! هذا مالا يكون إن شاء الله تعالى ، وكان الكميت خبيرا بالزجر ، فقال له : لابد أن تحولنى ، فخرج به إلى بنى علقمة وكانوا يتشيعون ، فأقام فيهم ، ولم يصبح حتى سقط الحائط الذى سقط عليه الغراب ، قال المستهل : وأقام الكميت مدة متواريا ، حتى إذا أيقن أن الطلب خفَّ عنه خرج ليلا فى جماعة من بنى أسد على خوف و وَجَلٍ ، وفيمن معه صاعد غلامه ، وأخذ الطريق على القطقطانة ، وكان عالما بالنجوم مهتديا بها ، فلما صار سحيراً صاح بنا هَوِّمُوا يا فتيان ، فهومنا ، وقام فصلى . قال المستهل : فرأينا شخصاً فتضعضعت له ، فقال : مالك ؟ قلت : أرى شخصاً مقبلاً ، فنظر إليه فقال : هذا ذئب قد جاء يستطعمكم ، فجاء الذئب فربض ناحية فأطعمناه يد جزور فتعرَّقها ، ثم أهوينا له بإناء فيه ماء فشرب منه ، فارتحلنا وجعل الذئب يعوى ، فقال الكميت : ماله ويله ألم نطعمه ونسقه ؟ وما أعرفنى بما يريد هو يدلنا أنا لسنا على الطريق ، تيامنوا يا فتيان ، فتيامنا فسكن عواؤه ، فلم نزل نسير حتى جئنا الشام ، فتوارى فى بنى أسد و بنى تميم ، وأرسل إلى أشراف قريش ـ وكان سيدهم يومئذ عنبسة بن سعيد بن العاص ـ فقال : يا أبا خالد ،

هذه مكرمة أتاك بها الله تعالى ، هذا الكميت بن زيد لسان مضر ، وكان أمير المؤمنين قد كتب فى قتله فجاء حتى تخلص إليك وإلينا . قال : مروه أن يعوذ بقبر معاوية بن هشام بدير حنيناء . فمضى الكميت فضرب فسطاطه عند قبره ، ومضى عنبسة فأتى مسلمة بن هشام ، فقال له : يا أبا شاكر ، مكرمة أتيتك بها تبلغ الثريا إن اعتقدتها ، فان علمت أنك تفى بها وإلا كتمتها عنك ، قال : وما هى؟ فأخبره الخبر ، وقال : إنه قد مدحكم عامة وإياك خاصة بما لم يسمع بمثله ، فقال : على خلاصه ، فدخل على أبيه هشام وهو عند أمه فى غير وقت دخول ، فقال له هشام : أجئت لحاجة ؟ قال : نعم ، قال : هى مقضية إلا أن تكون الكميت ، قال : ما أحب أن تستثنى على فى حاجتى ، وما أنا والكميت ، فقالت أمه : والله لتقضين حاجته كائنة ما كانت ، قال : قد قضيتها ولو أحاطت بما بين قطريها ، قال : هى الكميت يا أمير المؤمنين وهو آمن بأمان الله عز وجل وأمان أمير المؤمنين وأمانى ، وهو شاعر مضر ، وقد قال فينا قولا لم يقل مثله ، قال : قد أمنته وأجزت أمانك له ، فاجلس له مجلسا ينشدك فيه ما قال فينا ، فقعد مجلسا وعنده الأبرش الكلبى ، فتكلم بخطبة ارتجلها ما سمع بمثلها قط ، وامتدحه بقصيدته الرائية ، ويقال : إنه قالها ارتجالا ، وهى قوله [من مجزوء الكامل] :

* قِفْ بالديارِ وُقوفَ زائِرْ *

فمضى فيها حتى انتهى إلى قوله :

ماذا عَليكَ منَ الوُقو ... فِ بِها وأنكَ غيرُ صاغِرْ
دَرجَتْ عَليكَ الغادِيا ... تُ الرائحاتُ منَ الأعاصِرْ

وفيها يقول :

فالآنَ صِرْتَ إلى أُمَيَّةَ والأمورُ إلى المَصائرْ

فجعل هشام يغمز مسلمة بقضيب فى يده ، فيقول له : اسمع ، ثم استأذنه

فى مرثية ابنه معاوية ، فأذن له ، فأنشده قوله [من الطويل] :

سأبكيكَ للدنيا وللدِّين، إننى رأيتُ يدَ المعْروفِ بعدكَ شلَّتِ
أدامَتْ عليكم بالسَّلامِ تحيةً ملائكةُ اللهِ الكرام وصلَّتِ

فبكى هشام بكاء شديداً ، فوثب الحاجب فسكته ، ثم جاء الكميت إلى منزله آمناً ، فحشدت له المضرية بالهدايا، وأمر له مَسْلمة بعشرين ألف درهم، وأمر له هشام بأربعين ألف درهم ، وكتب إلى خالد بأمانه وأمان أهل بيته وأنه لا سلطان له عليهم ، قال : وجمعت له بنو أمية فيما بينها مالا كثيراً .

وفى رواية أنه لما أجاره مسلمة بن هشام وبلغ هشاماً دعا به وقال له : أتجير على أمير المؤمنين بغير أمره ؟ فقال : كلا، ولكنى انتظرت سكون غضبه، قال: أحضِرْنيه الساعةَ فانه لاجوار لك ، فقال مسلمة للكميت: يا أبا المستهل إن أمير المؤمنين أمرنى باحضارك ، قال : أتسلمنى ياأبا شاكر ؟ قال: كلا ، ولكنى أحتال لك ، ثم قال له : إن معاوية بن هشام قد مات قريباً ، وقد جزع عليه جزعا شديداً فاذا كان من الليل فاضرب رِوَاقكَ على قبره وأنا أبعث إليك بنيه يكونون معك فى الرواق ، فاذا دعا بك تقدمت عليهم أن يربطوا ثيابهم بثيابك ويقولون : هذا مستجير بقبر أبينا ، ونحن أحق باجارته ، قال : فأصبح هشام على عادته متطلعاً من قصره إلى القبر فقال : ما هذا ؟ فقالوا : لعله مستجير بالقبر ، فقال : يجار من كان إلا الكميت فانه لا جوار له ، فقيل : فانه الكميت ، فقال : يحضر أعنف إحضار ، فلما دعا به رَبَطَ الصبيان ثيابهم بثيابه ، فلما نظر هشام إليهم اغرورقت عيناه واستعبروا هم يقولون : يا أمير المؤمنين ، استجار بقبر أبينا وقد مات ومات حظه من الدنيا فاجعله هبة لنا ولا تفضحنا فى من استجار به ، فبكى هشام حتى انتحب ، ثم أقبل على الكميت فقال له : يا كميت ، أنت القائل :

وإلا فقولوا غيرها تتعرفوا نواصيَها تردى بناوهى شُزَّب

فقال : لا والله ، ولا أثان من أتن الحجاز وحشية ، ثم خطب فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أما بعد فانى كنت أتدهدى فى غمرة جهالة ، وأعوم فى بحر غواية ، أخنى على خطلها ، واستنفرنى وهلها ، فتحيرت فى الضلالة ، وتسكعت فى الجهاله ، مهرعا عن الحق ، جائراً عن القصد ، أقول الباطل ضلالا ، وأفوه بالبهتان وبالا ، وهذا مقام العائذ المبصر الهدى ورافض العمى ، فاغسل يا أمير المؤمنين الحوبة بالتوبة ، واصفح عن الزلة ، واعف عن الجرم ، ثم قال [من مجزوء الكامل] :

كم قال قائلكم لعاً   لك عندَ عثرَتِهِ لعاثِرْ
وغفرْتُمْ لذوى الذنو   بِ منَ الأكابرِ والأصاغرْ
أبنى أُميَّةَ إنكم   أهْلُ الوسائلِ والأوامرْ
ثقتى لكلِّ مُلِمةٍ   وعشيرَتى دونَ العشائرْ
أنتم معَادِنُ للخلا   فَةِ كابراً من بَعْدِ كابرْ
بالتسعةِ المتتابعِينَ   خلائفاً وبخيرِ عاشرْ
وإلى القيامة لا تزا   لُ لشافعٍ منكم وواترْ

وقطع الانشاد ، وعاد إلى خطبته فقال : إغضاء أمير المؤمنين وصباحته ، وسماحته ومناط المنتجعين [بحبله] ، من لا يحل حبوته لاساءة المذنبين ، فضلا عن استشاطة غضبه لجهل الجاهلين ، فقال له : ويلك يا كميت مَنْ زينَ لك الغواية ودلاك فى العماية ؟ قال : الذى أخرج أبانا من الجنة وأنساه العهد فلم يجد له عزما ، فقال له : إيه يا كميت ألست القائل [من الطويل] :

فياموقداً ناراً لغيرك ضوءها   ويا حاطبا فى غير حبلك تحطب

فقال : بل أنا القائل [من المتقارب] :

إلى آل بَيْتِ أبى مالكٍ   مناخٌ هُوَ الأرْحَبُ الأسْهَلُ

نمتْ بأرحامنا الداخلا ت من حيثُ لا ينكرُ المدخلُ
بَرَّةُ والنضرِ والمالكيـن رهطٌ هم الأنبلُ الأنبلُ(١)
وجدنا قُرَيشاً قريشَ البِطاح على ما بنى الأوّلُ الأوّلُ
بهم صلَحَ الناسُ بعدَ الفسادِ وحيصَ من الفتْقِ ما رعبلوا(٢)

قال له : وأنت القائل [من الخفيف] :

لا كَعبدِ المليك أو كَوَليدٍ أو سليمان بعده أو هشامِ(٣)
من يمت لا يمت فقيداً ومن يحيا فلا ذو إلٍّ ولا ذو ذمام(٤)

ويلك يا كميت ! جعلتنا ممن لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة، فقال: بل أنا القائل يا أمير المؤمنين [من مجزوء الكامل] :

فالآنَ صِرْتُ إلى أميّـــةَ والأمورُ إلى المصايرْ(٥)
والآنَ صرتُ بها المصيـــبَ كمهتدٍ بالأمس حائرْ
يا ابن العقائل للعقا ئل والجحاجحةِ الأخايرْ

---

(١) فى الأغانى (١٥ – ١١٨) « برة والنضر والمالكين » وفيه، بعد هذا البيت بيت زائد عما هنا ، وهو قوله :

وبارى خزيمة بدر السما ء والشمس مفتاح ما نأمل

(٢) فى الأصل « وغيض من الفتق » مصحفا عما أثبتناه عن الأغانى ، وتقول: حاص فلان الفتق ، تريد خاطه ، وهو بمعنى أصلح الفاسد ، و « رعبلوا » من قولهم : رعبل اللحم ، إذا قطعه ، ورعبل الثوب رعبلة ، إذا مزقه تمزيقا .

(٣) فى الأغانى « أو سليمان بعد أو كهشام »

(٤) الال — بكسر الهمزة وتشديد اللام — العهد .

(٥) وقع فى الأصول « المصائر » بالهمز وهو خطأ عربية ، لأن ياء « المصير » الذى هو مفرد أصلية ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى .

من عَبْدِ شمسٍ والأكا برِ من أُميَّةَ فالأكابرْ
إن الخلافةَ والالا فَ برغمِ ذى حَسَدٍ وواغرْ
دَلفَا من الشرَفِ التلي ـدِ إليكَ بالرِّفْدِ الموافرْ
فَحلَلتَ مُعتلج البطا حِ وحل غيرُكَ بالظواهرْ

قال : إيه ، فأنت القائل [من الوافر] :

فَقُل لبنى أُمية حَيْثُ كانوا وإن خِفْتَ المهند والقطيعا
أجاعَ الله من أشْبَعْتُمُوهُ وأشبعَ من بجورِكم أُجيعا
بمرضىٍّ السياسة هاشمى يكون حياً لأمته ربيعا

فقال : لاتثريب ياأمير المؤمنين ، إن رأيت أن تمحو عنى قولى الكاذب ، قال : بماذا ؟ قال : بقولى الصادق [من الخفيف] :

أورثتهُ الحَصَانُ أم هِشام حَسَباً ثاقِباً وَوَجْهاً نضيراً
وتعاطى بهِ ابنُ عائِشةَ البد رَ فأمسَى له رَقيباً نظيرًا
وكساهُ أبو الخلائِفِ مروا نُ سَنَاء المكارم المأثورا(١)
لم تَجهم له البطاحُ ولكنْ وَجدَتها لهُ معانا ودُورا

وكان هشام متكئاً ، فاستوى جالساً وقال : هكذا الشعر فليكن ، يقولها لسالم ابن عبد الله بن عمر رضى الله عنهم ، وكان إلى جانبه ، ثم قال : رضيت عنك ياكميت ، فقبَّل يده وقال: ياأمير المؤمنين إن رأيت أن تزيد فى تشريفى فلاتجعل لخالد علىَّ إمارة ، قال : قد فعلت ، وكتب بذلك ، وأمر له بأربعين ألف درهم

---

(١) فى الأصول « أبو الخلائق مروان » محرفا عما أثبتناه ، والخلائف : جمع خليفة ، وفى الأغانى مثل ما أثبتناه

وثلاثين ثوبا شامية ، وكتب إلى خالد أن يُخلى سبيل امرأته ويعطيها عشرين ألف درهم وثلاثين ثوبا ، ففعل

وللكميت مع خالد هذا أخبار عند قدومه الكوفة بالعهد الذى كتب له : منها أنه مر يوماً وقد تحدث الناس بعزله عن العراق ، فلما جاز تمثل الكميت وقال [من الطويل] :

أرَاها و إن كانَتْ تُحَبُّ كأنها سَحَابةُ صيفٍ عَنْ قليلٍ تقشَّعُ

فسمعه خالد ، فرجع وقال : أما والله لاتنقشع حتى يغشاك منها شؤبوب برد ، ثم أمر به فجرد وضرب مائة سوط ، ثم خلى عنه ومضى ، رواه ابن حبيب

وحدث السلامى قال : كان هشام بن عبدالملك مشغوفا بجارية له يقال لها صدوف مدنية اشتريت له بمال جزيل ، فعتب عليها ذات يوم فى شىء وهجرها وحلف أنلا يبدأها بكلام ، فدخل عليه الكميت وهو مغموم بذلك ، فقال : مالى أراك مغموما يا أمير المؤمنين ؟ لا أغمك الله ! فأخبره هشام بالقصة ، فأطرق الكميت ساعة ثم أنشأ يقول [من الكامل] :

أعَتبتَ أم عَتَبتْ عليكَ صدُوفُ وعِتابُ مِثلكَ مِثلَهَا تَشريفُ
لاتقعُدَنَّ تلومُ نفسك دائباً فِيها وأنتَ بِحُبِّها مَشغُوفُ
إنَّ الصَّرِيمة لايقومُ بِثلها إلا القويُّ بِهَا وأنت ضعيفُ[1]

فقال هشام : صدقت والله ، وقام من مجلسه فدخل إليها ونهضت إليه فاعتنقته وانصرف الكميت ، فبعث إليه هشام بألف دينار ، وبعثت إليه بمثلها

وحدث حبيش بن الكميت قال : وَفَدَ الكميتُ على يزيد بن عبد الملك ،

---

(١) فى الأغانى (١٥ - ١٢٢) « لا يقوم بثقلها » وهو أحسن مما هنا

فدخل عليه يوما وقد اشتريت له سَلّامة القسّ(١) فأدخلت إليه والكميت حاضر فقال له . يا أبا المستهل ، هذه جارية تباع ، أفترى أن نبتاعها ؟ فقال : إى والله يا أمير المؤمنين ، وما أرى أن لها مثيلا فى الدنيا فلا تفوتنك ، قال : فصفها لى فى شعر حتى أقبل رأيك ، فقال الكميت [من الخفيف] :

هى شمسُ النهار فى الحُسْن إلا أنها فضُلت بفَتْكِ الطِّرافِ(٢)
غَضّة بَضّة رَخيمٌ لَعُوبٌ وعثة المَتْن شختَةُ الأطرافِ(٣)
زانَها دلُّها وثغرٌ نقيٌّ وحَدِيثٌ مُرَتّل غيرُ جافِ
خُلقتْ فوْقَ مُنيةِ المتمنّى فاقبل النصحَ يا ابن عبدِ مناف

قال : فضحك يزيد ، وقال : قد قبلنا نصحك يا أبا المستهل ، فأمر له بجائزة سنية .

وحدث ابن قتيبة قال : مر الفرزدق بالكميت وهو ينشد ، والكميت يومئذ صبى ، فقال له الفرزدق : يا غلام ، أيسرك أنى أبوك ؟ فقال : لا ، ولكن يسرنى أن تكون أمى ، فخجل الفرزدق وأقبل على جلسائه فقال : مامر بى مثلها قط

وقال محمد بن مسلمة : كان مبلغ شعر الكميت حين مات خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتاً ، وكانت ولادته أيام مقتل الحسين بن على رضى الله تعالى عنه وذلك سنة ستين ، ووفاته سنة ست وعشرين ومائة فى خلافة مروان بن محمد

وكان سبب موته ماحكاه حجر بن عبد الجبار قال : خرجت الجعفرية على

---

(١) فى الأصل « سلامة النفس » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى (١٥ - ١٢٢)

(٢) فى الأغانى « فضلت بقتل الظراف »

(٣) فى الأصل « ثخنة الأطراف » محرفا عما اثبتناه موافقا لما فى الأغانى (١٥ - ١٢٢)

خالد القسرى وهو يخطب على المنبر ولا يعلم بهم ، فخرجوا فى التبابين ينادون: لبيك جعفر ، لبيك جعفر ، وعرَفَ خالد خبرهم وهو يخطب فدهش بهم فلم يعلم مايقول فزعاً، فقال: أطعمونى ماء، ثم خرج الناس إليهم ، فأخذوا ، فجعل يجىء بهم إلى المسجد ويؤخذ طن قصب فيطلى بالنفط ويقال للرجل منهم : احتضنه ويضرب حتى يفعل ، ثم يحرق ، فحرقهم جميعاً، فلما عزل خالد عن العراق ووليه يوسف بن عمر دخل عليه الكميت وقد مدحه بعد قتله زيد بن على رضى الله عنهما فأنشده قوله فيه [من الطويل] :

خَرَجْتَ لهم تمشى البَرَاحَ ولم تكن ... كمَنْ حصنُهُ فيه الرِّتاج المُضبَّبُ
وما خالدٌ يستَطْعِمُ الماء فاغراً ... بعدلِكَ والداعى إلى المَوْتِ ينعب

قال : والجند قيام على رأس يوسف بن عمر ، وهم يمانية [1] فتعصبوا لخالد، فوضعوا ذُبَاب سيوفهم [2] فى بطن الكميت فوجؤوه بها وقالوا : أتنشد الأمير ولم تستأمره ، فلم يزل ينزف الدم حتى مات

وحدث المستهل بن الكميت قال : حضرت أبى عند الموت وهو يجود بنفسه وأغمى عليه ، ثم أفاق ففتح عينيه ثم قال : اللهم آل محمد ، اللهم آل محمد ، ثلاثا، ثم قال : يابنى، وددت أنى لم أكن هجوت نساء كلب بهذا البيت وهو [من الوافر] :

مع العُضْروطِ والعُسفاء ألقوْا ... برادعَهُنَّ غيرَ مُحَصنينا

فعممتهن قذفا بالفجور ، والله ما خرجت ليلا قط إلا خشيت أن أرمى بنجوم السماء لذلك ، ثم قال: يابنى ، إنه بلغنى فى الروايات أنه يحفر بظهر الكوفة خندق ويخرج فيه الموتى من قبورهم وينبشون منها فيحولون إلى قبور غير قبورهم، فلا تدفنى فى الظهر ولكن إذا مت فامض بى إلى موضع يقال له مكران فادفنى فيه ، فدفن فى

---

(١) فى الأصول « وهم ثمانية » محرفا عما أثبتناه ، والذى أثبتناه موافق لما فى الأغانى (١٥ - ١٢١)

(٢) فى الأصول « نعال سيوفهم » وأثبتنا ما فى الأغانى

ذلك الموضع ، وكان أول من دفن فيه ، وهو مقبرة بنى أسد إلى الساعة ، والله تعالى أعلم

***

شاهد تأكيد المدح بما يشبه الذم

١٤٩ـ ولا عَيْبَ فيهم غيْرَ أنّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنّ فُلولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ

البيت للنابغة الذبيانى، من [1] قصيدة من الطويل ، يمدح بها عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر حين هرب من النعمان بن المنذر اللخمى من الحيرة، وأولها :

كِلِينى لِهَمّ يا أُميمةُ ناصِبِ ... ولَيْلٍ أُقاسيهِ بَطىءِ الكَوَاكِبِ
تطَاوَلَ حتى قُلتُ لَيْسَ بمنقَضٍ ... ولَيْسَ الذى يَرْعى النُّجُومَ بآيب
وصَدْرٍ أَناخَ اللّيلُ غاربَ هَمّهِ ... تَضَاعفَ فيهِ الهَمُّ من كل جانبِ [2]
عَلَىَّ لِعَمْرٍ ونِعمةٌ بَعدَ نِعمةٍ ... لِوَالِدِه ليْستْ بِذاتِ عقاربِ [3]
حلَفتُ يميناً غيرَ ذى مَثْنَوِيةٍ ... ولا عِلمَ إلا حُسْنُ ظَنّ بصاحبِ
لئن كانَ لِلقبرين قبر بجلقٍ ... وقبر بِصَيْداءَ الذى عِندَ حاربِ
وللحارثِ الجفنى سَيّدِ قَوْمهِ ... لَيَلْتَمسن بالجَيْشِ دارَ المحارب [4]

ومنها :

---

(١) اقرأها فى الديوان (٤٢) وفى شعر النصرانية (٤٤٠)
(٢) فى الديوان وشعراء النصرانية

وصدر أراح الليل عازب همه

وهو المحفوظ .
(٣) فى الأصل « كوالده » محرفا عما أثبتناه عن مراجع عديدة
(٤) فى الأصل « وللحارث الجفنى تشييد قومه » وهو تحريف شنيع

فَهُمْ يتساقَوْنَ المنيّة بينَهُم بأيديهم بيض رِقاقُ المَضارب
يَطيرُ فُضاضا بينَها كلُّ قَوْنس ويتبعُهامنهمْ فَرَاشُ الحواجب

وبعده البيت ، وبعده :

تُورِّثْنَ من أزمان يوم حليمةٍ إلى اليومقدْجرِبن كلَّ التجاربِ

إلى أن قال فيها :

لهمْ شيمةٌ لم يعطها الله غيرَهُمْ منَ الجود والأحلامُ غيرُعوازبِ (١)
مَحَلَّتُهُمْ ذاتُ الإله وَدِينهمْ قويمٌ فما يرجونَ غيرَ العواقبِ (٢)
رِقاقُ النعال طيبٌ حجزَاتهمْ يحيونَ بالريحان يومَ السباسبِ

والفلول : جمع فل ، وهو الثلم ، وقراع الكتائب : مضاربة الجيوش .

والشاهد فيه : تأكيد المدح بما يشبه الذم ، كأنه قال : ولا عيب فى هؤلاء القوم أصلا إلا هذا العيب ، وهو فلول أسيافهم من المقارعة والمضاربة ، وهذا ليس بعيب ، بل هو نهاية المدح ، فهو تأكيد المدح بما يشبه الذم ، لأن قوله : « غيرَ أنّ سيوفهم » يوهم أن ما يأتى بعده ذمّ ، فاذا كان مدحاً فقد تأكد المدح .

ويروى أن عُرْوَةَ بن الزبير رَضى الله عنه سأل عبد الملك بن مروان أن يردّ عليه سيف أخيه عبد الله بن الزبير ، رضى الله عنهما ! فأخرجه إليه فى سيوف مُنتَضَاة ، فأخذهُ عُرْوَة رضى الله عنه من بينها . فقال له عبد الملك : بم عرفته؟ فقال : بقول النابغة ، وأنشده البيت .

ومن مليح هذا النوع قول أبى هفان [من الطويل] :

(١) فى الأصل « لهم سمة » محرفا عما أثبتناه عن عدة مراجع منها الديوان وشعراء النصرانية

(٢) فى الأصل « فما يرضون غير العواقب » محرفا

مثل من تأكيد المدح بما يشبه الذم

ولا عيبَ فينا غيرَ أنّ سماحنا ... أضرَّ بنا والبأسُ من كل جانبِ

فأفنى الرّدى أرواحنا غيرَ ظالمٍ ... وأفنى الندى أموالنا غيرَ عائبِ

وقول الآخر [من الطويل] :

ولا عيبَ فيه غيرَ ما خوف قومهِ ... على نفسهِ أن لا يطول بقاؤها

وقول الشاعر [من الطويل] :

ولا عيبَ فيكم غيرَ أنّ ضيوفكمْ ... تعابُ بنسيانِ الأحبة والوطنْ

ومثله قول ابن نباتة المصرى [من الطويل] :

ولا عيبَ فيهِ غيرَ أنى قصدتهُ ... فأنستنىَ الأيامُ أهلا وموطنَا

وقول الصفى الحلى [من البسيط] :

لا عيبَ فيهمْ سوى أنّ النزيل بهمْ

يسلو عنِ الأهلِ والأوطانِ والحشَمِ

ولمؤلفهِ رحمهُ الله تعالى، فيمنْ ألفَ الكتابَ باسمهِ الكريم، [من الكامل]:

لا عيبَ فيهِ سوى مكارمهِ التى ... نسبَتْ لحاتم بخلَ كلّ بخيلِ

وقوله أيضا فى غيره [من الكامل] :

لا عيْبَ فيه غيرَ أنّ يمينهُ ... تدعُ العديمَ مهنئاً بيسارهِ

وما أحسن قول بعضهم أيضا [من الطويل] :

ولا عيبَ فى معروفهم غيرَ أنهُ ... يُبيّنُ عجز الشاكرين عن الشكرِ

وقول ابن الرومى أيضا [من السريع] :

ليس به عيبٌ سوى أنهُ ... لا تقعُ العينُ على شبههِ

وما أحسن قول ابن الحجاج [من الطويل] :

أتوني فعابوا مَنْ أحبُّ جهالةً ... وذاكَ على سمع المحبّ خفيفُ
فما فيه عيبٌ غيرَ أنَّ جفونه ... مِراضٌ وأن الخصرَ منه ضعيفُ

وقول أبي جعفر القرشي [من الطويل] :

فتىً لم تسافرْ عنه آمالُ آملٍ ... وليسَ لها إلا إليه إيابُ
ولا عيبَ فيه لامرىء غير أنه ... تعابُ له الدنيا وليسَ يعابُ

وما أبدعَ قولَ ابن نباتة ، يمدح الملك الأفضل ، صاحبَ حماة ، من قصيدة [من الكامل] :

لا عيبَ فيه سوى عزائم قصَّرَتْ ... عنها الكواكبُ وهيَ بعدُ تحلّقُ

وقوله [من الخفيف] :

ليسَ فيه عيبٌ سوَى أنّ إحسا ... نَ يديه يستعبدُ الأحرارَا

وقوله [من البسيط] :

لا عيبَ فيه أدامَ الله دولته ... إلا عزائم مجدٍ عندهنّ شرَهْ

وقوله [من الطويل] :

وَلا عيبَ فيها غير سحر جفونها ... وأحببْ بها سحَّارةً حين تسحرُ

وقوله [من الكامل] :

وتتابع المنن التي ما عيبها ... إلا رُجوعُ الوصف عنها قاصرًا

و بديع قول الآخر أيضا [من الخفيف] :

عيبُ تلكَ الخلال أن لم يعوّذْ ... نَ بعيبٍ يكونُ فيهنّ خالاَ

وَظريفٌ قول بعضهم [من الطويل] :

ولا عيبَ في هذا الرشا غيرَ أنّهُ ... لهُ معطفٌ لدنٌ وخدٌّ مُنعَّمُ

وما أحسن قول بعضهم ، وهو من باب تأكيد الذم بما يشبه المدح ، عكس هذا الباب [من البسيط] :

بيضُ المطابخ لاتشكو ولائدهم   طَبخَ القدُور ولا غَسلَ المناديلِ
لا تأكُلُ النار فى مغنى بيُوتهمُ   إلا فتائلَ سُرج أو قناديل

وتقدم ذكر النابغة فى شواهد الايجاز والاطناب (١)

* * *

تأكيد المدح بالاستدراك

١٥٠ — هوَ البدْرُ إلا أنهُ البحرُ زاخراً   سِوى أنهالضرغام لكنهُ الوَبْلُ

البيت لبديع الزمان الهمذانى ، من قصيدة من الطويل يمدح بها خلف بن أحمد السجستانى أولها :

سماء الدُّجى ماهذه الحدقُ النُّجل   أصدْرالدُّجى حال وجيدُ الضحى عطلُ

وفيها يذكر أباه بهمذان واستقباله الحجيج للسؤال عن خبره ، والبحث عن وطنه ووطره ، حيث قال :

يُذكّرنى قرْب العراق وديعة   لدىَ الله لا يُسليه مالٌ ولا أهلُ
إذا وَرَد الحجاجُ وافىَ رفاقَهمْ   بفوَّارتى دمع هُما النجل والسَّجْلُ
يُسائلُهمْ أينَ ابنهُ أينَ دارُهُ   إليهِ انتهى لِم لَمْ يعُدْ هل له شُغل
أضاقَتْ له حالٌ أطالت له يدٌ   أأخرَهُ نقصٌ أقدَمهُ فضلُ
يقولون وافى حضرَةَ الملك الذى   له الكنَفُ المأمولُ والنائل الجزل
وفاضت عليهِ ديمةٌ خلفيَّة   بها للغوادى عن ولايتها عزْلُ
يذكّرُهُمْ بالله إلا صدَقتُمو   لدىَّ أجِدٌّ ما تقولون أم هزْلُ
سَلوْنا للقياكَ الملوكَ وإنما   بمثلك عن أمثالهم مثلنا يَسلو (٢)

---

(١) انظر ترجمته فى شرح الشاهد (رقم ٦٦ فى ج ١ ص ٣٥٨ من هذا الكتاب)
(٢) فى الأصل « صبونا للقياك الملوك »

ولما بَلَوْنَاكم تَلَوْنَا مديحكم ... فياطيبَ ما نبلو و يا صِدْقَ ما نتلو
فِدًى لك من أبناءِ دهرك مَنْ غدا ... فلا قَوْلُه علمٌ ولا فعلُه عدلُ
أيا ملكا أدنى مناقبه العلا ... وأيْسَرُ ما فيه السَّمَاحَةُ والبذل

و بعده البيت ، و بعده :

محاسنُ يُبْدِيها العيانُ كما تَرَى ... و إن نحن حدثنا بها دفع العقل

وهي طويلة ، وقد مضى طرف منها فى مراعاة النظير .

والضرغام : الأسد ، والوبل : المطر الشديد الضخم القطر ، ومثله الوابل .

والشاهد فيه : أن الاستدراك الدال عليه لفظ لكن فى باب تأكيد المدح بما يشبه الذم كالاستثناء فى إفادة المراد ، فالأولان استثناآن ، وقوله « لكنه » استدراك يفيد ما يفيده هذا الضرب من الاستثناء لأنه استثناء منقطع، و« إلا» فيه بمعنى لكن، ومثله قول ابن قلاقس[من الطويل]:

هو الثغر إلا أنه الفجر طالعاً ... على أنه الكافورُ لكنه البَدْرُ

وقول بعضهم أيضا[من البسيط] :

يسعى به البرقُ إلا أنه فَرَسٌ ... من فَوْقِهِ الموْتُ إلا أنه رجلُ

وقول السرى الرفاء أيضاً[من البسيط] :

أما ترى الثَّلْجَ قدخاطتْ أناملُهُ ... ثوباً يُزَرُّ على الدنيا بأزرارِ
نارٌ ولكنها ليست بمُبْدِيَةٍ ... نوراً وماء ولكن ليسَ بالجارى

وقول التنوخى[من الكامل] :

غصنٌ تأوَّدَ فوقَ دِعْصٍ من نقاً ... ليل تَبَلَّجَ عن صَبَاحٍ مُسْفِرِ
كالشمس إلا أنه متنفس ... عن مسكة متبسمٌ عن جَوْهَرِ

وقوله أيضا[من الطويل]:

وجوهٌ كأكباد المحبين رقةً ولكنها يوم الهياج صُخُورُ

وقوله وأجاد [من المتقارب] :

وراح من الشمس مخلوقةٌ بَدَتْ لك فى قدحٍ من نُضَارِ

هَوَاءٌ ولكنهُ ساكنٌ وماءٌ ولكنه غيرُ جارى

وما أحسن ما قال بعدهما ، وهو من بديع التشبيه

كأن المديرَ لها باليمين إذا قام للسعى أو باليسارِ

تدَرَّع ثوباً من الياسمين له فردُ كم من الجلّنار

وهذا المعنى من قول بعضهم [من الطويل] :

و بكرٍ شربناها على الورد بكْرةً فكانت لنا وردًا إلى ضَحْوَة الغد

إذا قامَ مُبْيَضُّ الثياب يديرُها توَهَّمْتُهُ يسعَى بكم موَرَّدِ

ولأبى القاسم الطبرى [من الطويل]

قَضيبٌ ولكن مَبسمُ النور ثغرُها • وبدرٌ ولكنَّ المحاقَ بخَصْرها

ولابن جابر الأندلسى أيضا [من الطويل] :

ولم ترَ عينى مثل جنَّةِ خدِّها ولكن حماها اللحظ بالصارم العَضْبْ

موَردةُ الخدين مَعْسُولة اللَّمَى سوَى أنها تفترُّ عن لؤلؤٍ رَطْب

وما أحسن قول بعضهم فى شكوى الزمان [من الطويل] :

ولى فرَسٌ من نَسْل أعْوَجَ سابقٌ ولكن على قَدْرِ الشعير يحمحمُ

وأقسم ما قَصَّرت فيما يزيدنى علوا ولكن عند من أتقدم

و بديع الزمان(١) هو أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذانى ، قال فى ترجمة بديع الزمان الهمذانى

(١) للبديع ترجمة فى يتيمة الدهر للثعالبى (٤ - ٢٤٠ مصر)

حقه صاحب اليتيمة : هو بديع الزمان ، ومعجزة همذان ، ونادرة الفلك ، وبكر عطارد ، وفرد الدهر ، وغرة العصر ، ومَنْ لم يلف نظيره (١) فى ذكاء القريحة ، وسرعة الخاطر ، وشرف الطبع ، وصفاء الذهن ، وقوة النفس ، ولم يدرك قرينه فى طُرَف النثر وملحه ، وغرر النظم ونكته ، ولم يرو أن أحدا بلغ مبلغه من لب الأدب وسره ، وجاء بمثل إعجازه وسحره ، فانه كان صاحب عجائب ، وبدائع وغرائب : فمنها أنه كان ينشد القصيدة التى لم يسمعها قط وهى أكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها وَيؤديها من أولها إلى آخرها لايخرم منها حرفاً ، وينظر فى الأربع أو الخمس الأوراق من كتاب لا يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يهذها عن ظهر قلبه، ويسردها سرداً ، وهذه حاله فى الكتب الواردة وغيرها . وكان يقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة فى معنى بديع و باب غريب فيفرغ منها فى الوقت والساعة ، والجواب عنها فيها . وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدىء بآخر سطوره ، ثم هلم جراً إلى الأول ، ويخرجه كأحسن شىء وأملحه ، ويوشح القصيدة من قوله (٣) بالرسالة الشريفة من إنشائه فيقرأ من النظم النثر ويروى من النثر النظم ويعطى القوافى الكثيرة فيصل بها الأبيات الشريفة (٤) ، ويقترح عليه كل عويص وعسير من النثر والنظم فيرتجله فى أسرع من الطرف، على ريق لا يبلعه ونَفَس لا يقطعه ، وكلامه كله عفو الساعة ، وفيض القريحة، ومسارقة

---

(١) فى اليتيمة « ومن لم يلق » من اللقاء ، وهى أحسن لموافقتها قوله بعد « ولم يدرك قرينه »

(٢) فى اليتيمة « فى ظرف النثر » وما هنا أحسن لتوافقه مع « ملح » و « غرر » و « نكت »

(٣) فى الأصل «من قبله» وقد أثبتنا مافى اليتيمة

(٤) فى اليتيمة « الرشيقة »

القلم ، ومسابقة اليد ، وجمرات الحدة ، وثمرات المده ، ومجاراة الخاطر للناظر ، ومباراة الطبع للسمع ، وكان يترجم ما يقترح عليه من الأبيات الفارسية المشتملة على المعانى الغريبة بالأبيات العربية فيجمع فيها بين الابداع والاسراع ، إلى عجائب كثيرة لا تحصى ، ولطائف يطول أن تستقصى ، وكان مع هذا كله مقبول الصورة ، خفيف الروح ، حسن العشرة ، ناصع الظرف ، عظيم الخلق ، شريف النفس ، كريم العهد ، خالص المودة ، حلو الصداقة ، مر العداوة

فارق همذان سنة ثلاثين وثلاثمائة وهو مقتبل الشبيبة ، غض الحداثة ، وقد درس على أبى الحسين بن فارس وأخذ عنه جميع ما عنده ، واستنفد علمه ، واستنزف بحره [١] ، وورد حضرة الصاحب فتزود من ثمارها ، وحسن آثارها ، ثم قدم جرجان وأقام بها مدة على مداخلة الاسماعيلية ، والتعيش فى أكنافهم ، والاقتباس من أنوارهم .

ثم إنه قصد نيسابور فنشر بها بزه ، وأظهر طرزه ، وأملى بها أربعمائة مقامة نحلها أبا الفتح الاسكندرى فى الجد وغيره ، وضمنها ماتشتهى الأنفس ، وتلذ الأعين : من لفظ أنيق قريب المأخذ بعيد المرام ، وسجع رقيق المطلع والمقطع كسجع الحمام ، وجد يروق فيملك القلوب ، وهزل يشوق فيسحر العقول

فمن ذلك قوله : المقامة السادسة [٢] عن أبى الفتح الاسكندرى قال : حدثنا عيسى ابن هشام ، قال . اشتهيت [٣] الأزاد ، وأنا ببغداد ، وليس معى عقدٌ على نقد ، فخرجت أخترق محالها حتى أحلنى الكدح بسوادىٍّ [٤] يحدو بالجهد

---

(١) فى الأصل « واستنزف سحره » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة

(٢) اقرأها فى المقامات (٦٣ بيروت)

(٣) الأزاذ : ضرب من التمر الجيد

(٤) الكدح : السعى مع جهد ، وفى المقامات « الكرخ » محلة ببغداد والسوادى : الرجل من ريف العراق ، وريف العراق يسمى السواد

حماره ، ويطرّف بالعقد إزاره ، فقلت : ظفرنا والله بصيد ، وحياك الله يا أبازيد!
من أين أقبلت ؟ وأين نزلت ؟ ومتى وافيت ؟ فهلم إلى البيت . فقال : لست
بأبى زيد ، وإنما أنا أبوعبيد . فقلت : لعن الله الشيطان، أنسانيك طول العهد .
كيف أبوك أشابٌ كعهدى، أم شابَ بعدى؟ فقال: قد نبت المرعى على دمنته[1].
فقلت : إنا لله [ونفسى فى سبيل الله[2]] ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ومددت
يد البدار[3] إلى الصدار [أحرك زيقه[2]] وأريد تمزيقه ، فقبض السوادى على
خصرى بجمعه ، وقال : نشدتك الله[4] لا مزقته ، فقلت : فهلم إلى البيت نصيب
غداء[5] ، أو إلى السوق نشترى شِواء ، والسوق أقرب ، وطعامه أطيب ، فاستفزته
حُمَة القرم[6] وعطفته عطفة النَّهم[7] وطمع ، ولم يدر أنه وقع . ثم أتينا شوّاء
يتقاطر شواؤه عرقا ، وتتسايل جوانبه مرقا . فقلت له : زن لأبى زيد من هذا
الشواء ، ثم زن له من تلك الحلواء . واختر له من تلك الأطباق ، وأنضد عليه
ورقا من[8] الرقاق ، وشيئاً من ماء السُّماق[9] ليأكله أبو زيد هنيئاً . فانحنى الشواء

---

(١) كناية عن موته
(٢) ليست هذه الجملة فى المقامات
(٣) البدار - بكسر الباء - المبادرة والاسراع . والصدار - بزنة الكتاب - القميص الصغير يلى الجسد
(٤) فى الأصل « أنشدتك الله » وما أثبتناه موافق لما فى المقامات
(٥) فى المقامات « نصب غداء » بالجزم فى جواب الأمر
(٦) استفزته : استخفته ، وحمة الشىء - بضم الحاء وفتح الميم مخففة - شدته ، وأصل الحمة إبرة العقرب التى تلدغ بها . والقرم - بفتح القاف والراء - الشهوة إلى أكل اللحم خاصة
(٧) فى المقامات « وعطفته عاطفة اللقم » فأما النهم فهو شدة الشهوة إلى الطعام ، وأما اللقم فهو الأكل السريع
(٨) فى المقامات « وانضد عليها ورق الرقاق »
(٩) السماق : حب أحمر صغير بالغ الحموضة

بساطوره، على زبدة تنوره، فجعلها كالكحل سحقا، وكالطِّحْن دقا(١). ثم جلس وجلست، وما نبس وما نبستُ، حتى استوفيناه. فقلت لصاحب الحلوى: زن لأبي زيد من هذا اللوزنيج(٢) رطلين فهو أجرى في الحلوق، وأسرى في العروق(٣) وليكن ليلي العمر يومي النشر(٤) رقيق الجلد كثيف الحشو، لؤلؤى الدهن، كوكبي اللون، يذوب كالصمغ، قبل المضغ. فوزنه وقعد وقعدت، وجرد وجردت(٥)، حتى استوفيناه، ثم قلت: يا أبا زيد، ما أحوجنا إلى ماء يشعشع بثلج ليقصع هذه الصارة، ويفثأ هذه اللقم الحارة(٦)، اجلس يا أبا زيد حتى آتيك بسقاء يجيئنا بشربة ماء، وخرجت وجلست بحيث أراه ولا يراني، أنظر ما يصنع به، فلما أبطأت عليه قام السوادىُّ إلى حماره، فاعتلق الشواء بإزاره. وقال: أين ثمن ما أكلت؟ فقال: أكلته ضيفا، فقال: هاك وهاك، متى دعوناك؟ زن يا أخا القحبة عشرين [وإلا أكلت ثلاثا وتسعين] فجعل السوادى يبكى [ويمسح دموعه بأردانه] ويحل عقَدَه بأسنانه. ويقول: كم قلت لذلك القرَيْدُ، أنا أبو عبيد وهو يقول أنت أبو زيد. وأنشأ يقول(٧) [من مجزوء الكامل]:

---

(١) الطحن - بكسر الطاء - الدقيق، ووقع في الأصل «والطين دقا» وهو تحريف ما أثبتناه من المقامات

(٢) اللوزينج: ضرب من الحلواء يصنع من خبز ويسقى بدهن اللوز ويحشى بالجوز واللوز

(٣) في المقامات «وأمضى في العروق»

(٤) ليلى العمر: يعنى أنه صنع بالليل، ويومى النشر: أى أخرج من مصنعه بالنهار

(٥) جرد: أخرج يده من بين ثيابه، ووقع في الأصل «جود» محرفا

(٦) الصارة: العطش، ويقمعها: يدفعها ويقهرها. ويفثا: يسكن ويهدىء

(٧) في المقامات مكان هذه العبارة «فأنشدت» وهى أحسن

إعمل لرزقكَ كل آله لا تقعدنّ بذل حالهْ

وانهض لكل عظيمة فالمرء يعجز لامحالهْ

ثم شجر بينه و بين أبى بكر الخوارزمى ما كان سبباً لهبوب ريح الهمذانى ، وعلو أمره ، وقرب نجحه ، و بعد صيته ، إذ لم يكن فى الحسبان والحساب أن أحداً من الأدباء والكتاب [والشعراء] (١) ينبرى لمباراته ، و يجترىء على مجاراته ، فلما تصدى الهمذانى لمساجلته ، وتعرض للتحكك به ، وجرت بينهما مكاتبات ومبادهات (٢) ومناظرات ومناضلات ، وأفضى العنان إلى العنان (٣) وقرع النبع بالنبع ، وغلب هذا قومٌ وذاك آخرون ، وجرى بينهما من الترجيح مايجرى بين الخصمين المتحاكمين والقرنين المتصاولين — طار ذكر الهمذانى فى الآفاق ، وارتفع مقداره عند الملوك والرؤساء ، وظهرت أمارات الاقبال على أموره ، وأدرّ الله تعالى له أخلاف الرزق ، وأركبه أكتاف العز ، وأجاب الخوارزمى رحمه الله تعالى داعى ربه عز وجل ، فخلا الجو للهمذانى ، وتصرفت به أحوالٌ جميلة ، وأسفار كثيرة ، ولم يبق من بلاد خُراسان وسجستان وغزنة بلدة إلا دخلها وجنى ثمرها ، واستفاد خيرها وميرها ، ولا بقى ملك ولا أمير ، ولا رئيس ولا وزير ، إلا استمطر منه بنوْء ، وسرى معه فى ضوء ، ففاز برغائب النعم ، وحصل على غرائب القسم ، وألقى عصاه بهراة ، واتخذها دار قراره ، ومجمع أسبابه ، ومازال يرتاد للوصلة بيتا يجمع الأصل والفصل ، والطهارة والفضل ، والقديم والحديث ، حتى وُفق للتوفيق كله ، وخار الله عز وجل له فى مصاهرة أبى على الحسين بن محمد الخشنامى وهو الفاضل الكريم

(١) هذه الكلمة زائدة فى اليتيمة .

(٢) فى اليتيمة « ومباهاة » وما هنا أحسن ، والمبادهة : المغالبة ليعرف أيهما أسرع بديهة

(٣) فى اليتيمة « وأفضى السنان إلى العنان » وما هنا أحسن

الأصيل الذى لايزداد اختباراً ، إلا زيد اختيارا ، فانتظمت أحوال أبى الفضل بصهره ، وتعرف القرة فى عينه والقوة فى ظهره ، واقتنى بمعونته ومشورته ضياعا فاخرة ، وأثل معيشة صالحة ومروءة ظاهرة ، وعاش عيشة راضية ، وحين بلغ أشده وأربى على أربعين سنة ناداه الله تعالى فلبّاه ، وفارق دنياه ، فى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة فى حادى عشرة جمادى الأخيرة ، وقيل : مات مسموما ، وقيل : عرض له داء السكتة فعجل دفنه و إنه أفاق فى قبره وسمع صوته بالليل ، و إنه نُبش فوُجد وقد قبض على لحيته من هول القبر وقد مات فقامت [عليه][1] نوادبُ الأدب ، وانثلم حد القلم . وفقدت عين الفضل قرتها ، وجبهة الدهر غرتها ، ورثته الأفاضل مع الفضائل ، و بكته المكارم مع الأكارم ، على أنه مامات من لم يمت ذكره ، ولقد خلد من بقى على جبهة الأيام نظمُه ونثره . والله تعالى يتولاه بعفوه وغفرانه ، ويحييه بروحه وريحانه .

وأنا أذكر من طُرف ملحه ولفظ غرره[2] ماهو غذاء القلب، ونسيم العيش، وقوت النفس، ومادة الأنس، فأقول :

فصل — من رقعة للخوارزمى وهو أول ما كاتبه به : أنا لقُرْب دار الأستاذ * كما طرب النشوان مالت به الخمر * ومن الارتياح للقائه * كما انتفض العصفور بَلّه القطر * ومن الامتزاج بولائه * كما التقت الصهباء والبارد العذب * ومن الابتهاج لمزاره * كما اهتز تحت البارح الغُصن الرطب *

فصل — ورد للخوارزمى كتاب يتقلبُ فيه على جنب الحرد[3] ويتقلى على

---

(١) هذه الكلمة زيادة عن اليتيمة

(٢) فى اليتيمة « ولفظ غرره »

(٣) الحرد : النصب ، وحرد يحرد حرودا ، مثل جلس يجلس جلوسا ، وفيه لغة كضرب وأخرى كسمع .

جمر الضجر ، ويتأوه من خُمار الخجل ، ويذكر أن الخاصة قد علمت الفَلَج[(١)] لأينا كان ، فقلت : استُ البائن أعلم ، والأخبار المتظاهرة أعدل ، والآثار الظاهرة أصدق ، وحَلبة السبّاق أشهد ، والعودُ إن نشط أحمد ، ومتى استزاد زدنا ، وإن عادت العقرب عُدْنا[(٢)] وله عندى إذا شاء كلُّ ما ساء ، ولن يعدم إذا أراد نقدا يُطير فراخه ، ونقفاً يُصم صِماخه ، وما كنت أظنه يرتقى بنفسه إلى طلب مُساماتى بعدما سقيته نقيع الحنظل ، وأطعمته الخراء بالخَرْدل ، فإن كان الشقاء قد استهواه ، والحين[(٣)] قد استغواه ، فالنفس منتظرة ، والعين ناظرة ، والنعل حاضرة ، وهو منّى على ميعاد ، وأناله بمِرصاد .

فصل — حَضْرَتُه التى هى كعبة المحتاج ، لا كعبة الحجاج ، ومشعر الكرم ، لا مشعر الحرم ، ومُنى الضيف ، لا مِنَى الخيف ، وقِبلة الصِّلات ، لا قبلة الصلاة

فصل — من كتاب[(٤)] إلى أبيه : للشيخ لذة فى العتب والسب ، وطبيعة فى العنف[(٥)] والأسف ، فإذا أعوزه من يغضب عليه ، فأنا بين يديه ، وإذا لم

---

(١) الفلج — بفتح فسكون — الظفر والفوز والغلبة

(٢) هذا من قول الشاعر :

إن عادت العقرب عدنا لهـا

بالنعل ، والنعل لها حاضره

(٣) الحين — بفتح الحـاء المهملة — الهلاك ، ووقع فى الأصل « الجبن » بالجيم والباء ، وهو محرف عما أثبتناه .

(٤) هكذا فى الأصل تبعا لما وقع فى اليتيمة ، والذى فى رسـائل البديع أن هذه الرسالة موجهة إلى الشيخ أبى عبدالله الحسين بن يحيى ، وهو المعقول ، فإن مستهل هذه الرسـالة لا يوجه إلى والد ، ولم يعرف البديع بالعقوق . وختام الرسالة على تشبيه المرسل إليه بالوالد ، وليس على حقيقته

(٥) وقع فى الأصل « وطيبة فى العنف والعسف » محرفا عما أثبتناه

يجد من يصونه ، فأنا زبونه ، والولد عبد ليس له قيمة ، والظفر به عزيمة ، والوالد مولى أحسن أم أساء ، فليفعل ماشاء .

فصل — من رقعة إلى خلف : سمعت منشداً ينشد (١) :

لَحَى اللهُ صُعلوكاً مناه وهمه ... من العيش أنْ يلقى لبوساً ومَطعماَ

فقلت : أنا معنىّ بهذا البيت ، لأنى قاعد فى البيت ، آكل طيب الطعام ، وألبس لين الثياب ، ويفاض علىّ نزل (٢) ، ولا يفوض إلى شغل ، ويملأ لى وَطَب ، ولا يدفع بى خطب ، هذا والله عيش العجائز ، والزمن العاجز ، وماء الرأس ـ أيدك الله ! ـ كثير الخيوط ، والضيف كثير التخليط ، وصبُّ هذا الماء خيرٌ من شربه ، وبعد هذا الضيف أولى من قربه ، وكأنى بالأمير يقول ، إذا قرئت عليه هذه الفصول : الهمذانى رَأى بهذه الحضرة من الإنعام ، مالم يره فى المنام ، فكفّ عن الآثام (٣) ، وَلعله أنشأ هذا الكتاب سكران ، فعدل به عادل السكر ، عن طريق الشكر ، وكأنه نسى مورده ، الذى أشبه مولده ، وإنما رفع لحنه ، حين أشبع بطنه ، واللئيم إذا جاع ابتغى ، وإذا شبع طغى ، والهمذانى لو تُرِكَ بجلدته ، يرقص تحت رعدته ، ما تربع فى قعدته ، ولا تجشأ من معدته ، ولكنه حين لبس الحلة ، وركب البغلة ، وملك الخيل والخول (٤) تمنى الدول . ورَأس اليتيم يحتمل الوهن ، ولا يحتمل الدهن . وظهر الشقى يحتمل (٥) عدلين من الفحم ، ولا يحتمل رطلين من الشحم ، ولولا الشعير مانهق الحمير ،

---

(١) البيت من الطويل ، وهو لعروة بن الورد

(٢) النزل : كل ما يقدم للضيف من لطائف الاكرام

(٣) فى اليتيمة بدل هذه الجملة « فكيف من الأنام »

(٤) الخول ـ بفتحتين ـ الخدم

(٥) فى اليتيمة « يحمل » فى الموضعين

ولو لم تتسع حاله لم يتسع مجاله . وكذا الكلب يزمن حين يسمن (١) ، ولا يتبع حين يشبع ، وعند الجوع يهم بالرجوع .

رقعة له إلى مستميح عاوده مراراً وقال له : لم لا تديم الجود بالذهب ، كما تديمه بالأدب ؟ .

عافاك الله ! مثل الانسان فى الاحسان كمثل الأشجار فى الاثمار ، سبيله إذا أتى بالحسنة أن يرفعه إلى سنه ، وأنا كما ذكرت لا أملك عضوين من جسدى ، وهما فؤادى ويدى . أما الفؤاد فيعلق بالوفود ، وأما اليد فتولع بالجود ، لكن هذا الخلق النفيس ، لا يساعده الكيس ، وهذا الطبع الكريم ، ليس يحتمله الغريم ، ولا قرابة بين الذهب والأدب فلم جمعت بينهما ؟ والأدب لا يمكن ثرده فى قصعة ، ولا صرفه فى ثمن سلعة . ولى مع الأدب نادرة ، جهدت فى هذه الأيام بالطباخ ، أن يطبخ من جيمية الشماخ (٢) لونا فلم يفعل ، وبالقصاب أن يسمع أدب الكتاب (٣) فلم يقبل . وأنشدت فى الحمام ديوان أبى تمام فلم ينفذ ودفعت إلى الحجام مقطعات اللحام فلم يأخذ ، واحتيج فى البيت إلى شىء من الزيت ، فأنشدت من شعر الكميت ألفاً ومائتى بيت فلم يغن ، ولو وقعت أرجوزة العجاج فى توابل السكباج ما عدمتها عندى ، ولكن ليست تقع ؟ فما أصنع ؟ فان كنت تحسب اختلافك إلىّ إفضالا علىّ ، فراحتى ، أن لا تطرق ساحتى ، وفرجى ، أن لا تجى ، والسلام .

فصل — إن هذا الدين لذو تبعات : الصوم والفطام شديد ، والحج والمرام بعيد ، والصلاة والمنام لذيذ ، والزكاة والمال عزيز ، وصدق الجهاد ، والرأس

---

(١) هذا مأخوذ من قولهم فى مثل « جوع كلبك يتبعك »

(٢) قصيدة على حرف الجيم للشماخ بن ضرار الغطفانى

(٣) كتاب لابن قتيبة يعده مشايخ ابن خلدون من أصول كتب الأدب وأمهاتها ، والكثير أن اسمه « أدب الكاتب »

لا ينبت بعد الحصاد ، والصبر الحامض، والعفاف اليابس ، والجدّ الخشن، والصدق المرّ ، والحق الثقيل، والكظم وفى اللقمة العظم .

رقعة — ياشبر، ما هذا الكبر؟ ويا فتر ما هذا الستر؟ ويا قرد ماهذا البرد ، ويا يأجوج ، ماهذا الخروج (١) ويا فقاع بكم تباع ؟ ويا فرانى ، متى ترانى ، ويالقمة الخجل، نحن ببابك ، ويا بيضة البقيلة من لنا بك ! ويا دبه ، ويا حبه، ويا من فوق المكبه ، ويا من قرنه المذبه ، ويا من خلفه المسبه، ويادمل ما أوجعك ، ويا قمل لنا حديث معك، إن رؤيت أوذيت ، السلام .

فصل — أعجوبه، ولكنها محبوبه (٣) حين تصلى على النبى تنشاط (٤) ، وتنزل عن قيراط ، يا هى صبراً ياخبيث ، إليك يساق الحديث ، إن عشنا وعشت رأيت الأتان تركب الطحان ، رُوح ولا جسد ، وصوت ولا أحد . والعود أحمق، ومتى فرْزَنتَ يا بيدق (٥) يا أسخف من ناقد على راقد . وشرّ دهرك آخره . أيا عجبا أيلد الأغرّ البهيم ، وولد آزر إبراهيم :

يا أيها العامُ الذى قدْ رَابنى أنتَ الفداء لذكر عام أوّلاً

وما أفدّى العام ، لكن الأنعام ، ولا أشكو الأيام (٦) ولكن اللئام ، عام أول عدنان . والعَم هذا العريان (٧) لنا فى كل أوان أمير يملأ بطنه والجار

---

(١) فى اليتيمة « ويايأجوج ، متى الخروج ؟ »

(٢) فى اليتيمة « ويا من قربه المذبة » وما هنا أحسن

(٣) فى اليتيمة « ولكنها محجوبة »

(٤) فى الأصل « تنساط » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة

(٥) فى الأصل «فرزندت» محرفا ، والفرز والبيدق : قطعتان فى لعبة الشطرنج

(٦) فى اليتيمة والرسائل « ولا أشكو الأنام »

(٧) فى اليتيمة والرسائل « والعام هذا القرنان »

جائع ، ويحفظ ماله والعرض ضائع .

تبــدلت الأشياءُ حتى لخلتها
ستبدى غروب الشمس من حيثُ تطلعُ

كانت السيادة في المطابخ ، فصارت فى المباطخ . أشهد لئن كثرت مزارعكم لقد قلت مشارعكم ، ولئن سمنت أقفيتكم ، لقد أمحلت أفنيتكم :

رأيتكمْ لايصونالعرض جارُكمُ
ولا يَدِرُّ عَلَى مرعاكم اللبنُ

فصلٌ — من كتاب إلى ابن فارس : نعم أيد الله تعالى الشيخ ، إنه الحمأ المسنون ، وإن ظنت الظنون ، والناس ينسبون لآدم، وإن كان العهد قد تقادم، وتركبت الأضداد (١) واختلط الميلاد . والشيخ يقول : قد فسد الزمان . أفلا يقول : متى كان صالحا ؟ أفى الدولة العباسية ؟ فقد رأينا آخرها وسمعنا بأولها ! . أم فى المدة المروانية وفى أخبارها :

* لا تكسع الشولَ بأغبارِها *

أم السنين الحَرْبية (٢) :

والسيفُ يغمدُ فى الطُّلى
والرُّمحُ يركزُ فى الكلى

ومَبيتُ حُجرٍ فى الفلاَ
والحرَّتانِ وكربلا

أم البيعة الهاشمية (٣) [وعلى يقول : ليت] (٤) العشرة [منكم برأس

---

(١) فى الرسائل واليتيمة « وارتبكت الأضداد »

(٢) يريد بالسنين الحربية المدة التى تبدأ بحكم معاوية بن أبى سفيان لأن جده حرب بن أمية

(٣) يريد بالبيعة الهاشمية أيام ولاية على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه

(٤) الزيادة عن الرسائل ، ولا يتم الكلام إلا بها

من بنى فراس ، أم الأيام الأموية(١) والنفير إلى الحجاز ، والعيون إلى الأعجاز أم الإمارة العَـدوية (٢) ، وصاحبها يقول : وهل بعد البزول إلا النزول ؟ أم الخلافية التَّيْمِية(٣) ، وصاحبها يقول : طوبى لمن مات فى نأناة الاسلام . أم على عهد الرسالة و يوم الفتح قيل : اسكتى يافلانة فقد ذهبت الأمانه ؟ أم فى الجاهلية وَلبيد يقول [من الكامل] :

ذَهَبَ الذين يُعَاش فى أكنافهم ... وَبقيتُ فى خلف كجلد الأجرب

أم قبل ذلك وأخو عاد يقول [من الطويل] :

بِلادٌ بها كنا وكنا نحبها ... إذ الناسُ ناسٌ وَالزمان زمانُ

أم قبل ذلك و يروى عن آدم عليه السلام :

* تغيرَت البلادُ ومن عليها *

أم قبل ذلك وقد قالت الملائكة (أَتجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِك الدماء) ما فسد الناس ، إنما اطرد القياس ، ولا أظلمت الأيام ، إنما امتد الظلام ، وهل يفسدُ الشيء إلا عن صلاح ، ويمسى المرء إلا عن صباح

ومنه — اثنان قلما يجتمعان : الخراسانية والانسانية [وأنا] وإن لم أكن خراسانى الطينة ، فانى خراسانى المدينة ، والمرء من حيث يوجد ، لا من حيث يولد ، والانسان من حيث يثبُت ، لا من حيث ينبُت ، فاذا انضافت إلى خُرَاسان ولادة همذان ارتفع القلم وسقط التكليف ، فالجُرْحُ (٤) جبار والجانى حِمار ،

---

(١) الأيام الأموية : عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه لأنه من بنى أمية
(٢) الامارة العدوية : عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأنه من بنى عدى.
(٣) الخلافة التيمية : أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه لأنه من بنى تيم
(٤) هذا من قوله عليه الصلاة والسلام « جرح العجماء جبـار » وجبار — بزنة غراب — أى هدر لا ضمان فيه ولا عقوبة ، والعجماء : الدواب

لا جنة ولا نار ، فلتحملنى على هناتى، أليس صاحبنا يقول [من الخفيف] :

لا تلمنى على ركاكة عقلى إذ تيقنتَ أننى همَذَانى

فصل — مثل الشيخ فى التماس الخل ، كمثل المكدى فى التماس الخل ، تقدم إلى الخلال فقال : يا منكوح العيال ، صب قليلا من هذا الخل فى هذا الاناء، فقال الخلال : قبح الله الكسل ، هلا التمست بها اللفظ العسل .

فصل — حج البيت مخنث فسئل عما رأى فقال : رأيت الصفا والحَجُون وقوما يموجون ، وكعبة تزف عليها الستور ، وترفرف حولها الطيور ، وبيتا كبيتى، ولكن سل عن البخت ، لا عن البيت .

فصل — جرجان ، وما أدراك ما جرجان ؟ أكلة من التين ، وموتة فى الحين، ونظرة إلى الثمار ، وأخرى إلى الحفار (١) ، ونجار إذا رأى الخراسانى نجر التابوت على قده ، وأسلف الحفار على لحده ، وعطار يُعِدُّ الحنوط برسمه ، وبها للغريب ثلاث فتحات : أولها لكراء البيوت ، والثانية لابتياع القوت ، والثالثة لثمن التابوت .

فصل — من رقعه إلى وارث مال : العزاء (٢) عن الأعزة رشد كأنه الغى ، وقد مات الميت فليحى الحى ، فاشدد على مالك بالخمس ، فأنت اليوم غيرك بالأمس ، كان ذلك الشيخ وكيلك ، تضحك ويبكى لك ، وسيهجم الشيطان عودك ، فان استلانه رماك بقوم يقولون : خير المال متلفه بين الشراب والشباب ومنفقه بين الحَبَاب والأحباب ، والعيش بين القداح والأقداح ، ولولا الاستعمال ما أريد المال ، فان أطعتهم فاليوم فى الشراب ، وغداً فى الخراب، واليوم واطربا

(١) فى اليتيمة « والأخرى إلى التابوت والحفار »

(٢) وقع فى الأصول هكذا « إلى وارث ما للعزاء عن الأحبة إلخ » والحروف واحدة ولكنها صحفت بسبب اختلاط الرسم.

للكاس ، وغداً واحر با من الافلاس . يا مولاى هذا المسموع من العود يسميه الجاهل نقراً ، ويسميه العاقل فقرا ، وذلك الخارج من الناى هو اليوم فى الآذان زمر ، وهو غدا فى الأثواب جمر [١] ، والعمر مع هذه الآلات ساعة ، والقنطار فى هذا العمل بضاعة .

فصول قصار وألفاظ وأمثال — المرء لا يعرف ببرده كالسيف لا يعرف بغمده . الحذق لا يزيد الرزق . والدعة لا تحجب السعة . إن للمتعة حدا وللعارية ردا . ما كل مائع ماء ، ولا كل سقف سماء ، ولا كل بيت بيت الله ، ولا كل محمد رسول الله . الخبر إذا تواتر به النقل قبله العقل . إنما يجذب السيف على الكلب لا على القلب ، والراجع فى شيئه كالراجع فى قيئه .

وهذه ملح وغرر من شعره فى كل فن : فمن ذلك قوله من قصيدة فى أبى القاسم ابن ناصر الدولة [من مجزوء الكامل] :

غُضِّى جفُونَكِ يا ريا ... ضُ فقدْ فَتَنتِ الحورَ غمزا
واقنى حياءك يا ريا ... حُ فقد كَدَدْتِ الغُصْنَ هزًا
وارفق بجفنك يا غما ... مُ فقد خدَشْتَ الوردَ وَخزًا
خَلَعَ الرَّبيعُ على الرُّبا ... ورُبوعها خزًّا وبزًّا
ومَطارِفاً قد نَقَشَتْ ... فيها يدُ الأمطارِ طَرْزا
أَسْرِ المطىَّ إلى المدا ... مِ على جنىِّ الوردِ جمزا
أو ما ترَى الأقطارَ قد ... أخذَتْ من الأمطارِ عزًّا
أوليسَ عجزاً أن يفو ... تكَ حُسْنُهَا أوليس عجزًا

(١) فى اليتيمة ـ وهو الكتاب الذى أخذ عنه المؤلف كل ما فى هذه الترجمة ـ وقعت هذه الفاصلة « وهو غدا فى الأبواب سمر »

حلّتْ عزاليها السّما ء فعادت البيداء نزْا
وكأن أمطارَ الربيع إلى ندى كفّيْك تعْزى

وله من أخرى [من الكامل] :

خَرجَ الأميرُ ومن وراء ركابه غيري ، وعز عليَّ أن لم أخْرُجِ
أصْبَحتُ لا أدرى أأدعو طنمشى أم يكتكيني أم أصيح بترعجى
و بقيت لا أدرى أأركَبُ أبرشى أم أدهمى أم أشهبى أم دبرجى
ياسيد الأمراء مالى خيْمةٌ إلا السّماء إلى ذرَاها ألتجى
كَتِفى بعيرى إن ظَعَنت ومفرَشى كمّى وجِنحُ الليل مطْرَحُ هودجى

وله من قصيده فى أبى عامر بن عدنان [من الكامل] :

ليلُ الصبا ونهارُهُ سكْرَانَ حَدَثان لم يعركهما حدثانُ
يا زَفرَةً لى لا يكاد أزيزُهَا يَسعُ الضلوعَ إليكِ ياهمذَانُ
قسما لقد فقدَ العراق بى امرأ ليست تجودُ بردّه البُلْدَانُ
يادهر إن تكُ لامحالةَ مزعجى عن خصلتى ولكل دهرٍ شانُ (١)
فاعمد براحلتى هرَاةَ فانها عدَنٌ وإن رئيسها عدْنَانُ (٢)

وله من قصيدة فى الأمير أبى علي وهو بمرو [من البسيط] :

علَيَّ أن لا أريحَ العيسَ والقتَبا وألبس البيضَ والظلماء واليلَبَا (٣)
وأترُكُ الخودَ معْسولا مُقبّلُها وأهجرُ الكأسَ تغذوشرْبها طرَبا (٤)
حسبى الفلا مجلِسا والبومُ مطربةً والسّيرُ يسكرنى من مسّهِ تعَبا

ومنها :

---

(١) فى الديوان (٨١) «عن خطتى»

(٢) فى الديوان « وأنت رئيسها عدناف »

(٣) فى اليتيمة « وألبس البيد »

(٤) فى الأصل « يعرو شربها طربا » وأثبتنا ما فى الديوان

وطفلة كقضيب البان منعطفاً إذا مشت وهلال الشهر منتقبا

تظل تنثر من أجفانها حبباً دونى، وتنظم من أسنانها حبباً (١)

قالت وقد علقت ذيلى تودعنى والوجد يخنقها بالدمع منسكبا

لا در در المعالى لا يزال بها برق يسوقك لاهونا ولا كثبا (٢)

يا مشرعاً للمنى عذباً موارده بيناه مبتسم الأرجاء إذ نضبا

أطلعت لى قمراً سعداً منازله حتى إذا قلت يجلو ظلمتى غربا

كنت الشبيبة أبهى ما درجت وكنت كالورد أذكى ما أتى ذهبا

أستودع الله عيناً تنتحى دفعاً حتى تؤوب وقلبا يرتمى لهبا

وظاعناً أخذت منه النوى وطراً من قبل يقضى الهوى من حكمه أربا

غضى عليك قناع الصبر إن لنا إليك أوبة مشتاق ومنقلبا

ومنها:

أبى المقام بدار الذل لى كرم وهمة تصل التخويد والخببا (٣)

وعزمة لا تزال الدهر ضاربة دون الأمير وفوق المشترى طنبا

ومنها:

---

(١) فى اليتيمة وقع المصراع الأول من هذا البيت *تظل تنثر من أجفانها دررا*

(٢) فى اليتيمة والديوان «برق يشوقك»

(٣) فى اليتيمة *وهمة تصل التوخيد والخببا* وكلا اللفظين له وجه ولكن ما هنا أدق، والتخويد: سرعة السير، وقيل: سرعة سير البعير خاصة. ويقال: خود البعير - بتشديد الواو - إذا أسرع وزج بقوائمه. والوخد - بفتح فسكون - ضرب من سير الابل، وسعة الخطو فى المشى، وفعله وخد يخد وخدا، مثل وعد يعد وعدا، ولم أجد المضعف من هذا الفعل فى مراجع اللغة التى بين يدى.

يا سيدَ الأمراء افخر فما ملكٌ   إلا تمناكَ مولىً واشتهاكَ أبا[١]
يامنْ تراهُ ملوكُ الأرض فوقهمُ   كما يرَوْنَ على أبراجها الشهبُا
لا تكذبنَّ فخيرُ القول أصدَقهُ   ولا تهابنَّ فى أمثالها العرَبا
فما السموألُ عهداً والخليلُ قِرًى
ولا ابن سُعدَى ندًى والشَّنفرَى غلبا
منَ الأمير بعشارٍ إذا اقتسمُوا   مآثِرَ المجد فيما أسلفوا نهبا
ولا ابنُ حجرٍ ولاذبيان يعشرنى   والمازنىُّ ولا القيسىُّ منتدبا[٢]
هذا لركبتهِ ، أوْ ذا لرهبتهِ   أوْ ذا لرغبتهِ ، أوْ ذا إذا طربا

والقصيدة كلها غرر ، وتقدم شىء منها فى شواهد التفريق .

وله من قصيدة أخرى ميكالية [من مجزوء الرمل] :

اذهب الكأس فعرفُ الـــفجر قدْ كادَ يلوحُ
وَهْو للناس صباحٌ   ولذى الرَّأى صبوحُ
لا يغرنَّك جسمٌ   صادقُ الحسنِ ورُوحُ
إنما نحنُ إلى الآ   جال نغدو ونروحُ
بينما أنتَ صحيحُ الجسم إذ أنتَ طريحُ
فاسقنيها مثلَ ما يلفظهُ الديكُ الذبيحُ

وله من أخرى ، فى الملك المعظم ، يمين الدولة محمود بن سبكتكين ، [من الهزج] :

تعالى الله ما شاء   وزَاد اللهُ إيمانى

---

(١) فى اليتيمة « ولا ملك » وفى الديوان (٥) مثل ماهنا
(٢) فى الأصل « يعثرنى وأثبتنا مافى الديوان

أإفريدون فى التاج أم الاسكندر الثانى
أم الرجعة قدْ عادتْ إلينا بسليمانِ
أظلتْ شمسُ محمودٍ على أنجم ساسانِ
وأمسى آل بهرامٍ عبيداً لابن خاقان
إذا ما ركب الفيلَ لحربٍ أوْ لميدانِ
رأتْ عيناك سلطاناً على منكب شيطان

وله من قصيدة فى جماعة من العمال حبسوا [من المنسرح] :

مالى أرى الحرَّ ذاهباً دَمُهُ ولا أرى النذل ذاهباً ذهبهْ
أراحنا الله منك يا زمنا أزْعَنَ يصطادُ صقرهُ خرَبُهْ
يا ساغبا جائع الجوارح لا يسكن إلا بفاضل سغَبهْ
يا ضَرَماً فى الأنام متقداً والجودُ والمجدُ والنُّهى حطَبُهْ
يا خاطباسا كنا وليس سوى نعى فتىً أوْ فتوةٍ خُطَبُهْ
يا صائداً والعلى فَريستهُ وناهباً وَالجمالُ منتهبهْ
يا سادتى لا تلِنْ عظامكُمُ لعضة الدهرِ إنْ يهج كَلَبُهْ(١)
فالدَّهرُ لونان لا يدومُ على حالٍ، سريعٌ بالناس مُنقَلَبُهْ
أتىَ بشرٍّ لمْ نَرْتقبهُ كذا يأتى بخيرٍ وَليس نَرْتقِبهْ(٢)

ومحاسنه كثيرة ، وقد أوردنا منها ما فيه مقنع ، رحمه الله !.

***

(١) فى الأصل « لا تكن عظامكم » وفى اليتيمة « كعضة الدهر » محرفا عما هنا

(٢) فى اليتيمة « وليس نحتسبه » ، وفى الديوان « أتى بخير » وفيه « يأتى بشر وليس نحتسبه »

شاهد الاستتباع

١٥١ – نَهَبْتَ من الأعمار ما لَوْ حَوَيْتَهُ
لَهُنِّئَتِ الدُّنيا بأنَّكَ خالدُ

البيت لأبي الطيب المتنبي ، من قصيدة من الطويل (١) ، تقدَّم ذكر مطلعها ، وطرف منها في شواهد المقدمة ، ومنها قبل البيت :

أخو غزَواتٍ لا تغبُّ سيوفهُ رقابهمُ إلاَّ وسيحانُ جامدُ(٢)
فلم يبق إلا مَنْ حماها من الظبا لمى شفتيها والثديُ النواهدُ(٣)
تبكي عليهنَّ البطاريقُ في الدُّجى وهنَّ لدينا مُلْقَيَاتٌ كواسدُ
بذا قضت الأيامُ ما بين أهلها مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ
ومنْ شرف الاقدام أنكَ فيهم على القتل موموقٌ كأنك شاكد(٤)
وأنَّ دما أجريتهُ بك فاخرٌ وأنَّ فؤاداً رُعْتَهُ لك حامدُ
وكلٌّ يرى طُرُقَ الشجاعة والندى ولكنَّ طبع النفس للنفس قائدُ

وبعده البيت ، وبعده :

فأنتَ حسامُ الملك والله ضاربٌ وأنتَ لواء الدِّين والله عاقدُ

والشاهد فيه : الاستتباع ، وهو : المدح بشيء يستتبع المدح بشيء على

---

(١) اقرأها في الديوان (١ – ٢٦٨)

(٢) في الديوان «ما تغب سيوفه» يريد أن غزوات الممدوح –وهو سيف الدولة – لا تنقطع عن أعدائه إلا في زمن الشتاء ، تقول : غب وأغب ، إذا تأخر . وعبر عن الشتاء بجمود الماء في نهر سيحان

(٣) اللمى : سمرة الشفة . وهو فاعل حماها . يريد أن القتل أجهز عليهم حتى إنه لم يبق منهم إلا النساء اللاتي حماهن حسنهن البارع من القتل

(٤) موموق : محبوب ، والشاكد : المعطي

وجه آخر، فانه وصفه بالشجاعة على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لصلاح الدنيا، حيث جعلها مهنأة بخلوده، وفيه وجهان آخران: أحدهما: أنه نهب الأعمار دون الأموال، وهذا ينبيء بعلو الهمة، كما قال الشاعر [من البسيط]:

إنَّ الأسودَ أسودَ الغاب همتها يومَ الكريهة فى المسلوب لا السلبِ

والثانى: أنه لم يكن ظالما فى قتلهم، إذ لو كان كذلك لما كان لأهل الدنيا سرور بخلوده، ومثله قول المتنبى فى سيف الدولة [من الطويل]:

إلى كم تَرُدّ الرسلَ عما أتَوْا به كأنهمُ فيما وهبتَ مَلَامُ

فانه مدحه بالشجاعة والعز فى رد الرسل عما أتوا به، وصدِّهم عن مطلوبهم، والتهاونِ برسلهمْ، واستتبع فى باقى البيتِ مدحه بالكرَم، لعصيان الملام فى الهبات.

وعجيب هنا: قول أبى بكر الخوارزمى، المستشهد به فى التفريع، وهو [من الكامل]:

سمحُ البديهة ليس يملكُ لفظَهُ فكأنما ألفاظهُ من مَالِهِ

فانه مدحه بذلاقة اللسان على وجه استتبع الكرم.

ومن شواهده قول بعض العراقيين يهجو بعض القضاة، وقد شهد عنده برؤية هلال الفطر فلم يقبل شهادته [من مجزوء الرمل]:

إنَّ قاضينا لأعمى أم تراهُ يتعامىَ
سرقَ العيدَ كأن العيدَ أموالُ اليتامىَ

ورأيت فى اليتيمة هذين البيتين منسوبين للصاحب بن عباد، وذكر معهما بيتين آخرين فى معناهما، وإن لم يكونا مما نحن فيه، وهما [من المجتث]:

يا قاضياً باتَ أعمى عندَ الهلال السعيدِ
أفطرْتَ فى رمضان وصمت فى يوم عيد

ومن الاستتباع قول زكى الدين بن أبى الأصبع [من الطويل]:

تَخيلَ أنَّ القِرْنَ وافاهُ سائِلاً فقابلَهُ طَلْقَ الأسرّة ذا بِشرِ
ونادى فرِندَ السيفِ دُونكَ نحره فأحسنُ ما يُهدَى اللآلى إلى النحر

وقد أخذ ابن نباتة المصرى نكتة النحر فقال [من الطويل]:

تَهنأ بعيدِ النَّحر وابق مُمتَّعاً بأمثاله سامى العُلا نافذ الأمر
تُقلِّدُنا فيه قلائِدَ أنعم وأحسنُ ما تبدُو القلائِدُ فى النحر

***

شاهد الادماج

١٥٢ — أُقلِّبُ فِيهِ أجفَانى كأنّى أعدُّ بها على الدَّهرِ الذُّنوبا

البيت لأبى الطيب المتنبى من قصيدة من الوافر (١) يمدح بها على بن [محمد بن] (٢) سيار بن مكرم التميمى، أولها:

ضروبُ الناس عشّاقٌ ضُرُوبا فأعذرُهم أشفُّهم حبيبا(٣)
وما سَكنى سِوَى قتلِ الأعادِى فهلْ مِنْ زَوْرَةٍ تشفى القلوبا
تظلُّ الطيرُ مِنْها فى حَدِيثٍ تَرُدُّ بهِ الصَّراصرَ والنعيبا(٤)
وقد لبسَتْ دِماؤُهُمُ عَليهمْ حِدَاداً لم تشقَّ لها جُيوبا
أدَمنا طعنَهمْ والقتلَ حتى خلطنَا فى عِظامِهِمُ الكعُوبا

(١) اقرأها فى الديوان (١ — ١٣٧)
(٢) الزيادة عن شرح العكبرى للديوان
(٣) أشفهم حبيبا: أراد أفضلهم حبيبا
(٤) الصراصر: جمع صرصرة، وهى صوت النسر والبازى وغيرهما — والنعيب: صوت الغراب

كأنَّ خيولَنا كانتْ قديماً ... تُسقَى فى قحوفهِمُ الحليبَا
فمرَّتْ غيرَ نافِرةٍ عليهمْ ... تدوس بنا الجماجم والتَّريبا(١)

إلى أن قال فى وصف الليل :

أعزْمى طالَ هذا الليل فانظرْ ... أمنكَ الصُّبح يَفرَق أن يؤوبا(٢)
كأنَّ الفجرَ حِبٌّ مستزارٌ ... يراعى مِنْ دُجُنَّتِه رقيبا
كأنَّ نجومَه حَلْىٌ عليْه ... وقدْ حذيتْ قوائمه الجبوبا(٣)
كأنَّ الجوَّ قاسَى ما أقاسى ... فصارَ سوَاده فيه شحوبا
كأنَّ دجاه يجذبها سهادى ... فليسَ تغيب إلاَّ أنْ يغيبا

وبعده البيت ، وبعده :

وما ليلٌ بأطوَلَ مِنْ نهار ... يظلُّ بلحظِ حسَّادى مريبا(٤)
وما موْتٌ بأبغضَ من حياة ... أرى لَهُمُ معَى فيها نصيبا
عرفتُ نوائبَ الحدثان حتَّى ... لو انتسبتْ لكنت لها نقيبا

وهى طويلة

وقريب من معنى البيت قول القاضى الفاضل [من الطويل] :

وقدْ خفقتْ راياته فكأنها ... أناملُ فى عُمر العَدُوِّ تحاسِبُه

---

(١) التريب كالتريبة : واحدة الترائب ، وهى موضع القلادة من العنق

(٢) فى الأصل « يفرق أم يؤبا » وما أثبتناه موافق لما فى الديوان ، وهو الصواب ، و «أن يؤبا» منصوب على نزع الخافض ، والأصل من أن يؤوب ويفرق : يخاف . ويؤوب : يرجع

(٣) الجبوب ـ بفتح الجيم ـ وجه الأرض

(٤) فى الديوان * يظل بلحظ حسادى مشوبا *

ويضارعه أيضاً قول ابن سناء الملك يرثي [من الكامل] :

أوسعت فيه الدَّهْرَ عتباً مؤلماً فأجابني بالبهتِ والبُهتان(١)
قلبي يُحاسبهُ على إجرامه وَيعدُّها بأنامل الخفقان

وقول عكاشة بن عبد الصمد القمي في وصف عوّادة [من الكامل] :

وكأنَّ يُمناها إذا نطقت به تلقي على يَدها الشمال حسابا

وقوله أيضا [من الطويل] :

إذا ماحكَت بالعود رَجْعَ لسانها رأيْتَ لسان العودِ عن كفِّها يُملي

وقول ابن قلاقس [من الطويل] :

كأنَّ دمُوعي إذ تكاثرَ وَقعها تعدُّ على الدُّنيا بهنَّ المساويا

ولطيفٌ قول ابن الخيمي في سبحة [من السريع] :

وسُبْحةٍ مسودَةٍ لونها يحكي سوادَ القَلْب والناظِرِ
كأنني وقتَ اشتِغالي بها أعـدُّ أيامكَ ياهاجِري

والشاهد فيه : الادماج ، وهو : أن يضمَّن كلاما سيق لمعنى ـ مدحاً كان أو غيره ـ معنى آخر ، فهنا ضمن وصف الليل بالطول الشكاية من الدهر

مثل من الادماج

ومنه قول عبدالله بن عبدالله بن طاهر لعبيد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للمعتضد وكان عبد الله قد اختلَّت حاله فكتب إلى ابن سليمان يقول [من الطويل] :

أبى دَهْرُنا إسعافَنا في نُفوسنا وأسعفَنا فِيمنْ نُحِبُّ ونكرم
فقلْتُ له نُعماكَ فيهمْ أتمها وَدعْ أمْرَنا إن المهمَّ المُقدَّمُ

(١) في الأصل « أوسعت الدهر فيه » ولايستقيم به وزن البيت

ففطن ابن سليمان لمراده ووصله واستعمله . وقول الصاحب بن عباد يمدح الوزير أبا الفضل بن العميد [من الخفيف] :

إن خيرَ المدّاح مَنْ مَدَحَتْهُ　　شعراء البلادِ في كلِّ نادي

فأدمج الافتخار في أثناء المدح، وإنما ألم به من قول يزيد بن محمد المهلبيّ لابن مدبر حيث قال [من الخفيف] :

إن أكُنْ مهديا لكَ الشعْرَ إني　　لابْنُ بيتٍ تهدَى له الأشعار

ومثله قول مؤلفه رحمه الله تعالى [من الطويل] :

ففخراً بشعر من فتى كانَ أهلهُ　　يهاديهمُ بالشعْرِ من كان يَشْعر

وقوله أيضاً [من المتقارب] :

ولا زال كل رفيع الذّرى　　يَصوغ الجواهر في المدْح لك

ومنه قول ابن المعتز في وصف الخيري [من المنسرح] :

قدْ نفَضَ العاشِقُونَ ماصنَعَ الهَجرُ بألوَانهمْ على وَرَقِهْ

وقول ابن نُباتة السعدي [من الطويل] :

ولا بُدّلي من جهْلةٍ في وصاله　　فَهلْ مِنْ حليمٍ أُودِعُ الحِلْمَ عِنْدَه

وقول وجيه الدولة فيه [من البسيط] :

أفْدِي الذي زارَني بالسّيْفِ مُشْتَمِلاً　　ولحظُ عينَيهِ أمضى مِنْ مَضاربهِ

فماخلَعْتُ نجاداً في العِناق له　　حتى لَبِستُ وشاحاً من ذَوَائبهِ

وبَاتَ أسْعَدُنا حظّاً بِصَاحِبهِ　　مَنْ كان في الحُبِّ أشقَانا بِصاحبهِ

وقول العفيف التلمساني [من الخفيف] :

وأعِدْلي حديثَهُ فلسمْعي　　فرْطُ وجْدٍ باللؤلُؤ المنثُور

ثم صِفْ لي ذؤابةمنه طالت　　ودجتْ فهْيَ ليلة المَهْجُور

وقول بعض الأندلسيين [من الوافر] :

وحقك لا رضيتَ بذا ، لأنى جعلت وحقك القسم الجليلا

* * *

١٥٣ — * لَيْتَ عَيْنَيْهِ سَوَاءْ *

شاهد التوجيه

قيل : إن قائله بشار[1] بن برد ، وهو من الرمل ، وقبله :

* خاطَ لى عَمرٌو قَبَاء *

وبعده :

قلتُ شـعراً لَيْسَ يُدْرى أمَدِيح أمْ هجاء[2]

يروى أنه فصل قباء عند خياط أعور اسمه عمرو أو زيد كما فى تحرير التحبير فقال له الخياط على سبيل العبث به : سآتيك به لا تدرى أهو قباء أم دواج ، فقال له : إن فعلت ذلك لأنظمن فيك بيتا لا يعلم أحد ممن سمعه أدعوت لك أم عليك ، ففعل الخياط ، فقال هذا البيت

ومثله ماحكاه ميمون بن هارون قال: تقدم جعيفران الموسوس[3] إلى يوسف الأعور القاضى بسر من رأى فى حكومة فى شىء كان فى يده من وقف له ، فدفعه عنه وقضى عليه ، فقال له : أرانى الله أيها القاضى عينيك سواء ، فأمسك عنه ، وأمر برده إلى داره ، فلما رجع أطعمه ووهب له دراهم ، ثم دعا به فقال له : ماذا

---

(١) انظر خزانة الأدب لابن حجة الحموى (١٦٩ بولاق) فقد حكي عن ابن أبى الأصبع حكاية ينسب البيتان فيها إلى شاعر مطبوع كان كثير الولوع بهذا النوع

(٢) الذى أحفظه فى رواية هذا البيت :

قل لمن يعرف هذا أمديح أم هجاء

(٣) فى الأصل « جعيفر بن الموسوس » محرفا عما أثبتناه .

أردت بدعائك أردت أن يرد الله عليّ من بصرى ماذهب ؟ فقال له : والله لئن كنت وهبت لى هذه الدراهم لأستحيي منك إنك لأنت المجنون ، لاأنا ، أخبرنى كم من أعور رأيته عمى ؟ قال : كثير ، قال : فهل رأيت أعور صح قط ؟ قال : لا ، قال : فكيف توهمت على الغلط ؟ فضحك منه وصرفه

والشاهد فى البيت التوجيه : وهو إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين ، فهنا يحتمل تمنى العوراء صحيحة وعكسه

أمثلة من التوجيه

ومن شواهده قولُ الشاعر فى الحسن بن سهل حين تزوج المأمون بابنته بوران [من مجزوء الخفيف] :

بارَكَ اللهُ للحسنْ   ولبُوارن فى الختن

يا ابْنَ هارونَ قد ظفر   تَ ولكن ببنت مَنْ

فلم يعلم ما أراد بقوله « ببنت من » فى الرفعة أو فى الحقارة

ومنه أيضاً قول ابن هانىء الأندلسى [من الكامل] :

لا يأ كُل السِّرحان شِلْوَ طعينهِمْ   ممَّا عليهِ من القَنا المتكسِّرِ

فإنه يحتمل المدح ويكون المقتول منهم والرماح المتكسرة رماح أعدائهم ، ويحتمل الذم ويكون المقتول من أعدائهم والرماح لهم

ومنه أيضا قول المتنبى فى كافور الاخشيدى [من الطويل] :

ولله سِرٌّ فى علاكَ وإنما   كلامُ العِدا ضربٌ من الهَذيان

ومن محاسن التوجيه قول الوداعى [من البسيط] :

مَنْ أمَّ بابكَ لم تبرحْ جوَارحهُ   تَرْوِى أحاديثَ ما أوليتَ من مِنَن

فالعينُ عَنْ قُرَّةٍ والكَفُّ عن صلَةٍ   والقلبُ عَنْ جابرٍ والسَّمْعُ عن حسَن

فان هذا البيت يصدق على المعنى الواحد ، وهو أسماء الأعلام من رواة

الحديث، وعلى المعنى الآخر، وهو المناسبة بين العين والقرة، والكف والصلة، والقلب والجبر، والسمع والحسن

وقول السراج الوراق [من الوافر]:

يَخَافُ التبرُ سَطوَةَ راحتيهِ ولونُ الخائفِ المُرتاع أصفَرْ
يُقصِّرُ آلَ بَرْمَك عنْ نداهُ فنُعماهم لدَى نُعماهُ تُكْفَرْ
له فضلٌ لنا منه رَبيعٌ وبحر ندًى ولا أرضى بجعفر(١)

وقول ابن نباتة المصري [من الطويل]:

خليليَّ كم رَوض نزلت فناءه وفيه ربيعٌ للنزيل وجعفر
وفارقته والطير صافرة به وكم مثلها فارقتها وهي تصفر(٢)

ومثله قول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر يصف نهرا صافيا، في روض نزيه [من الطويل]:

إذا فاخرته الريح ولت عليلةً بأذيال كُثبان الربا تتعثر
به الفضل يبدو والربيع وكم غدا به الروض يحيي وهو لاشك جعفر

ومثله قول مؤلفه، وهو مما كتب به على تربة بجوار قبر الامام الشافعي، رضي الله عنه وأرضاه! وهو [من الوافر]:

بأبواب الكرام وضعت رحلي لكي يَرْوَى بفيض الجود مَحْلِي
ومن أضحى نزيل المجد يحيي بجعفر فضله السامي المحَلّ

وقوله من قصيدة [من الطويل]:

---

(١) الجعفر: النهر الصغير، وجعفر: اسم علم من أعلام البرامكة
(٢) النصف الثاني من هذا البيت من كلام تأبط شرا، والبيت بتمامه:
فأبت الى فهم وما كدت آئبا وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

[أنى] (١) وهو بحرٌ لا يقاس بفضله ... ربيع ، وَكم يحيي إذا جاء جعفر

وقول عمر بن الوردى رحمه الله تعالى [من السريع] :

هويت أعرابية رِيقُها ... عذب ، ولى فيه عذاب مذاب
رأسى بها شيبان ، والطَّرْف من ... نَبْهان ، والعذال فيها كلاب (٢)

ومنه قول ابن النقيب أيضا يهجو [من الطويل] :

أرح ناظرى من عابس الوجه يابس ... له خُلُقٌ صعب ووجه مُقَطَّب
أقول له إذ أيأستنى صفاته ... وَإن قيل إنى فى المطامع أشعب
متى يظفر الآتى إليك بسؤله ... وينجح من مسعاه قصد ومطلب
ولؤمك سيار وشرك ياسر ... ووجهك عباس وخلقك مصعب

ومما جاء فى التوجيه فى قواعد العلوم قول القاضى شرف الدين المقدسى ، فى شىء من قواعد الفقه وتلطف ماشاء [من السريع] :

احجج إلى الزهر لتحظى به ... وارم جمار الهم مستنفرا
من لم يطف بالزهر فى وقفة (٣) ... من قبل أن يحلق قد قصرا

ومنه فى الحديث قول ابن جابر الأندلسى [من البسيط] :

قالت أعندك من أهل الهوى خبر ... فقلت إنى بذاك العلم معروف

---

(١) سقطت هذه الكلمة من كافة الأصول .

(٢) فى خزانة ابن حجة (١٧٣) « رأمى بنو شيبان » . وشيبان و نبهان وكلاب : أعلام قبائل من العرب ، وشيبان : يحتمل الوصف من الشيب . ونبهان : يحتمل الوصف من التنبه الذى هو اليقظة . وكلاب : يحتمل أن يكون جمع كلب

(٣) فى الأصل * من لم يطف بالزهر فى وقته * وما أثبتناه موافق لما فى خزانة ابن حجة ، وهو من تمام التوجيه المقصود إليه فى البيت

مسلسل الدمع من عَيْنَيَّ مرسله ... على مُدَبَّجِ ذاك الخد موقوف (١)

وقوله أيضا [من الخفيف] :

عارضوا مرسل الظلام بنقل ... مُسْنَدٍ عن حِسَان تلك الفروع
عدلوا فى رواية الحبِّ جفنى ... معَ جرح الدموع عند الهموع
عنعنوا نقلَ لوعتى عنْ دُموعى ... عنْ جفونى عن قلبيَ الموجوعِ

ومن التوجيه فى أسماء السور قول السراج الوراق [من الخفيف] :

كلُّ قلبٍ علىَّ كالصخر مالا ... نَ وهيهاتَ أن تلينَ الصخورُ
مُغلق الباب ما تلا سورة الفتح ، وقافٌ من دونهِ والطورُ

وقول أبى الحسين الجزار [من الكامل] :

أشكو لعدلك جور دهر جائرٍ ... فضلتْ بهِ فُضَلَاءهُ الجهالُ
مُنِعت به عقلاؤه إذ قُسِّمَتْ ... بالجور فى أنعامـهِ الأنفالُ

وقول المولى الفاضل على بن مليك [من الطويل] :

ألا يابنى الروم القتال فدونكمْ ... فأنا تدرّعنا الحديد إلى الحشر
ولا زالَ آيَ الفتح تتْلو رماحنا ... وأسيافنا تتلو بها سورة النصر

ومثله قول مؤلفه رحمه الله تعالى من أبيات [من الطويل] :

وزلزلةٍ كادت تهـدُّ بعزمهـا ... أقاليم لا يبقى لها أبداً أثرُ
وَواقعةٍ قد صارَ منها تغـابنٌ ... على الروم لا تنفك أو يحصل الحشر
لقدْ سمعوا وقع الحديد فلا ترى ... لهم همـة نحو القتـال ولا كرّْ

---

(١) فى خزانة ابن حجة * مسلسل الدمع من عينى ومرسله * وهو أحسن ، و « عينى » فيه مفرد ، وهو فيما هنا مثنى

وله أيضا فى وقعة مصر [من الكامل] :

فدموعهم فى الذاريات وروحهمْ فى النازعات وكربهم لا يُقْدَرُ
لا معقلا يلقونه كلا ، ولاَ كهفاً ولولجأوا لقاف لأحصروا
شمسُ السعادة عنهمْ قدْ كُوِّرتْ وعلىْ قدْرهمْ غدا ينفطر
والملك طلقهم طلاَقاً بائنا ما دام عصرٌ فى الورى يتكرر
لما أبوْا تحريمَ ما قدْ سنَّه وأتى بهِ المزَّمّل المدثر

ومنه فى أسماء القراء قول السراج الوراق [من الخفيف] :

يا جواداً له القرَى والقراءا ت وفيهِ منْ كلّ نفعٍ وخيرِ
إن مددتَ العطاء مدة وَرْشٍ ليسَ هذا علىَّ بالمقصور
دمت لى نافعاً كما أنا راجٍ عاصماً لى منْ فجأة المحذور

ومن التوجيه فى النحو قول أمين الدين علىّ السليمانى [من الطويل]:

أضيفَ الدُّجى معنىً إلىلون شعرهِ فطالَ ، ولولا ذاك ما خص بالجر
وحاجبهُ نونُ الوِقاَية ما وقتْ على شرطها فعل الجفون من الكسر

وكان بالعراق عاملان : أحدهما : اسمه عمر (١) ، والآخر اسمه أحمد ، فعزل عمرْ عن ولايته ، واستقر مكانه أحمد بمال وَزَنه ، فقال فيه بعض الشعراء [من الوافر] :

أياعمرُ استعدّ لغير هذا فأحمد فى الولاية مطمئنٌ
فتصدق فيك معرفةوعدْلٌ وأحمد فيه معرفة ووَزْنٌ

(١) فى الأصل « عمرو » فى الموضعين وهو تحريف ، ويؤيده ما ذكرفى الشعر ، فان الذى فيه المعرفة والعدل من موانع العرف هو « عمر »

ومثله قول كمال الدين الشريشي فى قاض عزل اسمه أحمد [من السريع] :

يا أحمد الرازىَّ قمْ صاغراً عزلت عن أحكامك المسرفهْ
مافيكَ إلا الوزنُ، والوزْن لا يمنعكَ الصَّرْف بلا معرفهْ

ومثله قول ابن عنين ، فيمن عزل عن وظيفته وكانت سيرته غير مشكورة [من المتقارب] :

شكا ابن المؤيد من عزله وذَمَّ الزمان وأبدى السفهْ
فقلت له لا تذمَّ الزما نَ فتظلم أيامه المنصفهْ
ولا تغضبنَّ إذا ما صُرِفْتَ فلا عدْلَ فيك ولا معرفهْ

وقول بدر الدين الأسعردى فى بعض مدرسى العجم [من الطويل] :

يقولون إن المجد بالقصف مولعٌ فقلت لهم ما اعتاد شيئا سوى القصف
فقالوا أسما علماً ولفظا بمجلسٍ فلِمْ منعُوا عن صرفه راغم الأنف
فقلت لتأنيث به ولعجمةٍ فقالوا لقد تُلْجِي الضرورات للصرف
ولا بدَّ من تقطيعه عند قبضه فقد زاد بسط الكف فى جهة الوقف

ورشيق قول شرف الدين بن ريان [من البسيط] :

أتيت حانة خمار وصاحبها محارف متقن للنحو ذو لَسَن
وحوله كل هيفاء منعمة وكل علق رشيق أهيف حسن
فقال لى إذ رأى عينى قد انصرفت إلى البناء كلام الحاذق الفطن
أنث وركب وَصف واعدل بمعرفة واجمع وزدوا استرح من عجمة وزن

وما أحسن قول بعضهم [من الكامل]

خط ولاحظ، وشعر ماله سحر، أأنثر فيهما أم أنظم
كم جهدا أرفعُ قصتى ويحطها حظى وأنصب والحوادث تجزم

وبديعٌ قول الشهاب التلعفرى [من الكامل] :

وإذا الثنيةُ أشرقتْ وشممتَ من أرْجَائِهـا أرَجاً كنَشْر عبـير
سَلْ هضبها المنصوبَ أين حديثه الْـــمَرْفوعُ من ذَيْلِ الصبا المجرُورِ

وَله فى معناه أيضا [من الكامل] :

قُلْ للصَبَا سِراً فإنَّ لها شذاً يُضْحى بما يُفْضَى إليه مُذيعا
يا ذَيلها المجرُورَ عن هضبِ الحمَى الــمنصوبِ هات حَديثها المرفوعا

وقول الصفى الحلى يصف رياض الميطور [من الكامل] :

إنْ جزتَ بالمَيطُورِ مبتهجاً بهِ ونظرتَ باطنَ دَوحِهِ الممطورِ
وأراكَ بالآصال خفقَ هوائهِ الـــممدُود تحريكُ الهوَى المقصورِ
سلْ بانهُ المنصوبَ أينَ حَديثهُ الـــمَرفوعُ مِنْ ذيلِ الصَّبَا المجرُورِ

وذكرت بالمقصور والممدود هنا بيتين قلتهما ، وهما من هذا الباب الذى نحن بصدده [من الخفيف] :

رُبَّ مَنْ جاء نحوَنا بالفجُورِ لاتُجِرْهُ من شرّ صَرْفِ الدُّهورِ
وأضِفْهُ إلى المنايا سريعاً لتراهُ الممدودَ فى المقصورِ

وظريف قول بعضهم أيضا [من السريع] :

عرِّجْ بنا نحوَ طلولِ الحمَى فلم تزلْ آهِلةَ الأربُعِ
حتى نطيلَ اليومَ وقفاً على الســـاكنِ أوعطفاً على الموضعِ

وقول أبى الفتح البستى أيضا [من الطويل] :

عزِلتُ ولم أذنبْ ولم أكُ جانياً وهذا لإنصاف الوزير خلافُ
حُذِفتُ وغيرى مُثْبَتٌ فى مكانهِ كأنِّى نونُ الجمع حينَ يضافُ

وقوله أيضا [من مجزوء الرمل] :

وبَصيرٍ بمعانى الشعرِ والإعراب جدًّا

قالَ لى لمـا رَآنى طالباً مالاً وَرِفْدَا

إنَّ مالى يا حبيبى لازمٌ لا يتعـدَّى

وقوله [من السريع] :

أُدْرِجْتُ فى أثناء نسيانـكم حتى كأنِّى أَلِفُ الوصلِ

وقوله أيضا [من البسيط] :

أفدى الغزالَ الذى فى النحو كلمنى مناظراً فاجتنيتُ الشهدَ من شفته

وأوردَ الحججَ المقبولَ شاهدُها محققاً ليرينى فضْـلَ معرفته

ثم افترقنا على رأىٍ رَضيتُ بهِ الرفعُ من صفتى والنصبُ من صفته

وما ألطف قول السراج الوراق [من الخفيف] :

كم أُناديكَ مفرداً علماً أَرْ فَمُهُ علمـاً بشرط المنادَى

وَجوابى مُلْغًى يحاكى للولاَ خبراً لو أتى بهِ ما أفادَا

وظريف قول الشاب الظريف محمد بن العفيف [من مخلع البسيط] :

ياسا كنًا قلبيَ المعنىَّ وليس فيه سواهُ ثانى

لأىِ معنى كَسَرْتَ قلبى وما التقى فيه سا كنان

قال الصـلاح الصفدى : وهـذا المعنى فيه نقص ، لأن القلب ظرف لاجتماع السا كنين ، وحينئذ يكون السا كنان غير القلب ، والكسر إنما وقع على القلب ، لا على أحد السا كنين ، ومن تأمله حق التأمل ظهر له هذا الايراد موجهاً ، وقد ذكرت ذلك لجماعة من كبار المتأدبين ، وما رأيت فيهم من تَنَبَّهَ له .

وقد نظم الفقير مؤلف الـكتاب بيتين ، راجيا سلامتهما من هذا الايراد ، وهما [من مخلع البسيط] :

قلبي من الهجْرِ فى اضطرابِ   ياساكنا فيهِ دُونَ ثانى
فكيفَ عاملتهُ بكسرٍ   وما التقى فيه ساكنانِ

وفى معناه قول شرف الدين القيروانى ، فى رجل عجز عن افتضاض عِرْسِهِ ليلة البناء ، وهو [من مخلع البسيط] :

كم ذكرٍ فى الورى وأُنثى   أولى منَ اثنين باثنتينِ
إن الليالى أتتْ بلَحنٍ   لجمعها بين ساكنينَ

وقول السراج الوراق [من الكامل] :

يا ساكنا قلبي ذكرتك قبله   أرأيت قبلى مَن بدا بالساكن
وجعلته وَقْفًا عليك وقد غدا   متحركا بخلاف قلب الآمنِ
وبذا جرى الاعراب فى نحْوِ الهوى   فاليك معذرتى فلستُ بلاَحِنِ

وما أحسن قول ابن نباتة المصرى [من الطويل] :

بكيت وما يجدى البكاء عن العانى   ولكنَّ تشنيت الأحبة أشجانى
كأنَّ زمانى ضاق لحناً فلم يكن   ليجمعَ بين الساكنين بأوطانى

ولمحاسن الشواء أيضا [من السريع] :

أرسلَ فرْعًا ولَوَى هاجرى   صُدْغًا فأعيا بهما واصفهْ
فخلت هذا حيَّةً خلفهُ   تسعىَ وهذا عقربا واقفهْ
ذا ألفٌ ليست لوصلٍ ، وذا   واوٌ ولكن ليستِ العاطفهْ

وللسليمانى أيضا [من الطويل] :

نصبتُ على التمييز إنسانَ مقلتى   أُشاهدُ قدًّا منه نَصْبًا على الظرف
أأخشى فراقا بعدها أو قساوةً   وقد جاءواوُ الصدغ للجمع والعطف

ومثله لمؤلفه [من السريع] :

تطمعنى فى الوصلِ أصداغهُ   حين ترينى أحرفَ العطفِ

ومن لطائف البهاء زهير قوله من هذا الباب [من الطويل] :

يقولون لى أنتَ الذى سارَ ذِكرُهُ   فمن صادرٍ يُثْنِى عليه ووَاردِ
هَبُونى كما قد تزعمونَ أنا الذى   فأينَ صِلاتِى منكمُ وعوائدِى

ونظير ذلك ما اتفق لابن عنين ، وهو أنه مرض ، فكتب إلى الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، صاحب دمشق [من الكامل] :

انظر إلىّ بعين مولًى لم يزلْ   يُولى النّدا وتلافَ قبلَ تلافى
أنا كالذى أحتاجُ ما يحتاجهُ   فاغنم دُعائى والثناءَ الوافى

فعاده الملك المعظم ، ومعه خمسمائة دينار ، وقال : أنت الذى ، وأنا العائد ، وهذه الصلة.

ومثله قول جعفر الأديب المصرى [من الكامل] :

وَافيتُ نحوكُم لأرفعَ مبتدًا   شعرى وأنصبَ خَفْضَ عيشٍ أغبرَا
حاشاكُمُ أن تقطعوا صلةَ الذى   أو تصرفوا من غير شىء جَعْفَرَا

وقول الأمير أمين الدين السليمانى [من الطويل] :

وإنى الذى أضْنَيْتَهُ وهَجَرْتَهُ   فهل صلةٌ أو عائدٌ منكَ للذى

ولابن حجلة [من الكامل]

قَطَعَ الأحبةُ عادتى من وصلهمْ   فكأنَّ قلبى بالتواصل ما غُذِى
فاذا سمعتمْ فى النحاة بعاشق   منعوهُ من صلةٍ لهُ فأنا الذى

وقول الآخر [من الكامل] :

لاتهجروا من لا تعودَ هجرَكم   فهو الذى بلبان وصلكم غُذِى
ورفعتمُ مقدارهُ بالابتدا   حاشاكُمُ أن تقطعوا صلةَ الذى

وقول الآخر [من الكامل] :

لما رأتْ عيناكَ أنى كالذى   أبدُو فينقصنى السقامُ الزائدُ

وافَيْتَنى ووَفَيْتَ لى بمكارم ... فَنَدَاكَ لى صِلَةٌ وأنت العائِدُ

ولابن حجلة أيضاً [من المتقارب] :

ومُسْتَترٍ من سَنَا وجهه ... بشمس لها ذلك الصدغ فَىْ(١)

كَوَى القلب منى بلام العِذَارِ ... فعَرَّفنى أنها لامُ كَىْ

وما ألطف قول محاسن الشواء [من الوافر] :

وكنا خَمس عشرةَ فى التِئَام ... على رغمِ الحسود بغير آفَهْ(٢)

فقد أصْبَحْتُ تنويناً وأضْحَى ... حبيبى لاتفارِقُهُ الاضافَهْ

وقوله أيضا [من مخلع البسيط] :

لنا صَدِيقٌ له خِلاَلٌ ... تُعْرِبُ عن أصلِهِ الأخَسّ

أضحت له مثلَ حيث كَفٌ ... ودِدْتُ لو أنها كأمْس(٣)

ومثله قول أبى محمد الواسطى [من مخلع البسيط] :

لنا صديق فيه انْقِبَاضٌ ... ونَحْن بالبَسْطِ نَستلذُّ(٤)

لا يَعْرِف الفتحَ فى يديهِ ... إلا إذا ما أتاه أخْذُ

فكفهُ أينَ حينَ يعْطِى ... شيئاً وبَعْدَ العطاء مُنْذُ

وقول عمر بن الوردى رحمه الله [من السريع] :

---

(١) بفتح الفاء وسكون الياء ، وأصله « فىء » ومعناه الظل

(٢) أراد بخمسة عشر هذا اللفظ ، والنحاة يقولون : إنه مبنى على فتح الجزءين لأنه تركب صدره وعجزه فصارا كلمة واحدة

(٣) « حيث » عند النحاة مبنية على الضم ، و « أمس » عندهم مبنية على الكسر ، فهو يقول : إن كف صديقه مثل حيث فى أنها بنيت على الضم من البخل والشح ، وأنه يتمنى أن تكسر

(٤) الأنسب بالوزن أن يكون * لنا صديق به انقباض *

قلت لنَحْويّ إذا عُرِّضا ... له بأوقات الرِّضَى أعْرَضا
يا حِبُّ لو أصبحَ بابُ الرضى ... كيْفَ لما كنت كأمْس مضَى

وقول ابن يعمور فى المجون [من الخفيف] :

ومليح يعلِّم النَّحْوَ يحكى ... مُشكلات له بلفْظٍ وجيزِ
ما تميزْتُ حسنهُ قط إلاَّ ... قامَ إيرى نَصْباً على التمييز

وقول ابن الأردخل ومعناه المجيد فى البناء [من الكامل] :

أير أنامُ الليلَ وهو يقوم ... حامى الأهابِ كأنهُ محمومُ
مُغْرًى بطول الجرِّ إلا أنه ... ما زالَ مفتوحاً به المضمومُ

وقول السراج الوراق [من الكامل] :

ومُبَخَّلٍ بالمال قلْتُ لعلهُ ... يَنْدَى وظنى فيه ظَنٌّ مخلَفُ
جَمْعُ الدراهم ليس جمعَ سلامةٍ ... فأجابنى لكنهُ لا يُصْرَفُ

وقوله أيضاً [من الخفيف] :

كم يريدُ الخبَّازُ يرفعُ رطلى ... وأرجِّى بالنصب مشى أُمُورى
وإلى كم شِرَاىَ بالجرِّ منهُ ... وانصرافى بخاطرٍ مكسور

من التوجيه فى العروض

ومن التوجيه فى العروض والنحو قول السباسكونى يهجو عروضياً نحويا [من المنسرح] :

لا تنكروا ما ادَّعَى فلانُ من الشعْرْ إذا قال إنهُ شاعرْ
فالنَّحْوُ ثم العَرُوض قد شهدا ... له على الشعر أنهُ قادرْ
يقصرُ ممدودَهُ وينْصبهُ ... فى الجر نصب الغُرْمُول فى الآخرْ
يريك وهو البسيط دائرةً ... تجمع بين الطويل والوافرْ

ومن التوجيه فى علم العروض قول نصر الله بن الفقيه [١] المصرى [من الخفيف] :

و بقلبي من الفراقِ مَديدٌ　　و بَسيطٌ ووافرٌ وطويل

لم أكن عالماً بذاك إلى أنْ　　قطَّعَ القلب بالفِراق الخليل

ولابن سارة فيه أيضاً [من السريع] :

وبى عروضىٌّ سَريع الجفا　　وجدِى بهِ مثل جَفاه طَويلْ

قلت له قَطّعت قلبى أمى　　فقال لى التقطيع دأب الخليل

وللسليمانى فيه أيضا [من مجزوء الكامل] :

لا تعذلَنّى فى العَرُو　　ضِ وإن رأيْتَ القَصْد جائرْ

دارَتْ علىَّ دوائرٌ　　فجهدْت فى فكٍّ الدّوائر

ومنه قول الآخر [من الوافر] :

تقاطعَ صاحبَاىَ على هناةٍ　　جرَتْ بعدَ التّصافىِ والتصافى

وداما لا يضمهما مكانٌ　　كأنهما معاقبة الزحافِ

من التوجيه فى صناعة الكتابة

ومن التوجيه فى صناعة الكتابة قول ابن الساعاتى [من الكامل] :

لله يومٌ فى سيوطَ وليلةٌ　　حلف الزمان بمثلها لا يغْلط [٢]

بتنا وعمر الليل فى غُلَوائه　　وله بنور البدر فرعٌ أشمط

والطّلُّ فى سلك الغصون كلؤلؤ　　رَطْب يصافحه النسيم فيسقط

والطير يقرأ والغدير صحيفةٌ　　والرِّيح تكتب والغمام ينقِّطُ

---

(١) فى خزانة ابن حجة « ومن التوجيه فى علم العروض قول ابن نصر الله المصرى »

(٢) فى خزانة ابن حجة « لله يوم فى دمشق قطعته » وفيه « بمثله »

ومنه قول ابن لنكك المصرى [من الطويل] :

قِفِ انظر إلى در السحاب كأنه ... نِثَارٌ وأحداقُ القرارات تلقطه
إذا كتبت أيدى الرياح على الثرى ... بنَوْرٍ فأيدى الغيم بالقطر تنقطه

وقول أبى زهير مهلهل بن نصر بن حمدان [من الكامل] :

أأخا الفوارس لو رأيتَ مواقفى ... والخيلُ من تحتِ الفوارس تنحطُ
لقرأتَ منها ما تخطُّ يدُ الوغى ... والبِيضُ تشكلُ والأسنةُ تنقطُ

وقول الصاحب بن عباد يصف الوحل [من البسيط] :

إنى ركبتُ وكفُّ الأرض كاتبةٌ ... على ثيابى سطوراً ليس تنكتمُ
والأرضُ محبرةٌ والحِبْرُ من لثق ... والطِّرْسُ ثوبى ويمنى الأشهب القلم

وقول حازم فى مقصورته يصف ماء [من الرجز] :

إذا علاَ نشيشُهُ عود ما ... جزّ من النّبْتِ الجميم ودحا
ونفث الفضة ذوْباً وغدا ... يخطُّ ما كان الزمانُ قد محا

وهو مأخوذ من قول أبى إسحاق بن خفاجة [من الكامل] :

وعشىٍّ أُنْسٍ أضجعتْنى نَشْوَةٌ ... فيه تمهّدُ مضجعى وتدمّثُ
خلعتْ علىّ به الأراكةُ ظِلَّها ... والغصنُ يُصغى والحمامُ يُحدِّثُ
والشمسُ تجنَحُ للغروب مريضةً ... والرعدُ يرْقى والغمامةُ تنفثُ

ومثله قول ابن قاضى ميله [من الطويل] :

وجَوْنٍ مُرِنٍّ الرعدِ يَحْتَنّ ودقه ... نَرَى برْقه كالحية الصِّلِّ تطرفُ
كأنى إذا مالاح والرعدُ مُعْولٌ ... وجفنُ السحاب الجَوْنِ بالماء يذرفُ
سليمٌ وصوتُ الرعدِ راقٍ وودقُهُ ... كنفث الرُّقى من سوء ما أتكلّفُ(١)

(١) السليم : اللديغ ، وفى أمثالهم « السليم لا ينام ولا ينيم » وقد سموه بذلك تفاؤلا له بالسلامة ، كما سموا الصحراء مفازة اسم مكان من الفوز ، وإنما هى مهلكة ، لأنهم تفاءلوا لسالكها بالفوز

وما أحسن قول ابن عبد الظاهر [من الخفيف] :

مُفردٌ فى جمالهِ إن تبدّى خجلَتْ مِنهُ جُمْلةُ الأقمارِ
كيفَ أرجو الوَفاء مِنهُ وعاملتُ غريمًا من لحظهِ ذا انكسار
ذُو حواشٍ تلُوحُ من قلم الرَّيحان فى خدهِ فجلّ البارى
فيهِ وجدِى مُحَقَّقٌ وسلوى وكلامُ العذُول مثلُ الغبار
فلِسانى فى وصفهِ قلم الشعر ورقٌ المكتوبُ بالطُّومار

وبديع قول ابن جابر ، وذكر الأقلام السبعة [من البسيط] :

تَعليقُ ردفك بالخصْر الخفيف لهُ ثُلثُ الجمال وقدْ وَفَتْهُ أجفانُ
خدٌّ عليهِ رقاعُ الرّوض قد خلعت وفى حواشيهِ للصُّدْغين ريحَانُ
خطَّ الشَّبَاب بطومار العذَار بهِ سطراً ففضاحهُ للنّاس فتّان
مُحققٌ نسخ صبرى فى هواه ومن توقيع مَدْمعىَ المنثور بُرهان
يا حُسن ما قلم الأشعار خطَّ علىّ ذاك الجبين فلاَ يَسلوه إنسان
أقسَمْت بالمصْحَف السامى وأحرفه ما مرّ بالبال يوماً عنكَ سُلوَانُ
ولا غبارَ على حبّى فعِنْدكَ لى حسابُ شوقٍ له فى القلب دِيوان

ولمؤلفه رحمه الله تعالى من أبيات [من الرمل] :

وبطومَار الوفا يَنْسخ ما وقع القَلْبُ به إذ يَهجُرُ
ويشمُّ القلبُ ريحانَ الرضَى ليسَ فيهِ لغبار أثرُ
فرجائى فيهِ قدْ حققه من رقاع عدُّها لا يُحْصرُ

وله رحمه الله تعالى من أبيات أخرى [من مجزوء الرجز] :

يا صاحبَ الانشاء ما سِواكَ عنه يخبر
عسى بِطومار الوفا توقيع سَعْدِى يُزْبرُ

وأَجتني ريحانَه دون غبار يُضجِرُ
ومن حَواشي مجدِه أنسخ ما يكرّر
فني مُحقّق الرّجا منكَ الرِّقاع تُسطر

ولابن مليك فيه أيضاً [من الكامل]:

فالخدُّ بانَ الوردُ فيهِ مُحقّقاً والصُّدْغ فيهِ مُسلسلُ ريحانُه

وما أبدع قوله بعده، وإن لم يكن مما نحن فيه:

والخالُ حينَ به تبدّى أسوداً أيقنتُ أنّ شقيقه نُعمانُه

وقوله أيضاً [من السريع]:

وردِيّ خدٍّ قدْ ذكا نَشْرُه عليه لمّا ضاع دارَ العِذارْ
أقسِم بالفضّاح من عَبْرتى ريحانُه ليس عليه غُبارْ

وما أبدع قوله بعده أيضاً:

فاترُ جفنٍ باردٌ ريقُه بينهما القلبُ من الوجدِ حارْ

وهذه الأبيات من قصيدة بديعة مطلعها:

ما كُنتُ أدرى قبل نبتِ العِذارْ أن يطلُع الريحانُ فى الجلنارْ

من التوجيه فى علم الرمل

ومن التوجيه فى علم الرمل قول البهاء زهير [من الطويل]:

تَعلمتُ عِلمَ الرّملِ لما هجرْتنى لعلّى أرى شكلاً يدلُّ على الوصلِ
فقالوا طَريقٌ قلتُ يارَبِّ لِلّقا وقالوا اجتماعٌ قُلتُ يارَبِّ للشّمل

وقول جمال الدين بن مطروح [من الطويل]:

حلاَ ريقُه والدُّرُّ فيه مُنضّدٌ وَمَنْ ذا رأى فى العذبِ دُرّاً منضّدا
رأيت بخدّيهِ بياضاً وحُمْرةً فقلتُ لىَ البُشرَى اجتماعٌ تولّدا

من التوجيه فى الهندسة

ومن التوجيه فى علم الهندسة قول ابن جابر أو العلوى الأديب المصرى فى مليح منهدس وأجاد [من الطويل]:

يحيط بأشكال الملاحة وجهه كأن به إقليدساً يتحدث(١)
فعارضه خط استواء وخاله به نقطة والصدغ شكل مثلث(٢)

وقول ابن النبيه فى صبي يشتغل بالهندسة [من الطويل] :

وبى هندسى الشكل يسبيك لحظه وخال وخد بالعذار مطرز
ومذ خط بيكار الجمال عذاره كقوس علمنا أنما الخال مركز

وقول ابن التلميذ أو أبى على المهندس المصرى [من الطويل] :

تقسم قلبى فى محبة معشر بكل فتى منهم هواى منوط
كأن فؤادى مركز وهم له محيط وأهوائى إليه خطوط

وظريف قول بعضهم [من الكامل] :

لما انثنى وهو البسيط تبينت لى منه دائرة كحلقة خاتم
ورأيت فى الشكل المدور نقطة فحللت مركزها بخط قائم

وقول ابن فلاس النحوى [من السريع] :

إن الرميلى فتى راويه للطب والفلسفة العاليه
حاز المساحات فأضحى بها يستنبط الماء بلا ساقيه
كأنما ينزل مخروطه على عمود قائم الزاويه

وقول هشام بن أحمد الرقشى [من الكامل] :

قد بينت فيه الطبيعة أنها ببديع أعمال المهندس باهره
عبثت بمبسمه فخطت فوقه بالمسك قوساً من محيط الدائره

---

(١) فى خزانة ابن حجة « محيط بأشكال الملاحة وجهه »
(٢) فى خزانة ابن حجة « والشكل شكل مثلث »

من التوجيه في علم النجوم

ومنه فى علم النجوم قولُ ابن جابر [من الكامل] :

يا حسنَ ليلتنا التى قد زارنى فيها فأنجز ما مضى من وَعْدِهِ
قوَّمْتُ شمسَ جماله فوجدتها فى عقربِ الصدغ الذى فى خدِّهِ

من التوجيه في الموسيقى

ومنه فى علم الموسيقى قول البدر بن لؤلؤ الذهبى [من الكامل] :

وبمهجتى المتحملونَ عشيةً والركبُ بينَ تلازم وعناقِ
وَحُداتهم أخذتْ حجازاً بعدما غنّتْ وَراء الركب فى العشاقِ

ومن التوجيه النظيف ، قول ابن نباتة المصرى ، فى أسماء متنزهات دمشق [من الرجز] :

يا حبذا يومى بوادى جلّقٍ ونزهتى معَ الغزال الحالى
من أوّل الجبهة قدْ قبلتهُ مرتشفاً لآخر الخلخالِ

ومحاسن التوجيه كثيرة ، فلنقتصر على هذه النبذة ، والله أعلم .

***

شاهد الهزل يراد به الجد

١٥٤ — إذا ما تميمىٌّ أتاكَ مفاخراً
فقلْ عدِّ عنْ ذَا كيف أكْلُكَ للضبِّ

البيت لأبى نُوَاس من قصيدة من الطويل (١) ، يهجو تميماً وأسداً ، ويفتخر بقحطان ، أولها :

ألاَ حىِّ أطلالاً بسيحانَ فالعذبِ إلى مُرُعٍ فالبئرِ بئرِ أبى رُغبِ (٢)

---

(١) اقرأها فى الديوان (١٥٨)

(٢) فى الديوان « إلى برع » بالباء فى مكان الميم ، و « أبى زعب » بالزاى ، وسيحان ـ بفتح فسكون ـ نهر بالشام ، وآخر بالبصرة . والعذب ـ بفتح فسكون ـ شجر . وبرع ـ بضم ففتح ـ جبل بتهامة

تمشى بها عفرُ الظباء كأنها ... أخاريدُ من رومٍ يقسّمن فى نهبِ (١)
عليها من السرحاء ظلٌّ كأنه ... هذا ليلُ ليلٍ غير منصرم النحبِ (٢)
تلاعب أبكارَ الغمام وتنتمى ... إلى كل زحلوق وخالفة صعب (٣)
منازل كانت من حذام وفرتنا ... وتربيهما هندٍ فناهيكَ من تربِ (٤)

وبعده البيت، وبعده :

تُفاخرِ أبناء الملوك سفاهةً ... وبولُكَ يجرى فوق ساقك والكعبِ
إذا ابتدر الناس الفعال فخذ عصىً ... ودعدع بمعزى يا ابن طالقة الذربِ (٥)

وهى طويلة.

والشاهد فيه : الهزل الذى يراد به الجد ، فان سؤال التميمى عن أكله الضب فى معنى الاستهزاء ، وإذا تأملته فى الحقيقة فهو جدّ ، لأن تميما يكثرون من أكل الضب ويُعيّرون به .

وكان الحيصَ بيصَ الشاعرُ تميمياً ، فقال أبو القاسم بن الفضل ، أو الرئيس على بن الأعرابى يهجوه [من الخفيف] :

---

(١) العفر - بضم فسكون - جمع عفراء ، وهى التى لونها العفرة . والأخاريد : الأبكار ، أو اللاتى فى صوتهن لين ، وكأنه جمع خريدة على غير قياس

(٢) فى الأصل « عليها من السرحان » وأثبتنا ما فى الديوان . والسرحاء : واحدة السرح ، وهي الشجرة الطويل . والهذاليل : جمع هذلول ، وهو أول الميل أو بقيته . والنحب : الأجل

(٣) فى الأصول « إلى كل زحلوق زحالقة صعب » وقد أثبتنا ما فى الديوان . والزحلوق - بزنة عصفور - النشيط

(٤) فى الأصل « منازل كانت من جذام » وحذام - بالحاء المهملة - من أسماء نسائهم .

(٥) فى الأصل « يا ابن ضالعة الزرب » محرفا عما أثبتناه عن الديوان . ودعدع : فعل من قولهم فى زجر الغنم : دع ، دع ، أوداع داع

كَمْ تبـارى وَكَمْ تُطَوِّلُ طرْطو رَكَ ما فيك شعرةٌ من تميمِ
فكلِ الضبَّ واقرضِ الحنظلَ الأخــضرَ واشرب ماشئت بوْلَ الظليمِ
ليس ذَا وَجْهَ من يُضيف ولاَ يَقْـــرى ولا يدفع الأذَى عنْ حريمِ

من أمثلة الهزل الذى يراد به الجد

ومن شواهده ما أنشده ابن المعتز لأبى العتاهية [من البسيط] :

أرقيكَ أرقيكَ باسمِ الله أرْقيكاَ من بُخْل نفسكَ علَّ الله يشفيكاَ
ما سِلْمُ كفكَ إلا مَنْ يناولها ولا عدوُّكَ إلا من يُرَجِّيكاَ

والفاتح لهذا الباب امرؤ القيس بقوله [من الطويل] :

وقدْ علمتْ سلمى و إن كانَ بَعْلُهَا بأنَّ الفتىَ يهــذى وَليسَ بفعَّالِ

قال ابن أبى الأصبع : ما رأيت أحسن من قوله ملتفتا « و إن كان بَعْلها »

ومنه قول ابن جابر [من السريع] :

تزعمُ يا ظبىُ مساواتها ولستُ أبدى لكَ تفنيدَا
إن كانَ ماتزعمُ عارِضْ لَنَا مقلتها واحْكِ لنا الجيدَا

وقول ابن دانيال [من الخفيف] :

قلْ لغصن الأراكِ ويحكَ تحكى قدَّ محبوبى وَلم تَخْشَ منِّى
أنا لولا غفَلْتُ عنها فماستْ ما تعلمتَ أنتَ منها التثنِّى

وقول ابن نباتة المصرى [من الكامل] :

سلبتْ محاسنُكَ الغزالَ صفاته حتى تحير كلُّ ظبى فيكاَ
لكَ جيدهُ ولحاظه ونفارهُ وغدا نظيرُ قرونه لأبيكاَ

وقول أبى جعفر الغرناطى [من الخفيف] :

عارَضَ البدرُ وجنتيها فقلنا عدّ عن ذا وقل لنا عن محاقكْ
أوثقَتْني بحبها ثمَّ قالتْ لىَ بالله كيفَ حالُ وثاقكْ

ولابن حجة الحموى فيه أيضا [من السريع] :

وصاحب تسمح لى نفسه بغدوة لكنْ إذا ما انتشى
يضحك سِنّى للغدَا عندهُ لكننى أقلع ضرسى العشا

وقريب من معناه قول الأديب الاسطرلابى [من الطويل] :

لنا صاحبٌ نهوى محل فنائهِ ولا يهتدى ضيفٌ محل فنائهِ
نزلتُ عليهِ مرةً فأضافنى ولكنْ إلى الأقصى أنى بغدائهِ

وقريب من معناه قول بعضهم [من الوافر] :

نزلتُ على أبى سعدٍ فحَيا وهيأ عنده فُرُشَ المقيلِ
وقال علىَّ بالطباخ حتى يزيد من البواردِ والبقولِ
فغدانى برائحـــة الأمانى وعشانِى بميعادٍ جميلِ

وقول القاضى كمال الدين بن النبيه [من الوافر] :

ألاَ يارب هب لى منك عمراً كليلةِ كل ضيف بات عندهْ
فكم أعطى كدُهنِ اللوز لفظاً وكم محض الكلام بنيرِ زُبْدَهْ
وسفَفَنِى سفوفَ الريحِ منه ولعقنِى لعوقَ الماءِ عِنْدَهْ

* * *

شاهد تجاهل العارف

١٥٥ — أيا شجرَ الخابورِ مالكَ مورقاً
كأنكَ لم تجزع على ابن طريف

البيت لليلى بنت طريف الشيبانى ، ترثى أخاها الوليد بن طَرِيفٍ ، من أبيات من الطويل(١) ، أولها :

---

(١) اقرأها فى الأغانى (١١ – ٨) وفى ابن خلكان (٣ – ١٠٤) مع بعض تغيير و بعض نقص فى الأغانى

بتلٍّ نباتى رَسْمُ قبرٍ كأنه على عَلَمٍ فوق الجبال منيفِ(١)
تَضَمَّنَ جوداً حاتمياً ونائلاً وَسَوْرَةَ مقدام وقلب حصيفِ

ورأيت فى تاريخ ابن خلكان هذا البيت على غير هذا الوضع ، وهو :

تضمن مجداً عاصمياً وَسودداً وهمة مقدام ورأى حصيفِ(٢)

و بعده البيت ، و بعده :

فتى لا يحبُّ الزاد إلا من التقى ولا المال إلا من قَناً وسيوفِ
ولا الذخر إلا كل جرداء صلدم معاودة للكرِّ بين صفوف
كأنك لم تشهدْ هناك ولم تقُمْ مقاماً على الأعداء غير خفيف
ولم تستلم يوماً لوردٍ كريهةٍ من السردِ فى خضراء ذات لفيف(٣)
ولم تسع يوم الحرب والحرب واقعٌ وَسُمْرُ القنا يَنهزْنها بأنوفِ(٤)
حليفِ الندَى ما عاش يرْضى بهِ الندَى
فانْ مات لمْ يَرْضَ الندَى بحليفِ
فقدْ ناك فُقدانَ الشباب وليتنا فديناك منْ فتياننا بألوفِ
ومازال حتى أزهق الموت نفسه شَجىً لعدوٍّ أو نجا لضعيفِ(٥)
ألاَ يا لقومى للحمامِ وللبلَى وللأرض همَّتْ بعده برجيفِ(٦)

---

(١) وقع فى الأصول « نثل نباتا » محرفا . ونباتى ـ بزنة سكارى ـ موضع بالبصرة . وفى ابن خلكان « بتل نها كى »

(٢) الذى فى نسخة ابن خلكان « تضمن مجدا عد مليا وسوددا »

(٣) فى ابن خلكان « خضراء ذات رفيف »

(٤) فى ابن خلكان « والحرب لا قح » وفيه « ينكزنها بأنوف »

(٥) فى الأصل «أولجى لضعيف» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ابن خلكان

(٦) فى ابن خلكان « همت بعده برجوف » وفى الأغانى :

ألا يالقومى للنوائب والردى ودهر ملح بالكرام عنيف

وللبدرِ منْ بين الكواكبِ قد هوَى ... وللشمسِ لمّا أزمعتْ لكسوفِ (١)
وللّيثِ كلَّ الليثِ إذْ يحملونهُ ... إلى حفرةٍ ملحودةٍ وسقيفِ
ألا قاتلَ اللهُ الرّدَى حيثُ أضمرتْ ... فتىً كانَ للمعرُوفِ غيرَ عيوفِ (٢)
فإنْ يكُ أرداهُ يزيدُ بنُ مِزْيَدٍ ... فرُبَّ زُحُوفٍ لفَّها بزُحُوفِ
عليهِ سلامُ اللهِ وَقفاً فإنني ... أرَى الموتَ وقّاعاً بكلِّ شريفِ

ترجمة الوليد ابن طريف

وكان الوليد بن طريف هذا رأسَ الخوارج ، وأشدهم بأساً وصولةً ، وأشجعهم . وكان من بالشماسية لا يأمن طرُوقهُ ، واشتدت شوكته ، وطالت أيامه ، فوجه إليه الرشيدُ يزيدَ بن مزيد الشيباني ، فجعل يخاتله ويماكره ، وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد بن مزيد ، فأغرَوا به الرشيد ، وقالوا : إنه يتجافى عنه للرحم ، وإلا فشوكة الوليد يسيرة ، وهو يواعده ، وينتظر ما يكون من أمره ، فوجه إليه الرشيد كتاب مُغْضَب يقول فيه : لو وجهت أقل الخدم (٣) لقام بأكثر مما تقوم به أنت ، ولكنك مُداهن متعصب ، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليوجهنّ إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين ، فلقي الوليد عشية خميس في شهر رمضان ، فيقال : إن يزيد جهده عطشاً حتى رمى بخاتمه في فيه ، وجعل يلوكه ويقول : اللهم إنها شدة شديدة ، فسهلها ، وقال لأصحابه : فداكم أبي وأمي ! إنما هي الخوارج ، ولها حملة ، فاثبتوا لهم تحت التراس ، فاذا انقضت حملتهم فاحملوا ، فانهم إذا انهزموا لم يرجعوا ، وكان كما قال ، حملوا حملة فثبت يزيد ومن معه من عشيرته وأصحابه ،

(١) فى ابن خلكان « إذ هوى » وفيه «أزمعت بكسوف» وفى الأغانى « وللشمس همت بعده بكسوف »
(٢) فى ابن خلكان * ألا قاتل الله الحشا حيث أضمرت *
(٣) فى ابن خلكان « أحد الخدم » وكذا فى الأغانى

ثم حمل عليهم فانكشفوا ، واتبع يزيد الوليد بن طريف فلحقه بعد مسافة بعيدة ، فاحتز رأسه ، وكان الوليد خرج إليهم حين خرج ، وهو يرتجز ويقول [من الرجز] :

أنا الوليدُ بنُ طريف الشارِى   قسورَةَ لا يُصطَلَى بنارِى

* جَوْرُكُم أخرَجنى منْ دارِى *

فلما وقع فيهم السيف وأخذ رأس الوليد صحبتهم(١) أخته ليلى بنت طريف مستعدة عليها الدرع والجوشن ، فجعلت تحمل على الناس ، فعُرِفت ، فقال يزيد : دعوها ، ثم خرج إليها فضرب بالرمح قَطَاة فرسها ، ثم قال لها : اغرُبِى، غرّب الله عليك ، فقد فضحت العشيرَة ، فاستحيت وانصرفت ، وهى تقول الأبيات . وكان ذلك فى سنة تسع وَسبعين ومائة .

ولما انصرف يزيد بالظَّفَر حُجب برأى البرامكة ، وأظهر الرشيد السخط عليه ، فقال : وحق أمير المؤمنين لأصيفنّ واشتونّ على فرسى أو أدخل ، فارتفع الخبر بذلك ، فأذن له ، فدخل ، فلما رآه أمير المؤمنين ضحك وسرّ وأقبل يصيح : مرحباً بالأعرابى ، حتى دخل وأجلس ، وأُكرم ، وعرف بلاؤه ونقاء صدره ، ومدحه الشعراء بذلك . وكان أحسنهم مدحاً مسلم بن الوليد ، فقال فيه قصيدته التى أولها [من البسيط] :

أجرَرْتُ حبلَ خليعٍ فى الصبا غزلِ
وقصرَتْ همَمُ العذال عَنْ عذَلى

هَاجَ البكاء على العين الطموح هوًى
مُفرّقٌ بينَ توديعٍ ومرتحلِ

---

(١) فى الأغانى « صبحتهم » أى جاءتهم صبحا ، وهو خير مما هنا بدليل ما بعده .

كيفَ السلوُّ لقلبٍ باتَ مختبلاً
يَهْذِي بصَاحبِ قلبٍ غيرِ مُختَبِلِ

إلى أن يقول فيها :

يفترُّ عنـدَ افترار الحربِ مُبتسماً — إذَا تغيرَ وجـهُ الفـارسِ البطَلِ
مُوفٍ على مُهج فى يوم ذِى رَهج — كأنهُ أجَـلٌ يسعى إلىَ أملِ
ينال بالرِّفقِ ما تعيَا الرجالُ بهِ — كالموْت مُستعجلاً يأتى على مَهلِ

إلى أن يقول :

والمارقُ ابنُ طريف قد دَلفتَ لهُ — بعـارضِ المنايَا مُسبلٍ هطِلِ (١)
لو أنَّ غيرَ شريكيَ أطَافَ بهِ — فازَ الوليدُ بقِدْحِ الناضلِ الخضِلِ
ما كانَ جمعهم لمـا دَلَفْتَ لهمْ — إلا كمثلِ جرَادٍ ريعَ مُنجفلِ

ولليلى أخت الوليد بن طريف فيه مراث كثيرة منها قولها [من المتقارب] :

ذكرتُ الوليـدَ وأيامهُ — إذ الأرضُ من شخصهِ بلقعُ
فأقبلتُ أطلبـهُ فى السماء — كمَا يَبْتَغِى أنفـهُ الأجْدَعُ
أضاعَـكَ قومُكَ فليطلبُوا — إعارَةَ مثـلِ الذى ضيعوُا (٢)
لَوَ انَّ السيوفَ التى حـدَّها — يصيبـكَ تعْلمُ ما تصنعُ
نَبَتْ عنكَ أو جفلَتْ هيبةً — وَخوفاً لصولكَ لا تقطعُ

والخابور : نهر بين رأس عين وَالفرات يصب إليه .

والشاهد فى البيت : تجاهل العارف ، وسماهُ السكاكىّ : سوق المعلوم مساق غيره لنكتة ، وهى هنا التوبيخ ، فانها تعلم أن الشجر لايجزع على ابن طريف ،

(١) فى الأصل «قد زلفت له» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الديوان والأغانى
(٢) فى الأغانى وابن خلكان « إفادة مثل الذى ضيعوا »

لكنها تجاهلت واستعملت « كأن » الدالة على الشك ، والله أعلم .

***

من شواهد تجاهل العارف للمبالغة فى المدح

١٥٦ - أَلمعُ بَرْقٍ سَرَى أمْ ضَوْءُ مصباحِ
أم ابتسامتها بالمنظرِ الضاحى

البيت للبحترى ، وهو من أول قصيدة (١) من البسيط ، يمدح بها الفتح ابن خاقان ، وبعده :

يا بؤسَ نفسٍ عليها جِدُّ آسفةٍ وشجوَ قلبٍ إليها جدَّ مرتاحِ
يهتزُّ مثلَ اهتزازِ الغصن أتعبهُ مرورُ غيثٍ من الوسمىِّ سحَّاحِ
ويرجعُ الليلُ مبيضاً إذا ابتسمتْ عَنْ أبيض خَصِرِ السمطين لماحِ
وَجدَت نفسكَ من نفسى بمنزلةٍ هى المصافاةُ بين الماء والراحِ
أثنى عليكَ بأنى لم أجدْ أحداً يلحى عليكَ ، وماذا يزعم اللاحى
وليلةِ القصرِ والصهباء قاصرةٌ للهوِ بينَ أباريقٍ وأقداحِ
حييتُ خدّيك بَلْ حييتُ من طَرَبٍ
وَرداً بوَردٍ ، وتفَّاحاً بتفَّاحِ

وهى طويلة ، ومنها فى المَخْلَصِ :

كم نظرةٍ فى جبال الشام لو نظرَتْ رَوَت غليلَ فؤادٍ منكِ ملتاحِ (٢)
والعيسُ تَرمى بأيديها على عجلٍ فى مهمهٍ مثل ظهرِ الترسِ دحْداحِ
مُهْدى إلى الفتحِ ، والنُّعمى بذاك له مدحاً يقصِّرُ عنهُ كل مَدَّاحِ

---

(١) اقرأها فى الديوان (١ - ١١٣)
(٢) فى الديوان * كم نظرة لى حيال الشام لو وصلت * وهى أحسن مما هنا

والضاحى : الظاهر .

والشاهد فى البيت : تجاهل العارف للمبالغة فى المدح ، فانه بالغ فى مدح ابتسامها ، بحيث لم يفرق بينه و بين لمع البرق وضوء المصباح كما هو ظاهر .

*
* *

من شواهد تجاهل العارف للمبالغة فى الذم

١٥٧ — * أقوم آلُ حصنٍ أم نساء *

هو من الوافر ، وصدره :

* وما أدرى وسوفَ إخالُ أدرِى *

وقائله زهير بن أبى سُلمَى ، من قصيدة (١) طويلة ، قالها فى هجاء بيت من كلب من بنى عليم ، وكان بلغه عنهم شىء ، وكان رجل من بنى عبد الله ابن غطفان أتى بنى عليم ، فأكرموه لما نزل بهم ، وأحسنوا جواره وواسوه . وكان رجلا مولعا بالقمار ، فنهوه عنه ، فأبى إلا المقامرة ، فقُمِرَ (٢) مرة فردوه عليه ، ثم قمر أخرى فردوه عليه ، ثم قمر الثالثة ، فلم يردوه عليه ، فترحَّلَ عنهم وشكا ما صنع به إلى زهير ، والعرب حينئذ يتقون الشعراء اتقاء شديداً ، فقال القصيدة ، وأولها :

عفا من آلِ فاطمةَ الجِواءُ ... فيمنٌ فالقوادمُ فالحساءُ
فذوهاش فميثُ عريتناتٍ ... عفتها الريحُ بعدكَ والسماء (٣)

---

(١) اقرأها فى الديوان (٥٦ دار الكتب)

(٢) قمر — بالبناء للمجهول — غلب فى المقامرة

(٣) فى الأصل « فبيت عريتنات » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الديوان وذوهاش وعريتنات : أرضان ، وميث — بكسر الميم — جمع ميثاء ، وهى مسيل الماء مثل نصف الوادى أو ثلثه

فلما أنْ تَحمَّلَ آلُ ليلى جرَتْ بينى وبينهمُ ظباء

جرَتْ سُنُحاً فقلتُ لها أجيزى نوًى مشمولة فمتى اللقاء(١)

كأنَّ أوابدَ الثيران فيها هجائنُ فى مَغابنها الطلاء(٢)

لقدْ طالبتها ولكل شئ إذا طالتْ لحاجته انتهاء

وقد أغدو على شَرْبٍ كرامٍ نَشاوَى واجدينَ لما نشاء

لهمْ رَاحٌ ورَاوُوقٌ ومسكٌ تعلُّ به جُلودُهمُ وماء

أمشّى بينَ قتلى قدأُصيبتْ دماؤهمُ ولمْ تقطرْ دِماء(٣)

يجُرُّونَ البرُودَ وَقد تمشَّتْ حُميّا الكأسِ فيهمْ والغناء

وبعده البيت، وبعده:

فإنْ تكنِ النساءُ مُخبآتٍ فحُقَّ لكل محصنةٍ هِداءُ

وكان زهير يقول: ما خرجت قط فى ليلة ظلماء إلا خفتُ أن يصيبنى الله عز وجل بعقوبة لهجائى قوماً ظلمتهم.

والشاهد فى البيت: تجاهل العارف للمبالغة فى الذم، وفيه دلالة على أن لفظ «القوم» لا يطلق إلا على الرجال خاصة.

---

(١) فى الأصول * جرت سحا فقلت لها أخبرينى * والسنح: جمع سنيح وهو ما ولاك ميامنه من ظبى أو طائر أو غيرهما، والعرب تتيامن به، ولكن زهيرا تشاءم به. وأجيزى: انفذى

(٢) فى الأصل «فى مغانيها الطلاء» محرفا عما أثبتناه، والمغابن: جمع مغبن - بزنة مجلس - وهى الابط وأصل الفخذ، وكل ما خبئ من الانسان، والطلاء: القطران

(٣) فى الديوان «قد أصيبت نفوسهم»

من شواهد تجاهل العارف للتدله فى الحب

١٥٨ – بالله يا ظبيات القاع قلن لنا
لَيلايَ منكنّ أمْ ليلى مِنَ البشر

البيت من قصيدة من البسيط ، واختلف فى نسبته : فنسب للمجنون ، ولذى الرمة ، وللعرجىّ ، وللحسين بن عبد الله الغزى ، ونسبه الباخرزى ، فى دمية القصر ، لبدوىّ اسمه : كامل الثقفى (١) ، والأكثرون على أنه للعرجى ، وأول قصيدة كامل الثقفى (١) :

إنسانةُ الحىّ أم أدماءة السمُرِ — يا للنهى رقصها لحنٌ من الوتر
ياما أميلح غزلاناً شدنّ لنا — من هؤليّاء بين الضال والسمُرِ (٢)

وقال ابن داود فى الزهرة : قال بعض الأعراب :

يا سرحةَ الحىّ أين الرّوحُ وا كبدى — لهفاً تذوبُ وبيتِ الله من حسرِ
ما أنت عجماء عما قد سئلت فما — بالُ المنازلِ لم تنطق ولم تحرِ
يا قاتلَ الله غادات قرعن لنا — حبّ القلوب بما استودعن من حورِ
عنت لنا وعيونٌ من براقعها — مكنونةٌ مُقَلُ الغزلان والبقرِ

وبعده * ياما أميلح . . . . . . البيت * .

والقاع : أرض سهلة قد انفرجت عنها الجبال والآكام ، وتجمع على قيع وقيعة ، وأقواع ، وأقْوُع . والبشر : الإنسان ، ذكراً كان أو أنثى ، واحداً أو جمعا . وقد يثنى ، وقد يجمع .

والشاهد فى البيت : تجاهل العارف ، للتدلّه فى الحبّ ، وهو : التحير والدهش .

---

(١) وقع فى الأصول «كامل المنتقى» فى الموضعين ، وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى الدمية

(٢) فى الدمية وشواهد النحاة «من هؤليا ئكن الضال والسمر»

ومنه قول ذى الرمة [من الطويل] :

أيا ظبيةَ الوعساء بينَ جلاَجلٍ وبينَ النقا أأنت أم أمُّ سالمِ

وما ألطف قول المتنبي [من الخفيف] :

أتُرَاها لكثرَةِ العُشاقِ تحسبُ الدمعَ خِلقَةً فى المآقى

وقول القاضى الفاضل ، يمدح الملك العادل ، أبا بكر بن أيوب ، رحمه الله تعالى ! [من البسيط] :

أهذهِ سيرٌ فى المجد أمْ سوَرُ وهذهِ أنجمٌ فى السعد أم غرَرُ ؟
وأنملٌ أم بحارٌ والسيوفُ لها موجٌ وَإفرِندُها فى لجها دُرَرُ
وأنت فى الأرض ِأم فوق السماء وفى يمينكَ البحرُ أم فى وجهكَ القمرُ

وقوله فيه أيضاً وأجاد [من الوافر] :

أهذِى كفه أم غوثُ غيثٍ ولا بلغَ السحابَ ولا كرامهْ
وَهذَا بشرُهُ أمْ لمعُ برْقٍ وَمنْ لِلبرْقِ فينَا بالإقامهْ
وهذَا الجيشُ أم صرْفُ الليالِى ولاَ بلغَتْ حوَادثها زِحامهْ
وَهـذَا الدهرُ أمْ عبدٌ لديهِ يُصرِّفُ عَنْ عزيمتهِ زمامهْ
وهذا نَصْلُ غمدٍ أم هِلالٌ إذا أمْسَى كَنُونٍ أم قُلاَمَهْ
وَهـذَا الترْبُ أم خدٌّ لثمنا وآثار الشفاهِ عليـهِ شَامهْ

وقوله أيضاً [من الخفيف] :

وإذا قلتُ أينَ دَارى وقالوا هِىَ هذى أقولُ أينَ زَمانى

وقول مهيار الديلمى [من الطويل] :

سلاَ ظبيةَ الوادِى وما الظبىُ مثلها وإن كان مصقولَ التَّرائِبِ أكحلا
أأنتَ أمرْتَ البدْرَ أنْ يَصدَعَ الدُّجى وَعَلَّمْتَ غُصنَ البَانِ أنْ يتميَّلاَ

وقول ابن نباتة السعدى [من الطويل] :

فوالله ما أدرى أكانتْ مُدامةً من الكرْمِ تُجنى أم من الشمسِ تُعصرُ

ومن البديع فى هذا الباب قول ابن هانىء الأندلسى فى المعز لدين الله بانى القاهرة [من الكامل] :

ابنى العوالى السمهريَّةِ والموا ضى المشرفيَّةِ والعديدِ الأكثرِ
منْ منكمُ الملكُ المطاعُ كأنهُ تحتَ السوابغِ تُبَّعٌ فى حِمْيرِ

يحكى أنه لما أنشدهما تَرَجَّلَ العسكر كله ، ولم يبق راكب سوى المعز ، فلا يعلم بيت شعر كان جوابه نزول عسكر جرار غيره .

وما أجود قول التهامى يشكو السهر [من الكامل] :

قصُرَتْ جفُونى أم تباعدَ بينها أمْ مقلتى خُلقتْ بلا أشْفار ؟

وماأبدع قول الشيخ شرف الدين بن الفارض قدس الله سره [من الكامل] :

أومِيضُ برقٍ بالأبيرقِ لاحا أم فى رُبا نجدٍ أرى مِصباحا
أمْ تلكَ ليلى العامريَّةُ أسفرتْ ليلاً فصيرتِ المساء صباحا

وما أحسن قول الباخرزى [من الكامل] :

قالتْ وقدْ فتَّشتُ عنها كلَّ منْ لاقيتُهُ منْ حاضرٍ أوْ بادى
أنا فى فؤادِكَ فارْمِ لحظكَ نحوهُ تَرَنِى فقلتُ لها وأينَ فؤادِى

وفى معناه قول المولى الفاضل بن مليك يرثى ولده [من الخفيف] :

يا مكانَ الفؤادِ أينَ فؤادِى أتراهُ منهمْ على مِيعادِ

وقول العميد أبى سهل محمد بن الحسن [من البسيط] :

يا دهرَنا أينا أشجى ببينهمُ أأنتَ أمْ أنا أمْ ريَّا أمِ الدارُ
يا ليتَ شعرِىَ ما ألوَى بجدتها هوجُ الرِّياحِ وصوبُ الغيثِ مدْرارُ
أم صوبُ دَمعى وأنفاسِى فهنَّ لها بعدَ الأحبةِ أرْواحٌ وأمطارُ

وقول ابن المنير الطرابلسي [من البسيط] :

مَنْ ركّبَ البدرَ في صدرِ الرُّدينيّ ... وموّه السّحر في حدّ اليمانيّ
وأنزَلَ النيّرَ الأعلى إلى فلكٍ ... مدارُه في القَباء الخُسرُوَانيّ
طرْفٌ رنا أمْ قُرابٌ سُلّ صارمهُ ... وأغيدٌ ماس أم أعطافُ خَطّيّ

وقول أبي نصر سعيد بن الشاه [من البسيط] :

أظاعِنٌ أم مقيمٌ أنتَ ياخَلَدِي ... فانني أوّلُ الغادِينَ بعدَ غدِ

وما أحسن ما قال بعده أيضاً :

غداً أودّعُ قوماً أوْدعوا كبدي ... ناراً، وعهدى بهم برداً على الكبدِ
أُبْدِي التجلُّدَ أحياناً فينهرُني ... ريقٌ يجفُّ وخدٌ بالدُّموعِ ندِي
لاأنسَ يوْمَ تنازَعنا حديثَ نوًى ... وقوْلَها وهْيَ تبكي : خانني جلدِي
فدمعُها بَرَدٌ فوقَ العقيقِ جرَى ... وريقُها ضَرَبٌ قدْ شِيبَ بالبرَدِ
كُنّا إلى الوَصلِ قدْ مِلْنا فنغّصهُ ... هذا الرحيلُ الذي مادارَ في خلدِي

وقول الوزير أبي سعد منصور بن الحسين الأبي [من المتقارب] :

أيا ربْعَ علوْةَ بِالمنحَنى ... أأنتَ بِها مغرَمٌ أمْ أنا
ويا طللَ الحيّ مابالُنا ... لبستَ البلى ولبستُ الضنى

وما أحسن قوله بعدهما أيضاً :

أُناشدُكَ اللهَ في قُرْبنا ... وأنّى ومنْ أينَ لي قرْبُنا
بشرْقيّ سَلْمى لنا منزِلٌ ... رفيعُ القواعدِ عالي البنا[1]
أتتني فقالتْ لأتْرَابها ... لنعمَ الفتى إنْ ثوَى عِندنا
فقلت لها أينَ مَغْناكُمُ ... ونحنُ بُحزْوَى فقالتْ هنا
ولكنّ منْ دُوننا باسلاً ... يغارُ علينا إذا زُرْتَنا

---

(١) سلمى : أحد جبلي طيء ، والثاني أجأ

فشاورْ إذا جئتَ جُنحَ الظلامِ فإما علينـا وإما لنـا
فلما امتطيْتُ إليها الدُّجَى دُفِعْتُ إلى تِرْبِها مَوْهِنا
فقامتْ تجرُّ فضولَ الرِّداءِ وتَسفِرُ للوَصلِ ما بيننا
تَبعتُ إلى خِدْرِها تِرْبها فصدَّتْ وقدَ رابها أمرُنا
وقالتْ أترضَى بغيرِ الرضى بكوْنكَ يا ضيفنا ضيفَنا

ومن المعجب هنا قول بعضهم [من الوافر]:

أقولُ له علامَ تميلُ عُجْباً على ضعفي وقدُّكَ مستقيمُ
فقالَ تقولُ عني فيَّ ميلٌ فقلتُ له كذا نقلَ النسيمُ

ومن ظريف ما سمع فيه قول الصوري [من مجزوء الرمل]:

بالذي ألهمَ تعذيـــبي ثناياكَ العذابا
والذي صيَّر حظِّي منكَ هجراً واجتنابا
والذي ألبسَ خدَّيــكَ منَ الوَرْدِ نقابا
ما الذي قالتهُ عيناكَ لقلبي فأجابا

ولأحمد بن حمديس [من الخفيف]:

أبروقٌ تلألأتْ أم ثغورُ وليالٍ دجتْ لنا أمْ شعورُ
وغصونٌ تأودتْ أمْ قُدودٌ حاملاتٌ رمانُهنَّ الصدُورُ

ولابن شمس الخلافة [من الطويل]:

أشعرُكَ أم ليلٌ ووجهكَ أم قمرْ ونَشْرُكَ أمِسكٌ وثغرُكَ أم دُرَرْ
وخدُّكَ أم وردٌ وريقكَ أم طلًى وجسمُكَ أم ماءٌ وقلبكَ أم حجَرْ
شككنا على علمٍ ومَنْ غلبَ الهوى على قلبهِ غطَّى على السمعِ والبصر

ولمؤلفه رحمه الله تعالى فيه [من البسيط]:

ألؤلؤٌ نظمُ هذا الثغرِ أم حبَبُ وقرقفٌ طعمُ ذاكَ الرِّيقِ أم ضرَبُ
وما أراهُ بروْضِ الخدِّ وردٌ رُبًا أم جنةٌ بدمِ العشاقِ تختضبُ

وفى لحاظك سحرٌ يُستطالُ بهِ على القلوبِ أم المسنُونةُ القُضُبُ

ومن مجونه فيه قول بعضهم [من الطويل] :

ولم أدرِ إذ رَقَّ النسيمُ وعيشُنا وصوتُ مغنّينا وصهباه قرقفُ
أعيشى أم صوتُ المغنى أم الصبَا أم الكأسُ أم دِينى أرقُّ وأضعفُ

وهو من قول الآخر [من الخفيف] :

اِسقنى خمرةً كَرِقّة دينى أو كعقلى ولا أقولُ كحالِى
خِيفةً من توهُّم الناسِ أنى قلتُ هذا فى معرِضٍ لسؤالِ

ولطيف قول الشيخ صلاح الدين الصفدى [من الطويل] :

أقولُ لهمْ قدْ رَقَّ عيشى والصِّبَا وعقلى وكاساتى وصوتُ الذى غَنى
فقالَ الذى أهوَى: وخصرى نسيتهُ، فقلت له : واللهِ قدْ جئتَ فى المعنى .

ترجمة العرجى

والعرجى [١] هو عبد الله بن [عمر بن [٢]] عمرو بن عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس .

و إنما لقب بالعرجى لأنه كان يسكن عرْجَ الطائف ، وقيل : بل سمى بذلك لماء كان له ومال كان عليه بالعرج .

وكان من شعراء قريش ، وممن شهر بالغزل منهم ، ونحا نحو عمر بن أبى ربيعة فى ذلك ، وتشبه به ، وأجاد ، وكان مشغوفا باللهو والصيد حريصاً عليهما قليل المبالاة بأحد [٣] فيهما ، ولم تكن له نباهة فى أهله ، وكان أشقر أزرق جميل الوجه ، وكان من الفرسان المعدودين مع مسلمة بن عبد الملك بن مروان بأرض الروم

---

(١) للعرجى ترجمة فى الأغانى (١-١٥٣) وفى مهذب الأغانى (٧-٢٩) وفى بعض نسخ الأغانى « هو عبد الله بن عمرو بن عمرو بن عثمان »
(٢) الزيادة عن الأغانى
(٣) فى الأغانى مكان هذه الجملة « قليل المحاشاة لأحد منهما »

وكان له معه بلاء حسن ونفقة كثيرة ، وباع أموالا عظيمة وأطعم[1] منها فى سبيل الله تعالى حتى نفد كل ذلك ، وكان قد اتخذ غلامين فاذا جاء الليل نصب قدوره وقام الغلامان يوقدان ، فاذا نام أحدهما قام الآخر ، فلا يزالان كذلك حتى يصبحا يقول : لعل طارقا يطرق .

وحدث مصعب قال : كانت حَبَشِيَّةٌ من مولَّدات مكة المشرفة ظريفة صارت إلى المدينة المنورة ، فلما بلغها موت عمر بن أبى ربيعة اشتد جزعها وجعلت تقول : مَنْ لمكة وشعابها وأباطحها ونُزَهِها ووصف نسائها وحسنهن وجمالهن ؟ فقيل لها : خَفِّضِى عليك فقد نشأ فتًى من ولد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه يأخذ مأخذه ويسلك مسلكه ، فقالت : أنشدونى من شعره شيئا ، فأنشدوها ، فقالت : الحمد لله الذى لم يُضَيِّعْ حَرَمَه ، ومسحت عينيها .

وقال سلمة بن إبراهيم بن هشام : كنت عند أيوب بن مسلمة ومعنا أشعب ، فذكرنا قول العرجى [من الخفيف] :

أينَ ما قلتِ مُتُّ قبلكَ أينا ... أينَ تَصديقُ ما عهدتِ إلينا
فلقدْ خفتُ منكِ أنْ تصرِمى الحبـــلَ وأن تجمعى معَ الصُّرْمِ بَيْنَا
ما تقولينَ فى فَتًى هامَ إذْ ها ... مَ بمنْ لا يبالِ جهلاً ومينا[2]
فاجعلى بيننا وبينكِ عدْلاً ... لا تحيفى ولا يَحيفُ علينا
واعلمى أنَّ فى القضاءِ شُهوداً ... ويميناً فأحضِرى شاهدينا
خُلَّتى لوْ قدرتُ منكِ على ما ... قلتِ لى فى الخلاءِ حينَ التقينا
ما تحرَّجتُ منْ دمى علمَ اللهُ ولو كنتُ قدْ شهدتُ حُنَيْنا

---

(١) فى الأغانى « وأطعم ثمنها فى سبيل الله » .

(٢) كذا ، والذى فى الأغانى ومهذبه « بمن لا ينال جهدا وحينا » ، وهو ارق مما هنا

قال : فقال أيوب لأشعب : ما تظن أنها وعدته ؟ قال : أخبرك يقيناً لا ظناً وعدته أن تأتيه فى شِعْبٍ من شعاب العَرْج يوم الجمعة إذا نزل الرجال إلى الطائف للصلاة ، فعرض لها عارض شغْلٍ فقطعها عن موعده ، قال : فمن كان الشاهدان ؟ قال : كسير وعوير ، وكلٌّ غيرُ خيرٍ : فِنْدٌ أبو زيد مولى عائشة بنت سعد ، ووزر العذق [1] مولى الأنصار ، قال : فمن الحكم العدل ؟ قال : حصين بن غرَير [2] الحميرى ، قال : فما حكم به ؟ قال : أدَّتْ إليه حقه فسقطت المؤنة عنه ، قال : يا أشعب ، لقد أحكمت صناعتك ، قال : سل علامة عن علمه .

وحدث محمد بن مخارق قال : واعد العرجى ذات هوى له إلى شعب من شعاب عَرْج الطائف إذا نزل رجالها يوم الجمعة إلى مسجد الطائف ، فجاءت على أتان لها معها جارية لها ، وجاء هو على حمار له ومعه غلام له ، فواقع هو المرأة ، وواقع الغلام الجارية ، ونزا الحمار على الأتان ، فقال العرجى : هذا يوم قد غاب عذّاله .

وحدث الزهرى [3] وغيره أن العرجى خرج إلى جنبات الطائف [4] يوما متنزها ، فمر ببطن النقيع [5] فنظر إلى أم الأوقص — وهو محمد بن عبد الرحمن المخزومى القاضى — وكان يتعرض لها ، فاذا رآها زمت نفسها [6] وتسترت منه ، وهى امرأة من بنى تميم ، فبصر بها فى نسوة جالسة وهن يتحدثن ، فعرفها وأحب أن يتأملها من قرب ، فعدل عنها ، ولقى أعرابيا من بنى نصر على بكر له ومعه

---

(١) فى الأغانى « ووزور الفرق » ، وفى بعض نسخه « وزر الفرق »

(٢) فى الأغانى « حصين بن عرير » بالمهملة ، ولكنه ذكر فيه فى الأخبار الآتية بالمعجمة كما هنا

(٣) فى الأغاني « الزبيرى وغيره » وهو الصواب

(٤) فى الأصل « جنبان الطائف » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الأغاني

(٥) فى الأغانى « ببطن البقيع » .

(٦) فى الأغانى « رمت بنفسها » وأحسبه محرفا عما هنا

وَطُبَّانٍ من لبن ، فدفع إليه دابته وثيابه وأخذ قَعُوده ولبنه ولبس ثيابه ، ثم أقبل فر على النسوة ، فصحن به : يا أعرابى ، أمعك لبن ؟ قال : نعم ، فمال إليهن ، وجعل يتأمل أم الأوقص ، وتواثب من معها إلى اللبن ، وجعل العرجى يلحظها وينظر أحيانا إلى الأرض كأنه يطلب شيئا ، وهن يشربن اللبن ، فقالت امرأة منهن : أى شىء تطلب يا أعرابى فى الأرض ؟ أضاع منك شىء ؟ قال : نعم ، قلبى ، فلما سمعت التميمية كلامه نظرت إليه ، وكان أزرق ، فعرفته فقالت : العرجى وربُّ الكعبة ، ووثبت وسَتَرَها نساؤها ، وقلن له : انصرف عنا لا حاجة بنا إلى لبنك ، فمضى منصرفا ، وقال فى ذلك [من الوافر] :

أقولُ لصاحبيَّ ومثلُ مابى ... شكاهُ المرءُ ذُو الوجد الأليمِ
إلى الأخوينِ مثلهما إذا ما ... تـأوَّبهُ مؤرِّقـةُ الهمومِ
لحينى والبلاء لقيتُ ظُهْراً ... بأعلى النقعِ أُختَ بنى تميمِ
فلما أنْ رأتْ عيناىَ منها ... أسيلَ الخدِّ فى خلقٍ عظيمِ [١]
وعينَىْ جؤذرٍ خشفٍ وثغراً ... كلوْنِ الأقحوانِ وجيدَ رِيمِ [٢]
حنا أترابها دُونى عليها ... حُنوَّ العائداتِ على السقيمِ

وحدث مصعب بن عبدالله عن أبيه ، قال : أتانى أبوالسائب المخزومى ليلة بعد مارقد الناس [٣] فأشرفت عليه ، فقال : سهرت وذكرت أخاً لى أستمتع به فلم أجد سواك ، فلو مضينا إلى العقيق وتناشدنا وتحدثنا ، فمضينا فأنشدته فى بعض ذلك بيتين للعرجى ، وهما [من الكامل] :

بَاتا بأنعَمِ ليلةٍ حتى بدا ... صُبحٌ تلوّح كالأغرّ الأشقرَ

---

(١) فى الأغانى « فى خلق عميم »
(٢) فى الأغانى « وعينى جؤذر خرق » ويقال : خرق الظبى فهو خرق - كفرح فهو فرح - إذا دهش من فزع
(٣) فى الأغانى « بعد ما رقد السامر » .

فتلازَما عندَ الفراقِ صبابةً أخْذَ الغريمِ بفضْلِ ثوبِ المعْسِرِ

فقال : أعـده على ، فأعدته ، فقال : أحسن والله ، امرأته طالق إن نطق بحرف غيره حتى يرجع إلى بيته ، قال : فلقينا عبدالله بن حسن [بن حسن](١) ، فلما صرنا إليه وقف بنا وهو منصرف من ماله يريد المدينة المنورة ، فسلم ثم قال : كيف أنت ياأبا السائب ؟ فقال له :

فتلازَما عِندَ الفرَاقِ صبَابةً أخذَ الغَرِيمِ بفَضل ثوبِ المُعسِرِ

فالتفت إلى وقال : متى أنكرت صاحبك ؟ فقلت : منذ الليلة ، فقال : إنا لله ، وأى كهل أصيبت به قريش ؟ ثم مضينا فلقيه محمد بن عمران التيمى(٢) قاضى المدينة يريد مالا على بغلة له ومعه غلامه على عنقه مخلاة فيها قيد البغلة ،فسلم عليه ثم قال له : كيف أنت يا أبا السائب؟ فقال : * فتَلَازَما عندالفِرَاقِ صَبَابَةً * وذكر البيت ، فالتفت إلى وقال : متى أنكرت صاحبك ؟ فقلت كما قلت آنفاً ، فلما أراد المضى قلت : أفتدعه هكذا ؟ والله لا آمن أن يتهور فى بعض آبار العقيق ، قال : صدقت . ياغلام قيده بقيد البغلة ، فوضعه فى رجليه ، وهو ينشد البيت و يشير بيده إليه ، يرى أنه يفهم عنه قصته ، ثم نزل الشيخ وقال لغلامه : احمله على بغلتى وألحقه بأهله ، فلما كان بحيث علمت أنه قد فاته أخبرته بخبره ، فقال : قبحك الله ماجناً ! فضحت شيخاً من شيوخ قريش وغرَّرْتَنِى .

وكان العرجى يشبب بجيداء ـ وهى أم محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومى ـ ليفضح ابنها لا لمحبة كانت بينهما ، فكان محمد بن هشام يقول لأمه : أنت غضضت منى لأنك أمى ، وأهلكتنى وقتلتنى ، فتقول له : و يحك! وكيف ذلك ؟ فيقول : لو كانت أمى من قريش ما ولى الخلافة غيرى .

---

(١) الزيادة عن الأغانى .

(٢) فى الأصل « التميمي » محرفا عما أثبتناه وهو موافق لما فى الأغانى

وكان العرجى فى خلال ذلك يهجو محمد بن هشام ، فلم يزل مضطغنا عليه متطلباً سبيلا إليه حتى وجده فيه ، فأخذه وقيده وضربه وأقامه للناس على البُلُسِ ثم حبسه وأقسم أن لا يخرج من السجن ما دام له سلطان ، فمكث فى حبسه نحواً من تسع سنين حتى مات فيه .

وروى أن السبب فى حبس محمد بن هشام العرجى أنه لاحَى مولًى لأمية فأمضه[1] العرجى ، فأجابه المولى بمثل ما قاله له ، فأمهله حتى إذا كان الليل أتاه مع جماعة من مواليه وعبيده ، فهجم عليه فى منزله فأخذه فأوثقه كتافا ، ثم أمر عبيده أن ينكحوا امرأته بين يديه ففعلوا ، ثم قتله وأحرقه بالنار ، فاستَعْدَت امرأة المولى عليه محمد بن هشام ، فحبسه .

وقيل : إن العرجى كان قد وكل بحُرَمه مولًى له يقوم مقامه بأمورهن ، فبلغه أنه يختلف إليهن[2] ، فلم يزل يرصده حتى وجده يحدث بعضهن ، فقتله وأحرقه بالنار ، فاستعدت عليه امرأة المولى محمد بن هشام المخزومى ، وكان والياً على مكة المشرفة فى خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان ، فضربه ، وأقامه على البُلُسِ ، وسجنه .

وروى أن أشعب كان حاضرا العرجى وهو يشتم مولاه هذا ، وأنه طال شتمه إياه ، فلما أكثر رَدُّ المولى عليه ، فاختلط العرجى[3] من ذلك وقال لأشعب : اشهد على ماسمعت ، فقال أشعب : وعلى مَ أشهد وقد شتمته ألفاً وشتمك واحدة؟ والله لو أن أمك أم الكتاب وأمه حمالة الحطب ما زاد على هذا شيئاً

ولما أخذ العرجى أخذ معه الحصين بن غرير الحميرى ، وكان صديقا له ، وخليطاً فجلدا وصب الزيت على رؤوسهما ، وأقيما على البُلُسِ بمكة ، فجعل العرجى ينشد [من الوافر] :

---

(١) أمضه : آلمه وأوجعه

(٢) فى الأغانى « يخالف إليهن »

(٣) اختلط : أراد أنه غضب غضبا شديدا ، حتى لكأنما فسد عقله

سَيَنصرُنا الخليفةُ بَعْدَ رَبِّي ... وَيَغضبُ حينَ يُخبَرُ عن مَساقي

عَلَيَّ عباءةٌ بَلْقاء ليست ... مع البلوَى تغيبُ نصفَ ساقي

وتَغْضَبُ لى بأجمعها قُصَيٌّ ... قطينُ البيت والدُّمْثِ الرقاقِ

ثم يصيح : ياغُرير أجياد يا غرير أجياد ، يعنى به الحصين بن غرير المجلود معه ، فيقول له : ألا تدعنا ، ألا ترى ما نحن فيه من البلاء ؟

ومر رجل على العرجى وهو واقف على البُلُسِ هو ورفيقه ، والناس مجتمعون ينظرون إليهما ، وكان الرجل صديقاً للعرجى ، وكان فأفاء ، فوقف عليه وأراد أن يتوجع لما ناله ويدعو له ، فلجلج لما كان فى لسانه كما يفعل الفأفاء ، فقال ابن غرير : لا فرجت من فيك أبدا ، فقال له الرجل : فكأنك إذا لا برحت منه أبدا .

ومر به صبيان يلتقطون النوى ، فوقفوا ينظرون إليه ، فالتفت ابن غرير إلى العرجى وقال له : ما أعرف فى الدنيا شيخين أشأم منى ومنك ، إن هؤلاء الصبيان لأهليهم عليهم فى كل يوم على كل واحد منهم مُدُّ نَوًى ، فقد تركوا لقطهم للنوى ووقفوا ينظرون إلى وإليك ، وينصرفون بغير شىء فيضربون فيكون شؤمنا قد لحقهم .

وكانت وفاة العرجى سنة [1]

ولما ولى الوليد بن يزيد الخلافة كان مضطغنا على محمد بن هشام المخزومى أشياء كانت تبلغه عنه فى حياة هشام ، فقبض عليه ، وعلى أخيه إبراهيم بن هشام ، وأشخصا إليه إلى الشام ، ثم دعا لهما بالسياط ، فقال له محمد : أسألك

---

(١) كتب مصحح نسخة بولاق على هامش النسخة هنا ما نصه :
« هكذا فى الأصول التى بأيدينا ولم نقف له على تاريخ وفاة بعد مراجعة بعض المظان » .

بالقرابة ، قال : وأى قرابة بينى و بينك ، وهل أنت إلا من أشجع ، قال : فأسألك بصهر عبد الملك ، قال : لم تحفظه ، قال : يا أمير المؤمنين قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب قرشى بالسياط إلا فى حدّ ، قال : فنى حدّ أضربُكَ وَقَوَدٍ ، أنت أول من سن ذلك على العرجى ، وهو ابن عمى وابن أمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه ، فما رَعَيْتَ حق جده ولا نسبه بهشام ولا ذكرت حينئذ هذا الخبر ، وأنا ولى ثأره ، اضرب ياغلام ، فضربهما ضرباً مبرحا وأثقلا بالحديد ووجه بهما إلى يوسف بن عمر بالكوفة ، وأمره باستصفائهما (١) وتعذيبهما حتى يتلفا ، وكتب إليه : احبسهما مع ابن النصرانية ، يعنى خالدا القسرى ، ونَفْسَكَ نفسك إن عاش أحد منهم ، فعذبهم عذاباً شديداً ، وأخذ منهم مالا عظيما ، حتى لم يبق فيهم موضع للضرب ، وكان محمد بن هشام مطروحاً فاذا أرادوا أن يقيموه أخذوا بلحيته وجذبوه منها ، ولما اشتدت عليهما الحال تحامل إبراهيم لينظر وجه أخيه محمد فوقع عليه فماتا جميعاً ، ومات خالد القَسْرىُّ معهما فى يوم واحد ، وقال الوليد بن يزيد لما حملهما إلى يوسف بن عمر هذه الأبيات [من المنسرح] :

قد راحَ نحوَ العراق مَشْخَلَبَهْ ... قُصارهُ السِّجْنُ بعدهُ الخَشَبَهْ
يركَبُها صاغراً بلا قتَبٍ ... ولا خطامٍ وحوله جَلَبَهْ
فقل لدعجاء إن مَرَرْتَ بها ... لن يُعْجزَ اللهَ هاربٌ طلبهْ
قد جعلَ اللهُ بعد غَلْبَتِكم ... لنا عليكم بأمره الغلبَهْ
لستِ لهاشمٍ ولا إلى أسَدٍ ... ولا إلى نوفَلٍ ولا الحَجَبَهْ
لكنما أشجعٌ أبوكِ سَلِ الـ ... ـكلبى لا ما تزوّقُ الكذبهْ

(١) فى الأصل « باستصغائهما » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى ويؤيده قوله فيما بعد « وأخذ منهم مالا عظيما » وهو معنى الاستصفاء

وحدث إسحاق قال : غنيت الرشيد يوماً فى عُرْضِ الغناء *أضاعونى وأى فتى أضاعوا * فقال لى : ما كان سبب هذا الشعر حتى قاله العرجى؟ فأخبرته بخبره من أوله إلى أن مات ، فرأيته يتغيظ كلما مر منه شىء ، فأتبعته بحديث مقتل ابنى هشام ، فجعل وجهه يُسْفِر وغيظه يسكن ، فلما انقضى الحديث قال لى : يا إسحاق لولا ما حدثتنى به من فعل الوليد لما تركتُ أحداً من أماثل بنى مخزوم إلا قتلته بالعرجى ، وسيأتى خبر هذا الشعر فى التضمين، إن شاء الله تعالى .

***

شاهد القول بالموجب أسلوب الحكيم

١٥٩ — قُلْتُ ثَقَّلْتُ إذ أتيتُ مراراً قال ثقَّلْتَ كاهلى بالأيادى

البيت من الخفيف، وبعده :

قلتُ طوَّلتُ قال لا بل تطوَّلــــــت وأبرمتُ قال حبلَ ودادى

والبيتان منسوبان لابن حجاج ، ولم أرهما فى ديوانه، ونسبهما سبط ابن الجوزى صاحب مرآة الزمان لمحمد بن إبراهيم الأسدى .

والكاهل : الحارك ، أو مُقدَّم أعلى الظهر مما يلى العنق ، وهو الثلث الأعلى وفيه ست فقر ، أو هو ما بين الكتفين وموصل العنق فى الصلب ، والأيادى : جمع يد، وهى النعمة .

وفى معنى البيتين قول ابن الخازن [من الوافر] :

لئن سمَّيت إبراماً وثقلاً زياراتٍ بهنَّ رفعتَ قدْرى

فما أبرَمْتَ إلا حبْلَ ودى وما أثقلت إلا ظهْرَ شكرى

وقول ابن البغدادى [من الطويل] :

حَجَبت إليه والعذول يحجبنى عليه فكان العذْلُ رنةَ حادى

فأحرمت لكن مُقْلتى سِنةَ الكرَى وطفتُ ولكن حولهُ بودادى

والشاهد فيهما : القول بالموجب ، ويسمى أسلوب الحكيم ، وهو على ضربين : أحدهما أن تقع صفة فى كلام الغير كناية عن شىء أُثْبِتَ له حكم فتثبت تلك الصفة لغير ذلك الشىء من غير تعرض لثبوته له أو نفيه عنه ، والثانى : حمل لفظ وقع فى كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه ، وهذا هو القسم المستعمل بين الناس ونظمه الشعراء ، ومما يستشهد به عليه قول الأرجانى [من الرمل] :

غالَطَتْنى إذ كست جسمى ضنىً كسوةً أعْرَتْ من اللحم العِظاما
ثم قالت أنت عِندى فى الهوى مثل عينى ، صدَقَتْ لكن سَقَاما

وقد أخذه ابن نقادة أخذاً قبيحاً فقال [من الرمل] :

غالطتنى حين حاكى خَصْرُها جسمىَ الممْرَضَ وَجْداً وغَراما
ثم قالت أنتَ عندى ناظرِى ولَعَمْرِى صدَقَتْ لكن سقاما

وقد أخذه آخر أيضاً فقال [من الوافر] :

شكَوْت صبابتى يوماً إليها وما قاسَيتُ من ألم الغرامِ
فقالت أنت عندى مثلُ عينى لقد صدَقت ولكن فى السَّقامِ

وقد وقع لمؤلفه رحمه الله هذا المعنى فى عروض قصير فقال [من الرمل] :

غالطتنى حينَ قالَتْ والجوَى يَبْدِى العظَاما
أنْتَ عندى مثلُ عينى صدَقتْ لكن سقَاما

ووقع له فى هذا النوع أيضاً وهى واقعة حال فقال [من مخلع البسيط] :

طلبت خصماً فلاذ منّى بظالم سِفْلَةٍ معاب
وقال ذا فى حِمَى كلَيْبِ يَصْدُق لكن من الكلابِ

وما أصدق قول ابن حجلة [من الكامل] :

رؤساؤنا مَنْ جاءهم بقصيدةٍ كانَتْ جوائزُهُم عليها شكْرُهُ

و إذا طَلَبت وظيفةً من حاكمٍ فابشر فقد ولاكَ لكن ظَهْرَهُ

وقوله أيضاً [من الوافر] :

شكَوْتُ إلى الحبيبة سوء حظى وما أَلقاهُ من أَلم البعادِ
فقالت أنت حظك مثل عينى فقلتُ نعم ولكن فى السوادِ

ولأبى عامر الجرجانى فيه [من المتقارب] :

عَذيرِىَ من شاطرٍ أَغضبُوهُ فجرَّدَ لى مرْهفاً فاتكاَ
وقال أَنا لك يا ابن الحسين وهَلْ لى رجاءٌ سِوَى ذلكاَ

ومثله قول صدر الدين بن الوكيل [من الطويل] :

وَلِى مَنْ قسا قلباً ولان معاطِفاً إذا قلت أدنانى يُضاعفُ تبعيدى
أقولُ برِقّ إذ أقولُ أنالهُ وكم قالها يوماً ولكن لِتهديدى

وللسراج الوراق أيضاً [من الكامل] :

قالوا وقد ضاعتْ جميعُ مُصالحى لهمومِ دهرى ليتَ لاحُمِّلتَها
قد كانَ عندكَ يافلانُ صَرِيمَة فأجبتُهم بعتُ الحمارَ و بعتُها

وله أيضا رحمه الله [من مجزوء الكامل] :

مُتمارِضٌ جَعل التغا شى من خبَائثهِ سببْ
و يقولُ ما أنا طَيِّبٌ صدَقَ اللعينُ وما كذبْ

وله أيضا [من السريع] :

وسائلٍ يَسأَلُ مِنِّى وقدْ أنشَدْتُ شعراً يشبهُ الشعرى
يقول إن كنت لدى معشرٍ قد عبدوا البيضاء والصفْرَا
ما حصلَتْ دائرةٌ بينهم قلت نعم بطيخَةٌ خَضْرَا

وله أيضا [من المجتث] :

لقنته العذرَ عن تر ... ك حاجتى لو تصوّرْ

فقلتُ أُنسيتها والنّسيان أمرٌ مقدّرْ

فقال لستُ بناس ... فقلتُ مولاى أخبرْ

وله أيضا [من البسيط] :

وقائلٍ قال لى لما رأى قلَقى ... لطول وعدٍ وآمالٍ تمنّينا

عواقبُ الصبر فيما قال أكثرهم ... محمودةٌ قلت أخشى أن تخرّينا

وله أيضا [من الكامل] :

قالت جمعتَ لفاقةٍ كسلاً ... فانهض وقم وادأب لهمّ العائلهْ

فأجبتُ هل تدرى لهم سبباً ... قالت ولا وتداً وهذى الفاصلهْ

ولابن سناء الملك رحمه الله [من السريع] :

لهفى على عشّاقك الطُّرْشِ ... العُمْىِ فى عشقك لا العُمْشِ

عاشقك القش ولا غرو أن ... تلتهب النيران فى القش

قالوا لقد أحدث من بعدنا ... ما لا يرى قلت على الفرش

ولشمس الدين محمد التلمسانى [من مخلع البسيط] :

اسمُ حبيبى وما يعانى ... قد شغلا خاطرى ولبّى

قالوا علىٌّ فقلت قدراً ... قالوا كوافى فقلت قلبى

وما أحسن قول بعضهم [من الخفيف] :

قُلتُ للأهيفِ الّذى فضحَ الغصْنَ كلامُ الوُشاةِ ما ينبغى لكْ

قالَ قوْلُ الوُشاةِ عندىَ ريحٌ ... قلت أخشى ياغصن أن يستميلك

ولبعضهم فى معناه وإن لم يكن من هذا الباب [من الوافر] :

تُثَنِّى عِطْفَهُ خَطَرَاتُ دَلٍّ إذا لم تَثْنِهِ نَشَوَاتُ رَاحِ
يَمِيلُ مع الوُشاةِ وأىُّ غُصْنٍ رَطِيبٍ لا يميلُ مع الرِّياحِ

وقد ألم به ابن سناء الملك فقال [من البسيط] :

يا عاطِلَ الجيدِ إلا مِنْ مَحَاسِنِهِ عَطّلْتُ فيكَ الحَشَى إلا مِن الحَزَنِ
فى سِلْكِ جِسمى دُرُّ الدمعِ مُنْتَظِمٌ فَهَلْ لِجيدِكَ فى عِقْدٍ بلا ثَمَنِ
لا تَخْشَ منى فإنى كالنَّسيمِ ضَنًى وما النَّسيمُ بمَخْشِىٍّ على الغُصُنِ

وقولُ ابن نباتة هنا غايةٌ ، وهو [من الكامل] :

ومَلولةٍ فى الحبِّ لمَّا أنْ رأت أثَرَ السقام بعَظْمِىَ المُنْهَاضِ
قالَتْ تغيَّرْتَ فقُلْتُ لها نَعَمْ أنا بالسَّقام وأنْتَ بالأعْراضِ

ولعله من قول السراج الوراق [من مخلع البسيط] :

قالَ صديقى ولَمْ يَعُدْنى وعارضُ السُّقم فِىَّ أثَرْ
لَقَدْ تغيرْتَ يا صديقى ويَعْلَم اللهُ مَنْ تغيرْ

وما أبدع قول ابن نباتة أيضا [من الطويل] :

أتاركةٌ بالحُزْنِ قلبى مُقيداً ودَمْعِى على الخَدَّيْنِ وهو طَليقُ
يقولون قَدْ أخلقتَ جفنَكَ بالبُكى نَعَمْ إنَّ جفْنِى بالبكاءِ خليقُ
دعُوا الدمْعَ لِلجفْنِ القَرِيحِ مؤاخياً فانى فَقَدْتُ الخدَّ وهْوَ شقيقُ

وقوله أيضاً [من السريع] :

مُقبِلُ الوجهِ أدارَ الطِّلاَ وقالَ لى فى شُرْبِها عاتِبى
عَنْ أحْمَر المشْرُوب ماتنتهى قلتُ ولا عَنْ أخضرِ الشارب(١)

---

(١) فى الأصل « فقلت ولا عن أخضر الشارب » ولا يستقيم وزن البيت إلا مع حذف الفاء من « فقلت » كما أثبتناه .

ولابن الصائغ أيضا [من السريع] :

عارضنى المُذالُ فى عارضٍ قالوا بلُطفٍ بَعْدَ ما أطنبُوا
ما آنَ بالعارض أنْ تَنْتهى قُلْتُ ولا بالشَّيْبِ لا تتعبُوا

وللشهاب محمود [من المتقارب] :

رأتنى وقَدْ نالَ منى النحولُ وفاضَتْ دُمُوعى على الخدّ فيضا
فقالت بعَينىَ هـذا السَّقامُ فقُلْتُ صدَقْتِ وبالخصْرِ أيضا

ولمحاسن الشواء ، وهو من أحسن ما وقع فى هذا النوع [من الطويل] :

ولما أتانى العاذِلونَ عَدِمتُهُمْ وما فِيهمُ إلا لِلَحْمِيَ قارضُ
وقَدْ بُهِتُوا لمّا رأونىَ شاحباً وقالوا به عَيْنٌ فقلتُ وعارضُ

ومن هنا أخذ ابن النقيب قوله [من الطويل] :

ومابى سِوَى عينٍ نظَرتُ لحُسنها وذاكَ لجهلى بالعيُون وغرّتى
وقالوا بهِ فى الحُبِّ عينٌ ونَظْرةٌ نعم صدَقُوا عينُ الحَبيب ونظرتى

وأصله من قول الأول [من الطويل] :

وجاؤا إليهِ بالتعاويذِ والرُّقَى وصبُّوا عليهِ الماءَ مِنْ ألم النكس
وقالوا بهِ مِن أعيُن الجنّ نَظْرةٌ ولو صدقُوا قالوا بهِ نظرَةُ الانس

ولابن الدويدة المعرى من أبيات يخاطب بها من أودع قاضيا مالا فادعى ضياعه فقال [من الكامل] :

إن قالَ قَدْ ضاعَتْ فيصدُقُ أنها ضاعَتْ ولكنْ منك يعنى لو تعى
أو قالَ قد وقعَتْ فيصدُقُ أنها وقعَتْ ولكنْ مِنهُ أحسَنَ موقع

ومثله قول على بن فضالة ، أو ابن الرومى [من الوافر] :

وإخوانٍ حسِبتُهُمُ دُرُوعا فكانُوها ولَكنْ للأعادِى

وخلتهم سهاما صائبات فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب لقد صدقوا ولكن من ودادى
وقالوا قد سعينا كل سعى لقد صدقوا ولكن فى فسادى

وما ألطف قول السراج الوراق [من الوافر] :

شكى رمدا فقلت عساه كانت لواحظه من الفتكات فينا
وقالوا سيف مقلته تصدى فقلت نعم لقتل العاشقينا

وللصلاح الصفدى فى القول بالموجب [من الكامل] :

ولقد أتيت لصاحبى وسألته فى قرض دينار لأمر كانا
فأجابنى والله دارى ما حوت عينا فقلت له ولا إنسانا

وله أيضا رحمه الله [من السريع] :

وصاحب لما أتاه الغنى تاه ونفس المرء طماحه
وقيل هل أبصرت منه يدا تشكرها قلت ولا راحه

وللنور الاسعردى أيضا [من المتقارب] :

سألت الوزير أتهوى النساء أم المرد جاروا على مهجتك
فقال وأبدى الخلاعات لى كذا وكذا قلت من زوجتك

وله عندما عمى فى آخر عمره [من الوافر] :

سألت الله يختم لى بخير فعجله ولكن فى عيونى

وعلى ذكر عماه فما أعذب قوله [من السريع] :

يا سائلى لما رأى حالتى والطرف منى ليس بالمبصر
لست أحاشيك ولكننى سمحت بالعينين للأعور

وهو يشبه قول الجمال بن نباتة [من الطويل] :

يقولون من وطء النساء خف العمى ... فقلت دعوا قصدى فما فيه من شين
إذا كان شفر العين دون محلها ... فعندى أنا الأشفار خير من العين

وقال الصلاح الصفدى [من السريع] :

صدق خلى نسمات الصبا ... فيما روت عنكم وما شككا
وقال لا أخبر منها بما ... جاءت به قلت ولا أزكى

وله أيضا رحمه الله [من الوافر] :

بدا فى الخد عارضه فأضحى ... عليه معنفى باللوم يغرى
وحاول أن يرى منى سلوا ... وقال لقد تعذر قلت صبرى

وله أيضاً [من السريع] :

تقول صحبى إذ أتى منكم ... مشرف بالغث فى شكره
هل يلتقى أكرم من طيبه ... قلت ولا أطيب من نشره

وللنور الاسعردى مماجنا للزين الاسعردى [من الخفيف] :

قلت يوماً للزين هل تثبت البعث ... وتنفى إنكارهم للحشر
قال أثبت فقلت ذقنك فى استى ... قال أنى فقلت فى وسط جحرى

وهو مأخوذ من قول الآخر [من السريع] :

جاء فلان الدين فى وجهه ... أنف له كاد يواريه
قلت له : ماذا الفضا؟ قال لى ... ذا منخرى ، قلت: أنا فيه

ومثله قول الوداعى [من السريع] :

وذى دلال أحور أغيد ... أصبح فى عقد الهوى شرطى
طاف على القوم بكاساته ... وقال ساق قلت فى وسطى

وحذاق البديع أخلوا هذا النوع من لفظة لكن ، وخصوابها نوع الاستدراك ليحصل الفرق بينهما .

ولنذكر طرفا من ترجمة من نُسب البيت إليه

ترجمة ابن حجاج

أما ابن الحجاج فهو(١) أبو عبد الله الحسن بن أحمد البغدادى

قال الثعالبى فى حقه : هو من سحرة الشعراء(٢) وعجائب العصر، وفرد الزمان فى فنه الذى شهر به ، ولم يُسْبَق إلى طريقته ، ولم يلحق شأوه فى نمطه ، ولم ير كاقتداره على ما يريد من المعانى التى تقع فى طَرْزه ، مع سلاسة الألفاظ وعذوبة المعانى ، وانتظامها فى سلك الملاحة ، وإن كانت مفصحة عن السخافة ، مَشُوبة بلغات المحدثين والمولدين(٣) وأهل الشطارة ، لكنه على علاته يتفكه الفضلاء بثمار شعره ، ويستملح الكبراء بينات فكره ، ويستخف الأدباء أرواح نظمه ، ويحتمل المحتشمون فرط رفثه وقذعه(٤) ومنهم من يغلو فى الميل إلى مايضحك ويمتع من نوادره ، ولقد مدح الملوك والأمراء [والوزراء](٥) والرؤساء فلم يخل قصيدة فيهم عن سفاتج هزله ، ونتائج فحشه ، وهو عندهم مقبول الجملة غالى مهر الكلام موفور الحظ من الاكرام والانعام ، مُجَاب إلى مقترحه من الصِّلات الجسام ، والأعمال المجدية التى ينقلب منها إلى خير حال ، وكان طولَ عمره يعيش فى أكنافهم عيشة راضيةً ، ويستثمر نعمة صافية ضافية(٦)

فمن نظمه قوله يصف نفسه [من الخفيف] :

---

(١) اقرأ هذه الترجمة فى يتيمة الدهر للثعالبى (٣-٢٥ - ٨٧ مصر)

(٢) فى اليتيمة « سحرة الشعر » وهو أنسب بطريقة الثعالبى المبنية على السجع .

(٣) فى اليتيمة مكان هذه الكلمة « مشوبة بلغات الخلديين والمكديين »

(٤) فى الأصل « وفدغه » وقد أثبتنا لفظ اليتيمة إذ كان هو المنقول عنه

(٥) الزيادة عن اليتيمة .

(٦) وقع فى الأصل « نعمة طافية صافية » وأثبتنا لفظ اليتيمة .

حَدَثُ السِّنِّ لم يزَلْ يتلهَّى علمُهُ بالمشـايخ العُلماءِ
خاطرٌ يصفَعُ الفرَزْدَقَ بالشِّعْرِ ونَحْوٌ ينيكُ أمَّ الـكسائى

وقوله [من الوافر]:

تَرانى ساكناً حانوتَ عطرٍ فإن أنشدتُ ثارلكَ الـكنيف

وقوله [من مجزوء الكامل]:

شعري الذي أصبَحْتُ فيهِ فضيحةً بَينَ الملاَ
لا يستَجيبُ لخاطرى إلا إذا دخـل الخلاَ

ومن ملحه أنه دعا يوماً مغنية، وكانت قبيحة المنظر، فلما دارت الـكؤوس تساكرت عليه وتناومت وهوجالس فقال [من مجزوء الرمل]:

خطَتِ البظرَاء لما عَاينتْ مفتاحَ دبرى[1]
ورَجتْ منى خيراً قُلتُ لا تَرْجين خيرى
اقعُدِى عنى وهذا فافعليهِ معَ غـيرى
أنتِ فى دعوةِ أُذنى لستِ فى دعوةِ أيْرى

وحضر يوماً مع صديق له يكنى أبا الحسين فى دار رجل بخيل فالتمس أبو الحسين العشاء بعد الغداء فقال [من مخلع البسيط]:

يا سيدِى يا أبا الحُسين أنتَ رَفيعٌ بنقطتينِ
يا كَلْبَ الضِّرْس لن يُداوى ضِرْسُكَ إلا بِـكلبتين[2]

---

(١) فى اليتيمة « عطت البظراء»
(٢) فى اليتيمة « ما يداوى » .

ويحك قلْ لي جنفتَ حتى تلتمِسَ الخبز مرَّتين
في دارِ منْ خبزُهُ عليهِ ألفُ رقيب بألفِ عين

وحضر في دعوة رجل آخر فأخر الطعام إلى المساء فقال [من مجزوء الكامل]:

ياصاحبَ البيْتِ الذي ضيفانُهُ ماتوا جميعا(١)
حصَّلْتنَا حتى نمُو ت بدائِنا عطَشاً وَجُوعا
مالي أرى فلكَ الرغيف لديكَ مشترفاً رفيعا
كالبدْرِ لا نَرْجُو إلى وقتِ المَساء له طُلوعا

وصار صاحب الدعوة يجيء و يذهب في داره فقال [من السريع]:

يا ذاهباً في داره جائياً لغير ما معنى ولا فائِدَهْ
قد جُنَّ أضيافك من جُوعهم فاقرَأْ عليْهِم سُورةَ المَائِدَهْ

وكان بعض أصحاب الدواوين يطالبه بحساب ناحية قد كان وليها، فكتب إليه [من الوافر]:

أيامن وجهُهُ قمرٌ منيرٌ يُضيء لنا ورَاحتهُ سحابُ
إذا حَضرَ الحساب أعدتَ ذكري وتنساني إذا حَضرَ الشَّراب
أجبني بالقنــــاني والمَثاني ووجْهِكَ إنهُ نِعمَ الجوَابُ
وكِلْني في الحسابِ إلى إلهِ يسامِحُني إذا وُضعَ الحسابُ

وكان له صديق له ابن يكنى أباجعفر، وكان مشتهراً بالقحاب، فسأله أن يعاتبه ويشير عليه بالتزوج فكتب إليه [من السريع]:

إياكَ والعِفّةَ إياكا إياكَ أنْ تفسد مَعناكا
أنتَ بخيرٍ يا أبا جعفرٍ مادُمتَ صُلبَ الأيرنَيَّاكا

---

(١) في اليتيمة «أضيافه ماتوا جميعا»

فنِكْ ولوْ أُمّكَ واصفَعْ ولو   أباكَ إن لامكَ فى ذا كا

وكان الرئيس أبوالفضل والوزير أبو الفرج قد دخلا الديوان لعقوبة أصحاب الوزير المهلبي عقب موته ، وأمرا بأن تلوث ثياب الناس بالنفط إن قربوا من الباب ، وكان المهلبي قد فعل مثل هذا ، فحضر ابن الحجاج فحُجِبَ وخاف من النفط فانصرفْ وقال [من مخلع البسيط] :

الصفعُ بالنِّفط فى الثياب   مالم يكن قَطُّ فى حسابى(١)

ليْسَ يقُومُ الوُصول عِندى   مقَام خيطين مِنْ ثيابى(٢)

يا ربَّ مَنْ كان سَنّ هذا   فزده ضِعفاً من العَذاب

وكان ابن شيرزاد(٣) قد صارع السبع فقتله ، ثم عاد لمثله ، فكتب إليه ابن الحجاج يقول [من مخلع البسيط] :

يامَنْ إلى مَجْدِهِ انقطَاعى   ومَنْ به أخصبَتْ رباعى

قد زاد خوفى عليكَ جدا   وعظمَ الأمْرُ فى ارتياعى

فى كلّ يومْ سبع جديدٌ   ينفرُ مِنْ ذكرِهِ استماعى

تَغْدُو إليْهِ بلاَ احتشامِ   ولا انقباضٍ ولا امتناع

وليْسَ قتْلُ السباع مِمّا   يُدْرك بالخَتْلِ والخداع

إنَّ صِراعَ السباع عندِى   حاشاكَ ضَرْبٌ مِنَ الصُّدَاعِ(٤)

اعدلْ إلى الكأسِ والنَّدامَى   والأكلِ والشربِ والسماعِ

---

(١) فى الأصل « الصفع بالنفط فى الحجاب » وقد أثبتنا ما فى اليتيمة ، وهو المتجه ، بدليل عجز البيت الثانى .

(٢) فى الأصل « مقام خطين » وأثبتنا ما فى اليتيمة .

(٣) فى اليتيمة « ابن شيراز » .

(٤) فى الأصل « ضرب من الصراع » وأثبتنا ما فى اليتيمة .

وأمرَدٍ جامعٍ لشرطِ الـــعناقِ والبوسِ والجماعِ
بلى أجمعْ لى السباعَ واطرحْ خصمِىَ فى بركة السباعِ

وقلده الوزير ناحيةً ، فخرج إليها يوم الخميس ، وتبعه كتابُ الصرف يوم الأحد، فكتب إليه [من مجزوء الكامل] :

يا مَنْ إذا نظرَ الهلاَ لُ إلى محاسنهِ سجدْ
وإذا رأتهُ الشمسُ كا دتْ أن تموتَ من الحسدْ
يَوْمَ الخميس بعثتنى وصرفتنى يومَ الأحدْ
فالناسُ قدْ غنَّوا علىّ كما رَجعْتُ إلى البلدْ
ما قامَ عمروٌ فى الولاَ يةِ ساعةً حتى قعدْ

ومن شعره فى بواب أعور حجبه عن رئيس [من السريع] :

سمعتَ فيمن ماتَ أو من بقى بمقبلٍ بَوّابُهُ أعورُ
وَاللوزَةُ المُرّةُ يا سيدى يفسدُ فى الطعمِ بها السكرُ

ومنه أيضاً [من البسيط] :

إنى ابتليتُ بأقوامٍ مواعدُهمْ تزيدُ فوقَ الذى ألقاه من محنِ
ومَن يذقْ لسعةَ الأفعى وإن سلمتْ منها حشاشتهُ يفزعْ من الرّسنِ (١)

وقال [من السريع] :

فقرٌ وذلٌ وخمولٌ معاً أحسنتَ يا جامعَ سفيانِ (٢)

---

(١) فى هذا المعنى تقول العامة من أهل مصر « الذى تلدغه الحية يخاف من الحبل »

(٢) جامع سفيان : يضرب مثلا للشىء الجامع لكل شىء ، ومثله سفينة نوح ، وقبل البيت الذى رواه المؤلف قوله :

بالله قولوا لى ولا تغضبوا لست من الحق بغضبان

وكتب إلى أبى أحمد بن ثوابة ، وقد شرب دواء مسهلا [من الخفيف] :

يَا أبَا أحمدٍ بنفسيَ أفديـــكَ وأهلى منْ سائر الأسْواءِ
كيفَ كان انحطاط جعسك فى طا عةِ شرب الدواءِ يومَ الدواءِ
كيفَ أمسى مسَالُ مبعَركِ النذْ لِ خضيباً بالمِرَّة الصفراءِ (١)
يَا أبَا أحمدٍ ونصحكَ عندِى واجبٌ للأخاء فاحفظْ إخائى (٢)
رُبَّ ريحٍ يومَ الدواءِ دبورٍ شوَّشتْ فى عصاعصِ الأغنياءِ
قدَّروها فساً وقد كمنَ الجعـــسُ لهمْ فى مهبّ ذاكَ الفُساءِ
فاذَا الفرشُ فى خليجِ سُلاَحٍ ذائبٍ فى قوامِ جسمِ الماء
فاتقِ الله أن تغرّكَ ريحٌ عَصَفَتْ فى جوانب الأحشاء
لاَ تنفس خناقَ سرمكَ عنها أوْ تخلى سَبيلهُ فى الخلاَءِ
والغداءَ الغداء فاحذرْ بأن تفـــسو فوقَ الفراش بعدَ الغداءِ
احْترِسْ إنها نصيحة كهلٍ حنَّكتهُ تجارِبُ الآراءِ
غيرَ أنى أصبحت أضيَعَ فى القوْ مِ من البدرِ فى ليالى الشتاءِ

وقالَ يعاتب أبا الفضل أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن على قبوله دعوى من ادَّعَى عنده أنه هجاه ، وأبو الفضل يومئذ بشيراز ، وابن الحجاج ببغداد ، [من السريع] :

يَا سَامعَ الزور وَبهتَانهِ وَدَافعَ الحَق وَبرهانهِ
عجبتُ من رَأيكَ فىَّ الذى أنكرَنى من بعدِ عِرْفانهِ

(١) فى اليتيمة « سبال مبعرك » وفيه « فى المرة الصفراء »
(٢) فى اليتيمة « واجب فى الاخاء »

فكيف تخشى ذمَّ مَنْ مدحه … فيك يُرَى أولَ ديوانهِ
ومَنْ لهُ فى شعرهِ مذهبٌ … ذكركَ منهُ نورُ بستانهِ
تمضى ليَاليهِ وأيامُهُ … وسرُّهُ فيكَ كاعلانهِ
ولستُ بالساكن فى منزلٍ … ينبو ولوْ يوْماً بسكانهِ
ولا الذى يرهبُ فى الحق منْ … سلطان ذى عز لسلطانهِ
قلْ للذى جهزَ فى السعى بى … تجارةً عادَتْ بخسرانهِ
ياذا الذى لابدَّ من صفعهِ … ألفاً ومنْ تعْرِيك آذانهِ
لا تغترِرْ أنكَ من فارسٍ … فى معدن الملك وأوطانهِ
لوْحدثتْ كسرى بذا نفسُهُ … صفعتهُ فى جوفِ إيوانهِ (١)

وقال يهجو بخيلا [من المتقارب] :

وذى همةٍ فى حضيض الكنيف … وقرنين فى فلك المشترى
دخلتُ عليهِ انتصافَ النهار … علىَ غفلةٍ حينَ لم يشعرِ
وبيْنَ يديهِ رغيفانِ معْ … سكرجةٍ كان فيها مرى
فلما قعدْتُ فساَ فسوةً … فلم تخطُ عصفتها منخرى
وأقبلَ يضرطُ فى إثرِها … فقلتُ أقومُ ، وإلا خرى

وقريب منه قول الآخر [من المتقارب] :

تغيرَ إذ جئتهُ للسلامِ … وأرْعِدَ لما رآنى دخلتُ
فقلتُ لهُ لايرعكَ الدخولُ … فما جئتُ والله حتى أكلتُ

وقال فى صديق عاتبه على هفوة فاستدركها بشرٍّ منها [من مجزوء الخفيف] :

لى صديقٌ جنى علىَّ مراراً فأكثرا

---

(١) فى الاصل « فى جوف ديوانه » محرفا عما أثبتناه

ومن شعره أيضا قوله [من السريع] :

قدْ وقع الصلحُ على غلتى　　فاقتسموه كارةً كارَهْ
لاَ يدبرُ البقالُ إلا إذا　　تصافح السِّنَّوْرُ والفاره

وهذا مثل للعوامّ يقولون : فى مصالحة السنور والفار خراب بيت العطار ،

وقال من أخرى [من السريع] :

فُدِيتَ بى يا سيدى وَحدِى　　وعشت ألفى سنةٍ بعدى
قد رحل النرجس فاشرب على　　محاسن المنثور وَالورد
من لى بها عندك مشمولةً　　قد أصبحَتْ معدومةً عندى
يمزجها لى رشأ أغيدٌ　　بريقهِ أحلىَ من الشهدِ
نهاية الحرّ بجسْ آستهِ　　وَريقــهُ فى غاية البرْدِ
جنىَ من البستان لى وَرْدَةً　　أحسن من إنجازهِ وَعدى
فقال والوردة فى كفهِ　　مع قدحٍ أذكى من الندّ
اشرَبْ هنيئاً لكَ يا عاشقى　　ريق من كفى على خدّى

وقال أيضا [من الوافر] :

فتاةٌ ما عرفنا قطّ منها　　بحمد الله إلا كلّ خير
فما تهوى سوى آيار شهراً　　وليس إمامها غير الزبير

وقال من أخرى [من مخلع البسيط] :

صبيــةٌ بَظْرُها بجنبى　　يبيت مثل الصبى المخضّبْ
مفعول باب استها بأير الفـــاعل فوق الفراش يُنْصَبْ
وَسُرْمُها أمس كان غراً　　لم يتفقهْ ولا تأدّبْ
فاليومْ قد صار منذ قاسى　　أيورَ أهل الزنى وَجرّبْ
إذا رأى الأير من بعيدٍ　　بوّق فى وجهه ودَبْدَبْ

وديوان شعره كبير جدا ، وفيما أوردناه منه مقنع ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الأخيرة عام إحدى وتسعين وثلاثمائة ، بالنيل ، وهو نهر وبلد معروف بأرض العراق مخرجه من الفرات وعليه قرى كثيرة حفره الحجاج ابن يوسف وسماه باسم نيل مصر ، ثم حمل ابن الحجاج إلى بغداد ودفن عند مشهد موسى بن جعفر الصادق ، وأوصى بأن يدفن عند رجليه وأن يكتب على قبره (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) وكان من كبار الشيعة المغالين فى حب أهل البيت .

قال أبو الفضل بن الخازن رأيت أبا عبدالله بن حجاج فى المنام بعد موته فسألته عن حاله فأنشدنى [من مشطور الرجز] :

أَفْسَدَ حُسْنَ مذهبى ... فى الشعرِ سوء المذهَبِ
وحملِىَ الجِدَّ على ... ظَهْرِ حصان اللَّعِبِ
لم يرْضَ مولاىَ على ... سبِّى لأصحابِ النبى
وقال لى ويلَكَ يا ... أحمق لِمَ لمْ تَتُبِ
مِنْ سب قومٍ مَنْ رجا ... ولاءهم لم يَخِبِ
رُمْتَ الرِّضا جهلاً بما ... أصلاكَ نارَ اللهبِ

قال هبة الله بن الدباس : أنشدنا ابن الخازن هذه الأبيات بمحضر جماعة من أهل الأدب ، فقالوا : والله إنها لنَفَس ابن حجاج ، وكتبوها عنه .

ولما مات رثاه الشريف الرضى الموسوى بقصيدة منها [من المتقارب] :

نَعَوْهُ على حُسْنِ ظنى به ... فلله ماذا نَعَى النَّاعيانِ
رضيعُ ولاء له شُعْبَةٌ ... من القلبِ مثل رُضيعِ اللبانِ

وما كنتُ أحْسَبُ أن الزمانَ   يَفُلُّ مضَاربَ ذاكَ اللسانِ (١)
بكيْنكَ للشُّرَّدِ السائرا   تِ تعنق ألفاظها بالمعانى
ليَبْكِ الزمانُ طويلاً عليكَ   فقد كنتَ خِفَّةَ روحِ الزمانِ

ترجمة محمد ابن ابراهيم الأسدى

وأما محمد بن إبراهيم الأسدى فقد ذكره العماد الكاتب فقال : هو من أهل مكة ، لقى أبا الحسن التهامى فى صباه ، ومولده بمكة المشرفة ، ومنشأه بالحجاز وتوجه إلى العراق ، وخدم الوزير أبا القاسم المغربى ، ثم بلغ خراسان وعُمِّرَ إلى أن بلغ حد المائة ، ولقى القرن بعد القرن والفئة بعد الفئة ، وتوفى بغزنة سنة خمسمائة ، ومن شعره [من الطويل] :

كفى حزَناً أنى خدَمتكَ برْهةً   وأنفقتُ فى مَدْحِيكَ شَرْخَ شبابى
فلم يُرَ لى شكرٌ بغير شكايةٍ   ولم يُرَ لى مدحٌ بغير عِتابِ

***

شاهد الاطراد

١٦٠ — إن يَقْتلوكَ فَقَدْ ثَلَلْتَ عُرُوشَهُمْ   بعُتَيْبَةَ بْنِ الحارثِ بنِ شهَابِ

البيت من الكامل ، وهو لربيعة من بنى نصر بن قعين يرثى ذوّاباً ابنه ، ويقال : قائله داود بن ربيعة الأسدى ، وبعد البيت :

بأحَبِّهِمْ فقداً إلى أعدائِهِ   وأشَدِّهِم فقداً على الأصْحَابِ

والثَّلُّ : الهدم ، يقال : ثل الله عروشهم ، أى هدم ملكهم ، ويقال للقوم إذا ذهب عزهم وتضعضع حالهم : قد ثُلَّ عرشهم ، والمعنى : إن تبجحوا بقتلك وصاروا يفخرون به فقد أثرت فى عزهم وهدمت أساس مجدهم بقتلك رئيسهم عتيبة بن الحارث ، وكان من خبر قتله ما حكاه أبو عبيدة .

---

(١) فى الأصل « يفل مضارب ذاك اللسان » محرفا عما أثبتناه .

والشاهد فيه : الاطراد ، وهو أن يأتى الشاعر باسم الممدوح أو غيره وأسماء آبائه على ترتيب الولادة من غير تكلف ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام «الكريم ابن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم»

ومن شواهده الشعرية قول دريد بن الصِّمَّة يرثى أخاه عبد الله [من الطويل] : من أمثلة الاطراد

قتلنا بعبد الله خيرَ لِداتِهِ ذؤابَ بن أسماء بن زيد بن قاربِ

يروى أن سبرة بن عياض الجُشَمى أنشد عبد الملك بن مروان قصيدة دريد التى منها هذا البيت ، فلما وصل إليه قال : كاد يبلغ به آدم ، ولما وصل إلى قوله منها :

ولولا سَوَادُ الليل أدركَ رَهْطُنَا بذى الرمث والأَرْطَى عياضَ بنَ ناشبِ

قال عبد الملك : ليت الليل أمهله ساعة ، أو قال : وددت أنه كان بقى عليه فُوَاق من النهار

ومنه قول الأعشى [من الطويل] :

أقيسُ بن مسعود بن قيس بن خالدٍ وأنت امرؤٌ ترجو بقاءَكَ وائلُ

وقول الحارث بن دوس الايادى [من الرمل] :

وشبابٍ حَسَنٍ أوجُهُهم من إياد بن نزار بن مَعَدّ

وقول أبى تمام الطائى [من السريع] :

مناسِبٌ تحسَبُ من مَرْدها منازلاً للقمر الطالعِ
كالدلو والحوت وأشراطِهِ والبطن والنجمِ إلى التّابعِ
نوح بن عمرو بن حوى بن عمرو بن حوى بن الفتى المانعِ

فأتى بستة وقابلها بستة لولا أنه نغص بذكر الفتى فى سادس جد، ولم يرد فتى السن ، وإنما أراد الفتوة ، ولكنه موهم . والتالع : الدبران ، كأنه تلع جيده : أى مده ، وقوله أيضا وهو ظاهر التكلف الذى يأباه الاطراد [من الكامل] :

عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد سمكهم لا يفهم

وقال الآخر [من الخفيف] :

من يكُنْ رَامَ حاجةً بَعُدَتْ عنـــهُ وأعيَتْ عليه كلَّ العياءِ
فَلها أحمد المرَجّى بن يحيى بـــن معاذ بن مسلم بن رجاء

وقال ابن دريد وجمع ثمانية أسماء فى بيت واحد [من الطويل] :

فنِعمَ أخو الجلى ومستنبطُ النَّدَا وملجأ محزونٍ ومفْزَعُ لاهِثِ
عياذ بن عمرو بن الحُلَيْس بن عامر بن زيد بن مذكور بن سعد بن حارثِ

وقول بعضهم فى تهنئة الصاحب بن عباد [من الكامل] :

تهْنى ابنَ عبادِ بن عباس بن عبـــد الله نُعْمَى بالكرامةِ ترْدفُ

وقول الأديب يعقوب بن أحمد النيسابورى فى السيد أبى القاسم على بن موسى الموسوى [من الطويل]:

يقولون لى هل للمكارم والعلا قِوَامٌ ففيه لو علمت دَوامُهَا
فقلت لهم والصدق خُلقٌ ألفتُهُ علىُّ بن موسى الموسَوِىُّ قوامُهَا

وقوله فيه أيضاً [من المتقارب] :

يقولُ صديقى ألا دُلّنى على برْمَكِ الجودِ أو حاتمِ
فقلت وأقْسمت : ربُّ العلا على بن موسى أبو القاسمِ

وقول الباخرزى من قصيدة يمدح بها أبا الحسن محمد بن الحسين بن طلحة [من المتقارب] :

أبا الحسَنِ السيد الأريحىّ محمد بن الحسين بن طلحهْ

وقول أمية فى القاضى منصور بن محمد الأزدى [من الكامل] :

قالت تُفتّشُ عن أولى المجـدِ مَنْ فى الأنامِ لطالبِ الرِّفْدِ

فأجبْتُ قاضينا وسيدَنا مَنْصور بن محمد الأزدى

وقول الأديب أبي الحكم مالك بن المرحل يمدح الفقيه الفاضل أبا عبد الله ابن يربوع [من البسيط] :

صحبتُ فى عمرنا ناساً أولى حَسَبٍ حازوا الثناء بموروثٍ ومَطْبوع (١)
فلم أجد فاضلا فيما صحبت سوى محمد بن أبى العيش بن يربوعِ

وقول ابن باتلين من أبيات [من الكامل] :

لاموا على ظمئى إليك فما دَرَوْا فى ماء خدّكَ ما حلاوةُ موردِى
طوراً أُحيى بالأقاحِ وتارةً فى الخدّ بالرَّيحان والوردِ النَّدى
وجهٌ كما سَفَرَ الصباحُ وحولهُ حسنى بقايا جنحِ ليلٍ أسودِ
وكأنما خافَ العيونَ فألبستْ وجناتُه زرداً مخافةَ معتدِى
أنّى يخاف من استجار محبةً بمحمد بن على بن محمد

وقول السراج الوراق فى ولد هذا الممدوح، وهو أكمل مما قبله [من الكامل]:

فله الجمالُ غدا بغير منازعٍ ولىَ الجوَى فيه بغير قسيمِ
وكذا العلاَ لمحمد بن محمد بن على بن محمد بن سليمِ

وقول ابن أبى الأصبع [من البسيط] :

أجلُّ مَلْكٍ إلى العَلْيَاء منسُوب محمد بن أبى بكر بن أيوب

ولمؤلفه فيمن ألف الكتاب باسمه الكريم [من مجزوء الرجز]:

فاق بجميعَ الأقرانْ وساد كلَّ الأعيانْ
ولم يفتهُ فضلٌ بل زادفوق الاحسان

---

(١) فى الأصل « صحبت فى عمرى » ولا يستقيم به وزن البيت

أبو البقا يحيى بـــن شا كر بن الجيعانْ (١)

ومنه ما كتبه مجد الدين بن الظهير الحنفى على إجازة [من مجزوء الرجز]

أجازَ ما قد سألوا بشَرْطِ أهل السَّنَدِ
محمد بن أحمد بـــن عمرو بن أحمد

ولأبى جعفر الأندلسى فى مثله أيضاً [من الرجز] :

أذنت أن يَرْوُوا جميعَ ما به حدَّثنى كلُّ إمامٍ سالكِ
يقول ذا متبعاً لشَرْطِهِ أحمد بن يوسف بن مالك

ومن البديع فيه قول ابن معايا الشاعر يمدح الخليفة بالأندلس إدريس بن حمود من أبيات [من الرمل] :

وكأن الشمسَ لما أشْرَقَتْ فانثنت عنها عيونُ الناظرِين
وجه إدريس بن يحيى بن على بن حمود أمير المؤمنين

وكان وهو فى حالة الانشاد وراء الحجاب على عادة خلفائهم فى ذلك ، فلما بلغ إلى قوله :

انظرونا نقتبس من نوركم إنهُ من نورِ رَبِّ العالمينْ

أمر برفع الحجاب حتى نظر إليه .

ومن المجون فيه قول ابن مهدى الكسروى فى ضرطة وهب بن سليمان [من مجزوء الرمل] :

إن وهب بن سليما ن بن وهب بن سعيد
حمل الضَرْطَةَ للرَّىَّ على ظهرِ البريدِ
فى مهماتِ أمورٍ منهُ بالركض الشديد

---

(١) فى الأصل « أبو البقاء بن يحيى بن شا كر » ولا يستقيم معه وزن البيت .

استهُ تَنطِقُ يومَ الجحفـــل بالأمرِ الرشيدِ
لم يُجِدْ فى القول فاحتا ج إلى دُبْرٍ مُجيدِ

وضرطة وهب هذا ذاع أمرها، وشاع ذكرها، وأكثر شعراء عصره من النظم فيها بما الاعراض عن ذكره أليق، والاضراب عن نشره أنسب. ذكر على ابن يحيى قال: ما رأيت أظرف من سليمان بن وهب، ولا أحسن أدبا، خرجنا نتلقاه عند قدومه من الجبل مع موسى بن بغاء فقال: هات الآن حدثنى يا أبا الحسن بعجائبكم، وما أظنك تحدثنى بأعجب من خبر ضرطة وهب بحضرة القاضى، وما سير من خبرها، وما قيل فيها، ومن العجائب أنها بشهادة القاضى فليس يزيلها الانكار، وجعل يضحك، وسليمان بن وهب هذا تنقلت به الأحوال إلى أن استوزره المهتدى، ثم قبض عليه الموفق أخو المعتمد، وعلى ابنه عبيد الله بعد أن استكتبهما، فنكبهما، ومات سليمان فى محبسه، ورثاه الشعراء بمراث كثيرة، والله أعلم.

* * *

١٦١ — ما ماتَ مِنْ كَرَمِ الزمانِ فإنهُ يحيا لدى يحيى بن عبد اللهِ

شاهد الجناس المستوفى

البيت لأبى تمام من قصيدة من الكامل [١] يمدح بها أبا الغريب يحيى بن عبد الله أولها:

إحدَى بنى عمرو بن عبد مَنَاهِ بين الكَثِيبِ الفَرْدِ فالأمْواهِ
ألقى النَّصِيفَ فأنتِ خاذلةُ المهوى أمنيةُ الخالى ولهوُ اللاهى [٢]

---

(١) اقرأها فى ديوان أبى تمام (٣٤١ بيروت) وانظر نقدا لصدر المطلع وعجز البيت السادس فى الموازنة للآمدى (٢٤ بتحقيقنا)

(٢) فى الديوان «فأنت خاذلة المها»

رَيَّا يعارضُ خَصْرُها أَرْدافَهَا وتطيبُ نكهتُهَا بلا استنكاهِ (١)
عَرَضَتْ لنا يومَ اللوَى فى خُرَّدٍ كالسِّرْبِ حُوَّلِىَّ ولُعْسِ شفاهِ (٢)
بيضٌ يلوحُ الحسن فى وجناتها والملحُ بين نظائرٍ أشباهِ (٣)
لم تجتمع أمثالها فى موطنٍ لولا صفاتٌ فى كتاب الباهِ (٤)
ومُفَنِّدٍ لوَّامة نَهْنهتُهُ عن مُغْلِظٍ لعدُوِّهِ نجَّاهِ (٥)
ومؤنب لى كى أفيق وإننى لأصم عن داه وعن يهياه (٦)
دعنى أقم أوَدَ الشباب بوصلها إن السِّفاه بها لغير سَفاهِ (٧)
فاذا انقضت أيام تشييع الصبا أظهرت توبة خاشعٍ أواهِ
ومعاودٍ للبيد لا يهفُو به هافٍ ولا يزهاه فيها زاهِ
مُهْدٍ لألطافِ الثناء إلى فتىً كالبدرِ لا صَلِفٍ ولا تيَّاهِ
لأبى الغريب غرائباً من مدحتى فى غير تعقيدٍ ولا استكراه (٨)

---

(١) فى الديوان «ريا يجاذب خصرها أردافها» وفيه «على استنكاه»
(٢) فى الديوان «عرضت لنا يوم الحمى»
(٣) فى الديوان «بيض يجول الحسن»
(٤) فى الأصل «لولا صفات فى الكتاب الناهي» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الديوان، وفى الموازنة (ص ٢٤ بتحقيقنا)
(٥) فى الأصل «عن ملفظ» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الديوان. والمفند: المخطىء. ونهنهته: زجرته أو كففته، والنجاه: الذى يستقبل الناس بما يكرهون، وهو من صفات المفند
(٦) فى الديوان «ومؤيه بى كى أفيق» والمؤيه: المنادى.
(٧) فى الأصل «إن الشفاه بها لغير شفاه» وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى الديوان.
(٨) فى الديوان «لأبى الغريب غرائبا من مدحه»

وبعده البيت، وبعده :

كالسيف ليس بزُمَّلٍ شِهْدارَةٍ يوماً ولا بغَضُبَّةٍ جَبَّاءِ (١)

وهى طويلة، والزمل — بضم الزاى وتشديد الميم — الجبان الضعيف، والشهدارة — بالكسر — الفاحش والنمام المفسد بين الناس والقصير والغليظ .

والشاهد فيه : الجناس المستوفى، وهو: أن يكون اللفظان المتفقان من نوعين كاسم وفعل .

ومن الشواهد الشعرية عليه قول محمد بن عبد الله بن كناسة الأسدى الكوفى وهو ابن أخت إبراهيم بن أدهم رحمهما الله [من الطويل] :

وسميتهُ يحيى ليحيا فلم يكن إلى رَدِّ أمر الله فيه سبيل
تفاءلت لو يغنى التفاؤل باسمه وما خلت فألا قبل ذاك يفيل

ومن ملح هذا النوع قول ابن الرومى [من البسيط] :

للسودِ فى السود آثار تركْنَ بها وقعاً مَن البيض يثنى أعين البيضِ

وقول أبى الفتح البستى فى السلطان عين الدولة [من الوافر] :

بسيف الدولةِ اتسقتْ أمورٌ رأيناها مبددةَ النظامِ
سَمَا وحَمَى بنى سامٍ وحامٍ فليسَ كمثلهِ سامٍ وحامِ

وقوله أيضا [من السريع] :

قلتُ لطَرْف الطبع لما ونَى ولم يطع أمرى ولا زجرى
مالكَ لا تجرى وأنت الذى تجرى مدى العلياء إذ تجرى
فقالَ لى دعنى ولا تؤذنى إلى متى أجرى بلا أجرِ

---

(١) فى الأصل « ولا معضو بة جباء » وقد أثبتنا ما فى الديوان . والعضبة : كثير العضب ، والجباء : الذى يلقى الناس بما يكرهون .

وقول على بن أحمد الحليمى البديهى الملقب بنقيب الشعراء من أبيات وهى [من البسيط] :

فعاطنى قهوةً صهباء صافيةً بها تطايرَ عنْ قلبى الجوى شفقا
منْ كفِّ ساقٍ إذا ماجاءنا فسَقَى دَعا إلى حبِّهِ أهواءَ مَنْ فَسَقَا

وقول النزى أيضاً [من البسيط] :

لمْ نلقَ غيرَكَ إنساناً نلوذُ بهِ فلا برحْتَ لعينِ الدَّهر إنْسانا

وقول الصفى الحلى فى مطلع قصيدة امتدح بها الملك الناصر حسنا وهو [من الكامل] :

أسْبَلْنَ منْ فوْقِ النُّهودِ ذوائبًا فتركْنَ حبَّاتِ القُلوبِ ذوائِبا

ومثله قول الامام أبى الحسن نصر المرغينانى [من الطويل] :

ذوائبُ سودٌ كالعناقيدِ أسبلتْ فمنْ أجلِها مِنّا النُّفوسُ ذوائبُ

وقول ابن نباتة فى مطلع قصيدة امتدح بها الملك الأفضل صاحب حماة [من الكامل] :

مابتُّ فيكَ بدمعِ عينى أشرَقُ إلاّ وأنتِ منَ الغزَالةِ أشرَقُ

ولمؤلفه رحمه الله تعالى فى مطلع قصيدة مهنئا بالشفاء لمن ألف هذا الكتاب باسمه الكريم [من الكامل] :

بدْرُ الهنا بشفاء ذَاتكَ أشرَقا وأغصَّ مَنْ يجفُو علاكَ وأشرَقا

وما ألطف قول بعضهم [من المجتث] :

القلْبُ مِنّىَ صَبٌّ والدَّمعُ منِّىَ صَبٌّ

وقد أخذه ابن نباتة وحصر المعنيين فى ركن واحد فقال [من الكامل] :

دَمعى عليكَ مُجانسٌ قلبى فانظرْ على الحالينِ فى الصَّبِّ

ومثله قول مجير الدولة بن عبد الظاهر ملغزا فى كوز [من مجزوء الوافر] :

وذِى أُذُنٍ بِلا سَمْعٍ   لهُ قلبٌ بِلا قَلْبِ
إذَا استولَى على صبٍّ   فقلْ ما شئْتَ فى الصَّبِّ

وما أحسن قول ابن شرف [من مجزوء الرجز] :

يا ناوِياً فى معشرٍ   قد اصطلى بنارِهمْ
إنْ تبكِ من شِرارهمْ   على يدَىْ شِرارهمْ
أو تُرْمَ من أحجارهمْ   وأنت فى أحجارهمْ
فــما بقيتَ جارَهمْ   ففى هواهُمْ جارِهمْ
وأرْضهمْ فى أرْضهمْ   ودارِهمْ فى دارِهمْ

وقول ابن فضالة المجاشعى القيروانى ، وقيل : ابن شرف [من السريع] :

إنْ تُلقكَ الغُرْبةُ فى معشرٍ   قدْ أجمعوا فيكَ على بغضهمْ
فدارِهمْ ما دُمتَ فى دارِهمْ   وأرْضِهِمْ مادُمتَ فى أرْضهمْ

***

شاهد جناس التركيب

١٦٢ — إذَا مَلكٌ لمْ يكُنْ ذَاهِبهْ   فدَعهُ فدَوْلتهُ ذَاهِبهْ

البيت لأبى الفتح البستى، من المتقارب :

والشاهد فيه: جناس التركيب، وهو : المتفق لفظاً وخطا .

وما أحسن قول الشاعر فيه [من مجزوء الرمل] :

عضنَّا الدهرُ بِنابهْ   ليْتَ ما حلَّ بِنابهْ

وقول شمسويه المصرى فى غلام يبيع الفرانى [من الخفيف] :

قلتُ للقلبِ مادَهاكَ أجِبنى   قال لى بائعُ الفرَانِى فرَانِى

ناظراهُ فيما جنى ناظراهُ أو دَعانى أمُتْ بما أودَعانِى

وقول أبى الحسن المرغينانى [من مجزوء الرمل] :

صارَ متنى مثلَ قوسٍ نزعتْ مُذْ صارمتنى

وقول الحاكم أبى حفص عمر المطوعى [من الوافر] :

ألاَ يا سيداً خُلقتْ يداهُ لثروةِ مُعدمٍ أوْ يُسرِعانى

مَضى العسرُ الذى قاسيتُ فاعدلْ إلىَ يُسرَيْنِ نحوكَ يُسرعانِ

وقول بعض المغاربة ، وأجاد [من الخفيف] :

لَبسَ البرنسَ المليحُ فباهى وَدرَى أنتى محبٌ فتاها

لوْ رأتهُ زليخةٌ حينَ وافىَ لتمنتهُ أنْ يكونَ فتاها

ومثله قول بعضهم [من الخفيف] :

ربٌ سَهلٌ على فتانى فتاتى لترى هلْ سلاَ فتاها فتاها

علمتهُ جفونها آىَ سحرٍ ماتلاهى عنْ حبها مذْ تلاها

وقول الباخرزى أيضا [من السريع] :

قدْ مُلئتْ زوْزنُ من سادةٍ لهمْ نفوسٌ بالعلى عارفاتْ

ما أغتدى إلا ومن عندهمْ عارفةٌ عندىَ أو عارفاتْ

قدْ بقىَ الفخرُ بهمْ والندى والبأسُ والبخلُ مع العارفاتْ

ومثله قول أبى بكر اليوسقى [من السريع] :

وَردتُ ماليىَ فألفيتها رُمانةً حبّاتها المكرُماتْ

أصيحُ من ظرفِ سجاياهمُ عاشَ الوفاءُ المحض والمكرُماتْ

وقول أبى الفضل الميكالى [من البسيط] :

تفرّقَ الناسُ فى أرزاقهمْ فِرقَاً فلابسٌ مِنْ ثراءِ المالِ أوْ عاري

كذا المعائشُ في الدّنيا وَسا كنها مقسومة بينَ أدماثٍ وأوْعارِ
مَنْ ظنَّ باللهِ جوْراً في قضيتهِ افترَّ عنْ مأثمٍ في الدين أوعارِ

وقوله يهجو [من المتقارب] :

لئنْ أنْتَ ناصبتَ بدرَ الدُّجى ونازعتَ شمسَ الضحى أوْجَها
لما كنتَ أفضلَ في حالةٍ منَ الكلبِ عندِي ولاَ أوْجَها

وقول شمس الدين محمد بن عبد الوهاب [من الرمل] :

حَارَ في سُقمِيَ مِنْ بعدِهِمُ كلُّ منْ في الحي داوَى أو رَقَى
بعدَهم لا ظلَّ وَادى المنحنَى وَكذَا بانُ الحمَى لاَ أورقَا

وقول الشمس الخجندى إمام المسجد الشريف النبوى [من الكامل] :

حَسبي جوَارُ محمد وكفى بهِ دفعاً لما ألقاهُ منْ أوصابِى
لمْ أخش ضَيماً في حماه ولا أذَى أنّي وجبرائيلُ قد أوْصابِى

وقول الصلاح الصفدى فيه [من المجتث] :

يا منْ إذَا ما أتاهُ أهلُ المودّة أولمْ
أنا محبُّكَ حقّاً إن كنتَ في القوم أولمْ

ترجمة أبي الفتح البستى

والبستى(١) هو : أبو الفتح على بن محمد ، الكاتب .

قال الثعالبي ، رحمه الله تعالى ! في حقه : هو صاحب الطريقة الأنيقة ، في التجنيس الأنيس ، البديع التأسيس ، وكان يسميه المتشابه ، ويأتى فيه بكل ظريفة ولطيفة . وقد كان يبلغنى شعره العجيب الصنعة ، البديع الصبغة .

من كل معنى يَكادُ الميتُ يعشقهُ حُسناً وَيعبدهُ القرطاسُ والقلمُ

---

(١) اقرأ هذه الترجمة في يتيمة الدهر للثعالبى (٤ - ٢٨٤ مصر) ولأبى الفتح البستى ترجمة قصيرة في ابن خلكان (٢-٥٢)

مما أراه فأرويه ، وألحظه فأحفظه ، وأسأل الله تعالى بقاه ، حتى أرزق لقاه ، وأتمنى قربه كما تتمنى الجنة ، وإن لم تتقدم لها الرؤية ، حتى وافقت الأمنية حكم القدر ، وطلع على نيسابور طلوع القمر ، فزاد العين على الأثر ، والاختبار على الخبر ، ورأيته يغترف فى الأدب من البحر ، وكأنما يوحى إليه فى النظم والنثر ، مع ضربه فى سائر العلوم بالسهم العائر ، وأخذه منها بالحظ الوافر ، وجمعته وإياى لحمة الأدب ، التى هى أقوى من قرابة النسب ، فما زلت فى قدماته الثلاث بنيسابور بين سرور وأنس مقيم ، ومن حسن معاشرته وطيب مذاكرته ومحاضرته فى جنة ونعيم ، أجتنى ثمر الغرائب من فوائده ، وأنظم العقود من فرائده ، ولم تكن تغبنى كتبه فى غيبته ، ولا أكاد أخلو من آثار ودّه ، وكرم عهده .

ومن خبره : أنه كان فى عنفوان أمره كاتبا لبايتوز ، صاحب بست ، فلما فتحها الأمير ناصر الدولة أبو منصور سبكتكين ، وأسفرت الواقعة بينه وبين بايتوز عن استمرار الكشفة به ، أعيت أبا الفتح صحبته فتخلف ودل الأمير عليه فاستحضره ومنّاه ، واعتمده لما كان قبل معتمداً له ، إذ كان محتاجاً إلى مثله فى آلته وكفايته ومعرفته ، وهدايته وحنكته ودرايته .

قال : فحدثنى أبو النصر العتبى قال : حدثنى أبو الفتح قال : لما استخدمنى الأمير سبكتكين ، وأحلنى محل الثقة الأمين ، عنده فى مهمات شانه ، وأسرار ديوانه . وكان بايتوز بعد حيا ، وحسادى يلوون ألسنتهم بالقدح فىّ والجرح لموضع الثقة بى ليّاً ، أشفقت لقرب العهد بالاختيار من أن يعلق بقلبه شىء من تلك الأقوال ، ويقرطس غرض القبول بعض تلك النبال ، فحضرته ذات يوم وقلت : إن همة مثلى من أرباب هذه الصناعة لا ترتقى إلى أكثر مما رآنى الأمير أهلا له من اختصاصه واستخلاصه ، وتقريبه واختياره لمهمات أموره وأسراره ، غير أن حداثة عهدى بخدمة مَنْ كنت به موسوما ، واهتمام الأمير

ينقض ما بقى من شأنه، يقتضيان أن أسأله الاعتزال فى بعض أطراف مملكته، ريثما يستقر هذا الأمر فى نصابه، فيكون ما آليه من هذه الصناعة، أسلم من التهمة، وأقرب إلى السداد، وأبعد من كيد الحساد، فارتاح لما سمعه، وأوقعه من الاحماد موقعه، فأشار عليّ بناحية الرخج، وحكمنى فى أرضها أتبوأ منها حيث أشاء، إلى أن يأتينى الاستدعاء، فتوجهت نحوها فارغ البال، رافه العيش والحال، سليم اللسان والقلم، بعيد القدم من مخاضات التهم. وكنت أدلجت ذات ليلة — وذلك فى فصل الربيع — أؤم منزلا أمامى، فلما أصبحت نزلت فصليت وسبحت ودعوت وقت للركوب، ففتح ضياء الشروق طرفى علىَ قرية ذات يمنة محفوفة بالخضر، معمومة بالنور والزهر، وأمامها أرض كأنها بطون الحيات فى صفاء ماء الحياة، وقد فغمنى من نسيم هوائها عَرْفُ المسك السحيق، بالعنبر الفتيق، فاستطبت المكان، وتصورت منه الجنان، وفزِعت إلى كتاب أدب كنت أستصحبه لأخذ الفال على المقام والارتحال، فكشف أول سطر من الصفحة عن بيت شعر، وهو [من مجزوء الكامل]:

وإذا انتهيتَ إلى السلا ... مة فى مداكَ فلا تجاوزْ

فقلت: والله هذا هو الوحى الناطق، والفأل الصادق، وتقدمت بعطف ضِبْنى إليها، وعشت سُتة أشهر بها فى أنعم عيش وأرخاه، وأهنأ شرب وأمراه، إلى أن أتانى كتاب الأمير فى استدعائى إلى حضرته بتبجيل وتأهيل، وترتيب وترحيب، فنهضت إليها، وحظيت بما حظيت منها إلى يومى هذا.

قال: فكان اختباره ذلك أحد ما استدل به الأمير على عقله وجودة رأيه، وتدبيره ورزانته، ودرج به إلى محله ومكانته، وصار من بعده ينظم بأقلام منثور الآثار عن حسابه، وينسج بعباراته وشى فتوحه ومقاماته. وهلم جرا إلى زمن السلطان المعظم يمين الدولة، وأمين الملة محمود بن سبكتكينَ، فقد كتب له عدة فتوح، قال فى أحد كتبه «كتبت وقد هبت ريح النصرة من مهبها،

والأرض مشرقة بنور ربها - إلخ » واستمر إلى أن زحزحه القضاء عن خدمته ، ونبذه إلى ديار الترك عن غير قصده وإرادته ، فانتقل بها إلى جوار ربه عز وجل فى سنة أربعمائة من الهجرة النبوية .

ولنذكر من مليح نثره ونظمه ما رقّ له وراق ، وحلا فى الأذواق .

فمن فصوله القصار ، وأمثاله التى انتشر فضلها وسار : من أصلح فاسده أرغم حاسده ، من أطاع غضبه أضاع أربَه . عادات السادات سادات العادات. من سعادة جدك وقوفك عند حدك . أفحش الاضاعة الاذاعة . الرشوة رشاء الحاجة . اشتغل عن لذاتك بعمارة ذاتك . إذا بقى ماقاتك فلا تأس على مافاتك. ربما كانت الفطنة فتنة ، والمحنة منحة . من حصن أطرافه حسن أوصافه . أحصن من الجنة لزوم السنة . الرد الهائل خير من الوعد الحائل . طلوع العقوق أفول الحقوق . الحدة والندامة فرسا رهان ، والجود والشجاعة شريكا عنانٍ . والتوانى والخيبة رضيعا لبان . الفكر رائد العقل . نعمَ الشفيع إلى عدوك عقله . مسلك الحزن حزْن . الخلاف غلاف الشر . المراء يهدم المروءة . رضى المرء عن نفسه دليل تخلفه ونقصه . عسى تحظى فى نمك برغدك . ربما أغنت المداراة عن المباراة . لا ضمان على الزمان . من لزم السلم سلم . ليكن قرينك من يزينك إفراط السخاوة رخاوة . ربما كانت العطية خطية . لا يعدم السرعة ذو السرعة لكل حادث حديث . البشر نور الأصحاب . ما كل خاطر بعاطر . ما لخرق الرقيع مرقع . إن يكن لنا مطمع فى دَرَك درك ، فأعفنا من شَرك شرك . الغيث لا يخلو من العيث .

ومن شعره فى الغزل وغيره [من البسيط] :

يايوسفَ الحسنِ ليلى بعدَ فرقتكمْ ... يحكى سِنِي يوسفٍ طولاً وتعذيبَا
والشأنُ فى أننى أرمى لأجلكمُ ... بمثلِ ما قد رَمى إخوانُكَ الذيبَا

ومنه [من الكامل] :

قالتْ وقد راودتها عن قبلة … تشفى بها قلباً كئيباً مغرَمَا
قدِّمْ يداً من قبل أن تدنى يداً … ومبرّةً من قبل أن تُدنى فما
إنّ الغرامَ غرامةٌ فمَتى تكنْ … بى مُغرَماً فلتحملن لى مغرَمَا

ومنه [من الكامل] :

أرأيتَ ما قد قال لى بدر الدُّجى … لما رأى طرفى يُديمُ سُهودَا
حتّى مَ ترمقنى بطرفٍ ساهرٍ … أقصِرْ فلستُ حبيبكَ المفقودَا

ومنه [من الخفيف] :

رُبَّ يومٍ للأنس فيهِ فراغٌ … ولكأسِ السرورِ فيهِ مساغُ
بيننا للبخور غيمٌ ، وللما … وَرْدِ طش ، وللغوالى رداغُ

ومنه [من الكامل] :

يومٌ له فضلٌ على الأيامِ … مزَجَ السحابُ ضياءهُ بظلامِ
فالبرْقُ يخفقُ مثلَ قلبِ هائمٍ … والغيمُ يبكى مثلَ طرفِ هامى
وكأنَّ وجهَ الأرضِ خَدُّ متيمٍ … وُصلتْ دموعُ سحابهِ بسجامِ
فاطلب ليومك أربعاً هنَّ المنى … وبهنَّ تصفو لذّةُ الأيامِ
وجهَ الحبيبِ ومنظراً مُستشرفاً … ومُغَنِّيًا غرداً وكأسَ مُدامِ

ومنه فى وصف الكتب والخط والبلاغة [من الوافر] :

كتابك سيدى جلَّى هموى … وجلّ به اغتباطى وابتهاجى
كتابٌ فى سرائره سرورٌ … مُناجيه من الأحزان ناجى
فكم معنى لطيفٍ درجَ لفظٍ … هُناكَ تزاوجا أىَّ ازدواجِ (١)

(١) فى اليتيمة * فكم معنى لطيف ضمن لفظ *

كراحٍ في زجاجٍ بل كروحٍ سرى في جسمِ معتدلِ المزاجِ

ومنه أيضا [من الطويل] :

بنفسيَ من أهدَى إليَّ كتابهُ فأهدى ليَ الدُّنيا مع الدين في درجِ
كتابُ معَانيهِ خلالَ سطورهِ لآلىء في دَرْجٍ كواكبُ في بُرْجِ

ومنه [من البسيط] :

لما أتاني كتابٌ منك مبتسمٌ عن كل برٍّ وفضلٍ غير محدودِ
حكتْ معانيهِ في أثناء أسطرهِ آثارَكَ البيض في أحوالىَ السودِ

ومنه [من البسيط] :

ما إنْ سمعت بنوّارٍ لهُ ثمرٌ في الوقت يمتعُ سمعَ المرء والبصرَا
حتى أتاني كتابُ منكَ مبتسمٌ عن كل لفظٍ ومعنى يشبهُ الدررَا
فكانَ لفظك من لألائهِ زهراً وكانَ معناهُ في أثنائه ثمرَا
تسابقا فأصاباَ القصدَ في طَلَقٍ لله مِنْ ثمرٍ قد سابَقَ الزهرَا

ومنه [من الوافر] :

إذا أحببتَ أنْ تحظى بسحرٍ فلاَ تختَرْ على لفظي وشعرِي
فأحسنُ من نظام الدرّ نظمي وآنقُ من نِثارِ الورد نثرِي

ومنه في الفقهيات [من الطويل] :

عليكَ بمطبوخِ النبيذ فانهُ حلالٌ إذا لم يخطف العقلَ والفهمَا
ودَعْ قولَ من قد قالَ إنَّ قليلهُ يُعينُ على الاسكار فاستويا حكما[1]
فليسَ لما دون النصاب قضية النصاب وإن كان النصابُ بهِ تمَّا

---

(١) في اليتيمة « معين على الاسكار »

ومنه فى معناه [من البسيط] :

معاشرَ الناس أصغوا قد نصحتُ لكمْ في الراحِ حكمٌ مليحٌ غيرُ ممقوتِ
قليلها مُستباحٌ والكثيرُ عمًى كغرفةٍ فردةٍ من نهرِ طالوتِ (١)

ومنه فى الطبيات والفلسفيات [من الخفيف] :

لا يغرَّنك أننى ألينُ اللمس فعزمى إذا انتضيتُ حسامُ (٢)
أنا كالوَرْدِ فيه رَاحةُ قومٍ ثمَّ فيه لآخرينَ زكامُ

ومنه [من المتقارب] :

خَفِ اللهَ واطلب هُدَى دينهِ وبعدهما فاطلب الفلسفهْ
لئلاَّ يغرَّكَ قومٌ رَضوا منَ الدين بالزورِ والسفسفهْ
ودعْ عنكَ قوماً يعيبونها ففلسفة المرء كلُّ السفهْ

ومنه فى النجوميات [من البسيط] :

قد غضَّ من أملى أنى أرى عملى أقوى من المشترى فى أول الحملِ
وأننى راحلٌ عما أحاوِلهُ كأننى أستدرُّ الحظ من زُحلِ

ومنه [من البسيط] :

إذا غدا ملكٌ باللهو مشتغلاً فاحكم على ملكه بالويلِ والحربِ
أما ترى الشمس فى الميزان هابطةً لما غدا برج نجم اللهو والطربِ

ومنه [من البسيط] :

لا تعجبنَّ لدهرٍ ظلَّ فى صَبَبٍ أشرافهُ وعلاَ فى أوْجهِ السِّفلُ

---

(١) فى اليتيمة « والكثير حمى » وهو الصواب ؛ والحمى : الذى حماه الله ومنع من أن تقربه . وفى الحديث « ألا وإن لكل ملك حمي ، ألا وإن حمى الله محارمه »

(٢) فى الأصل « ألين المس » وقد أثبتنا مافى اليتيمة ؛ وفى اليتيمة « فغر بى إذا انتضيت حسام »

وانظرْ لأحكامِهِ أنى تقادُ بِها   فالمشترِى السّعد عالٍ فوقَهُ زُحل[(١)]

ومنه [من الوافر] :

سلِ اللهَ الغنى تسألْ جوادا   أمِنتَ على خزائنِه النفادا[(٢)]
وإن أدناكَ سلطانٌ لفضلٍ   فلاَ تغفلْ ترقُّبَكَ البعادا
فقدْ تُدنى الملوكُ لدَى رضاها   وتُبعدُ حينَ تحتقدُ احتقادا
كما المرِّيخُ فى التثليثِ يُعطى   وفى التربيع يَسلبُ ما أفادا

ومنه [من الرمل] :

شرفُ الوعدِ بوعدٍ مثلِهِ   مثلٌ ما فيه زَيغٌ وزَللْ[(٣)]
ودليلُ الصدْق فيما قُلتهُ   شرفُ المرِّيخ فى بيتِ زُحلْ

ومنه فى الإخوانيات [من المتقارب] :

لِقاؤكَ يُدْنى مُنَى المُرتجى   ويفتحُ بابَ الهوَى المرْتَجِ
فأسرِعْ إلينا ولا تُبطئنْ   فإنا صِيامٌ إلى أنْ تجى

ومنه [من الكامل] :

عِندى فديْتكَ سادةٌ أحرارُ   وقلوبُهمْ شوقاً إليكَ حِرارُ
وشرابُنا شُربُ العلومِ ورَوْضُنا   نُزهُ الحديثِ ونَقْلُنا الأشعارُ
فامنُنْ علينا بالبدارِ فانما   أعمارُ أوقاتِ السُّرُورِ قِصارُ

ومنه [من الخفيف] :

لا تظُننَّ بى وبِرُّكَ حىٌّ   أنَّ شُكرِى كشكرِ غيرى مَوَاتُ

---

(١) فى اليتيمة « أنى تقاربها »
(٢) فى اليتيمة ✽ سل الله العظيم تسل جوادا ✽
(٣) فى اليتيمة « الوعد » فى الموضعين ، بعين مهملة .

أنا أرضٌ وراحتاكَ سماءٌ والأيادِي وبْلٌ وشكرى نبَاتُ

ومنه [من البسيط] :

منْ شاء عيشاً رخياً يستفيدُ بهِ في دِينهِ ثمّ في دُنياه إقبالاً

فلينظُرنْ إلى منْ فوقَهُ أدباً ولينظرنْ إلى منْ دُونه مالاً

ومنه [من الطويل] :

أفِدْ طبعكَ المكْدودَ بالجدِّ راحةً قليلاً وعلِّلهُ بشيء من المزْحِ

ولكنْ إذا أعطيته ذاكَ فليكنْ بمقدارِ مايعطى الطعامُ من المِلحِ

ومنه [من المتقارب] :

إذَا ما اصطفيتَ امرأً فليكنْ شريفَ النِّجارِ زكِيَّ الحسبْ

فنذلُ الرِّجالِ كنذْلِ النَّباتِ فلاَ لِلثمارِ ولا لِلحطبْ

ومنه [من الطويل] :

عفاء على هذَا الزَّمانِ فإنهُ زَمانُ عقوقٍ لا زَمانُ حُقوقِ

فكلُّ رفيقٍ فيهِ غيرُ موافقٍ وكلُّ صديقٍ فيهِ غيرُ صدُوقِ

ومنه [من البسيط]:

كأنني فرَسُ الشطْرنجِ ليسَ لهُ في ظلِّ رابطهِ ماءٌ ولا علَفُ

ومنه قوله فى المشاورة [من الوافر] :

خصائصُ منْ تشاوِره ثلاثٌ فخذْ منها جميعاً بالوَثيقهْ

ودادٌ خالصٌ ووُفورُ عقْلٍ ومعرفة بحالكَ فى الحقيقهْ

فمنْ حصلتْ لهُ هذِى المعانِى فتابعْ رأيهُ والزمْ طريقهْ

وقوله أيضاً [من الكامل]:

إنْ كنتَ تطلبُ رُتبةَ الأحرارِ فاعمدْ لِحلمٍ راجحٍ ووقارِ

وحذارِ منْ سفهٍ يَشينُكَ وصفهُ   إنَّ السَّفاهَ بذِى المروءةِ زارى
إنَّ السَّفيهَ إذا تصدَّى لامرئٍ   متحلم ونهاه بالأضرار
فالماء يُطفى وهوَ لَيْنٌ مسُّهُ   عذبٌ مذاقتهُ لهيبَ النَّار

ومنه [من الوافر] :

وما استوْفى شرُوطَ الحزم إلاّ   فتى فى خُلقهِ سهلٌ وَحزْنُ

ومثله قول ابن شمس الخلافة [من الطويل] :

فليسَ كمالُ المرْءِ بالخيرِ وحدَهَ   إذَا لم يكنْ فى المرْءِ شىءٌ من الشَّرّ

ومحاسن أبى الفتح البستى كثيرة ، رحمه الله تعالى ! وفيما أوردناه كفاية .

* * *

١٦٣ - كلُّكمْ قدْ أخذَ الجا   مَ ولاَ جامَ لنَا
ما الَّذِى ضرَّ مُديرَ الـ   ـجامِ لوْ جاملَنَا

شاهد الجناس المفروق

البيتان من مجزوء الرمل ، وهما لأبى الفتح البستى أيضاً .

والشاهد فيهما: الجناس المفروق، وهو : المتفق لفظا لاخطا ، كقول المعتمد ابن عباد يحكى قول جارية له فى محنته [من مجزوء الرجز] :

قالتْ لقدْ هِنَّا هنَا   موْلاىَ أينَ جاهنَا
قلتُ لها إلىَ هنا   صيَّرنا إلى هُنا

وقول المطوعى [من الوافر] :

أميرٌ كلُّهُ كرمٌ سعدْنَا   بأخذِ المجدِ عنهُ واقتباسِهْ
يُحاكِى النيلَ حينَ يرُومُ نَيْلاً   ويحكى باسلاً فى وقتِ باسِهِ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

لاتعرِضَنْ على الرُّواةِ قصيدةً ... مالم تبالغْ قبلُ فى تهذيبها
فمتى عرضْتَ الشعْرَ غيرَ مهذبٍ ... عدُّوهُ منكَ وساوِساً تهذِى بها

وقول ابن أسد الفارقى [من الطويل]:

غدوْنا بآمالٍ ورُحنا بخيبةٍ ... أماتتْ لنا أفهامَنا والقرائحا
فلاَ تلقَ منَّا غادِياً نحوَ حاجةٍ ... لتسألهُ عن حالهِ والقَ رائحا

وقول أبي الفتح البستى (١) [من البسيط]:

إنْ سلَّ أقلامَهُ يوماً ليُعْملها ... أنساكَ كلَّ كمِىٍّ هزَّ عامِلهُ
وإنْ أقرَّ على رَقٍّ أناملهُ ... أقرَّ بالرِّقِّ كتَّابُ الأنام لهُ

وقوله أيضاً (٢) [من مجزوء الوافر]:

إلى حتفى سعى قدَمى ... أرَى قدَمى أراقَ دَمِى (٣)
فكمْ أنقدُ منْ ندَمٍ ... وليسَ بنافعٍ ندَمى

وقوله (٤) [من الكامل]:

كم منْ أخٍ قدْ هدَّمتْ أخلاَقهُ ... فى آخرِ ما قدْ بنى فى الأوَّلِ
نسِىَ الوَفاء ولستُ أنسى عهدَما ... شاهدْتُ منهُ فى الزّمانِ الأطولِ
يرْمى سهاماً إنْ أسرَّ المقتَ لى ... بالكيدِ لا يقصدْنَ غيرَ المقتلِ

وقوله (٥) [من الهزج]:

---

(١) البيتان فى يتيمة الدهر للثعالبى (٤-٢٩١) كما هنا ، وفى تاريخ ابن خلكان (٢-٥٢) وفيه فى أولها « إن هز أقلامه »
(٢) البيتان فى اليتيمة (٤-٣٠٤)
(٣) فى اليتيمة « مشى قدمى »
(٤) الأبيات فى يتيمة الدهر (٤ - ٣٠١) .
(٥) الأبيات فى يتيمة الدهر (٤ - ٣٠٣) .

جُعلنا أجنبيَّينِ بلا جُرْمٍ ولا تبلِ
وأقصينا وما خُنَّا ومازُغْنا عن العدْلِ
فقلْ لي ياأخا السُّودَ دِ وَ الهمّةِ والفضلِ
إلى كم نحن في ضيقٍ وفي عزلٍ وفي أزْلِ
أما تَنْشَطُ أنْ تُملى على الكُتَّاب أنتم لي

وقوله (١) [من مجزوء الخفيف] :

لا يسوأْنكَ إنْ برّا نِيَ دَهرٌ فلَمْ يَرِشْ
أنتَ لِعِشْ سالمًا فأنـــكَ إنْ عِشتَ أنتعشْ

وقول العميد بن سهل [من الطويل] :

عجبْتُ منَ الأقلامِ لم تبدِ خُضْرَةً وباشرْنَ منهُ كفَّهُ والأناملا
لو انَّ الورَى كانوا كلامًا وأحرُفًا لكانَ نعمْ منها وكانَ الأنامُ لاَ

وقول أبي بشر المأموني بن على الخوارزمي مهنئاً بعض أصحابه بزفاف [من المنسرح]:

بدرُدُجى أصحبوهُ شمسَ ضُحى باركَ ربُّ السماء فيها لَهْ
ضمَّتهما هالةُ الوِصال معا منْ ذا رأى النيِّرَيْنِ في هالَهْ

وقول أبي بكر اليوسفي يصف أقلاماً، وهي [من الكامل] :

قصباتُ فضلٍ قدْ جرَتْ قصباتُها مجْرَى موافي كبْوةٍ وعِثارِ
يكتبنَ في القرْطاسِ أخبارَ النُّهى بلُعابِ مِنقارٍ لها من قارِ

وقول صدر الدين الخجندي [من السريع] :

---

(١) البيتان في يتيمة الدهر للثعالبي (٤ - ٢٩٩) .

أنفق حبوراً واسترقَّ العلاَ ولا تخفْ خشيةَ إملاَقِ
الناسُ أكفاءٌ إذا قوبلوا إن فاقَ شخصٌ فبالانفاقِ

وما ألطف قول ابن نباتة [من الكامل] :

قمراً نراهُ أمْ مليحاً أمرَدا ولحاظهُ بينَ الجوانحِ أمْ ردَى

وسبقه إلى ذلك الأمير أبو الفضل الميكالى فقال [من الرجز] :

يا منْ دَهاه شعرُهُ وكانْ غضّاً أمرَدا
سيَّان قاجا أمرَدا فى الخدِّ شعرٌ أمْ ردَى

ولأبى الفضل فى هذا أيضا قوله [من مخلع البسيط] :

لناصديقٌ تجيدُ لقماً راحتُنَا فى أذَى قفاهُ
ماذاقَ من كسبهِ ولكنْ أذَى قفاهُ أذاقَ فاهُ

وله أيضا [من مجزوء الرجز] :

لنا صديقٌ إنْ رأى مُهفْهفاً لا طَفَهُ
وإنْ يكنْ فى دَهرنا ذُو أبنةٍ لاطَ فَهُو

وله أيضا [من الطويل] :

لقدْ راعنى بدْرُ الدُّجى بصدودِهِ ووكَّل أجفانى برَعْيِ كواكبِهْ
فياجزَعى مهلاً عساه يعودُ لى ويا كبدِى صبراً على ما كوَاكَ بِهْ

وللشهاب محمود فيه [من الوافر] :

ولم أرمثلَ نشرِ الرَّوْض لما تلاقيْنا وبنتَ العامرىِّ
جرَى دمعى وأوْمض برْقُ فيها فقالَ الرَّوْضُ فى ذَا العامرِىّ

ولابن جابر الأندلسى [من الرمل] :

قدْ سبى قلبى غزالٌ فاتنٌ سل بهِ كيفَ اعتدىَ فى سلبهِ

أنا لا أعتبهُ فيما جرى صَفَحَ اللهُ لهُ عَنْ ذَنْبِهِ

وقوله أيضاً [من الرمل] :

أيها العاذلُ فى حبى لها خَلِّ نفسى فى هوَاها تحترِقْ

ما الذى ضرَّكَ منِّى بعدَ مَا صارَ قلبى من هواها تحتَ رقْ

وقول الشاب الظريف محمد بن العفيف [من مخلع البسيط] :

أسرعْ وسِرْ طالبَ المعالى بكلِّ وادٍ وكلِّ مَهْمَهْ

وإنْ لحَىَ عاذلٌ جهولٌ فقلْ لهُ : يا عَذولُ مَهْ مَهْ

وقوله رحمه الله تعالى [من مجزوء الرجز] :

إنَّ الذى منزلهُ من سُحُبِ عينى أمرعَا

لم أدرِ من بَعدِىَ هل ضيَّعَ عهدى أمْ رَعَى

وقول قاضى القضاة بهاء الدين السبكى [من الكامل] :

كنْ كيفْ شئتَ ، عن الهوَى لا أنتَهِى

حتَّى تعودَ لى الحياةُ وأنتَ هِى

ومثله قول أبى نصر القشيرى [من مجزوء الكامل] :

تقبيلَ خدِّكَ أشتهى أملٌ إليهِ أنتهى

إن نلتُ ذلكَ لم أُبَلْ بالرُّوح منى أن تَهِى

دُنيایَ لذةُ ساعةٍ وعلى الحقيقة أنتَ هِى

***

شاهد الجناس المطرف

١٦٤ — • يمُدُّونَ من أيدٍ عوَاصٍ عوَاصِمِ •

هو صدر بيت من الطويل ، وتمامه :

* تصولُ بأسيافٍ قواضٍ قواضبِ *

وقائله أبو تمام ، من قصيدة (١) يمدح بها أبا دلف العجلى ، أولها :

عَلى مثلها من أَرْبُعٍ ومَلاَعبِ
أُهيلتْ مصوناتُ الدموعِ السواكبِ (٢)

وهى طويلة ، وما أحسن قوله فى مخلصها :

إذا العيسُ قدلاقت أبادلفٍ فقدْ تَقَطَّعَ ما بينى وبين النوائب (٣)
هنالكَ تلقىَ الجودفى حيث قُطِّعَتْ تمائمهُ والمجد وافى الذوائبِ (٤)
تـكادُ عطاياهُ تجنُّ جنونها إذا لم يُعَوِّذْهَا بنغمة طالبِ (٥)

وهذا البيت ممـا انتقد به على أبى تمام حتى قال بعضهم :(٦) وما باله ينسبها إلى الجنون ويلتمس لها العوذ والرق ؟ هلافك إسارها وعجل خلاصها ولم ينتظر بها نغمة الطالب ففعل كما قال أبو الطيب المتنبي [من الكامل] :

وعطاء مالٍ لوعدَاهُ طالبٌ أنفقتهُ فى أن تلاقى طالبا

وقد تداول الناس هذا المعنى ، فقال مسلم [من الطويل] :

---

(١) ارجع إليها فى الديوان (٤٠)

(٢) فى الديوان « أذيلت مصونات الدموع » والمعنى واحد ، وانظر هذا المطلع فى الموازنة (٤١٦ بتحقيقنا)

(٣) فى الديوان « إذا العيس لاقت بى » وهى أظرف

(٤) فى الديوان « هنالك تلقى المجد » وفيه « والجود مرخي الذوائب »

(٥) فى الأصل « بنعمة طالب » بعين مهملة ، وهو تحريف لايتفق مع ماوجه إلى البيت من النقد ، والذى أثبتناه موافق لما فى الديوان ، ومافى الوساطة (٧٤ طبع مطبعة الحلبى)

(٦) هذا الـكلام بنصه فى « الوساطة بين أبى الطيب المتنبي وخصومه » إلى آخر الشواهد التى ذكرها على تداول الشعراء هذا المعنى .

أخٌ لِىَ يعطينى إذا ما سألتُهُ ... وإن لم أُعَرِّضْ بالسؤال ابتدانيا

وقال أبو العتاهية [من المتقارب] :

وإنا إذا ما تركنا السؤالَ ... فمعرُوفهُ أبداً يبتدينا(١)

وإن نحنُ لم نبغ معروفهُ ... فمعرُوفهُ أبداً يبتغينا

وقال أبو تمَّام الطائى [من الطويل] :

فأضحتْ عطاياهُ نوازعَ شُرَّدا ... تسائلُ فى الآفاق عن كلِّ سائلِ

وقال أيضا [من الكامل] :

ورأيتنى فسألت نفسكَ سَيْبَهَا ... لى ثم جُدْتَ وما انتظرتَ سؤالى

وقد زاد أبو الطيب عليهم بقوله المتقدم :

* أنفقتهُ فى أن تلاقى طالبا *

ولنرجع إلى شعر أبى تمام — ومن محاسن قصيدته هذه قوله :

يرى أقبح الأشياء أوْبَةَ آملٍ ... كستهُ يدُ المأمول حُلَّةَ خائبِ

وأحسن من نَوْرٍ يُفَتِّحهُ النَدَى ... بياضُ العطايا فى سواد المطالبِ

وهذا البيت من أحسن الشواهد على المقابلة ، وهو مأخوذ من قول الأخطل [من الطويل] :

رأينا بياضاً فى سواد كأنهُ ... بياضُ العطايا فى سواد المطالبِ

ويحكى أن أبا تمام لما أنشد أبا دلف قوله :

* على مثلها منْ أرْبُعٍ وملاعبِ *

قال : من أراد يُبَكِّتهُ : لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

---

(١) عجز هذا البيت فى الوساطة « فلم نبغ نائله يبتدينا »

التوليد نوع من البديع

وهذا نوع من البديع يسمى التوليد ، فإن هذا القائل وَلَّدَ من الكلامين كلاما يناقض غرض أبي تمام من وجهين : أحدهما : خروج الكلام عن النسيب إلى الهجاء بسبب ما انضم إليه من الدعاء ، والثاني خروج الكلام من أن يكون بيتا من الشعر إلى أن صار قطعة من النثر .

ومن لطيف التوليد قول بعض العجم ، وهو توليد المتكلم ما يريد من لفظ نفسه [من الوافر] :

كأنَّ عِذَارَهُ في الخدِّ لامٌ ومبسمهُ الشهى العذب صادُ

وطرَّةُ شعْرِه ليلٌ بَهِيمٌ فلا عجب إذا سُرِقَ الرُّقادُ

فانه ولد من تشبيه العذار باللام ، وتشبيه الفم بالصاد ، لفظة لص ؛ وولد من معناها ، ومعنى تشبيه الطرة بالليل ، ذكر سرقة النوم ؛ وهذا من أغرب توليد سمع .

رجع إلى الكلام على البيت : عواص : جمع عاصية ، من عصاه : ضربه بالسيف ، أو العصا ، وعواصم : من عصمه حفظه وحماه ، وقَوَاض : من قضى عليه حكم ، وقواضب : من قضبه قطعه .

والشاهد فيه : الجناس الناقص المطرف

من شواهد الجناس المطرف

ومن الشواهد عليه قول البحترى [من الطويل] :

فإنْ صدَفَتْ عنا فرُبَّةَ أنفسٍ صَوَادٍ إلى تلك الوجوه الصوادفِ

وما أنشده الشيخ عبد القاهر ، وهو [من الطويل] :

وكم سَبَقَتْ منهُ إلىَّ عوارفٌ ثنائى على تلك العوارف وارفُ

وكم غررٍ مِنْ برِّهِ ولطائف فشكرى على تلك اللطائف طائفُ

وقول الآخر [من الطويل] :

عَذِيرىَ مِنْ دهرٍ مُوارٍ موارِبٍ لهُ حسناتٌ كلهنَّ ذنوبُ

وقول البهاء زهير (١) [من مجزوء الكامل] :

---

(١) تنسب هذه الأبيات لأبى حفص سلطان العاشقين ابن الفارض ، ولكنها بشعر البهاء زهير أشبه .

أشكو وأشكرُ فعلهُ فاعجبْ لشاكٍ منهُ شاكرْ

ومنها :

طَرْفى وطَرْفُ النجم فيــكَ كلاهما ساه وساهرْ
يَهْنِيكَ بَدْرُكَ حاضرٌ ياليت بدرى كان حاضرْ
حتى يَبِينَ لناظرى مَنْ منهما زاهٍ وزاهرْ

وقول المعتمد بن عباد ، وقد كتب به إلى صاحب له يدعوه إلى مجلس أُنس ، وهو [من الخفيف] :

أيها الصاحب الذى فارقت عيـــنى ونفسى منهُ السنا والسناء
نحنُ فى المجلس الذى يهبُ الرا حة والمسمع الغِنَى وَالغناء
نتعاطى التى تُنَسِّى من اللذةِ والرِّقةِ الهــوى وَالهواء
فأتهِ تلقَ راحةً ومُحَيًّا قدْ أعدّا لكَ الحيا والحياء

وقول ابن جابر الأندلسى [من الطويل] :

منازلُ قلبى ليسَ فيهنّ نازلٌ سواكَ ، ولى شوقٌ للقياكَ دائمُ
فيا راكبَ الوَجْناءِ هل أنت عالمٌ فِداؤكَ نفسى كيف تلك المعالمُ

وقول أبى جعفر الغرناطى [من السريع] :

أرى أُناساً مَنْ أراد الرِّضى منهمْ رجا ما ليسَ بالممكنِ
سيانِ أنْ يُعْطُوا وأنْ يمنعوا قدْ ضاعَ منهمْ كرمُ المحسنِ

وما أحسنَ قول ابن شرف الماردينى من قصيدة [من الوافر] :

هلالٌ فى بُرُوجِ السعدِ سارٍ غزالٌ فى مُرُوجِ العزِّ سارحْ

***

شاهد الجناس المذيل

١٦٥ – إنَّ البكاءَ هُوَ الشفا ء من الجوَى بينَ الجوَانِحْ

البيت من مجزوء الكامل المرفل ، وقائلته الخنساء من قصيدة[١] ترثى بها أخاها صخراً ، أولها :

يا عينُ جُودِى بالدُّمو عِ المستهلاَّتِ السوَافح
فَيْضاً كما فاضتْ غُرُو بُ المُتْرَعَاتِ من النَّوَاضح[٢]

وبعده البيت ، وبعده :

وابكى لصخرٍ إذ ثوَى بينَ الضريحةِ والصفائح[٣]
أمسى لدَى جدَثٍ تُذيعُ بتربِهِ هُوجُ النوافح[٤]
والسيدُ الجحْجاحُ وابـنُ السادةِ الشمِّ الجحاجح

والشاهد فيه : الجناس المذيل ، وهو : ما كان بأكثر من حرف .

ومنه قول حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه [من الطويل] :

وكُنا متى يَغزو النبيُّ قبيلةً نَصِلْ جانبيهِ بالقنا والقنابِلِ

---

(١) اقرأها فى أنيس الجلساء شرح ديوان الخنساء (٢٥ بيروت)
(٢) فى أنيس الجلساء :

فيضا كما فاض الغرو ب المترعات من النواضح

(٣) وفيه « فابكى لصخر » والضريحة والضريح : الشق فى وسط القبر ، والصفائح : الحجارة العراض .

(٤) فى أصل هذا الكتاب « رمسا لدى جدث » وهى رواية فى البيت ، وقد تخيرنا رواية الديوان . والرمس والجدث كلاهما القبر ، وتذيع بتربه : تذهب به وتنسفه ، والهوج : جمع هوجاء ، وأصلها الناقة التى تركب رأسها ، وقد استعارتها للريح ، والنوافح : أرا الباردة .

وقول النابغة أيضاً [من الطويل] :

لهـا نارُ جنّ بعدَ إنسٍ تحـوَّلوا وزال بهمْ صَرْفُ النوى والنوائبِ

وقول الآخر فى رثاء [من الطويل] :

فيالكَ مِنْ حَزْم وعـزم طوَاهما جديدُ الردَى تحت الصفا والصفائحِ

ولابن جابر الأندلسى فيه [من الـكامل] :

بينَ الجوَانحِ لو علمتَ مِنَ الجوَى نارٌ عليها سكبُ دَمعى يصنعُ

فدَعِ المدَامعَ فى مدَى جرَيانها فالدمعُ بعـدَ فراقهمْ لا يمنعْ

تتمة — قد ذكر المصنف رحمه الله تعالى بقية أقسام الجناس ، ولم يذكر لها شواهد شعرية ، فلنذكر منها شيئا تتميما للفائدة .

من شواهد الجناس المشتق

فمن شواهد الجناس المشتق قول أبى تمام [من الطويل] :

وأنجدتمُ من بعدَ إتهام داركمْ فيا دَمعُ أنجدنى على ساكنى نجدِ

وقول محمد بن وهيب [من الطويل] :

قَسمتَ صُرُوفَ الدّهرِ بَأساً وَنائلاً

فَمَالُكَ مَوْتور وَسيفكَ وَاتِرُ (١)

وقول الصاحب بن عباد [من المتقارب] :

وَقائلة لِمْ عرَتكَ الهمومُ وأمرُكَ ممتَثلٌ فى الأمَمْ

فقلتُ ذَرينى على غُصتى فإنّ الهمُومَ بقدْرِ الهِمَمْ

ولابن جابر الأندلسى فيه [من الخفيف] :

قدْ نعمنا بسفحِ نعمانَ لـكنْ عقَّنى البعدُ والعقوقُ قبيحُ

قلْ لأهلِ الخيامِ أما فؤادِى فجريحٌ لـكنْ حبى صحيحُ

---

(١) موتور : أراد به أنه هالك فى الجود ، وواتر : أراد به أنه ماض فى رقاب الأعداء

ولبعضهم وهو بالجناس المطلق أشبه [من المتقارب] :

إذا أعطشتكَ أكفُّ اللئام   كفتكَ القناعةُ شبعاً وريّا

فكن رَجلاً رِجلُهُ فى الثرَى   وهامةُ همّتِه فى الثريّا

وما أحسن قول كشاجم فى خادم أسود مشهور بالظلم [من السريع] :

يا مُشبهاً فى لونِه فعلهُ   لم تخطِ ما أوجبت القسمه

فعلُكَ من لونكَ مُستخرجٌ   والظلمُ مُشتقٌّ منَ الظلمه

ولطيف قول بعضهم أيضاً [من الطويل] :

على بابكَ المعمورِ لا زالَ عالياً   مَطيّاتُ آمالِ البريةِ واقفه

فجودُكَ موجودٌ وطَوْلُكَ طائلٌ   وعُرفُكَ معروفٌ وكفُّكَ واكفه

وما أحسن قول بعض المتأخرين فى هذا النوع أيضاً [من البسيط] :

عاتبتُ طيفَ الذى أهوَى وقلتُ لهُ

كيفَ اهتديتَ وجنحُ الليلِ مسدولُ

فقالَ آنستُ ناراً مِنْ جوانحكمْ   يُضىءُ مِنها لدَى السارِين قنديل

فقلتُ نارُ الجوَى معنى وليسَ لها   نور يُضىء فما ذَا القولُ مَقبولُ

فقالَ نِسبتُنا فى الأمرِ واحدةٌ   أنا الخيالُ ونارُ الشوقِ تخييلُ

وقد نبه على الاشتقاق فى قوله « نسبتنا فى الأمر واحدة » .

من شواهد الجناس المطلق

ومن الجناس المطلق، ويفرق بينه وبين المشتق بأن معنى المشتق يرجع إلى أصل واحد ، والمطلق كل ركن منه يباين الآخر ، قولُ الشاعر [من الكامل] :

عربٌ تراهمْ أعجمينَ عنِ القِرَى   متنزِّلينَ عنِ الضيوفِ النزَّلِ

فأقمتُ بينَ الأزدِ غيرَ مزوَّدٍ   ورحلتُ عن خَولانَ غيرَ مُخوَّلِ

وقول الآخر أيضاً [من البسيط] :

بجانبِ الكَرْخِ من بغدادَ عنَّ لنا ظبيٌ ينفِّرُهُ عنْ وصلنا نفرُ
ظفيرتاه على قتلي تظافرتا يا منْ رأى شاعراً أودى به الشعَرُ(١)

وقال أبو فراس الحمدانى [من البسيط] :

فما السُّلافُ أزْدَهتنى بلْ سوالِفهُ ولا الشَّمولُ دهتنى بلْ شمائلهُ

ومثله قول البهاء زهير

يا منْ لعبت به شمولٌ ما ألطفَ هذهِ الشمائل

وللبحترى فيه أيضاً [من الخفيف] :

وإذا ما رياحُ جودِكَ هبَّتْ صارَ قولُ الوُشاةِ فيها هباء

وظريف قول ابن العفيف [من الوافر] :

أراكَ فيمتلى قلبى سروراً وأخشى أنْ تشطَّ بكَ الدِّيارُ
فجُرْ واهجُرْ وصدَّ ولا تصِلْني رضيتُ بأنْ تجورَ وأنتَ جارُ

ولشيخ شيوخ حماة [من المتقارب] :

تولَّى شبابى فولَّى الغرامُ ولازمَ شيبى لزُومَ الغريمِ
ولوْ لم يصدَّني بازِيُّهُ لما صارمتنى مهاةُ الصَّريم

ومن شواهد الجناس المحرف قول أبى تمام [من الكامل] :

من شواهد الجناس المحرف

هنَّ الحمامُ فإن كسرتَ عيافةً منْ حائهنَّ فإنهنَّ حِمَامُ

وقول أبى العلا المعرى [من الطويل] :

---

(١) كتب مصحح نسخة بولاق على هامش النسخة هنا مانصه « قوله ظفيرتاه ، كذا فى النسخ ، والشاهد فيه ، والمعروف بالضاد » قلت: والمغاربة ينطقون الضاد ظاء ، فلعله جاء به على منطقهم ·

لغيرى زكاةٌ من جمالٍ فإنْ تكنْ زكاة جمالٍ فاذكرى ابنَ سبيلِ

وقولُ الحريرى [من السريع] :

للهِ مَنْ ألبسنى فروةً أضحتْ من الرِّعدةِ لى جُنّهْ

ألبسنيها واقياً مُهجتى وُقِّىَ شرّ الانس والجِنّهْ

سيكتسى اليومْ ثنائى وفى غدٍ سيكسى سُندُسَ الجنّهْ

وقول الآخر [من مجزوء الكامل] :

قلبٌ وقلبٌ فى يديكَ معذَّبٌ ومُنعمُ

ظمآنُ يطلبُ قطرةً تشفى صداهُ ويَنعمُ

وبديع قول سلطان بلنسية أبى عبد الملك بن مروان بن عبد الله بن عبد العزيز وهو يعالج سكرات الموت وقد أشرف على الفوت [من الوافر] :

إلهَ الخلقِ هبْ لى منكَ عفواً نحطّ به وتغفرُ منْ ذُنوبى

وسعتَ الخلقَ إجمالاً ولطفاً فهلْ لى فى نوالك منْ ذَنُوبِ

وما أبدع قول ابن الفارض [من الكامل] :

هلاّ نهاكَ نُهاكَ عنْ لوْم امرئٍ لم يُلْفَ غيرَ منعَّمٍ بشقاءِ

وقول شيخ شيوخ حماة [من الوافر] :

لِعينى كلَّ يومٍ فيكَ عَبْرَهْ تُصيِّرُنى لأهلِ العشق عِبْرَهْ

وقول ابن النقيب [من الخفيف] :

لاَ أجازى حبيبَ قلبى بظُلْمِهْ أنا أحنى عليه منْ قلب أمّهْ

جوْرُه مِثلُ عدلِه عندَ منْ يهـواهُ مِثلى وظُلْمُهُ ظَلْمِهْ

وقول البهاء زهير [من المتقارب] :

زهى وردُ خدَّيكَ لكنَّهُ بغيرِ النَّواظرِ لم يُقطفِ

وقدْ زَعموا أنهُ مُضعف وما عَلمـوا أنهُ مُضْعِفِي

وقول ابن جابر الأندلسى [من الرمل] :

حلَّ عقدَ الصبرِ منِّى عقدُها إذْ سبَتْ قَلْبى بما فى قُلْبِهَا

تحسبُ الدُّرَّ على لبَّتِهـــا أنجماً قـدْ حلَى البدْرُ بها

من شواهد الجناس المضارع

ومن شواهد الجناس المضارع ـ وهو : ما أبدل من أحد ركنيه حرف من مخرجه أو قريب منه ـ قولُ الشريف الرضى [من البسيط] :

لا يذكرُ الرمْلَ إلاَّ حنَّ مغتربٌ لهُ إلى الرَّملِ أوْطارٌ وأوْطانُ

وقول ابن نباتة [من الكامل] :

رقَّ النسيمُ كرِقَّتِى منْ بعدكمْ فكأنّنا منْ حبكمْ نتغايرُ

ووعدْتُ بالسلوَانِ واشٍ عابكمْ فكأنّنا فى كذْبِنا نتخايرُ

وقول ابن جابر الأندلسى [من الرمل] :

سلبَ القلبَ غزالٌ قدُّهُ قدْ حكى البَانَ لنا والسَّلمَا

نونُ صُدْغيهِ إذَا أبصرَهُ كاتبٌ ألْقى إليهِ القَلَمَا

وقوله أيضاً [من الكامل] :

أمرَ الشبابُ قضيبَ معطفِها فَهفا فنالتْ منْ دَمى أملا

أسرَ الهوَى مُهجَ الأنامِ لها إذْ هزَّ منْ أعطافِها أسلاَ

من شواهد الجناس اللاحق

ومن شواهد الجناس اللاحق ـ وهو عكس المضارع ـ قولُ البحترى فى مطلع قصيدة [من الخفيف] :

هلْ لما فاتَ منْ تلافٍ تلافِى أمْ لِشاكٍ منَ الصبابةِ شافِى

يقول فيها ، وهو من المستشهد به على هذا النوع

عجبَ الناسُ لاعتزَالى وفى الأطْـــرافِ تُلْفَى منازلُ الأشرافِ

وقعودِى عن التقلُّبِ والأرْ ضُ لمثلى رحيبةُ الأكنافِ
لستُ عن ثروةٍ بلغتُ مداها غيرَ أنى أمرُؤٌ كفانِى كفافِى

وقول أبى هلال العسكرى [من الوافر] :

أُراعى تحتَ حاشيةِ الديَاجى شقائقَ وجنةٍ سُقيتْ مُدَاما
وإنْ ذُكِرَتْ لواحظُ مقلتيهِ حسبتُ قلوبنا مطرتْ سِهاما
وإنْ مالتْ بِعِطْفَيْهِ شَمُولٌ سقانا منْ شمائلِهِ سَقاما

وقول الآخر [من الطويل] :

نظرتُ الكثيبَ الأجرَعَ الفرْدَ مرّةً
فردَّ إلىَّ الطَّرْفَ يَدْمَى ويدْمعُ

وقول ابن جابر [من المديد] :

بادِرِ الحسنَ الذِى منحتْ فاسترِقْ منْ خدِّها نظرَا
قهرَ الأغصانَ مِعطَفُهَا حينَ وافى حاملاً قمَرَا

الجناس اللفظى

ومن شواهد الجناس اللفظى — وهو : ما تماثل ركناه وتجانسا خطا ، وخالف أحدهما الآخر فى حرف فيه مناسبة لفظية ، كما يكتب بالضاد والظاء ، ويلحق به ما يكتب بالتاء والهاء ، أو بالنون والتنوين ، وهذا نوع قليل جداً — قال الأرجانى [من الوافر] :

وبيضُ الهندِ منْ وجدٍ هوازٍ باحدَى البيض منْ عُلْيَا هوازِنْ

وقال ابن العفيف [من الرجز] :

أحسنُ خلقِ اللهِ وجهاً وفَمَا إنْ لم يكنْ أحقَّ بالحسنِ فمَنْ

الجناس المقلوب

ومن شواهد الجناس المقلوب — ويسمى جناس العكس ، وهو : الذى يشتمل كل واحد من ركنيه على حروف الآخر من غير زيادة ولا نقص ، ويخالف

أحدهما الآخر فى الترتيب — قولُ العباس بن الأحنف [من الوافر] :

حُسامكَ فيهِ للأحبابِ فتحٌ ورمحكَ فيهِ للأعداء حتفُ

وقول القاضى أبى بكر البستى [من الطويل] :

حكانى بَهارُ الرَّوْض لما أَلِفتهُ وكلُّ مشوقٍ للبهارِ مُصاحبُ
فقلتُ لهُ ما بالُ لونكَ شاحباً فقالَ لأنى حينَ أُقلبُ راهبُ

وزاد على هذا المعنى ابن عبد الله النواص (١) [من الرمل] :

مَنْ عذيرِى مِنْ عذولى فى قمرْ قامرَ القلبَ هواهُ فقمرْ
قمــرٌ لم يُبقِ منى حبُّهُ وهواهُ غيرَ مقلوبِ قمرْ (٢)

ومثله قول قمر الدولة بن دواس [من مجزوء الرمل] :

أجملى يا جُملُ إنى رجلٌ ما فيهِ قلبُهْ
أو يكنْ ذاكَ فإنى قمرٌ ما فيهِ قلبهْ (٢)

وقول بعضهم [من المتقارب] :

وتحتَ البراقعِ مَقلوبُها تدِبُ على صحْنِ خدٍّ ندِى (٣)
تُسالمُ مَنْ وطئتْ خدَّهُ وتسلُبُ قلبَ الشجىِّ الأبعدِ

وقول الآخر [من الطويل] :

فقالتْ تُرى ماذَا الذِى أنتَ قانعٌ بِهِ مِنْ هوَ انا قلتُ مقلوبُ قانعِ (٤)

---

(١) البيتان فى يتيمة الدهر (٤ / ٤٤٢ بتحقيقنا) منسوبين له أيضاً .

(٢) مقلوب قمر هو « رمق » والرمق: بقية الحياة ، يعنى أن حبه وهواه لم يبقيا منه غير ذلك .

(٣) مقلوب البراقع هو « عقارب »

(٤) مقلوب قانع هو « عناق »

وقول ابن العفيف مع زيادة التورية [من السريع] :

أسكرنى بالّلحظِ والمقلةِ الْـ ـكحلاء والوَجنـةِ والـكاسِ
ساقٍ يُرينى قلبـهُ قسوةً وكلُّ ساقٍ قلبـهُ قاسِ

ومثله قول الصلاح الصفدى [من الخفيف] :

قلبَ الدّنَّ منْ أحبُّ فأضحتْ نفحةُ النّدّ من مُحيّاهُ تُهدَى
قال لى اعجبْ فقلتُ ماذا عجيبٌ كلُّ دنٍّ قلبتهُ صارَ ندّا

وقول أبى نصر أحمد بن الحسين الباخرزى [من السريع] :

مَنْ عاذِرى منْ عاذِلٍ قالَ لى ويْحكَ كم تعشقُ يا مُغْرَمُ
وألَمَ القلبَ ولا غرْوَ إذْ كلُّ مـلومٍ قلبهُ مولمُ

وقول النيلى [من مخلع البسيط] :

إذا رأيتَ الوَداع فاصبرْ ولا يهمنْكَ البعـادُ
وانتظرِ العوْدَ عن قريبٍ فإن قلبَ الوَداع عادُو

وما أحسن قول الوداعى فى مليح ينتف [من الطويل] :

تعشقتُ ظبياً ناعسَ الطرفِ ناعماً إلى أنْ تبدَّى الشعرُ والعشقُ ألوانُ
وقالوا أفِقْ مِنْ حبهِ فهوَ ناتفٌ فقلتُ عكستمْ إنما هوَ فتّانُ

وما أبدع قول ابن نباتة فى الأمير بهرام [من مجزوء الخفيف] :

قيلَ كلُّ القلوبِ منْ رَهبِ الحبِّ تضطربْ
قلتُ هذا تخرُّصٌ قلبُ بَهرام ما رَهبْ

ومن الغايات فيه قول عبد الله بن رواحة يمدح النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل : إنه أمدح بيت قالته العرب ، وهو [من البسيط] :

تحملهُ الناقةُ الأدْماء معتجراً بالبردِ كالبدرِ جلّى نورهُ الظلما

وقال ابن أبي الأصبع : رأيت في بعض الكتب : أن هذا البيت ، أحد بيتين مجرورين لكعب بن زهير ، وهما :

تحملهُ الناقة الأدماء معتجراً بالبُرْدِ كالبدر جلى ليلةَ الظلمِ
وفي عطافيهِ أوْ أثناء بُرْدتهِ مايعلمُ اللهُ من دينٍ ومنْ كرَمِ

أقول : ورأيت في حماسة أبي تمام ، نسبة البيت الذي ذكره ابن أبي الأصبع ، لأبي دهبل الجمحي ، في الأزرق المخزومي ، يرثيه في أبيات أخر .

وما ألطف قول القائل [من الطويل] :

وألفيتهمْ يستعرضونَ حوَائجاً إليهم ولو كانتْ عليهمْ جوَائحا

ومثله قول الآخر [من الخفيف] :

إن بين الضلوع مِنيَ ناراً تتلظَّ فكيف لى أن أطيقا
فبحق عليكَ يا منْ سقانى أرَحيقاً سقيتنى أمْ حريقاً

وقول الآخر [من مجزوء الرمل] :

قلتُ لما لاحَ لى منهـا شعاعٌ وبريقٌ
أشقيقٌ أمْ عقيقٌ أمحريقٌ أم رَحيقُ

وقول الآخر ، وهو من الغايات هنا [من الرمل] :

لبقٌ أقبل فيهِ هيَفٌ كلٌ ما أملك إن غَنَّى هبهْ

وأحسن ما في هذا النوع : أن يكون أول البيت كلمة مقلوبها قافيته ، كقول الشاعر [من مجزوء الكامل] :

رقتْ شمائلُ قاتلى فلذاك رُوحى لا تقرْ
ردَّ الحبيبُ جوابهُ فكأنهُ في اللفظ دُر

ومثله قول الصلاح الصفدي [من الكامل] :

رضّتْ فؤادى غادةٌ ما كنتُ أحسبُها تضرْ
ردّتْ رسولى خائباً فدامعى أبداً تمرْ

وما ألطف قول ابن جابر الأندلسى [من الرمل] :

بين نَعْمَانَ وسلعٍ ملأُ ليسَ منهم لمحبٍّ ألمُ
كلّ منهمْ ببدرٍ حلَّ فى فلكِ العلياء فاعرف مَنْ هُمُ

وقوله [من السريع] :

قد بانَ عذْرى فى مليحٍ لهُ لحظُ رشاً يلحظُ عن ذُعُرْ
إنى على الهجرِ مطيعٌ لهُ ممتثلٌ فى السرِّ والجهرْ

وقوله [من الرمل] :

أبداً أبْسُطُ خدّى أدباً لكُمُ يا أهلَ ذاك العلَمِ
أملِى أنّى أرى ربعَكم فبهِ يذهبُ عنّى ألمى

من شواهد الجناس الملفق

ومن شواهد الجناس الملفق ، وهو : أن يكون كل من الركنين مركباً من كلمتين ، قولُ المطوعى [من الطويل] :

وكم لجباهِ الرّاغبينَ إليه منْ مجالِ سُجُودٍ فى مجالسِ جودِ

ومثله قول الصلاح الصفدى [من الطويل]:

وساقٍ غدا يسعَى بكأس وطرْفهُ يجرّدُ أسيافاً لغيرِ كفاحِ
إذا جرّح العشّاق قالوا أقمتَ فى مدارجِ راحٍ أم مدارِ جراحِ

ولطيف قول القاضى أبى على عبد الباقى بن أبى حصين وقد ولى قضاء المعرة وهو ابن عشرين سنة ، وأقام فى الحكم خمس سنين، وهو [من الوافر] :

وليتُ الحكم خمساً وهى خمسٌ لعمرى والصبا فى العنفُوانِ
فلم تضعِ الأعادى قدْرَ شانى ولا قالوا فلان قدْ رَشانى

وما أعذب قول ابن عنين هنا [من الخفيف] :

خبروها بأنه ما تصدى   لسلو عنها ولو مات صدا

جناس الاشارة

ومن أنواع التجنيس جناس الاشارة ، وهو : أن لا يظهر التجنيس باللفظ بل بالاشارة ، كقول الشاعر [من الرمل] :

حلقت لحية موسى باسمه   وبهرون إذا ما قلبا(١)

ومثله قول الأديب نصر بن أحمد الخبزأرزى [من الطويل] :

لقد عمرت فى وجه سحبان لحية   وما عمرت إلا وفى العقل تخريب

فليت اسم موسى فوقها متمكن   وإن غاب موسى فاسم هارون مقلوب

ومثله قول أبى روح الهروى [من الهزج] :

حقيق لك أن تطعم عفصاً وهو معكوس(٢)

وأن يلبس جنباك الذى مقلوبه طوس(٣)

متى يحسن التجنيس

ثم التجنيس إنما يستحسن إذا كان سهلا لا أثر للكلفة عليه ، وأما إن خرج عن هذا الحد فانه معيب عند أهل النقد ، ويذهب ببهجة الشعر وحسنه ، وهذا وقع فى أكثر شعر المتأخرين ، وقد حكى صاحب الحديقة أن ابن حمديس أخبره أن عبد الله بن مالك القرطبى عمل قصيدة يقول فيها [من الكامل] :

حييت إذ حييت حادى عيسهم   فكأن عيسى من حداة العيس

فقال فيه بعض الشعراء [من الكامل] :

ثقلت بالتجنيس خفة روحها   ما كان أغناها عن التجنيس

---

(١) مقلوب هرون هو « نوره » وهو مسحوق يزيل الشعر

(٢) مقلوب عفص هو « صفع » وهو الضرب على القفا .

(٣) الذى مقلوبه طوس هو « سوط » وهو ما يضرب به

وَلِحُبِّكَ التجنيسَ جئتَ ببدعةٍ فجعلتَ عيسى من حُداةِ العيسِ

***

شاهد رد العجز على الصدر

١٦٥ — سريعٌ إلى ابن العمِّ يَلْطِمُ وجْهَهُ وليسَ إلى داعي النَّدى بسَريعِ

البيت من الطويل ، و بعده :

حريصٌ على الدنيا مُضيعٌ لدينِهِ وليس لما في بيتِهِ بمُضيعِ

وقائلهما الأقيشر الشاعر ، وكان شريباً للخمر ، متهتكا به ، لا يدخل فى يده شىء إلا أنفقه فيه ، وكان له ابن عم موسر ، فكان يسأله فيعطيه ، حتى كثر ذلك ، فمنعه وقال له : إلى كم أعطيك مالى وأنت تنفقه فى شرب الخمر ؟ والله لا أعطيك شيئاً أبدا ، فتركه حتى اجتمع قومه فى ناديهم ، وهو فيهم ، ثم جاء فوقف عليهم ، فشكاه إليهم وذمه ، فوثب إليه ابن عمه فلطمه ، فقالهما .

والشاهد فيه: رد العجز على الصدر، وسماه المتأخرون التصدير، وهو: أن يكون أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما فى آخر البيت واللفظ الآخر فى صدر المصراع الأول ، أو حشوه ، أو آخره ، أو صدر المصراع الثانى .

ومن شواهده قول بعضهم [من الطويل] :

تمنَّتْ سُلَيْمَى أن أموتَ صَبابَةً وأهْوَنُ شَىْءٍ عندنا ما تمنتِ

ومثله قول الآخر [من الكامل] :

سُكْرانِ سكرُ هوًى وسكرُ مُدامَةٍ أنَّى يُفِيقُ فتًى به سُكْرانِ

وقول أبى نواس [من مجزوء الكامل] :

وحياةِ رأسِكَ لا أعو دُ لمثلها وحياةِ راسِكْ

وقول ابن جابر [من مخلع البسيط] :

جمالُ هذا الغزالِ سحرٌ ... ياحبَّذا ذلكَ الجمالُ
هلالُ خدَّيه لم يُغيَّبْ ... عنى وإن غُيِّبَ الهلالُ
غزالُ إنسٍ يصيدُ أُسْداً ... فاعجب لما يصنعُ الغزالُ
دَلالُه دلَّ كلَّ شوقٍ ... عليه إذ زانهُ الدلالُ
كمالُه لا يخافُ نقصاً ... دامَ لهُ الحسنُ والكمالُ
نِبالُه قد رمتْ فؤادِى ... لا أخطأت تلكمُ النبالُ
حلالُ وصلى لهُ حرامٌ ... وحكم قتلى له حلالُ
زُلالُ ذاكَ اللَّمَى حياتى ... وأين لى ذلك الزُّلالُ
قِتالُه لا يُطاقُ لكنْ ... يعجبنى ذلك القتالُ

وقول أبى جعفر الغرناطى [من الطويل] :

منازلُ ليلى إن خلَتْ فلَطَالما ... بها عمَرَتْ فى القلب منى منازلُ
وسائلُ شوْقى كلَّ يوم تزورُها ... وماضُيِّعت عند الكرامِ الوسائلُ

وقول أبى الفتح البستى [من البسيط] :

سَحْبَانُ مِنْ غيرِ مالٍ باقلٌ حصِرٌ ... و باقلٌ من ثراء المال سَحْبَانُ

ترجمة الأقيشر

والأقيشر (١) اسمه المغيرة بن عبد الله ، ينتهى نسبه لمضر بن نزار ، ويكنى أبا معرض ، وعمر طويلا ، ولقب بالاقيشر لحمرة وجهه ، وكان يغضب من هذا اللقب . اجتاز يوما على مجلس لبنى عبس فناداه أحدهم ياأقيشر ، فزجره الأشياخ ثم عاد الأقيشر ومعه رجل وقال له : قف معى ، فاذا أنشدت بيتا قل : ولم ذاك ؟ ثم أتى مجلس القوم وقد عرف الشاب ، فأقبل عليه وقال [من الوافر] :

---

(١) للأقيشر ترجمة فى الأغانى (١٠-٨٤ - ٩٧ بلاق)

أتدعونى الأقيشرَ ذاكَ إسمى وأدعوك ابنَ مُطْفِئة السراجِ

فقال له الرجل : ولم ذاك ؟ فقال :

تُناجى خِدْنها فى الليلِ سِراً وربُّ الناس يعلم ما تُناجى

وقال محمد بن سلام : كان الأقيشر كوفياً خليعا ماجنا مدمنا للخمر، وهو الذى يقول لنفسه [من المتقارب] :

فان أبا مُعْرِضٍ إذ حسا من الرّاح كاساً على المنبرِ

خطيبٌ لبيبٌ أبو معرض إذا ليمَ فى الخمر لم يَصبرِ

أحلَّ الحرامَ أبو معرض فصارَ خليعاً على المكبرِ

يحب اللئام ويلحى الكرام وإن أقْصروا عنه لم يُقْصرِ (١)

وكان الأقيشر عنينا لا يأتى النساء ، وكان يصف ضد ذلك من نفسه، فجلس يوما رجل من قيس فأنشده الأقيشر [من الكامل] :

ولقد أروحُ بمُشرفٍ ذى مَيْعَةٍ عَسِرِ المكَرّةِ ماؤهُ يَتَفَصَّدُ (٢)

مرحٍ يطيرُ من المرَاح لعابُهُ ويكادُ جلدُ إهابه يَتَقَدَّدُ

ثم قال للرجل: أتبصر الشعر ؟ قال: نعم ، قال : فما وصفت؟ قال: فرسا ، قال : أفكنت لو رأيته ركبته؟ فقال: إى والله، وأثنى عطفه، فكشف الأقيشر عن أيره وقال:

---

(١) فى الأغانى « يجل اللئام »

(٢) فى الأصل « ذى منعة » بالنون . وأراه تحريفا عما أثبته ، والميعة : النشاط ، وفى الأغانى « بمشرف ذى شعرة » وفى ديوان الحماسة (٤ ـ ٣٥٥ بتحقيقنا) بيتان مثل هذين إلا فى القافية ، وقد روى التبريزى فى شرحه (٤ ـ ٣٥٦ بتحقيقنا) ثلاثة أبيات منها هذان البيتان مع بعض تغيير ونسبها للأقيشر .

هذا وصفت ، فقم فاركبه ، فوثب الرجل عن مجلسه وهو يقول : قبحك الله من جليس ! .

وشرب الأقيشر يوما فى بيت فيه خياط مقعد ورجل أعمى ، وعندهم مخنث يغنيهم ، فطرب الأقيشر فسقاهم من شرابه ، فلما انتشوا قام الأعمى يسعى فى حوائجهم ، وقفز الخياط المقعد يرقص على ظلعه ويجهد فى ذلك جهده ، فقال الأقيشر [من الطويل] :

ومُقْعَدِ قوم قد مَشَى من شرابنا وأعمى سقيناه ثلاثا فأبصَرَا

شرابًا كريح العنبر الورد ريحهُ ومسحوق هنديٍّ من المسك أذفرا

وحدث رجل من بنى أسد قال : سمعت عمة الأقيشر تقول له يوماً : اتق الله فقم فصل . فقال : لا أصلى ، فأكثرت عليه ، فقال : قد أبرمتنى فاختارى خصلة من خصلتين : إما أن أصلى ولا أتطهر ، وإما أن أتطهر ولا أصلى ، قالت: قبحك الله ! فان لم يكن غير هذا فصل بلا وضوء ، فقام فصلى بغير وضوء

وقال أبو أيوب المدائنى : حدثت أنه شرب يوماً فى بيت خمار بالحيرة فجاءه شرطى من شرط الأمير ليدخل عليه ، فأغلق الباب ، فناداه الشرطى : اسقنى نبيذا وأنت آمن ، فقال : والله أنت ما آمنك ، ولكن هذا ثقب فى الباب فاجلس عنده وأنا أسقيك منه ، ثم وضع له أنبوبا من قصب فى الثقب وصب فيه نبيذا من داخل ، والشرطى يشرب من خارج حتى سكر فقال الأقيشر [من الرمل] :

سأل الشُّرْطىُّ أن نَسقِيَهُ فسقيناهُ بأنبوب القصبْ(١)

إنما نشربُ من أموالنا فاسأل الشرطى ما هذا الغضبْ

وعن الهيثم بن عدى قال : كان قيس بن محمد بن الأشعث ضرير البصر ، وكان

---

(١) فى الأغانى «فسلوا الشرطى».

يتنسك فأتاه الأقيشر، فسأله، فأمر قهرمانه فأعطاه ثلاثمائة درهم ، فقال : لا أريدها جملة ولكن مر القهرمان أن يعطيني كل يوم ثلاثة دراهم حتى تنفد ، فأمره بذلك ، فكان يأخذها فيجعل درهما لطعامه ، ودرهما لشرابه ، ودرهما لدابة تحمله إلى بيوت الخمارين، فلما نفدت الدراهم أتاه الثانية فسأله ، فأعطاه ، وفعل بها مثل ذلك، ثم أتاه الثالثة فأعطاه وفعل بها مثل ذلك ، ثم أتاه الرابعة فسأله فقال له قيس: لا أبالك كأنك قد جعلت هذا خراجا علينا ، فانصرف وهو يقول [من الطويل] :

أَلم تَرَ قيْسَ الأكْمَهَ ابنَ محمدٍ يقُولُ ولا تلْقاهُ للخير يفْعَلُ
رأيتُكَ أعمى العينِ والقلْبِ مُمسكا وماخيرُ أعمى القلبِ والعينِ يَبْخلُ (١)
فلوْ صمّ تمت لَعنَـةُ اللهِ كلُّهـا عليهِ وما فيهِ من الشَّرِّ أفضلُ

فقال قيس : لو نجا أحدٌ من الأقيشر لنجوت منه

واختصم قوم بالكوفة فى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم فقالوا : نجعل بيننا أول من يطلع علينا ، فطلع الأقيشر عليهم وهو سكران ، فقال بعضهم لبعض: انظروا مَنْ حكّمنا ، فقالوا : يا أبا مُعرض قد حكمناك ، قال : فيماذا ؟ فأخبروه ، فمكث ساعة ثم أنشأ يقول [من الوافر] :

إذا صليْتُ خمساً كلَّ يومٍ فإن الله يَغفرُ لى فُسوقى
ولمْ أُشرِكْ بربِّ الناس شيئاً فقد أمسكتُ بالحَبلِ الوثيقِ
وهذا الحَقُّ ليس به خفاء فَدَعنى من بُنيّاتِ الطريقِ

وقال ابن الكلبى : كان الأقيشر يأتى الحيرة ليشرب الخمر ، فلما دخل شهر رمضان منعه ابن عمه يقال له أسيد من الخروج إليها والشرب فيها ، فلقيه صاحب له وقد شحب لونه وهزِل فقال له : مالى أراك متغير اللون يا أبا معرض؟ فقال [من الكامل] :

---

(١) فى الأصل «ينحل» محرفا عما أثبتناه، موافقا لما فى الأغانى، ولقوله «ممسكا».

كفانى المجوسىُّ مهرَ الرَّبابِ   فداه المجوسىُّ خالٌ وعمّْ
شَهدتُ عليكَ بطيبِ الأرُومِ   وأنكَ بحرٌ جوادٌ خِضَمّْ(١)
وأنكَ سيِّدُ أهلِ الجحيمِ   إذا ما تردَّيْتَ فيمنْ ظَلَمْ
تجاوِرِ هامانَ فى قعرِها   وفرْعَوْنَ والمكتنى بالحَكَمْ(٢)

فقال المجوسىّ : ويحكَ ! سألتَ قومَكَ فلْم يعطوكَ شيئا ، وجئتنى : فأعطيتك فجزيتنى هذا القول ، ولم أفلت من شرك ، فقال : أو ما ترضى أن جعلتك مع الملوك وفوق أبى جهل ؟ ثم جاء إلى عكرمة بن ربعى التيمى فسأله ، فلم يعطه شيئاً ، فقال [من المتقارب] :

سألتُ ربيعةَ مَنْ شرُّها   أبًا ثم أمًّا ، فقالوا لِمَهْ
فقلتُ لأعلمَ مَنْ شرُّكمْ   وأجعلَ للسبِّ فيكمْ سِمَهْ(٣)
فقالوا لِعكرمةَ المخزياتُ   وماذا يرَى الناسُ فى عِكرِمَهْ
فإنْ يكُ عبداً زكَا مالُهُ   فما غيرُ ذَا فيهِ منْ مكرُمَهْ

ومن شعر الأقيشر قوله [من السريع] :

يا أيها السائلُ عما مضَى   من علمِ هذا الزمنِ الذاهبِ
إن كنتَ تبغى العلمَ أو أهلهُ   أوْ شاهداً يخبرُ عن غائبِ
فاختبرِ الأرضَ بأسمائها   واعتبرِ الصاحبَ بالصاحبِ

وكان الأقيشر مولعاً بهجاء عبد الله بن إسحاق ، ومدح أخيه زكرياء ،

---

(١) روى هذا البيت فى الأغانى هكذا :
شهدت بأنك رطب المشاش   وأن أباك الجواد الخضم
(٢) فى الأغانى * تجاور قارون *
(٣) فى الأغانى * وأجعل بالسب فيه سمه *

فقال عبد الله لغلمانه : ألا تريحونى(١) منه ، فجمعوا بعراً وقصباً ، بظهر الكوفة ، وجعلوه فى وسط إرَةٍ ، وأقبل الأقيشر ، وهو سكران من الحيرة ، على بغل أبى المضاء رجل مُكارٍ ، فأنزلوه عن البغل ، فغاروا وأخذوا الأقيشر ، فشدُّوه رباطاً ، ثم وضعوه فى تلك الارة ، وألهبوا النار فى ذلك القصب والبعر وجعلت الريح تَسفع وجهه وجسمه بتلك النار ، فأصبح ميتاً ، ولم يُدْرَ مَنْ قتله ، وكان ذلك فى حدود الثمانين من الهجرة المشرّفة .

*
* *

من شواهد رد العجز على الصدر

١٦٦ — تمتَّعْ منْ شَميمِ عَرارِ نجدٍ
فما بَعْدَ العشيةِ منْ عَرارِ

البيت للصمة القشيرى ، من أبيات من الوافر ، وهى :

أقولُ لصاحبى والعيسُ تَهْوِى ... بِنا بينَ المنيفةِ ، فالضمارِ

وبعده البيت ، وبعده :

ألاَ يا حبذا نفحاتُ نجدٍ ... وَرَيَّا رَوْضِهِ بعدَ القِطَارِ
وأهلكَ إذ يَحُلُّ الحىُّ نجداً ... وأنتَ على زمانكَ غيرُ زارِ
شهورٌ ينقضينَ وَما شَعَرْنا ... بأنصافٍ لهنَّ ولا سرارِ
فأما ليلهنَّ فخيرُ ليلٍ ... وأقصرُ ما يكونُ منَ النهارِ

وقيل : الأبيات لجعدة بن معاوية بن حزم العقيلى .

ومن ظريف ما يحكى هنا أن على بن عيسى الرّبعى النحوى — وكان يرمى

---

(١) هكذا فى الأصل ، وقد حذف نون الرفع لما اجتمعت هى ونون الوقاية ، والأصل « تريحوننى » وذلك أحد ثلاثة أوجه فى مثل ذلك ؛ وهو أضعفها ، وثانيها بقاؤهما بحالهما ، وثالثها أن تدغم إحداهما فى الأخرى .

بالجنون ـ مرَّ يوماً بسكران ملقى على قارعة الطريق ، فحل الربعى سَرَاوِيله ، وجلس على أنف السكران ، وجعل يضرط ويشمه ، ويقول :

تمتعْ مِنْ شميمِ عَرَارِ نجدٍ ... فما بعدَ العشيةِ مِنْ عَرَارِ

وعلى ذكره فانه كان مبتلى بالكلاب : سأل يوماً أولاد الأكابر ، الذين كانوا يحضرون عنده أن يمضوا معه إلى كلواذا ، فظنوا ذلك لحاجة عرضت له ، فركبوا خيولا ، وخرجوا ، وجعل هو يمشى بين أيديهم ، فسألوه الركوب ، فأبى عليهم ، فلما صار بخرابها أوقفهم على ثلم ، وأخذ كساء وعصا ، وما زال يعدو إلى كلب هناك ، والكلب يثب عليه تارة ، ويهرب منه أخرى ، حتى أعياه ، فعاونوه عليه ، حتى أمسكوه له ، فأخذَ يعضُّ على الكلب بأسنانه عضاً شديدا والكلب يستغيث ويزعق ، فما تركه حتى استشفى ، وقال : هذا عضنى منذ أيام ، وأردت أن أخالف قول الأول [من السريع] :

شاتمنِي كلبُ بنى مسمعٍ ... فصنتُ عنهُ النفسَ والعرضَا

وَلَمْ أجبهُ لاحتقارى لهُ ... ومن يعضُّ الكلبَ إنْ عضّا ؟

وهذان البيتان ، أنشدهما أبو عمرو بن العلاء ، عن ثعلب فى المبرد ، ومنه أخذ الناجم [من الوافر] :

عذيرِى مِنْ أخى سفهٍ رَمانِى ... بما فيهِ فقلتُ لهُ سلامَا

أبى لى أنْ أجيبكَ أنَّ قدْرِى ... أبى لى أن أنازعكَ الكلامَا

ومن عجيب ما يحكى فى التطير أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لما خرج من القاهرة إلى جهة البلاد الشامية ، أقام ظاهر البلد لتجتمع العساكر وعنده الأعيان من [رجال] الدولة والعلماء والأدباء ، فأخذ كل واحد يقول شيئا فى الوداع والفراق ، وكانَ فى الحاضرين معلم أولاده ، فأخرج رأسه منْ بين الحاضرين ، وأشار إلى السلطان منشداً :

تمتعْ منْ شميم عَرَارِ نجدٍ فما بعدَ العشيةِ منْ عَرارِ

فانقبض السلطان والناس ، وتطيروا من ذلك ، وكان الأمر على ما قال ، فانه لم يعد إلى مصر بعدها ، واشتغل بالبلاد الشرقية ، وفتوح القدس والسواحل ، إلى أن مات رحمه الله تعالى .

وهذه الواقعة لا يستغرب مثلها من معلم أطفال ، فان لهم نوادر يعجز جحا عن حدها ، ويقصر هَبَنَّقَةُ عن شأوها .

من نوادر معلمى الصبيان

فمن ذلك ماحكاه بعضهم ، قال : عَبَرْتُ على معلم ، وهو يملى على غلام بين يديه (فريقٌ فى الحبة وفريقٌ فى السعير) فقلت له : ياهذا : إن الله لم يقل إلا (فريق فى الجنة وَفريق فى السعير) ، فقال : أنت تقرأ على حرف أبى عاصم بن العلاء الكسائى ، وأنا أقرأ على حرف أبى حمزة بن عاصم المدنى، فقلت له : معرفتك بالقراء أعجب إلى من معرفتك بالقرآن ، وانصرفت .

وقال آخر : مررت بخربة ، وإذا معلم واقف على أربع ينبح نبيح الكلاب فجعلت أنظر إليه ، وإذا صبى قد رفع ستراً وخرج ، فقبض المعلم عليه ، فقلت للمعلم : عرفنى خبركَ ، قال : نعم هذا صبي أؤدّبه وهو يبغض التأديب ويفر منه فيدخل إلى داخل ، فلا يخرج ، فاذا طلبته بكى ويؤذيهم ، وله كلب يلعب به ، فأنبح له فيظن أنه كلبه فيخرْج إلىّ ، فآخذه .

وقال آخر لبعض المعلمين : مالى لا أرى لك عصاً ، قال : لا أحتاج إليها . إنما أقول : من لم يرفع صوته بالهجاء فأمه زانية ، فيرفعون أصواتهم ، وهذا أبلغ من العصا وأسلم .

وآذى معلماً رائحة الفساء ، فصاح بالصبيان : ويلكم تخرجون الريح . فجحدوا جميعا ، فصاح واحد منهم : يا معلم فعله أخى ، فقال المعلم : أترانى لا أعلم أنها فسوته ، ولكن أعلل نفسى بالأباطيل .

وقال صبي للصبيان : هل لكم فى أن نغلب اليوم معلمنا ؟ قالوا : نعم ، قال : تعالوا حتى نشهد عليه أنه مريض ، فجاء واحد وقال : أراك ضعيفا ، وأظنك ستُحَمّ . فلو أتيت المنزل فاسترحت وقمت أنا مقامك ، فقال : يا فلان ، زعم فلان أنى عليل ، فقال : صدق والله ، وهل يخفى هذا على جميع الصبيان؟ إن سألتهم أخبروك ، فسألهم فشهدوا ، فقال : انصرفوا اليوم وتعالوا غداً .

وضرب معلم صبيا ، فقيل له : ما ذنبه ؟ قال : أنا أضربه قبل أن يذنب ، لئلا يذنب .

وقال بعضهم : رأيت صبيا تعلّق بآخر ، وأحضره بين يدى معلم ، وقال : يا أستاذى : هـذا عضّ أذنى ، فقال : والله ما عضضتها ، وإنما هو عضّ أذن نفسه ، فقال المعلم : يا ابن الخبيثة ، هو صار جملا حتى يعضّ أذن نفسه .

وقال الجاحظ : رأيتُ معلما يبكى ، فقلتُ لهُ : ما يبكيك ؟ قالَ : سَرَقَ الصبيان خبزى .

وقرأ صَبِيٌّ على معلم : (هُمُ الذينَ يقولُونَ لاَ تنفقوا إلاَّ منْ عند رسولِ الله) فقال المعلم : من عند أبيك القرْدَان أولى ، فانه كثير المـال يا ابن الفاعلة ، أتلزم النبى صلى الله عليه وسلم نفقة لاتجبُ عليهِ ؟ أعجبك كثرة مالهِ ؟ .

وقال معلم لصبى : ما هِجَاء حمَار ؟ فقال : حاء راء ميم كاف . فقال المعلم : ياابن الفاعلة : أقول لك هجاء حِمَار وتقول هِجاء حرأمك .

ونوادرهم كثيرة فلاحاجة إلى الاطالة بها .

وما أحسن قول بعض المعلمين ببلخ ـ وقدجلس حديثَ عهدٍ بتعليم الصبيان ـ [من مجزوء الـكامل] :

ما طَارَ بينَ الخافقـينِ أقلُّ عقـلاً مِنْ مُعلِّمْ
ولقدَ دَخلنا فى الصناَ عةِ منْ قَريبٍ ،ربِّ سلِّمْ

عود إلى بيت الشاهد

وَلنرجع إلى الكلام على البَيت المستشهد بِه على النّوع

وقد ضمنه أبوجعفر الأندلسى فقال [من الوافر] :

لقدْ كرّ العِذارُ بوَجنتيهِ كما كرَّ الظلامُ على النهارِ
فغابَتْ شمسُ وَجْنتِهِ وجاءتْ على مَهَلٍ عشيّاتُ العرَارِ
فقلتُ لناظِرِى لما رآها وقدْ خلطَ السوادُ بالاحمِرَارِ
تمتعْ منْ شميمِ عرَارِ نجْدٍ فما بَعْدَ العشيةِ منْ عرَارِ

والشميم: مَصْدَر كالشم. والعرار — بفتح العين — بهار البر. واحدته بهاء. وهو ورد ناعمٌ أصفر، طيب الرائحة.

والشاهدفى البَيت : مجىء اللفظ الآخر فى حشو المصْراع الأول، ومنه قول جرير [من الطويل] :

سَقَى الرّملَ جَوْنٌ مُستهلٌ غمامةٍ
وَما ذاكَ إلا حُبّ منْ حلّ بالرّملِ

وقول زهير [من الوافر] :

كذلكَ خِيمُهُمْ ولكلّ قومٍ إذا مستهمُ الضرّاء خيمُ

وقول أبى تمام [من الوافر] :

ولمْ يحفظْ مُضاعَ المجدِ شىءٌ منَ الأشياء كالمالِ المضاعِ

وقول الخليع الشامي[1] [من الكامل] :

خُذْ ياغلامُ عنانَ طَرْفكَ فاثنهِ عنّى فقدْ ملكَ الشمول عنانى

وقول أبى الفتح البستى [من السريع] :

أشفقْ على الدرهمِ والعينِ تسلمْ من الغيبةِ والدّينِ
فقوّةُ العَينِ بإنسانِها وقوّةُ الانسانِ بالعَينِ

(١) كذا

وقول أبي جعفر البحاث، وقد حلم بخيال حبيب له ، فنبهه ذلك الحبيب [من البسيط] :

يامن ينبهني عن رقدة جمعت ... بيني وبين خيال منه مأنوس
دعني فانك محروس ومرتقب ... وخلني وخيالاً غير محروس

وقول الغزي [من الوافر] :

فلو سمح الزمان بها لضنت ... ولو سمحت لضن بها الزمان

ولابن جابر فيه [من الخفيف] :

بين تلك الخيام أكرم قوم ... ضربت للندى عليهم خيام
قد أقاموا بين العقيق وسلع ... فحياة النفوس حيث أقاموا

وله أيضا [من الخفيف] :

خجلت عند ما نظرت إليها ... وانثنت وهي بين تيه ومنع
إنما ورد خدها زرع طرفي ... حين يرنو فكيف أحرم زرعي

والصمة (١) هو : ابن عبدالله بن الطفيل بن قرة بن هبيرة القشيري ، شاعر إسلامي ، بدوي ، مقل من شعراء الدولة الأموية ، ولجده قرة بن هبيرة صحبة مع النبي صلى الله عليه وسلم . وهو : أحد وفود العرب عليه . وكان الصمة يهوى ابنة عم له [دنية] ، يقال لها : العامرية(٢)، أوثر عليه في تزويجها غيره ، لأن

ترجمة الصمة القشيري

---

(١) تجد للصمة القشيري ترجمة في الأغاني (٥ - ٣١ بلاق) .

(٢) في الأصل « ابنة عم له يقال لها ذئبة » وهو من عجائب التحريف وقد أثبتنا ما في الأغاني ، والذي يظهر أن كلمة « دنية » التي زدناها عن الأغاني ، ومعناها القرابة القريبة، يعني أن أباها أخو أبيه لا ابن عمه ، قد انحرفت عن موضعها . فظنها الناسخ اسم ابنة العم وحرفها .

عمه لؤم فى السماح بالمهر ، وكان قد اشتط فيه ، ولؤم أبوه فى إكماله ، فأنف الصمة من فعلهما وخرج إلى طبرستان فأقام بها إلى أن مات .

وحكى ابن دأب أن الصمة هوى امرأة من بنى عمه يقال لها : العامرية بنت عطيف ، فخطبها إلى أبيها ، فأبى أن يزوجه بها ، وخطبها عامر بن بشر الجعفرى ، فزوجه إياها ، فلما بنى بها زوجها وجد بها وجداً شديدا ، فزوجه أهله امرأة منهم يقال لها : جبرة ، فأقام معها يسيراً ، ثم رحل إلى الشام غضباً على قومه ، وقال [من الطويل] :

لعمرى لئنْ كنتمْ على النأىِ والقلَى ... بكمْ مِثلُ مابى إنكمْ لصَديقُ
إذا زفراتُ الحبِ صَعدنَ فى الحشَى ... رُدِدْنَ ولم ينهجْ لهنَّ طريقُ

وقال أيضا [من الطويل] :

إذا ما أتتنا الريحُ منْ نحوِ أرضكمْ ... أتتنا بِريَّاكمْ فطابَ هبوبُها
أتتنا بريحِ المِسْكِ خالَطَ عَنْبرًا ... وريحِ الخُزَامَى باكَرَتها جنوبُها

قال : وخرج الصمة فى غزو إلى الديلم ، فمات بطبرستان .

وحكى عن رجل من أهل طبرستان ، قال : بينا أنا أمشى فى ضيعة لى ، فيها ألوان من الفاكهة والزعفران ، إذا بانسان مطروح عليه أثواب خُلْقَان ، فدنوت منه ، فاذا هو يتحرك ، ويتكلم ، فأصغيت اليه ، فاذا هو يقول بِصوت خفىّ ، [من الطويل] :

تعزْ بصبرٍ لاَ وَرَبكَ لاترَى ... سنامَ الحمى أخرَى الليالى الغوابرِ
كأنَّ فؤادى منْ تذكره الحمَى ... وأهلِ الحمَى يهفو بهِ ريشُ طائرِ

فما زال يردد هذين البيتين حتى فاضت نفسه ، فسألت عنه ، فقيل لى : هذا الصمة بن عبد الله القشيرى .

***

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٦٧ — وَمَنْ كانَ بالبِيضِ الكَوَاعِبِ مُغْرَماً
فما زلتَ بالبيضِ القَوَاضِبِ مُغْرَمَا

البيت لأبى تمام ، من قصيدة (١) من الطويل ، يمدح بها محمد بن يوسف الطائى ، أولها :

عَسَى وطنٌ يَدْنو بهمْ ولعلَّما وأنْ تعتبَ الأيامُ فيهمْ فرُبَّما
لهمْ منزل قد كان بالبيض كالدُّمى فصيحَ المعانى ثم أصبحَ أعجما
وَرَدَّ عيونَ الناظرينَ مهانةً وقد كان مما يرجعُ الطرفَ مكرما
تَبدَّلَ غاشيهِ بريم مُسلم تَردَّى رداءَ الحسنِ كَطيفاً مسلما
ومنْ وَشيِ خَزٍ لمْ ينمنم فرنده معا لم يدكرْن الكتاب المنمنما (٢)
وَبالحلى إنْ قامتْ ترنم فوقها حمامٌ إذا لاقى حماما ترنَّما
وَبالخدلةِ الساقِ المخدَّمةِ الشوى قلائص يتلونَ القسى المخدَّما (٣)
لقدْ أصبحَ الثغران سَدَّين بعدما رأوْا سَرَعانَ الذُّلِّ فذًا وتوأما
وكنتَ لناشيهمْ أباً ولكهلهمْ أخاًولذى التقويس والكبرة ابْنَمَا

و بعده البيت ، وبعده :

ومنْ تيمتْ سمرُ الحسانِ وأُدمها فما زلتَ بالسمر العوالى متيما (٤)

وهى طويلة بديعة .

والكواعِبُ : جمع كاعب ، وهى : الناهدة الثدى . والبيض القواضب : السيوف القواطع .

(١) انظرها فى الديوان (٢٩٤)
(٢) فى الديوان « ومن وشى خد »
(٣) فى الديوان «قلائص يتبعن القسى المخدما» وفيه بين هذا البيت والذى بعده ستة أبيات
(٤) فى الديوان «وما تيمت سمر الغوانى وأدمها»

والشاهد فى البيت : مجىء اللفظ الآخر فى آخر المصراع الأول . ومنه قول أبى الأسود الدؤلى [من الطويل] :

وما كلُّ ذى لبٍّ بمؤتيكَ نُصْحَهُ ... وما كلُّ مؤتٍ نصحهُ بلبيبِ

وقول أبى تمام [من الطويل] :

وجوهٌ لوانَّ الأرضَ فيها كواكبٌ ... توقَّدُ للسارِى لكانتْ كواكبا

وقول ابن الرومى [من الكامل] :

رَيْحَانُهم ذهبٌ على دُرَرٍ ... وشرابُهمْ دُرَرٌ على ذهبِ

وقول ابن جابر [من الخفيف] :

لكَ نفسى إذا بدَتْ لكَ نجدٌ ... فلقدْ سرَّنى الزَّمانُ بِنجدِ

فلتلكَ الخيامِ عندىَ عهدٌ ... وأبى اللهُ أن أُضيِّعَ عهدى

وما أبدع قول البديع الهمذانى فى معنى بيت أبى تمام المستشهد به هنا، وهو من شواهد البيت قبله [من مجزوء الكامل] :

وَهوَاى للبيضِ الصِّبا ... حِ هَوَاكَ للبيضِ الصِّفَاحِ

* * *

من شواهد رد العجز على الصدر أيضاً

١٦٨ — وإنْ لم يكن إلاَّ مُعرَّجُ ساعةٍ ... قليلاً فإنى نافعٌ لى قليلُها

البيت لذى الرمة، من قصيدة من الطويل ، قالها فى صاحبته مية ، أولها :

خليلىَّ عُدَّا حاجتى منْ هواكما ... ومَنْ ذا يُواتى النفسَ إلا خليلُها

ألمَّا علَى الدار التى لوْ وجدتُما ... بها أهلَها ما كان وَحْشاً مقيلُها

وبعده البيت ، وبعده :

لقدْ أشربَتْ قلبى لمىٍّ مودَّةً ... تقَضَّى الليالى وَهْوَ باقٍ وسيلُها

مُهَفْهَفَةُ الكشحين رُؤدٌ شبابُها مُبتَّلَةٌ خَودٌ نبيلٌ حجولُها
وَقدْ تيَّمتْ قلبي فليسَ بنازعٍ وقدْ شفَّهُ هِجرانُها ومطولُها

روى عن سليمان بن عباس، قال: أخبرني أبي، قال: مررت في أرض بني عقيل، فرأيت جارية بيضاء، تَدافَعُ في مشيها تدافع الفرس المختال، تنظر عن عينين نجلاوين بأهداب كقوادم النسور، لم أر أكمل جمالا منها، فوقفتُ لأكلمها، فقالت لي عجوز بفناء منزلها: مالك ولهذا الغزال النجدي، الذي لاحظ لك فيه سوى قول القائل [من الطويل]:

ومالكَ منها غيرُ أنك نائلٌ بعينيكَ عينيها وأيرَكَ خائبُ

فقالت لها الفتاة: دعيه ياأماه يكن كما قال ذو الرمة:

وإن لم يكنْ إلا معرَّجُ ساعةٍ قليلا فانى نافعٌ لى قليلها

ومنه قول يزيد بن الطثرية [من الطويل]:

أليسَ قليلاً نظرةٌ إنْ نظرْتها إليكِ، ولكنْ ليس منكِ قليلُ

وقول أبي إسحاق الموصلي [من الخفيف]:

إنَّ ماقلَّ منكَ يكثرُ عندي وكثيرٌ ممن تحبُّ قليلُ

وقول الخوارزمي [من مخلع البسيط]:

إذا ملكتم فلا تَتيهوا وإن حكمتم فلا تجوروا
تعطفوا وارحموا محبًّا قليلكم عنده كثيرُ

وقول المتنبي [من الوافر]:

وجودُك بالمقامِ ولوْ قليلاً فما فيما تجودُ بهِ قليلُ

وقول أبي نصر أحمد الميكالي [من الوافر]:

قليلٌ منكَ يكفيني ولكنْ قليلكَ لا يقالُ لهُ قليلُ

وقد ألمَّ بهذا المعنى شرف السادة : محمد بن عبيد الله الحسينى البلخى بقوله من قصيدة طويلة [من الكامل] :

ولرُبما سمحَ البَكِيُ بدَرِّهِ وَشفى الغليلَ تعللٌ بقليلِ

والتعريج : الاقامة على الشىء وحَبْس المطى على المنزل .

والمعنى : إن لم يكن إلمَامُكما - أى نزولكما القليل بالدار - إلا تعريج ساعة فان قليلها ينفعنِي ويشْفِي غليل وجدى .

والشاهد فيه : مجىء اللفظ الآخر فى صدر المصراع الثانى ، وما أحسن قول ابن جابر [من الخفيف] :

صَفحوا عَنْ مُحبهمْ وأقالوا مِنْ عِثارِ النوى ومَنُّوا بوصلِ
لستُ أستوجبُ الوِصالَ وَلكنْ
أهلُ تلكَ الدّيارِ أكرَمُ أهْلِ

ترجمة ذى الرمة

وذو الرمة(١) هو : أبو الحارث غَيْلاَن بن عقْبة ، ينتهى نسبه لِنزار، الشاعر المشهور ، أحد فحول الشعراء .

يقال : إنه كان ينشد شعره فى سوق الابل ، فجاء الفرزدق فوقف عليه ، فقال له ذو الرمة : كيف ترى ماتسمع يا أبا فراس ؟ قال : ماأحسن ماتقول ! قال : فما لى لا أذكر مع الفحول ؟ قال : قصَّر بك عن غايتهم بكاؤك فى الدِّمَنِ ، ووصفكَ الأبعار والعطَن .

قال أبو عمرو بن العلاء : ختم الشعر بذى الرمة ؟ والرجز برؤبة بن العجاج ،

---

(١) لذى الرمة ترجمة فى الأغانى (١٦ - ١١٠ بلاق) وتزيين الأسواق (١ - ٩٣) وخزانة الأدب للبغدادى (١-٥٠) وابن خلكان (٢- ١٣٧) والشعر والشعراء لابن قتيبة (٣٣٣) .

فقيل له : إن رُؤبَة حيٌّ ، فقال : نعم ، ولكنه ذهب شعره كما ذهب مطعمُهُ وملبسهُ ومنكحهُ . فقيل له : فهؤلاء الآخرون . فقال : مرقعونَ مهدَّمون ، إنما هم كَلٌّ على غيرهم .

وذو الرمّة : أحد عشاق العرب المشهورين بذلك ، وصاحبتُهُ ميّة ابنة مقاتل (١) ابن طَلَبَة بن قيس بن عاصم المنقرى . وقيس بن عاصم : هو الذى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى تميم ، فأكرمه وقال له : أنت سيد أهل الوبر . وكان ذو الرمة كثير التشبيب بها فى شعرِهِ ، وإياهما عَنَى أبو تمام الطائى فى قصيدته البائية بقوله [من البسيط] :

مَا رَبْعُ ميةَ معموراً يُطيفُ بِهِ ... غيلانُ أبْهى رُبًامن رَبْعِها الخرِبِ

وقال ابن قتيبة : قال أبو ضرار الغنوى (٢) : رأيت ميّة وإذا معها بَنون لها ، فقلت : صفها لى ، فقال : مسنونة الوجه ، طويلة الخدّ ، شماء الأنف ، عليها وسمُ جمال . قلت : أكانت تنشدك شيئا مما قال فيها ذو الرمة ؟ قال : نعم .

ومكثت مية زماناً تسمع شعرَ ذى الرمة ولا تراه . فجعلت لله عليها أن تنحرَ بدنةً إذا رأته ، فلما رأته رأت رجُلا دميما أسود ، وكانت من أهل الجمال ، فقالت : واسوءتاه ! وابؤساه ! فقال ذو الرمة [من الطويل] :

على وَجْهِ مَيٍّ مسحة مِنْ ملاحةٍ ... وتحتَ الثياب العار لو كان باديَا (٣)
ألم تَرَ أنَّ الماء يخبثُ طعمُهُ ... وإن كان لون الماء أبيضَ صافيَا

(١) هكذا سمى ابن خلكان أباها ، وقال ابن قتيبة « مية بنت فلان ابن طلبة »

(٢) هكذا فى ابن خلكان عن ابن قتيبة . وهو إحدى نسخ الشعر والشعراء ، وفى أخرى « ابن سوار الغنوى » ومثله فى الأغانى .

(٣) فى الشعراء « وتحت الثياب الشين »

فيا ضَيْمَة الشعر الذي لَجَّ فانقضى بمَىٍّ فلم أملك ضَلالَ فؤاديا (١)

ومن شعره السائر فيها [من الطويل] :

إذا هبَّتِ الأرواحُ من نحو جانبٍ به أهلُ ميٍّ هاجَ قلبي هُبُوبُها

هوًى تذرف العينانِ منهُ، وإنما هوَى كلِّ نفس أين حَلَّ حبيبُها

وكان ذو الرمة يُشَبِّب بخرقاء أيضاً ، وهي من بني البكاء بن عامر بن صعصعة . وسبب تشبيبه بها أنه مر فى سفر ببعض البوادى فاذا خرقاء خارجة من خباء ، فنظر إليها فوقعت فى قلبه ، فخرق إداوته ودنا منها يستطعم كلامها ، فقال : إني رجل على ظهر سفر وقد تخرقت إداوتى فأصلحيها لى ، فقالت : والله ما أحسن العمل و إنى لخرقاء — والخرقاء: التى لا تعمل شيئا لكرامتها على أهلها — فشبب بها ذو الرمة ، وسماها خرقاء ، و إياها عنى بقوله [من الطويل] :

وما شَنَّتا خرقاء واهية الكُلَى سقَى بهما ساقٍ فلم يتَبَلَّلَا

بأضْيَعَ من عينَيْكَ للدمعِ كلما تذكَّرْتَ ربعا أو توهمت منزِلا

وقال المفضل الضبي : كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حججت ، فقال لى : هل لك فى أن أريك خرقاء صاحبة ذى الرمة ؟ فقلت : إن فعلت فقد بررتنى ، فتوجهنا جميعا نريدها ، فعدل بنا عن الطريق بقدر ميل ، ثم أتينا أبيات شَعَر ، فاستفتح بيتا ففتح له ، وخرجت علينا امرأة طويلة حُسَّانة بها فوه (٢). والحُسَّانة أشد حسنا من الحسناء ، فسلمت وجلست ، فتحدثنا ساعة ثم قالت: هل حججت قط ؟ قلت : غير مرة ، قالت : فما منعك من زيارتى ؟ أما علمت أنى مَنْسَك من

(١) فى الشعراء « ولم أملك ضلال فؤاديا »

(٢) فى الأصل « بها قوة » وقد أثبتنا ما فى الشعراء لأنه أصل هذه الترجمة وعنه أخذ المؤلف

مناسك الحج ؟ قلت : وكيف ذاك ؟ قالت : أما سمعت قول عمك ذى الرمة حيث يقول [من الوافر] :

تمامُ الحجِّ أن تقفَ المطايا على خَرْقاءَ واضعةَ اللثامِ

وكان ذو الرمة كثير المدح لبلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى ، رضى الله عنه ! وفيه يقول مخاطباً ناقته صَيْدَحَ ، وكان هذا الاسم علماً عليها، بقوله [من الوافر] :

رأيتُ الناس يَنْتَجِعُونَ غيثاً فقلت لصَيْدَحَ انتجعى بلالا(١)

وبقوله [من الطويل] :

إذا ابْنَ أبى موسى بلالاً بلغتِهِ فقامَ بفأس بين عَيْنَيْكِ جازرُ(٢)

وقد أخذه من قول الشماخ فى عرَابة الأوسى يخاطب ناقته [من الوافر] :

إذا بلغتِنى وحملتِ رحلى عَرَابَةَ فاشْرَقى بدمِ الوتينِ

وجاء بعدهما أبو نواس فكشف هذا المعنى وأوضحه بقوله فى الأمين محمد بن الرشيد [من الكامل] :

وإذا المطىُّ بنا بلَغْنَ محمداً فظُهورهُنَّ على الرجالِ حرَامُ

والأصل فى هذا المعنى قول الأنصارية المأسورة بمكة — وقد كانت نجَتْ على ناقة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم — فلما وصلت إليه قالت له : يارسول الله ، إنى نذرت إن نجوت عليها أن أنحرها ، فقال صلى الله عليه وسلم : بئس ما جزيتيها(٣).

---

(١) يرويه النحاة * سمعت الناس ينتجعون غيثا * ويحكون النصب والرفع فى كلمة « الناس » على روايتهم

(٢) يروى * فقام بفأس بين وصليك جازر *

(٣) كذا ، وتخرج على أن زيادة الياء لاشباع كسرة التاء ، ولها نظائر.

ومعنى الأبيات الثلاثة أنى لست أحتاج أن أرحل إلى غيرك فقد كفيتنى ، وأغنيتنى ، إلا أن الشماخ وعد ناقته بالذبح ، وذو الرمة دعا أيضاً عليها بالذبح ، وأبو نواس حرم الركوب على ظهرها وأراحها من الكد فى الأسفار ، فهو أتم فى المقصود، لكونه أحسن إليها فى مقابلة إحسانها إليه حيث أوصلته إلى الممدوح.

وقد نظم أبو نواس هذا المعنى أيضا عائبا على الشماخ قوله [من الوافر] :

أقولُ لناقتى إذ بلَّغَتْنِى ... لقد أصْبَحْتِ منى باليمينِ

فلم أجعلك للغِرْبان نحلاً ... ولا قُلْتُ اشْرَقِى بدَمِ الوتينِ

وكان لذى الرمة إخوة : هشام ، وأوفى ، ومسعود ، فماتَ أوفى ثم مات ذو الرمة بعده ، فقال مسعود يرثيهما ، هكذا قال ابن قتيبة ، وقال فى الحماسة فى المراثى خلاف ذلك ، والأبيات التى قالها مسعود هى [من الطويل] :

تعَزَّيت عن أوْفى بغيْلانَ بعدَهُ ... عزاء وجَفْنُ العين ملآنُ مُتْرَعُ

ولم يُنْسنى أوفى المصيبات بعدهُ ... ولكن رأيت القَرْحَ بالقرح أوجعُ

فى جملة أبيات قالها .

وأخبار ذى الرمة كثيرة والاختصار أولى .

والرمة — بالضم — قطعة من حبل ، وتكسر ، ولقب بذلك لقوله فى الوتد [من الرجز] :

* أشعث باقى رُمَّةِ التقليدِ *

ولما حضرته الوفاة قال : أنا ابن نصف الهرم ، أنا ابن أربعين سنة، وأنشد [من البسيط] :

يا قابض الروح عن نفسى إذا احتُضِرَتْ ... وغافِرَ الذنبِ زحزحنى عن النارِ

وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة ، رحمه الله تعالى !.

١٦٩ — دعانى من ملامكما سفاها فداعى الشوق قبلكما دعانى

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

البيت للأرجانى، من قصيدة(١) من الوافر، يمدح بها الوزير سعد الملك أولها:

إذا لم تقدرا أن تسعدانى على شجنى فسيرا واتركانى

وبعده البيت، وبعده:

وأين من الملام لقى هموم يبيت ونضوه ملقى الجران
أميل عن السلو وفيه برء وأعلق بالغرام وقد بلانى(٢)
وأعجب من حنينى فى التنائى وأعجب من صدودك فى التدانى(٣)
ألا لله ما صنعت بعقلى عقائل ذلك الحى اليمانى
نواعم ينتقبن على شقيق يرف ويبتسمن بأقحوان
دنون عشية التوديع منى ولى عينان بالدم تجريان
فلم يمسحن إكراما جفونى ولكن رمن تخضيب البنان

وهى طويلة.

والسفاه والسفه والسفاهة: خفة الحلم، وتثلث سينه، وقيل: هو نقيضه، أو الجهل.

والشاهد فيه: وقوع أحد اللفظين المتجانسين فى آخر البيت والآخر فى صدر المصراع الأول، وهما دعانى الأولى بمعنى اتركانى ودعانى الثانية من الدعاء، ولمؤلفه فيه [من الخفيف]:

ناظراه إذا تنكر تيها فى الذى أورث الحشى ناظراه

* * *

(١) اقرأها فى الديوان (٤٠٣)
(٢) فى الديوان «وقد برانى».
(٣) فى الديوان «وتعجب من حنينى»

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٧٠ - وإذا البلابلُ أفصحَتْ بلغاتها فانفِ البلابل باحتِسا ءبلابِلِ

البيت للثعالبي ، من الكامل ، والبلابل الأولى : جمع بلبل ، وهو الطائر المعروف ، والثانية : جمع بلبال ، وهو البرحاء في الصدر ، والثالثة : جمع بلبلة ، وهي قناة الكوز التي يصب منها الماء ، والاحتساء : الشرب .

والشاهد فيه : مجيء المتجانس الآخر في حشو المصراع الأول .

ترجمة أبي منصور الثعالبي

والثعالبي [(١)] هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري ، والثعالبي : نسبة إلى خياطة جلود الثعالب وعملها ، قيل له ذلك لأنه كان فراء

قال ابن بسام في حقه : كان في وقته راعي تَلَعَات العلم ، وجامع أشتات النثر والنظم ، رأس المؤلفين في زمانه ، والمصنفين بحكم قرانه [(٢)] ، سار ذكره سير المثل وضربت إليه آباط الابل ، وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب ، طلوع النجم في الغياهب . وتآليفه أشهر مواضع ، وأبهر مطالع ، وأكثر [راو لها وجامع [(٣)]] من أن يستوفيها حد أو وصف ، أو يوفى حقوقها نظم أو رصف .

وقال في حقه البَاخَرْزِيُّ صاحب دمية القصر : هو جاحظ نيسابور ، وزبدة الأحقاب والدهور ، لم تر العيون مثله ، ولا أنكرت الأعيان فضله ، وكيف ينكر وهو المزن يحمد بكل لسان ، أو كيف يستر وهو الشمس لا تخفى بكل مكان ، وكنت وأنا فرخ أزغب ، في الاستضاءة بنوره أرغب ، وكان هو ووالدي [بنيسابور [(٤)]] لصيقي دار ، وقريني جوار [(٥)] فكم حملتُ كتباً تدور بينهما في الاخوانيات ،

---

(١) للثعالبي ترجمة في ابن خلكان (١-٥٢١) .
(٢) في الأصل « بحكم أقرانه » وأثبتنا ما في ابن خلكان نقلا عن ابن بسام
(٣) الزيادة عن ابن خلكان نقلا عن ابن بسام .
(٤) زيادة عن دمية القصر
(٥) في الدمية « وقريبي جوار »

وقصائد يتقارضان بها فى المجاوبات ، وما زال بى رؤوفا وعلى حانيا ، حتى ظننته أبا ثانيا ، رحمة الله عليه كل صباح تخفق رايات أنواره ، ومساء تتلاطم أمواج تياره ! ! (١).

ومن شعره ما كتبه إلى الأمير أبى الفضل الميكالى يعاتبه [من السريع] :

يا سيداً بالمكرمات ارتدى ... وانتعل العيوق والفرقدا
مالك لا تجرى على مقتضى ... مودة طال عليها المدى
إن غبت لم أطلب وهذا سليـمان بن داود نبى الهدى
تفقد الطير على شغله ... فقال : مالى لا أرى الهدهدا

ومنه [من السريع] :

وسائل عن دمعى السائل ... وحال لونى الكاسف الحائل
قلت له والأرض فى ناظرى ... أوسع منها كفة الحابل
بليت والله بمملوكة ... فى مقلتيها ملكا بابل
فإن لحانى عاذلى فى الهوى ... يوماً فما العاذل بالعادل

ومنه [من الكامل] :

لا كان فى عينى مجال للسنة ... وجعلت عرضى عرضة للألسنة
إن ذقت طعم العيش بعدك ساعة ... ورأيت يوم البين إلا كالسنة

ومنه [من الخفيف] :

---

(١) فى الدمية بعد هذا الكلام وقبل ذكر المختار من شعره ، ما نصه : « ووقعت إلى بعد وفاته مجلدة من أشعاره وفيها ثمار بيانه ، وعليها آثار بنانه فالتقطت منها ما يصلح لكتابى هذا من أوساط عقودها ، وأنامى عيونها ، فمن ذلك ما كتب به إلى الأمير أبى الفضل الميكالى - إلخ .

هذه ليلةٌ لها بهجةُ الطا ووس حُسناً واللون لونُ الغُداف
رقد الدَّهرُ فانتبهنا وسارقـــناهُ حظاً من السرور الوافى
بمُدامٍ صافٍ وخلٍ مُصافٍ وحبيبٍ وافٍ وسعدٍ موافى

ومنه [من السريع] :

طالعُ سعدى غيرُ منحُوسٍ فأسقنى يا طاردَ البُوسِ (١)
كأساً كعين الديك فى روضةٍ كأنها حلةُ طاوسٍ

ومنه [من السريع] :

وَيوم سعدٍ حسَنِ البشرِ عَذْب السجايا طيب النَّشْرِ
لم تقْذَ عينى بأذاهُ ولم يطر فؤادى بيدِ الذُّعْرِ
ولم يرعنى لا ولا ساءنى كعادة الأيامِ فى الشَّرِّ
شبهتهُ منتزعا من يد الأحداثِ ذات الشرِّ والضُّرِّ
باللبن السائغِ ذاك الذى من بين فَرْثٍ ودمٍ يجرى

وكتب إلى أبى نصر سهل بن مَرْزُبَان وقد لسعته عقرب على قدمه ، فلما وجد وقتلت زال الوجع ، وحصل الشفاء المرتجع [من الكامل] :

يا عمدة الأمراء والوُزراء يا عُدَّة الأدباء والشُّعراء
يا غرَّةَ الزمن البهيم وناظرَ الـــكرم الصَّميم وواحدَ الفضلاء
أرأيت همة عقرب دبَّتْ إلى قدمٍ بها تخطو إلى العلْيـاء
لما ارتقتْ للسعِ أعظمَ مرتقى أخنت عليها رتبهُ العظماء (٢)

---

(١) فى الدمية « طالع يومى » وفيها « فسقنى ياطارد البوس »
(٢) فى الدمية « لما ارتقت باللسع »

إن ذقت ضراء العقارب فاستعن   بعقارب الأصداغ في السراء (١)

يا طيب لسعة عقرب درياقها   ريق الحبيب بقهوة عذراء (٢)

وقال الثعالبي : قال لى سهل بن مرزبان: إن من الشعراء من شلشل، ومنهم من سلسل ، ومنهم من قلقل، ومنهم من بلبل ، فقال الثعالبى: إنى أخاف أن أكون رابع الشعراء ، أراد قول الشاعر [من الرجز] :

الشعراء فاعلمن أربعه   فشاعر يجرى ولا يُجرى معه

وشاعر من حقه أن ترفعه   وشاعر من حقه أن تسمعه

* وشاعر من حقه أن تصفعه *

وأراد بقوله « منهم من شلشل » قول الأعشى [من البسيط] :

وقد أروح إلى الحانات يتبعنى   شاو مشل شلول شلشل شول

وأراد بقوله « منهم من سلسل » قول مسلم بن الوليد [من الكامل] :

سلت وسلت ثم سل سليلها   فأتى سليل سليلها مسلولا

وأراد بقوله « منهم من قلقل » قول المتنبى [من الطويل] :

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشى   قلاقل هم كلهن قلاقل

قال الثعالبي : ثم إنى قلت بعد ذلك بحين [من الكامل] :

فاذا البلابل أفصحت بلغاتها   فانف البلابل باحتساء بلابل (٣)

---

(١) فى الدمية « إن ذقت ضراء العقارب فابقين » وأحسبه محرفا عما هنا

(٢) فى الدمية « ترياقها »

(٣) البلابل الأول : جمع بلبل وهو طائر غرد ، والبلابل الثانى جمع بلبال وأراد أذهب عنك الهواجس والخواطر ، والبلابل الثالث جمع بلبلة وهى فى الأصل قناة الكوز التى يصب منها الماء وأراد منها الخمر من باب إطلاق اسم المحل على الحال .

وللثعالبيّ ، يصفُ فرساً ، أهداه له ممدوحه [من الكامل] :

يا وَاهبَ الطِّرْفِ الجوادِ كأنما   قد أنعَلوهُ بالرِّياحِ الأربعِ

كالجاحمِ المشبوب أو كالهاطل الـ   ـمصبوبِ أو كالباشق المتسرِّعِ[1]

لاشيءَ أسرَعَ منهُ إلا خاطرِى   فى شكرِ نائلكَ اللطيفِ الموقعِ

ولوَ انني أنصفتُ فى إكرامهِ   لجلالِ مُهديه الكريم الألمعِ[2]

أقضمتهُ حبّ الفؤاد لحبه   وجعلتُ مربطهُ سوادَ الأدْمعِ[3]

وخلعتُ ثم قطعتُ غيرَ مُضيقٍ   بُرْدَ الشباب لجله والبرقعِ

وله [من المجتث] :

سقياً لدهر سُرُوري   والعيشِ بين السرَارِي

إذ طير سعدى جوَارٍ   مع امتلاك الجوارِي

وغيثُ لهوى مطيرٌ   وَزَندُ أنسىَ وارِي

أيام عيشى كعودى   وقدْ ملكتُ اختيارى[4]

أجرى بغير عذارٍ   أجنى بغير اعتذار

وله فى الشكوى [من الوافر] :

---

(١) فى الدمية « أو كالباسق المتفرع » وما هنا أجود ، وقدسقط البيت من الوفيات .

(٢) فى الدمية « الكريم الأورع » وفى ابن خلكان مثل ما هنا .

(٣) فى الدمية « سواد المدمع » وهذا البيت متأخر فى الدمية عما ذكر هنا بعده ، وفى ابن خلكان مثل ما هنا لفظا وترتيبا .

(٤) فى الدمية « أيام عيشى كفودى » وهو تحريف صوابه ماهنا ، لأن فود الشباب أسود ، وأراد أن عيشه مستقيم له على ما يحب .

ثلاثٌ قدْ رُميت بهنّ أضحتْ لنار القلب منى كالأثافى(١)

دُيونٌ أنقَضَتْ ظهرى وَجورٌ من الأيام شَابَ لهُ غُدافى

وفقدانُ الـكَفَاف وَأىُّ عَيشٍ لمنْ يمنى بفقدان الـكفافِ

وللثعالبى تآليف كثيرة ، منها : فقه اللغة ، [وسحر البلاغة](٢) وسر البراعة ، ومن غاب عنه المطرب ، ومؤنس الوحيد ، وأجلها وأحسنها « يتيمة الدهر ، فى محاسن أهل العصر » ، وفيها يقول ابن قلاقس :

أبيات أشعار اليتيمهْ أبكار أفـكار قديمـهْ

ماتوا وَعاشتْ بعدهمْ فلذاكَ سميتِ اليتيمهْ

وشعره مدون ، وكانت ولادته : سنة خمسين وثلثمائة . ووفاته : سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ! !

* * *

١٧١ فمشغوفٌ بآيات المثانِى ومفتونٌ برنات المثانى

هو من الوافر ، وقائله : أبو عبد الله [وأبو] محمد القاسم الحريرى (٣) ، من أبيات ، أولها :

بها ما شئت من دِينٍ ودُنْيًا وجِيرَانٍ تَنَافوْا فى المعانى(٤)

---

(١) فى الدمية « ثلاث قد منيت بهن »

(٢) الزيادة عن ابن خلـكان ، والجملتان اسم لـكتاب واحد ، وهو معروف مطبوع فى دمشق .

(٣) اقرأها فى أثناء المقامة الثامنة والأربعين من مقاماته (ص٣٨٩ بلاق سنة ١٢٧٢ هـ)

(٤) تنافوا : اختلفوا ، وبين فى بيت الشاهد والذى بعده وجوه اختلافهم ، وأنهم ضروب فى البراعة والفضل .

و بعده البيت ، و بعده :

وَمضطلعٌ بتلخيص المعانى ومطلعٌ إلى تخليص عانى
وكم من قارىء فيها وقارٍ أضرّا بالجفون و بالجفان(١)
وكم من معلِّم للعلم فيها وَناد للندى حلو المجانى
وَمَغْنًى ما تزال تُغَنُّ فيه أغاريدُ الغوانى والأغانى(٢)
فِصل إنْ شئت فيها من يصلّى و إما شئت فادنُ من الدنان
ودونك صحبة الأكياس فيها أو الكاسات منطلق العنان

والمثانى الأول : القرآن أو مائتى منه مرة بعد مرة أو الحمد لله أو من البقرة إلى براءة أو كل سورة دون الطوال ودون المائتين وفوق المفصل ، والمثانى الثانية من أوتار العود التى بعد الأول واحدها مثنى .

والشاهد فيه : مجيء المتجانس الآخر فى آخر المصراع الأول، ومثله قول ابن جابر [من الكامل] :

زرت الديار عن الأحبة سائلاً ورجعت ذا أسف ودمع سائل
ونزلتُ فى ظل الأراكة قائلاً وَالرّبعُ أخرسُ عن جواب القائل

ترجمة الحريرى

والحريرى (٣) هو أبو عبد الله [وأبو (٤)] محمد القاسم بن على بن محمد بن عثمان

---

(١) القارىء : اسم فاعل من القراءة ، والقارى : اسم فاعل من قرى الضيف . والجفون : جمع جفن العين وهو راجع إلى القارىء ، والجفان : جمع جفنة وهى القصعة التى يقدم فيها الطعام للضيف وهذا راجع إلى القارى .

(٢) تغن : تسمع ، وأصله من الغنة وهي صوت من الخيشوم .

(٣) للحريرى ترجمة فى ابن خلكان (٢-١٦٥ النيل) وفى معجم الأدباء لياقوت الرومى (١٦-٢٦١-٢٩٣) وفى مطلع مقاماته المطبوعة ببولاق (عام ١٢٧٢ من الهجرة) .

(٤) زيادة لا بد منها ، وقد كناه ابن خلكان وياقوت بأبى محمد، وسيذكر المؤلف ولديه وليس فيهما من اسمه محمد .

البصرى الحَرَامِىّ، صاحب المقامات. كان أحد أئمة عصره، ورُزِق الحُظْوة التامة فى عمل المقامات. وفضلُها أكثر من أن يحصر، وأشهر من أن يذكر. ومن عرفها حق معرفتها، استدل بها على فضل هذا الرجل، وغزارة مادته، وكثرة اطلاعه. وكانَ سبب وضعها ما حكاه ولده أبو القاسم عبد الله، قال: كان أبى جالسا بمسجد بنى حَرَام، فدخل شيخ ذو طِمرَيْنِ، عليه أهبة السفر رثّ الحال، فصيح الكلام، حسن العبارة، فسأله الحاضرون: من أين الشيخ؟ فقال: من سَروج؛ فاستخبروه عن كنيته، فقال: أبو زيد، فعمل أبى المقامة المعروفة «بالحرامية»، وهى الثامنة والأربعون، وعزاها إلى أبى زيد المذكور واشتهرت، فبلغ خبرها الوزير شرف الدين أبا نصر أنوشروان بن خالد بن محمد القاشانى، وزير الامام المسترشد بالله، فلما وقف عليها أعجبته، وأشار على والدى أن يضمّ إليها غيرها، فأتمها خمسين مقامة. وقد وجدت نسخ كثيرة من المقامات بخط مصنفها، وفيها بخطه أيضا أنه صنفها للوزير جلال الدين بن عميد الدولة أبى على الحسن بن أبى العز على بن صدقة، وزير المسترشد أيضا. قال ابن خلكان: ولا شك أن هذا أصح من الرواية الأولى، لكونه بخط المصنف وأما تسميته الراوى لها بالحارث بن همام فانما عنى به نفسه، وهو مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم «كلكمْ حارث، وكلكم همام». فالحارث: الكاسب والهمام: الكثير الاهتمام. وقد بَسطت الكلام على مايتعلق بذلك فى شرحى على المقامات.

ويقال: إن الحريرى كان عملها أربعين مقامة، وحملها من البصرة إلى بغداد، وادعاها، فلم يصدقه فى ذلك جماعة من أدباء بغداد، وقالوا: إنها ليست من تصنيفه، بل هى لرجل مغربى من أهل البلاغة مات بالبصرة، ووقعت أوراقه إليه، فادعاها، فاستدعاه الوزير إلى الديوان وسأله عن صناعته، فقال:

أنا رجل منشىء ، فاقترح عليه إنشاء رسالة فى واقعة عينها ، فانفرد فى ناحية من الديوان ، وأخذ الدواة والورقة ، ومكث زماناً كثيراً ، فلم يفتح الله سبحانه وتعالى عليه بشىء من ذلك ، فقام خجلا . وكان فى جملة من أنكر دعواه أبو القاسم علي بن أفلح ، الشاعر المشهور ، فلما لم يعمل الرسالة المقترحة عليه أنشد فيه بيتين ، وقيل : هما لابن جكينا البغدادى ، وهما [من المنسرح] :

شيخٌ لنا من ربيعةِ الفرسِ ينتفُ عُثنونهُ مِنَ الهوَسِ
أنطقهُ اللهُ بالمشانِ كما رَمَاهُ وَسْطَ الديوانِ بالخرَسِ

وكان الحريرى يزعم أنه من رَبيعة الفرس . وكانَ مُولَعا بنَتْف لحيتهِ عندَ الفكرة . وكان يسكن فى مشان البصرة . وهو بفتح الميم[(١)] وفتح الشين المعجمة وبعدها ألف ونون : بلدة فوق البصْرَة ، كثيرة النخيل ، موصوفة بشدة الوخم وكان أصله منها ، ويقال : إنه كان له بها ثمانية عشر ألف نخلة ، وإنه كان من ذوى اليسار ، ولما رجع إلى بلده عمل عشر مقامات وسيرهن ، واعتذرَ مِنْ عيهِ وحَصَرهِ بالديوان بما لحقه من المهابة .

ويقال : إنه كان قذراً فى نفسه وشكله ولبْسه ، قَصيرا دميا بَخيلا ، مولعاً بنتف لحيته ، فنهاه أمير البصرة وتوعدهُ على ذلك ، وكان كثير المجالسة له ، فبقى كالمقيد ، لا يتجاسر أن يعبث بلحيته ، فتكلم فى بعض الأيام بكلام أعجَبَ الأمير ، فقال له : سلنى شيئا حتى أعطيك ، فقال : تقطعنى لحيتى . قال قد فعلت .

---

(١) وقع فى أصل هذا الكتاب « بضم الميم » لكن الذى فى وفيات الأعيان لابن خلكان أنه بفتح الميم ، ولم أجد الضم منصوصا عليه فى غير أصول هذا الكتاب ، والأغلب أنه تحريف . وقد أثبتنا ما فى ابن خلكان ، إذ كانت هذه الترجمة منقولة عنه .

وجاءه شخص غريب يزوره و يأخذ عنه شيئا ، فلما رآه استزرى شكله ، ففهم ذلك عنه ، فلما التمس منه أن يملى عليه قال له : اكتب [من البسيط] :

ما أنتَ أولُ سارٍ غرّهُ قمرٌ ورائد أعجبته خُضرةُ الدِّمَنِ
فاختر لنفسك غيرى، إنى رجلٌ مثلُ المعيدىّ فاسْمَعْ بى ولا ترنى (١)

فخجلَ الرجل وانصرف عنه .

وقالَ القاضى جابر بن هبة الله : قرأت المقامات علىَ الحريرى ، فى سنة أربع عشرة وخمسمائة ، فقرأت قوله [من الرجز] :

يا أهلَ ذا المغنى وُقيتُمْ شراً ولا لقيتمْ ما بَقيتمْ ضُراً
قدْ دفع الليلُ الذى اكفهرّا إلى ذَرَا كمْ شعثاً مغبراً

فقرأته سغباً معتراً ، وكنت أظنه كذاك ، ففكر ، ثم قال : لقد أجدتَ فى التصحيف ، وإنه لأجود ، فرُبّ شعث مغبر غير محتاج . والسغب المعتر موضع الحاجة ، ولو لا أنى قد كتبت خطى إلى هذا اليوم على سبعمائة نسخة قرئت على لغيرته كما قلت .

وللحريرى تآليف حسان . منها : درة الغواص فى أوهام الخواص . ومنها ملحة الاعراب فى النحو وشرحها أيضا . وله ديوان رسائل ، وشعر كثير غير شعره الذى فى المقامات . فمن ذلك قوله [من البسيط] :

قالَ العواذلُ ما هذا الغرَامُ بهِ أما ترى الشعر فى خدّيه قد نبتا
فقلتُ : والله لو أنّ المفنّدَ لى تأملَ الرشدَ فى عينيه ما ثبتا
ومنْ أقامَ بأرض وهى مجدبةٌ فكيف يَرحل عنها والربيع أتى

وقوله [من مجزوء الخفيف] :

كم ظباء بحاجرٍ فتَنَتْ بالمحاجرِ

(١) فى المطبوعتين «مثل المعيدى تسمع بى ولا ترنى» ولا يستقيم عليه الوزن، وهو غير مستقيم عربية إذ ليس في الكلام مايقتضى جزم «تسمع» و «ترى»

ونفوسٍ نفائسٍ حذرتْ بالمحاذرِ
وشجونٍ تظافرتْ عند كشف الظفائرِ[١]
وَتَثَنٍّ لخاطرٍ هاجَ وجداً لخاطري
وعِذارٍ لأجلِهِ عاذلى عادَ عاذري

وله أيضا [من البسيط] :

لاَ تخطونَّ إلى خطء ولاء خطا
مِنْ بعد مَا الشَّيبُ فى فوْديك قد وَخَطَا
وأىُّ عذرٍ لمنْ شابتْ ذَوَائبهُ
إذَا سعى فى ميادينِ الصبا وَخطَا

ومن ألغازه [من الخفيف] :

مِيمُ موسى منْ نون نصرٍ ففتشْ أيها ذَا الأميرُ ماذَا عنيتُ

معنى ميم أصابه الموم ، وهو البرسام ، ويقال : هو أثر الجدرى ، والنون : السَّمكة ، يعنى أكل سمكة نصر فأصابه الموم . ومنها [من الخفيف] :

بَاء بكر بلام ليْلَىَ فمَا ينـفكُّ منها إلاَّ بعين وهاءِ

البكر : الجمل ، وباء أقرَّ به . واللام : الزرع ، فلازمته ليْلَىَ فما ينفك منها مما تلطمه فى وجهه إلا بعين واهية من اللطم .

وله قصائد استعمل فيها التجنيس كثيراً ذكرت منها طرفاً فى شَرْحى علَى المقامَات .

---

(١) هكذا ورد فى الأصل ، وقد كتب مصحح مطبوعة بلاق بهامش النسخة ما نصه « قوله الظفائر ، المعروف فيه لغة الضاد » اهـ . أقول : ولو أنه قيل :

وشجون تضافرت عند كشف الضفائر

بالضاد فى « تضافرت » وفى « الضفائر » ــ لتم ما وضع البيت من أجله ، ولسلم من الاعتراض .

وكانت ولادته سنة ست وأربعين وأربعمائة . وتوفى فى سنة عشر — وقيل: خمس عشرة — وخمسمائة بالبصرة فى سكة بنى حَرَام . نسبة إلى طائفة من العرب، سكنوا فى هذه السكة . وخلف ولدين ، هما : نجم الملك عبد الله ، وقاضى قضاة البصرة: ضياء الاسلام عبيد الله، رحمهم الله تعالى .

***

١٧٢ — أَمَّلْتُهُمْ ثُمَّ تأملتهمْ فَلَاحَ لى أنْ ليسَ فيهمْ فلاحْ

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

البيت للأَرَّجانىّ ، من السريع، من قصيدة يمدح بها شمس الملك[1] بن نظام الملك ، أولها :

صوتَ حمام الأيكِ عندَ الصباحْ جدَّدتَ تذكارىَ عهدَ الصباحْ[2]

عَلمتنا الشجوَ فيا منْ رَأى عُجْماً يعلمنَ رجالا فِصاحْ

ألحانُ ذَاتِ الطوْقِ فى غصنها مُذْكِرَتى أيامَ ذَاتِ الوشاحْ

لاَ أشكرُ الطائرَ إنْ شاقنى عَلىَ نوًى منْ سَكنى وَانتزاحْ

وَإنمَا أشكُرُ لوْ أنهُ أعارَنى أيضاً إليهِ جناحْ[3]

إلى أن يقول فى مديحها :

يَا كعبة للجودِ مأهولةً إذا غدَا الوفدُ إليها وَرَاحْ

يفديك قومٌ حاولوا ضلة تناولَ المجدِ بأيدٍ شحاحْ

معاشرٌ أموالهمْ فى حمىً وعرضُهم من لؤمهم مُستباحْ

والقصيدة طويلة .

وفلاح الثانية: الفوز ، والنجاة ، والبقاء فى الخير .

---

(١) أقرها فى الديوان (ص ٨٠) واسم شمس الملك عثمان بن نظام الملك حسن بن على

(٢) فى الديوان « جدد تذكارى »

(٣) فى الأصول « وإنما أشكوه لو أنه » وأثبتنا ما فى الديوان

والشاهد فيه : مجيء المتجانس الآخر ، في صدر المصراع الثاني ، ومثله قول الأمير أبي الفضل الميكالي [من الخفيف] :

إنّ لي في الهوَى لساناً كَتوماً وفؤاداً يخفى حريقَ هوَاهُ
غيرَ أني أخافُ دَمعي عليهِ سترَاهُ يبدي الذى سترَاهُ

***

من شواهد رد العجز على الصدر أيضاً

١٧٣ — ضرَائبُ أبْدَعتَها في السماحْ
فلسنا نَرَى لكَ فيها ضَريباً

البيت نسبه للبحتري غالبُ شراح التلخيص ؛ وليس الأمر كذلك ، وإنما هو للسري الرفاء ، وقد سَرق معناه من بيت البحتري ، فلذا سبق الوهم إلى نسبته إليه ، و بيت البحتري لفظه [من المتقارب] :

بَلَوْنا ضرَائبَ مَنْ قد نرَى فما إن رَأينا لفتح ضريبَا

وهو من قصيدة (١) من المتقارب يمدح بها الفتح بن خاقان ، أولها :

لوَتْ بالسلام بناناً خضيباً ولحظاً يشوقُ الفؤادَ الطرُوبَا
وَزَارتْ على عجلٍ فا كتسى لزوْرَتها أبرقُ الحزْنِ طيبَا (٢)
فكانَ العبيرُ بهَا وَاشياً وجرْسُ الحلىِّ عليها رَقيبَا

وهي طويلة .

و بيت السري الرفاء من قَصيدة يمدح بها أبا الفوارس سلامة بن فهد . أولها :

تعنفني إن أطلتُ النحيباً وأسبلتُ للعين دمعاً سكوبَا
وَأوْفى المحبين في نحبهِ محبٌّ بكى يومَ بينٍ حبيبَا

---

(١) اقرأها في الديوان (١ – ٥١)
(٢) في الأصل « أبرق الجيد » وما أثبتناه عن الديوان .

دَعَا دَمعهُ ودعتْ دَمعها   فبَلّلَ منها ومنهُ الجيوبَا
غداة رمتهُ بسهم الجفونِ   ومدّتْ إليهِ بناناً خضيبَا
وعهْدى بها لا تديمَ الصدودَ   ولا تتَجنّى علىّ الذنوبَا
ليالىَ لا وصلُنا خلسةٌ   نراقب للخوف فيها الرّقيبَا
ولا برق لذاتنا خُلَّبٌ   إذا ما دعونا لوصلٍ خَلوبَا
وكم لى وللبين من موْقفٍ   يميت بلحظ العيون القلوبَا
إذا ما انتضَى اللحظ أسيافهُ   تدرعتُ للصبرِ بُرْداً قشيبَا

ومنها فى المديح :

فكم لكَ من سُوددٍ كالعبيرِ   أصابَ من المدح ريحاً جنوبَا
ورأىٍ يكَشّفُ ليلَ الخطُوبِ   ضياء إذا الخطْبُ أعيا اللبيبَا
ومُشتملٍ بنِجَاد الحسامِ   يحل شبَا الحرب بأساً مهيبَا
ملأتَ جوانبهُ رهبةً   فأطرق والقلب يبُدى وجيبَا
كسوْتَ المكارمَ ثوبَ الشباب   وقد كن ألبسْنَ فينا المشيبَا

و بعده البيت ، و بعده :

تخلّصنى من يدِ النائباتِ   وأحللتنى منكَ ربعاً خصيبَا
وملّكتَ مدحى كاملكت   بنو هاشم بُرْدها والقضيبَا
و إنى لواردُ بحر القريضِ   إذا ورد المادحونَ القَليبَا
ولستُ كمن يسترد المديح   إذا ما كساه الكريمُ المشيبَا
يحلّى بمدحتهِ غيرَهُ   فيمسى محلى ويُضحى سليبَا

وقد استعمل السرى معنى البيت المستشهد به ، فقال يمدح ابن فهد أيضاً [من الوافر] :

سمَتْ بأبي النوارسِ فى المعالى ... ضَرَائبُ مَالَهُ فيها ضريبُ

والضرائب : جمع ضريبة ، وهى الطبيعة التى ضُرِب الرجل وطبع عليها ، والضريب : المثِيل .

والشاهد فيه : مجىء الملحق بالمتجانس الآخر فى صدر المصراع الأول .

ومثله قول عبد الرحيم بن محمد بن يوسف السنهورى الخطيب [من الكامل] :

تُبْدِى ضُرُوبُ محاسنٍ لسنائرَى ... بين الوَرَى يوماً لهن ضَرِيبا

ومنه قول بعضهم [من السريع] :

ثَلْبُكَ أهْلَ الفضل قد دلنى ... أنك مَنْقُوصٌ ومثلوبُ

ترجمة السرى الرفاء

والسرى[1] هو [ابن][2] أحمد الكندى المعروف بالرفاء ، قال الثعالبى فى حقه: السرى ، وما أدراك ما السرى ، سرى كاسمه ، صاحب سر الشعر ، الجامع بين نظم عقود الدر والنفث فى عقد السحر ، ولله دره ما أعذب بحره ، وأصفى قطره ، وأعجب أمره ، وقد أخرجت من شعره ما يكتب على جبهة الدهر ، ويعلق فى كعبة الظرف[3] ، وكتبت من ذلك محاسن وملحا ، و بدائع وطرفا ، كأنها أطواق الحمام ، وصدور البزاة البيض ، وأجنحة الطواويس ، وسوالف الغزلان ، ونهود العذارى الحسان ، وغمزات الحدق الملاح .

---

(١) انظر ترجمه السرى الرفاء فى وفيات الأعيان لابن خلكان (١-٣٥٨ النيل) وفى معجم الأدباء لياقوت (١١-١٨٢ - ١٨٩ مصر) ثم انظر ترجمة مطولة له فى يتيمة الدهر (٢-١٠٣ مصر) .

(٢) زيادة لا بد منها ، ففى يتيمة الدهر « السرى بن أحمد الكندى » وفى معجم الأدباء لياقوت « السرى بن أحمد بن السرى أبو الحسن الكندى المعروف بالسرى الرفاء » وفى الوفيات « أبو الحسن السرى بن أحمد بن السرى الكندى الرفاء الموصلى الشاعر المشهور » .

(٣) فى اليتيمة « ويعلق فى كعبة الفكر » وهو أنسب بسجع الثعالبى

بلغنى أنه أسلم صبياً فى الرفائين بالموصل ، فكان يرفو ويطرز إلى أن قضى باكورة الشباب وتكسب بالشعر . ومما يدل على ذلك ما قرأته بخطه وذكر أن صديقاً كتب إليه يسأله عن خبره وهو بالموصل فى [سوق] (١) البزازين يطرز فكتب إليه يقول [من السريع] :

يكفيك من جملة أخبارى يُسْرى من الحُبِّ وإعْسَارى
فى سوقَةٍ أفضلهم مرتَدٍ نقصاً ففضلى بينهم عارى
وكانت الابرةُ فيما مَضَى صائنةً وجهى وأشعارى
فأصبَحَ الرزق بها ضيقاً كأنه من ثُقْبها جارى

قال : ولم يزل السرى فى ضنك من العيش إلى أن خرج إلى حلب ، واتصل بسيف الدولة ، واستكثر من المدح له ، فطلع سعده بعد الأفول ، وبعد صيته بعد الخمول ، وحسن موقع شعره عند الأمراء من بنى حمدان ورؤساء الشام والعراق ولما توفى سيف الدولة ورد السرى بغداد ، ومدح الوزير المهلبى وغيره من الصدور فارتفق بهم ، وارتزق منهم ، وسار شعره فى الآفاق ، ونظم حاشيتى الشام والعراق ومن ملحه قوله من قصيدة(٢) [من الطويل] :

عليلة أنفاس الرِّياحِ كأنما يعل بماء الورد نرْجسِها الندِى
يشقُّ جيوبَ الوردِ فى شجَرَاتِها نسيمٌ متى ينظر إلى الماء يبرِد
ويادبرها الشرقى لازال رائحٌ بحل عقود المزن فيك ويغتدى

وقال [من الكامل] :

تلك المكارمُ لاأرى متأخراً أولى بها منهُ ولا متُقَدِّما
عفواً أظلَّ ذوى الجرائم ظلُّهُ حتى لقد حسَدَ المطيعُ المجرِمَا

---

(١) زيادة عن اليتيمة

(٢) وقع ثالث هذه الأبيات فى اليتيمة أولها

وهو من قول أبي تمام :

وتكفَّلَ الأيتامَ عن آبائهم ... حتى وددنا أننا أيتامُ

وقال من قصيدة أيضاً [من الوافر] :

ليالينا بأحناء الغميمِ ... سقيتِ ذِهاب مُذْهبة الهموم (١)

مضَتْ بك رأفة الأيام فينا ... وغفلةُ ذلك الزَّمن الحليمِ

وكنا منك فى جنات عيشٍ ... وَفَتْ حُسْناً بجنات النعيمِ

رياضُ محاسنٍ وسنا شموسٍ ... وظلُّ دساكرٍ وجنى كرومِ

وأجْفَانٌ إذا لحظت جسوماً ... خلَعْنَ سقَامهن على الجسومِ

وإنما أخذ هذا المثال من قول أبي تمام [من الوافر] :

فيا حُسْنَ الرُّسوم وما تَمَشَّى ... إليها الدَّهرُ فى صور البعادِ

وإذ طيْرُ الحوادث فى رُباها ... سواكنُ وهى غَنَّاء المرادِ

مذاكى حلبةٍ وشَروب دَجْنٍ ... وسامر فتيةٍ وقدورُ صادِ

وأعين ربْرَبٍ كحلت بسحرٍ ... وأجسادٌ تَضَمَّخُ بالجسادِ

وممن أخذ هذا المثال مع ركوب هذه القافية القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز [الجرجانى] (٢) حيث قال [من الوافر] :

وأجفانٍ تروى كلَّ شىء ... سوَى قلبٍ إلى الأحباب صادِ

بذاك جُزيتُ إذ فارقت قوماً ... لبست لبينهم ثوبَىْ حِدادِ

---

(١) فى اليتيمة «ليالينا بأحياء الغميم» وأحسبه محرفا عما هنا، وفيها «سقيت ذهاب مذهبة الغيوم»

(٢) زيادة عن اليتيمة

مَعَادِنُ حكمةٍ وغيوثُ جَدْبٍ   وأَنجُمُ حيرةٍ وصدُور نادِ

وقال السرى الرفاء [من البسيط] :

وفتيةٍ زهرُ الآداب بينهمُ   أبهى وأنضرُ من زهر الرياحينِ
مَشَوْا إلى الرّاح مشى الرخ وانصرفوا   والراحُ تمشى بهم مشى الفرازينِ (١)

وقال فى معناه أيضاً [من السريع] :

راحوا عن الرّاحِ وقد أبدلوا   مشىَ الفرازين بمشى الرِّخاخ (١)

وقال فى قلب معناه ، ووصف الشطرنج [من الكامل] :

يُبْدِى لعينْكَ كلما عايفته   قِرْنين جالا مُقْدِماً ومُخاتلا
فكأن ذا صاح يسيرُ مقوماً   وكأن ذا نَشْوان يخطرُ مائلا

ومحاسنه كثيرة ، وقد ضمنت هذا المؤلف منها ما فيه مستمتع ، إن شاء الله تعالى ! ومن شعره [من الطويل] :

رأيتُكَ تبنى للصّديق نوافذاً   عدوُّكَ من أوصابها الدهرَ آمِنُ
وتكشفُ أسرار الأخلاء مازحاً   ويارُبَّ مزحٍ عاد وهو ضغَائِنُ
سأحفَظُ ما بينى وبينكَ صائناً   عهُودَكَ، إن الحرَّ للعهد صائِنُ
فألقاكَ بالبشرِ الجميل مُداهناً   ولى منك خل ما علمتُ مُداهِنُ
أنَمُّ بما استودعته من زجاجةٍ   ترى الشىء فيها ظاهراً وهو باطِنُ

***

(١) الرخ : قطعة من قطع الشطرنج تسير فى اعتدال من الجوانب الأربعة لاتقف عند حد ، والمراد بمشيتها هنا الاعتدال . والفرازين : جمع فرز ، وهى الوزير فى لعبة الشطرنج ، وتسير فى كل اتجاه من غير حد ، والمراد هنا المشى على غير اعتدال .

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٧٤ — إذا المرءُ لم يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ فَلَيْسَ على شيء سِوَاهُ بِخَزّانِ

البيت لامرىء القيس، من قصيدة من الطويل [١] أولها:

قفا نَبْكِ من ذكرى حبيبٍ وعِرفانِ ورسمٍ عفَتْ آياتُه منذ أزمانِ

أتَتْ حِجَجٌ بعدى عليها فأصْبَحَتْ كخطِّ زَبُورٍ فى مَصَاحِفِ رُهْبَانِ [٢]

ذكَرْتُ بها الحىَّ الجميعَ فهَيَّجَتْ عقابيلَ سُقْمٍ من ضميرٍ وأشْجَانِ

فَسَحَّتْ دموعى فى الرداءِ كأنَّها كُلًى من شُعَيبٍ ذاتِ سَحٍّ وتَهْتَانِ [٣]

و بعده البيت، وبعده:

فإما تَرَيْنِى فى رِحَالةِ جابرٍ على حَرَجٍ كالقرِّ تخفقُ أكفانى

فيارُبَّ مكروبٍ كَرَرْتُ وراءَهُ وعانٍ فككتُ القِدَّ عنه ففدّانى [٤]

وفتيانِ صِدْقٍ قد بعثْتُ بسُحْرةٍ فقاموا جميعاً بين عاثٍ ونَشْوانِ [٥]

وخَرْقٍ بعيدٍ قد قطعْتُ نِياطَهُ على ذاتِ لوثٍ سهوةِ المشىِ مِذعانِ

ومعنى البيت: إذا لم يخزن المرء لسانه على نفسه ولم يحفظه مما يعود ضرره إليه فلا يخزنه على غيره ولا يحفظه مما لا ضرر له فيه.

والشاهد فيه: مجىء الملحق الآخر فى حشو المصراع الأول.

---

(١) اقرأها فى الديوان (١٨٤ مصر) وفى شعراء النصرانية (٦٦ بيروت)

(٢) فى شعراء النصرانية: «أتت حجج بعدى عليه» والضمير للرسم، وفى الديوان مثل ما هنا، ومن رواه «عليها» فإنما أعاد الضمير على الآيات

(٣) فى الأصل* فسحت دموعى فى الردى فكأنها* وما أثبتناه موافق لما فى الديوان وشعراء النصرانية

(٤) فى شعراء النصرانية «فككت الكبل» وفى الديوان «فككت الغل» ومعنى الجميع واحد.

(٥) يروى «عاث وسكران»

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٨٥ — لو اختَصَرْتُمْ مِنَ الإحْسانِ زرتُكُمُ
والعَذْبُ يُهجَرُ للإفراطِ في الخَصَرِ

البيت لأبي العلاء المعرى، من قصيدة[1] من البسيط، يمدح بها أبا الرضاء المصيصى أولها:

يا ساهِرَ البرقِ أيقظ راقِدَ السَّمُرِ — لعل بالجزع أعواناً على السهرِ[2]
وإن بَخِلتَ على الأحياء كلهم — فاسْقِ المواطِرَ حياً من بنى مَطَرِ[3]
ويا أسيرة حجليها أرى سفهاً — حمل الحلىّ لمن أعيا عن النَّظَرِ
ماسِرتُ إلا وطيفٌ منك يَصْحَبُنى — سُرًى أمامى وتأويباً على أثرى
لو حطَّ رحلىَ فوق النجم رافعُهُ — ألفيت ثمّ خيالاً منك منتظرى[4]
يوَدّ أن ظلامَ الليـل دامَ لهُ — وزِيدَ فيه سَوادُ القلب والبَصَرِ[5]

وبعده البيت، وبعده:

---

(١) اقرأها فى سقط الزند (التنوير ١/٣٠ بولاق) و (ص ١١٤ من القسم الأول من طبعة دار الكتب المصرية).

(٢) فى الأصل «أيقظ ساهر السمر» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى السقط والسمر: ضرب من الشجر يعظم ويطول، والجزع: منعطف الوادى، والمعنى أن صاحبه نام فى ظل السمر وترك مساعدته لقلة رعايته فطلب إلى البرق أن يكثر من دويه ليوقظه

(٣) فى السقط «وإن بخلت عن الأحياء» وفى الأصل «فاسق المواطن» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى السقط وهو الجارى على طريقة أبى العلاء من جناس الاشتقاق.

(٤) فى الأصل «لوحط قدرى» وأثبتنا ما فى السقط.

(٥) قال التبريزى: إنما يود الخيـال أن يدوم له الظلام ويزاد فيه سواد القلب والبصر ليكون سببا لئلا يفارقه.

أبَعْدَ حَوْلٍ تناجي الشوقَ ناجيةٌ هلاَّ ونحنُ على عشْرٍ من العُشَرِ (١)

كم بات حولك من ريمٍ وجؤذرةٍ يستَجْدِيانك حُسْنَ الدَّلِّ والحور (٢)

فما وهبت الذى يَعْرفن من خلُقٍ لكن سمحت بما ينكرنَ من دُرَرِ

وما تركت بذات الضَّال عاطلةً من الظباء وَلا عارٍ من البَقَرِ

قَلَّدتِ كلَّ مهَاة عقْدَ غانيةٍ وفزتِ بالشكر فى الآرام والعفُرِ

وربَّ ساحبِ وشْيٍ من جآذرها وكان يرفل فى ثوبٍ منَ الوَبرِ

حَسَنْتِ نظم كلامٍ توصفين به ومنزلا بكِ معموراً من الخفَرِ

فالحسن يظهر فى شيئين رونقهُ بيتٍ من الشعْرِ أو بيتٍ من الشعَرِ

وهى طويلة ، ومنها :

ماجَتْ نُميرٌ فهاجتْ منكَ ذا لبَدٍ والليثُ أفتكُ أفعالا من النمِرِ

همُّوا فأمُّوا فلما شارفُوا وقفُوا كوَقفة العَير بينَ الوِردِ والصَّدَرِ

وأضعفَ الرعبُ أيديهم فطعنُهُمُ بالسمهَرِيّة دُونَ الوخز بالإِبَرِ

تلْقِ الغوانى حفيظ الدرّ من جزَعٍ فيها وتلْقى الرِّجالُ السَّردَ من خوَرِ (٣)

فكم دِلاصٍ على البطحاء ساقِطةٍ وكم جُمانٍ مَعَ الحصباءِ مُنتثرِ

الخصر — محركة — البرد، والمعنى أن بعدى عنكم إنما هو لكثرة إنعامكم على

---

(١) فى الأصل « أبعد حى تناجى الشوق » وهو محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى السقط .

(٢) فى السقط « من ريم وجازية » والجازية : البقرة الوحشية .

(٣) فى السقط « من جزع عنها » وحفيظ الدر : الذى يحتفظ به منه ويصان وينفس ، والسرد : الدروع ، والخور — بفتح الخاء والواو — الضعف

والشاهد فيه : مجيء أحد الملحقين فى آخر البيت والآخر فى حشو المصراع الأول .

ومعنى البيت مأخوذ من قول البحترى السابق فى ترجمته ، وهو هذا [من الكامل] :

أخجلْتَنِي بندَى يديكَ فَسودت ... ما بَيْنَنا تِلكَ اليدُ البيْضاء
وقَطعتنى بالوَصل حتى إننى ... مُتخَوفٌ أن لا يكون لقاء

وفى معناه قول دِعبِل الخزاعى [من الكامل] :

أصلَحْتَنِي بالبرِّ بل أفسَدْتَنِي ... وتركتنى أتَسخَّط الاحسانا

وقول عبدالجليل بن وهبون المرسى [من البسيط] :

قل للرشيدِ وقد هبّتْ عوارفهُ ... أسرفْتَ يادِيمةَ المعْرُوف فاقتصِدِ
أشكو إليكَ الندَى من حيث أشكرُهُ ... لو فاضَ فيضاً على البَحْرَيْن لم يزدِ

وهو معنى مطروق تداوله الشعراء وأكثروا من استعماله ، فمنهم من يستوفيه ومنهم من يقتصر فيه

وقد ضمن السراج الوراق عجز بيت أبى العلاء المعرى هذا فقال [من البسيط] :

لكم أيادٍ عذابٌ لى مَواردُها ... والوفدُ منهنّ بين الوِرْدِ والصدر
والبرْدُ يمنعنى مِنها على ظَمَئِى ... والعَذْبُ يهجرُ للافراطِ فى الخصَرِ

ورأيت فى بعض كتب الأدب أن ابن عمار اجتاز على أكرم أهل زمانه ، وأعلم وقته وأوانه ، الوزيرِ أبى محمد بن القاسم الفهرى ، فما عرَّج عليه ، فعتب عليه بسبب ذلك ، فكتب إليه [من البسيط] :

لم يثْنِ عنكَ عِنانى سلوة خطَرت ... على فُؤادى ولا سمعى ولا بصرى
وقصرُك البيْتُ لو أنى قضيْتُ به ... حجِّى ،وكفُّكَ منه مَوضعُ الحجرِ
لكنْ عدتنى عنكم خجلة سلفتْ ... كفانى القولُ فيها قول معتذرِ

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم والعذب يهجر للافراط فى الخصر

***

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٧٦ — فدع الوعيد فما وعيدك ضائرى أطنين أجنحة الذباب يضير

البيت من الكامل ، ولا أعرف قائله ، ونسبه صاحب الدر الفريد لعبدالله ابن محمد بن عيينة المهلبى ، قال : وكان على بن محمد بن جعفر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه دعا عبدالله هذا إلى نصرته حين ظهرت المبيضة فلم يجبه ، فتوعده على ، فقال عبد الله:

أعلى إنك جاهل مغرور لا ظلمة لك لا ولالك نور
أبعثت توعدنى أن استبطأتنى إنى بحربك ماحييت جدير

وبعده البيت ، و بعده :

وإذا ارتحلت فإن نصرى للأولى أبواهم المهدى والمنصور
بنيت عليه لحومنا ودماؤنا وعليه قدر سعينا المشكور

والضير : الضرر

والشاهد فيه : مجىء الملحق الآخر فى آخر المصراع الأول

وفى معنى البيت قول أبى فراس الحمدانى [من الطويل]:

ورب كلام مر فوق مسامعى كما طن فى لوح الهجير ذباب

ولبعض الأعراب [من الكامل] :

أو كلما طن الذباب زجرته إن الذباب إذن على كريم

ولبعضهم أيضا [من الطويل] :

فما كل كلب نابح يستفزنى ولا كلما طن الذباب أراع

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٧٧ — وقدْ كانَتِ البيضُ القَوَاضِبُ في الوغَى ... بوَاتِرَ فهيَ الآنَ من بعْدِه بُتْرُ

البيت لأبي تمام من قصيدة[١] من الطويل يرثي بها محمد بن حميد، وتقدم ذكر مطلعها في شواهد التدبيج[٢] ومنها قبل البيت[٣]

فتًى سلبتْهُ الخيلُ وهو حِمَاها ... وبزته نارُ الحرْبِ وهْوَ لهَا جَمْرُ

قضى طاهرَ الأثواب لم تبقَ بقعةٌ ... غداة ثوى إلا اشتهتْ أنها قبرُ[٤]

والبواتر: السيوف القواطع، والبتر: جمع أبتر، وهو المقطوع

والمعنى: لم يبق بعده من يستعملها استعماله

والشاهد فيه: مجيء الملحق الآخر في صدر المصراع الثاني، والله أعلم

* * *

شاهد التسجيع

١٧٨ — تجَلَّى بهِ رُشْدِي، وأثْرَتْ به يدِي ... وفاضَ بهِ ثَمْدِي، وأَوْرَى به زَنْدِي

البيت لأبي تمام أيضاً من قصيدة من الطويل[٥] يمدح بها نصر بن منصور ابن بسام الكاتب، وأولها:

أأطلالَ هندٍ طالمَا اعتضْتِ من هندِ ... أقايضتِ حُورَ العين بالعُور والرُّمد[٦]

---

(١) انظرها في الديوان (٣٦٨ بيروت) وفيه أن القصيدة في رثاء بني حميد: محمد وقحطبة وأبي نصر.

(٢) ارجع إلى (ج ٢ ص ١٧٨ من هذا الكتاب)

(٣) البيتان ليسا متصلين في الديوان، والذي فيه أولها و بعده بيت الشاهد ثم بعد ثمانية أبيات ثاني هذين البيتين.

(٤) في الديوان «مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة»

(٥) انظرها في الديوان (١١٤ بيروت)

(٦) في الديوان «ساء ما اعتضت من هند» وهو الصواب وفيه «بالعور والربد» وانظر هذا المطلع في الموازنة (٤٢٥ بتحقيقنا)

إذا شِئْنَ بالألوان كُنَّ عِصابةً ... منَ الهِندِ والآذان كُنَّ من الصُّغْد(١)

أعجْنا عليكَ العيسَ بَعدَ مَعاجِها ... عَلى البيض أتراباً على النُّؤى والوَتِدِ(٢)

فلاَ دمعَ أو يقفو على إثره دمٌ ... ولا وجدَ مالم تعْيَ عن صفةِ الوجد(٣)

ومنها فى وصف الممدوح :

فتى جُوده طَبعٌ ولَيْسَ بِجافلٍ ... أفى الجور كان الجُودُ منهُ أو القَصْدِ(٤)

إذا طَرَقتهُ الحَادثات بِنَــكبةٍ ... تَخضْنَ سقَاءً منهُ ليس بَذِى زُبد(٥)

ونبهنَ مِثلَ السَّيف لولم تَسلَّه ... يَدان لسلَّتْه ظُباه من الغِمْدِ

سأحْمَدُ نَصراً ماحييتُ وإنَّنِي ... لأعلم أن قَدْ جلَّ نصرٌ عن الحمد(٦)

و بعده البيت ، و بعده :

فانْ يَكُ أربى عَفْوُ شكرى على ندَى ... أُناسٍ فقَدْ أربى نَداهُ على جَهْدِى

والرشد: الهداية، والثروة : كثرة العدد من الناس والمال، والثمد ـ بسكون الميم وتحرك ـ الماء القليل لامادة له، أو مايبقى فى الجلد ، أو مايظهر فى الشتاء ويذهب فى الصيف ، والرواية فى ديوانه بلفظ « بحرى » بدل ثمدى(٧) ومعنى « أورى به زندى » صارذا وَرْى ، وهو عبارة عن الظفر بالمطلوب .

---

(١) فى الأصل « والآذان كن من العقـد » وما أثبتناه عن الديوان . والصغد ـ بضم فسكون ـ موضع بسمر قند

(٢) فى الديوان « لعجنا » بلام الجواب ، وفيه « من النؤى والود » بفتح الواو وتشديد الدال ، وهى لغة فى الوتد قلبت فيها التاء دالا ثم أدغمت .

(٣) فى الديوان « فلا دمع ما لم يجر فى إثره دم »

(٤) فى الديوان « فليس بحافل » وهى أدق معنى .

(٥) فى الديوان « إذا مخضته الحادثات »

(٦) انظر نقد هذا البيت فى الموازنة (١٨٣ بتحقيقنا)

(٧) فى نسخ الديوان التى بين يدى كما فى البيت المستشهد به « وفاض به ثمدى » .

والشاهد فيه : مجيء السجع فى النظم

ومن الشواهد عليه قول أبى الطيب المتنبى [من البسيط] :

فنَحْنُ فى جَذَلٍ، والرُّوم فى وَجَلٍ ، والبرُّ فى شُغُلٍ ، والبحرُ فى خَجل

* * *

١٧٩ — تَدْبِيرُ مُعْتَصِم، بالله مُنْتَقِمٍ، للهِ مُرْتَقِب، فى الله مُرْتَغِبِ

شاهد التشطير

البيت لأبى تمام أيضاً، من قصيدة من البسيط(١) يمدح بها المعتصم بالله حين فتح عمورية، أولها :

السَّيفُ أصدَقُ أنباءً من الكتُبِ فى حَدِّه الحَدُّ بينَ الجِدِّ واللَّعبِ

بيضُ الصفائحِ لا سُودُ الصحائفِ فى متونهن جلاءُ الشك والرِّيَبِ

والعِلْمُ فى شُهُبِ الأرماحِ لامعةً بينَ الخميسين لا فى السبعة الشُّهُبِ(٢)

أينَ الرِّوَايةُ أو أينَ النجومُ وما صاغوه من زُخْرُفٍ فيها ومن كَذِبِ(٣)

تَخَرُّصاً وأحاديثاً مُلَفَّقَةً ليست بِنَبْعٍ إذ عُدَّت ولا غَرَبِ

عجائباً زعموا الأيام مُجْفِلةً عنهنَّ فى صفرِ الأصفار أو رجبِ

وخوَّفوا الناس من دهياء داهيةٍ إذا بدا الكَوْكبُ الغربى ذو الذنب

وصيَّروا الأبرُجَ العُليا مُرَتبةً ما كان مُنقلباً أو غير مُنقلب

يقضُونَ بالأمر عَنْها وَهِيَ غافلةٌ ما دار فى فَلَكٍ منها وفى قُطُبِ

لو بَيَّنَت قط أمراً قَبل موقِعِه لم يَخْفَ ماحلَّ بالأوثان والصُّلُب

---

(١) انظرها في الديوان (٧ بيروت) .

(٢) فى الأصل « والعلم فى شعب الأرماح » وما أثبتناه عن الديوان .

(٣) فى الديوان « بل أين النجوم » .

فَتْحُ الفُتُوحِ تعالى أن يُحيطَ بهِ نَظْمٌ من الشعْرِ أو نثرٌ من الخطبِ
فتح تَفَتَّحُ أبوابُ السَّماء له وتبرز الأرض فى أثوابها القُشُبِ

وهى طويلة بديعة ، وأشار بمطلعها إلى كذب المنجمين ، فإنهم كانوا أجمعوا على أنها لا تفتح فى تلك الغزاة ، فيسر الله تعالى ذلك وأكذبهم .

والمرتغب فى الله : الراغب فيما يقرب به من رضوانه، والمرتقب : المنتظر للثواب الخائف للعقاب .

والشاهد فيه : التشطير ، وهو : جعل كل من شطرى البيت سجعة مخالفة لأختها ، وهو ظاهر فيه .

ومنه قول مسلم بن الوليد فى قصيدته السابقة فى تجاهل العارف [من البسيط] :

مُوفٍ على مُهجٍ ، فى يومِ ذِى رهجٍ ، كأنهُ أجلُ ، يسعى إلى أملِ

وقول ذى الرمة [من البسيط] :

كحلاء فى برَجٍ ، صفراء فى نعج كأنها فضةٌ قَدْ مَسَّها ذَهَبُ

وقول كشاجم(١) [من الوافر] :

هلالٌ فى إضاءتهِ حياءً شهابٌ فى سماحتهِ اتِّقادُ

وقول ديك الجن [من الكامل] :

حرّ الإهابِ وسيمه ، برُّ الايا بِ كريمه ، محضُ النِّصابِ صميمهُ

وقول الصفى الحلى [من البسيط] :

بكلِّ مُنتصرٍ ، لِلفتح مُنتظرٍ ، وكلِّ مُعتزمٍ ، بالحقِّ مُلتزمِ(٢)

---

(١) لعله قد سقط قرين لهذا البيت ، فانه لا يظهر فيه التشطير بالهيئة التى تراها فى كل ماذكر من الشواهد ، وإن كان فى قوله « هلال فى إضاءته ، شهاب فى سماحته » سجع على هيئة أخرى

(٢) فى الأصل « وكل مغترم » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى خزانة الحموى (٢١٥ بلاق)

وقول ابن جابر [من البسيط] :

يا أهلَ طيبةَ فى مغناكُمُ قمرٌ ... يهدى إلى كلِّ محمودٍ من الطرقِ
كالغيثِ فى كرمٍ ، والليثِ فى حرمٍ ، ... والبدرِ فى أفقٍ ، والزهرِ فى خُلقِ

***

شاهد المماثلة

١٨٠ — مَها الوحشِ إلاَّ أنَّ هاتا أوانسٌ
قنا الخطِّ إلاَّ أنَّ تلكَ ذوابلُ

البيت لأبى تمام ، من قصيدة من الطويل (١) يمدح بها الوزير محمد بن عبد الملك الزيات أولها :

متى أنتَ عن ذُهليةِ الحىِّ ذاهلُ ... وقلبكَ منها مدةَ الدهرِ آهلُ
تُطِلُّ الطلولُ الدمعَ فى كلِّ موقفٍ ... وتمثُلُ بالصبرِ الديارُ المواثلُ
دوارسُ لم يجفُ الربيعُ ربوعها ... ولا مرَّ فى أغفالها وهْوَ غافلُ
فقدْ سحبتْ فيها السحائبُ ذَيلها ... وقدْ أخملتْ بالنوْرِ منها الخمائلُ
تعفينَ منْ زادِ العُفاةِ إذا انتحى ... على الحىِّ صَرفُ الأزمةِ المتحاملُ
لهمْ سلفٌ سُمرُ العوالى وسامرٌ ... وفيهمْ جمالٌ لا يغيضُ وجاملُ
ليالىَ أضللْتَ العزاء وخذَّلت ... بِعقلك آرامُ الظباءِ الخواذِلُ(٢)
منَ الهيفِ لوْ أنَّ الخلاخلَ صُيرتْ ... لها وُشُحاً جالتْ عليها الخلاخلُ(٣)

و بعده البيت ، و بعده :

(١) انظرها فى الديوان (٢٥٥ بيروت)
(٢) فى الديوان : «وخزلت * بعقلك أرآم الخدور العقائل »
(٣) فى الموازنة (١٣٠ بتحقيقنا) نقد طويل لهذا البيت

هوًى كانَ خلساً، إنَّ من أحسن الهوى هوًى جلتُ فى أفنائه وهْوَ خامل[1]

وهى طويلة .

ومنها الوحش - بفتح الميم - بقره ، والخط هنا بفتح الخاء المعجمة وتكسر: مرفأ للسفن بالبحرين ، وإليه تنسب الرماح الخطية لأنها تباع به لالأنه منبتها .

والشاهد فيه : المماثلة ، وهى : أن يكون ما فى أحد الفقرتين أو شطرى البيت مثل ما يقابله من الآخر فى الوزن دون التقفية ، وقد تأتى ألفاظ المماثلة من غير قصد كقول امرىء القيس السابق فى التشبيه [من المتقارب] :

كأنَّ المدامَ وصوبَ الغمام وريحَ الخزامى ونشرَ العطر

ومن شواهد المماثلة على أصل الباب فى التزام الوزن دون التقفية قول الشاعر [من المتقارب] :

صفوحٌ كريمٌ رَصينٌ إذا رأيتَ العقولَ بدا طيشُها
نداه سحوحٌ على أنفسٍ بِهِ اخضرَّ لما سقى عيشُها

والبيت الأول أردت ، ومن أمثلة المماثلة قول البحترى [من الطويل] :

فأحجمَ لما لم يجدْ فيكَ مطمعا وأقدمَ لما لم يجدْ عنكَ مهربَا

وقول ابن هانىء الأندلسى [من الكامل] :

فإذا عفا لم يُلفَ غيرُ مُملكٍ وإذا سطا لم يلقَ غيرَ مُعفَّرِ

وقول أحمد بن المغلس [من الخفيف] :

إنْ يواجهْ فطودُ حلمٍ ركينٌ أوْ يُفاوضْ فبحرُ علمٍ غزيرُ
أو يَجُدْ واهباً فغيثٌ مطيرٌ أوْ يصلْ واثباً فليثٌ هصورُ

وقول العمانى أيضاً [من الكامل] :

---

(١) فى الديوان « هوى جلت فى أفيائه وهو خامل »

سلسلْ خُطوطكَ ماغدا مُتسلسلاً   شاطى الجمامِ الزُّرْق بالأغصانِ
واسجعْ بِشعركَ ماغدا مُتصلصلاً   شادِى الحمامِ الوُرْق بالألحانِ

وقول الباخرزى من قصيدة نظامية [من الكامل] :

وافرحْ فما يلقى لسدِّكَ هادِمٌ   وامرحْ فما يلقى لحدِّكَ ثالمُ
فإذاسخوْتَ فإنَّ سَيبْكَ عارضٌ   وإذا سطوْتَ فإن سيفكَ عارمُ
فلذاكَ تخشى منْ قناكَ مطاعنٌ   ولذاكَ تُغشى منْ قِراكَ مطاعمُ

وقول الوزير محمد بن على بن حسول فى شكاية الأيام [من المجتث] :

أأسلمتْنى وذنبى   للشيبِ فيهِ افترَاقِى
منَ الظِّباء العوَاطى   إلى الضباعِ العوَاقِى

وقول ابن جابر الأندلسى [من البسيط] :

جاءتْ تجرّ فرُوعاً خلفَ ذِى هيفٍ   وبلغتْ صبّهَا منْ لثمها الأملا
فأرسلتْ غسقاً وأطلعتْ قمرا   وألثمتْ برداً وأرشفتْ عسلاً

وقوله أيضاً [من البسيط] :

تبسَّمتْ فتباكى الدُّرُّ منْ وجلٍ   وأقبلتْ فتولّى الغصنُ ذا عجبِ
تفترّعنْ حَبَبٍ يبدُو على ذَهبٍ   يُهديكَ مِنْ شَنَبٍ ضرْباً من الضَّرَبِ

***

١٨١ — مودّته تدومُ لكلِّ هوْلٍ   وهلْ كلٌّ مودّتهُ تدومُ   شاهد القلب

البيت للأرجانى، من قصيدة من الوافر(١)، يمدح بها نجم الدين أبا عبد الله الفضل بن محمد بن الفضل بن محمود، أولها :

لأىِّ وميض بارقةٍ أشيمُ   ومرْعَى الفضل فى زمنى هَشِيمُ

---

(١) اقرأها فى الديوان (ص ٣٧٠ بيروت)

أَسِيتُ وخدُّ ليل الشَّعر منى بكفِّ الصبح من شيبي لطيم[١]
وضمَّ إلىَّ أفكارى جناحى فلى فى عُشِّ مُطرَحى جثُوم[٢]
فمذْ راً إنْ تغيرَ عهدُ شِعرى وقدْ يُغضى على الزللِ الحليمُ
وما قصرْتُ عنْ شأوٍ ولكنْ سقيمٌ كلُّ ما نظم السقيمُ

إلى أن قال :

أحِبُّ المرْء ظاهرُهُ جميلٌ لصاحبهِ وباطنهُ سليمُ
يؤوِّل دعوتى ويجيبُ طوْعاً إذا ما عنَّ لى شرَفٌ مرُومُ
وفى الفتيانِ كل ربيطِ جأشٍ يرَى حرْبَ الزمانِ ولا يَخيمِ

وبعده البيت .

والشاهد فيه : القلب ، ويسمى المقلوب ، والمستوى ، وسماه الحريرى بما لا يستحيل بالانعكاس ، وهو : أن يكون عكس البيت أو عكس شطره كطرده ، وغايته: أن يكون رقيق الألفاظ، سهل التركيب، منسجما فى حالتى النظم والنثر .

وقد انعقد الاجماع على أن أبلغ الشواهد عليه هذا البيت لما حوى من رقة الألفاظ وانسجام المعانى .

قال أبو جعفر الأندلسى : وأسهل منه قول بعض المتأخرين [من الخفيف]:

نالَ سرٌّ العلا بما قدْ حواهُ أوْحدٌ قامَ بالعلا رسلانُ

وفيه نظر لايخفى .

ومن الشواهد المقبولة عليه قول الشاعر أيضاً [من الرمل] :

عُجْ تنم قرْبكَ دعدٌ آمناً إنما دَعْدٌ كبرْقٍ مُنتجعْ

وقول بعضهم أيضاً [من المتقارب] :

---

(١) أسيت : حزنت ، ووقع فى الأصول « أشب » محرفا ، وأثبتنا ما فى الديوان

(٢) هذا البيت لا يوجد فى الديوان المطبوع فى بيروت .

أراهُنَّ نادمْنَهُ ليلَ لهوٍ وهلْ ليلهُنَّ مُدانٍ نهارَا

وقول الحريري من أبيات المقامات [من مجزوء الرجز] :

أُسْ أرْملاً إذا عرَا وارْعَ إذا المرء أسا

أُسنِدْ أخا نباهةٍ أبِن إخاء دنسا

أسل جناب غاشم مشاغب إن جلسا

أسر إذا هب مرا وارم به إذا رسا

أُسكن تقو فعسى يُسعِفُ وقت نكسا

ومن القلب(١) قول سيف الدين المشد [من مجزوء الكامل] :

ليل أضاء هلاله أنى يُضيء بكوكب

وقول الآخر [من المتقارب] :

أرانا الإلهُ هلالاً أنارا

وقول الصيرفي المغربي [من مجزوء الخفيف] :

قلِقَتْ فيكَ هذهِ هذهِ كيْفَ تقلقُ

قرفت بمن ميسة هي من مي تفرق

فترَى لحْنَ مُقتفٍ فتقَ منْ حلٍّ يرْتُقُ

وقول الصفي الحلي أيضاً [من المجتث] :

يَلذُّ ذُلي بِنِضوٍ لَوْ ضَنَّ بي لذَّ ذُلي

---

(١) القلب في هذا البيت في كل كلمة منه على حدتها : فليـل ، وأضاء ، وهلاله ، وأنى ، ويضيء ، وبكوكب ، كل كلمة من هذه الكلمة تنقلب كطردها .

يلمُّ شملى لِحُسْنٍ إن سحَّ لى لمَّ شملى

وقول الحسن(١) النظيرى النحوى الملقب بذى اللسانين [من الوافر] :

لسيِّدنا الامامِ أبى المطَهَّرْ فضائلُ أربعٌ كالزَّهرِ تُزْهِرْ
ضياء فائِض ، رأى عيار ، عطـاء ساطع ، رهطٌ مُطَهَّرْ

وقول ابن خروف(٢) النحوى [من الرمل] :

واشربوا كلَّ صباحٍ لبناً واشربوا كلَّ أصيلٍ عسلاَ
واعكسوا ذاكَ إلى أعدائِكمْ من قسىِّ النبعِ أوْرُقشِ الفلا

وقول بعض المغاربة [من السريع] :

قدْ أقبل الشهرُ وإقبالهُ يأتى بمـا أُجرِىَ ترْتيبه
فوجـــه الـبر فمقـلوبه يجزيك عن برك مقلوبه

وقول سيف الدين بن المشد ملغزا فى هاروت [من الرجز] :

ما اسمٌ إذا صحفْتَهُ فهو نبىٌّ مرْسلُ
وهو إذا عكستهُ كتابهُ المـنزَّلُ

ومن القلب نوع آخر يقال له قلب الكلمات كقول الشاعر [من الكامل] :

عدَلوا فما ظلمتْ لهمْ دُولٌ سعدُوا فما زالتْ لهمْ نِعَمُ
بذلوا فما شحَّتْ لهمْ شيمٌ رفعوا فما زلَّتْ لهمْ قَدَمُ

---

(١) القلب فى ثانى هذين البيتين فى كل واحد من الأربعة ، فضياء فائض وحده ينعكس كطرده ، ورأى عيار وحده ينعكس كطرده ، وهكذا عطاء ساطع ، ورهط مطهر

(٢) العكس فى هذين البيتين فى كلمة «لبن» وكلمة «عسل» فمقلوب الأول «نبل» ومقلوب الثانى «لسع» ومن هنا تفهم معنى ثانى البيتين

فهو دعاء لهم ومدح ، فاذا انقلبت كلماته صار دعاء عليهم وهجواً بأن يقال :

نعم لهم زالت فما سعدوا   دول لهم ظلمت فما عدلوا

قدم لهم زلت فما رفعوا   شيم لهم شحت فما بذلوا

* * *

١٨٢ — يا خاطبَ الدُّنيا الدَّنيةَ إنها   شرَكُ الرَّدى وقرارةُ الأكدار   شاهد التشريع

البيت للحريري من الكامل ، وبعده :

دار متى ما أضحكت   فى يومها   أبكت غداً   تبًّا لهـا من دار

وإذا أظلَّ سَحابُها   لم ينتفع   منهُ صدى   كجهامـه الغرّارِ

غاراتها ما تنقضى   وأسيرُها   لا يفتدَى   بجلائل الأخطار

كم مُزْدَهٍ بِغُرورها   حتى بدا   متمـردا   متجاوز المِقْدار

قلبت له ظهر المجن   وأولَغَتْ   فيه المُدَى   ونزت لأخذ الثار

فاربأ بعمرك أن يمر   مُضيعاً   فيها سدًا   من غير ما استظهار

واقطعْ علائق حبِّها   وطلابها   تلق الهدى   ورفاهة الأسرار

وارقب إذا ما سالمت   من كيدها   حَرْبَ العدا   وتوثُّبَ الغـدار

واعلم بأن خطوبها   تفجْـالو   طال المدى   ودنت سرى الأقدار

والدنية : الخسيسة ، وشرك الردى : حبالة الهلاك ، وقرارة الأكدار : مقر الهموم والأوصاب المكدرة للعيش

والشاهد فيه : التشريع ، وسماه ابن أبى الأصبع « التوأم » وهو : بناء البيت على قافيتين يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما ، فهذا البيت وما بعده إذا أنشد على هيئته كان من ثانى الكامل ، وإذا أسقطت الجزءين الأخيرين منه كان من ثامنه فتبقى صورته

يا خاطب الدُّنيا الدنية إنها شرك الرَّدى

ومن الواقع من كلام العرب فى هذا النوع قول بعضهم [من الكامل] :

وإذا الرِّياح معَ العشى تناوَحتْ هوجَ الرئال نكبْنهُنَّ شمالاَ
ألفيتنـا نقرى العبيطَ لضيفِنا قبلَ القتال ونقتلُ الأبطالا

فهذان البيتان إذا أنشدا تامين كانا من الضرب التام المقطوع من الكامل، وإذا اقتصرت على الرئال والقتال كانا من الضرب المجزوّ المرفل منه ، ولا شك أن هذا النوع لا يتأتى إلا بتكلف زائد وتعسف ، فانه راجع إلى الصناعة لا إلى البلاغة والبراعة، وأوسع البحور فى هذا النوع الرجز ، فانه قد استعمل تاما ومجزوا ومشطورا ومنهوكا ومن أمثلته قول الأرجانى [من الرجز] :

صبٌّ مقيمٌ سائرٌ فؤادُهُ طوعُ الهوَى مَع الخليط المنجدِ
غائبُ قلبٍ حاضرٌ ودادُهُ لمن نأى فى عهدِهم والمعْهَدِ
لهُ جوًى مخامرٌ يعتادهُ إذا اشتكى طيفَ الكرى فى العوّد
لصبرِهِ مكابرٌ إيقادُهُ حشوُ الهوَى بعدَ الحسان الخرّدِ
ودَمعُهُ مُكاثرٌ اشتداده خوفَ النوَى يقولُ للهمّ ابعدِ

وقول الحريرى أيضاً [من الكامل] :

جُودِي على المتحسرِ الصبِّ الجوِى وتعطفى بوصالهِ وترَحمِي
ذا المبتلى المتفكر القلب الشجى ثم اكتفى عنْ حالهِ لا تظلمِي

وقول ابن جابر الأندلسى [من الرجز] :

يرْنُو بطرَفٍ فاترٍ مهماَرنَا فهو المنَى لا أنتهى عن حبه
يهفو كغصنٍ ناضرٍ حلو الجنى يشفى الضنى لا صبر لى عن قربه
لو كان يوما زائرى زال العنا يحلو لنـاَ فى الحبِّ أن نسمى به

أنزلته في ناظري لما دنا قد سرنا إذ لم يحل عن صبه

وقوله أيضاً [من الكامل] :

من لي بآنسة تنا م لحاظها من غير نوم بل تديه وتفتن
قالت ألست تخاف حين تزورني سطوات قومي كم تبوح وتعلن
فأجبتها في نيل وصلك لم أكن لأخاف لومي فهو عندي هين

وقول أبي جعفر الغرناطي [من الكامل] :

يا راحلا يبغي زيارة طيبة نلت المنى بزيارة الأخيار
حي العقيق إذا وصلت وصف لنا وادي منى يا طيب الأخبار
وإذا وقفت لدى المعرف داعياً زال العنا وظفرت بالأوطار

وقول الرشيد النابلسي [من الرجز] :

لم الحشى معذب موجع على المدى صب الفؤاد مغرم
بناره ملتهب ملذع ما خمدا أواره والضرم
حكم فيه أشنب ممنع من الفدا فهو الأسير المسلم
مبتعد مجتنب مودع تعمدا وهو الغريب الأمم
زمانه تعتب وولع قد أكدا من عز فهو يحكم
ما الحب إلا لهب ومدمع تجددا ولوعة وسقم
يا هل إليه سبب ممتع يولي يداً من لبه مخترم
ما أنا إلا أشعب أو أطمع فيما عدا فما إليه سلم

وقول ابن نقادة [من الرجز] :

جمر غرامي واقد يحكي لظى شراره في القلب ليس ينطفي

ودمع عيني شاهد على الهوى مِدْرَارُهُ والوجدُ مالا يختفي

والنوم عني شاردُ لا يُرْتَجَى مـزارُه فيالَصبٍّ مُدْنَفِ

هل في الهوى مساعد لما عَنَى إعْذارُه في حب ظبي أهيفِ

مائلُ قدٍّ مائدُ إذا انثنى خَطَّارُهُ كالغُصنِ المهفهَفِ

فلحظهُ لي صائد إذ ينتضي بَتَّارُهُ هل في الجنون مشرفي

قلبي عليه وَاجد لما نأى مـزاره بين الأسى والأسفِ

أرغب وَهْوَ زاهد وَهو المنى أختاره من لي به فأشتفي

أسْهَرُ وهو راقد لما جفا نِفَارُه عرَّضني للتلف

وَجْدِي عليه زائد مِن الجوى إسعاره بين الدموع الذُّرَّفِ

وقول صلاح الدين القواص ، ويقال : إن هذه القصيدة تقرأ على ثلثمائة وستين وجهاً [من البسيط] :

داء ثَوَى بفؤادٍ شفَّهُ سـقم لمحنقي من دواعي الهم والكمدِ

يا أضلُعي لهب تذكو شرارتُه من الضنى في محل الروح والجسد

يوم النوى طـال في قلبي به ألم وحـرقي وبلائي فيه بالرصد

توجعـي من جوَى شبَّتْ حرارتُه مع العنا قدرني لي فيه ذو الحسدِ

أصل الهوى مُلْبسِي وجداً به عدم لمهجتي من رشا بالحسن منفردِ

تتبعـي وَجْهَ من تزهو نضارته لما جنى مورثي وَجْداً إلى الأبد

وهذا القدر من هذا النوع كاف .

*
* *

شاهد لزوم ما يلزم

سأشكرُ عمراً إن تراختْ منيتي ... أيادىَ لم تُمنَنْ و إن هي جلّتِ

١٨٣ - فتًى غيرُ محجوبِ الغِنى عنْ صديقه ... ولا مظهرِ الشكوَى إذا النعْلُ زلّتِ

رأى خلّتى من حيث يَخفى مكانها ... فكانتْ قَذَى عينيْهِ حتى تجلّتِ

الأبيات (١) من الطويل ، وقائلها عبدالله بن الزَّبير الأسدى فى عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنهما ، وكان سببها ماحكاه أبو غسانة قال : بلغنى أن أول من أخذ نسيئةً فى الاسلام عمرو بن عثمان بن عفان ، أتى عبدُالله بن الزَّبير الأسدى فرأى عمرو تحت ثيابه ثوبا رثًّا، فدعا وكيله وقال له :اقترض مالا ،فقال: هيهات ما يعطينا التجار شيئاً ، قال : فأربحهم ماشاءوا ، فاقترض له ثمانية آلاف درهم باثنى عشر ألفاً ، فوجّهَ بها إليه مع تخت ثيابٍ ، فقال عبدالله بن الزَّبير الأبيات .

ويحكى أن رسول سيف الدولة بن حمدان ورد على أبى الطيب المتنبى برقعة فيها البيت الأخير من هذه الأبيات وسأله إجازته ، فأثبت فى الرقعة تحته [من الطويل] :

لنا ملكٌ ما يطعمُ النوْمَ همُّهُ ... ممَاتٌ لحيٍّ أو حياةٌ لميّتِ

و يكبر أنْ تقذَى بشيء جفُونُهُ ... إذا ما رأتْهُ خلّةٌ بكَ فرّتِ

جزَى اللهُ عنّى سيفَ دولة هاشمٍ ... فانَّ نداهُ الغمْرَ سيْفِى ودوْلَتِى

ومعنى «لم تمنن»لم تقطع ولم تخلط بمنٍو إنعظمت ، وقوله «إذا النعل زلت» كناية عن نزول الشر وامتحان المرء ، يقال: زلت القدم ، وزلت النعل به، والخلة -بالفتح- الحاجة والفقر والْخصاصة، وفى المثل«الْخلّةُ تدعو إلى السلّةِ »أى السرقة، والقذى : ما يقع فى الشراب

(١) اقرأ ثلاثتها فى مهذب الأغانى (٥-٢٢٦) وفى ديوان الحماسة(٤-١٤٣) وأولها وثانيها فى دلائل الاعجاز (١١٤)ووقع فى الأصول فى ثانى هذه الأبيات « فتى غير محجور الغنى » وأثبتنا ما فى الأمهات التى عندنا

والشاهد فيها : لزوم مالا يلزم ، وهو هنا مجيء اللام المفتوحة المشددة قبل حرف الروى، وهو التاء ، وذاك ليس بلازم فى مذهب السجع لتحققه بدونه ، وفيها نوعان من لزوم مالا يلزم : أحدهما التزام الحرف ، والثانى فتحه ، وقد يكون الأول بدون الثانى ، و بالعكس

ومن شواهده قول امرىء القيس [من الطويل] :

فِمثلكِ حُبلى قد طرَقْتُ ومُرْضع ... فألهيتُها عَنْ ذى تمائم مُحْوِلِ
إذا ما بكى مِنْ خلفِها انحرفت له ... بِشِق وتحتى شِقُّهـا لم يُحَوَّلِ (١)

وما يقع من هذا الباب لمتقدم فهو غير مقصود منه ، وأما المتأخرون فقصدوا عمله ، وأكثروا منه ، حتى إن أباالعلاء المعرى عمل من ذلك ديوانًا كاملامنفردًا عن ديوان شعره المعروف بسقط الزند ، ومنه قوله [من الطويل] :

لكَ الحَمْدُ أمواهُ البلادِ بأسرها ... عِذابٌ وخُصَّتْ بالملُوحةِ زَمزمُ
هُوَالحَظُّ عيْرُ الوَحش يَستافُ أنفُهُ ... خُزَامى وأنفُ العَوْدِ بالعُود يُخْزَمُ

ومن هذا المعنى قول أبى تمام الطائى [من المنسرح] :

والحظ يُعطاه غيرُ طالِبهِ ... ويُحرِزُ الدُّرَّ غيرُ مُجتلِبِهْ
تلكَ بناتُ المَخاض راتِعةٌ ... والعَوْدُ فى كُورِهِ وفى قَتَبِهْ

وقول الآخر [من المتقارب] :

أيا دَهرُ ويحكَ ماذا الغَلَطْ ... لئيمٌ علاَ وكريمٌ هَبَطْ
حِمار يُسيَّب فى رَوْضةٍ ... وطِرْفٌ بِلاَ علفٍ يُرْتَبَطْ

وقول الآخر [من الخفيف] :

رُبَّ عَيْرٍ يَرْعى ويُعلف فى المِصر ... وليثٍ يجُوعُ فى صَحْراء
وحشيش يَرْوى على ضِفةِ النهر ... ونَبْعٍ يظْما على غيـر ماءِ

وقول الهيثم النخعى [من البسيط] :

(١) الذى فى ديوان امرىء القيس وشروح المعلقات « انصرفت له »

قدْ يُرْزقُ الأحمقُ المأفونُ فى دعةٍ ويُحرمُ الأحوذىّ الأرحبُ الباعِ
كذا السوامُ تصيبُ الأرضَ ممرعةً والأسدُ مرتعها فى غيرِ إمراعِ

ولطيفٌ قولُ الشيخ بدر الدين بن الصاحب [من مجزوء الكامل] :

رزقُ الضعيف بعجزهِ فاقَ القوىَّ الأغلبا
فالنسرُ يأكلُ جيفةً والنحلُ يأكلُ طيبا

رجع إلى شعر أبى العلاء المعرّى ، فى لزوم مالا يلزم .

ومنه قوله [من الكامل] : من شواهد لزوم ما لا يلزم

أنا صائمٌ طولَ الحياة ، وإنما فِطرى المماتُ فعندَ ذاكَ أُعيدُ
لونانِ من صُبحٍ وليلٍ شَيّبا رأسى وأضعفنى الزمانُ الأيّدُ
قالوا فلانٌ جيدٌ لصديقهِ لاتكذبوا ما فى البريةِ جيدُ
فأميرنا نالَ الإمارةَ بالخنا وفقيهنا بصلاتهِ متصيدُ
كنْ كيفَ شئتَ مُهجّناً أوخالصاً فاذا رُزقتَ غِنىً فأنتَ السيدُ
واصمتْ فما كثرَ الكلامُ من امرىءٍ إلاّ وقالوا : إنهُ متزيدُ

وقوله [من السريع] :

كلْ واشربِ الناس على خبْرةٍ فهمْ يمرُّونَ ولا يَعذُبونْ
ولا تُصدّقْهمْ إذا حدثوا فانى أعهدُهمْ يكذبونْ
فإنْ أروكَ الودّ عنْ حاجةٍ ففى حبالٍ لهمُ يجذبونْ

ومن مليح ما جاء فيه قول أبى نواس [من الكامل] :

أما وزند أبى علىّ إنهُ زندإذا استوريت سهّل قدْحكا
إنى لِيأبى الصنعَ على همتى منْ غيركم ويعافُ إلا مدْحكا

ولأبى الطاهر محمد بن يوسف التميمى السرقسطى فيه وهو مصنف المقامات اللزومية ، وهى خمسون مقامة بناها على لزوم مالا يلزم [من المنسرح] :

يا هائماً بالدلال والخفرِ ألصقتَ خدَّ العزيز بالعفرِ
إياك ذنب الهوَى وزلتهُ فليس ذنبُ الهوَى بمغتفرِ
ماعَزَّ فى الحبِّ مَنْ يُساجلهُ لوكان ذا معشرٍ وذا نفرِ
ومنْ غدا وَالُّجَيْنُ شافعهُ أخلق بهِ أنْ يفوز بالظفرِ

وله أيضا فيه [من مخلع البسيط] :

كلُّ حبيبٍ لهُ دلالُ وَربمـا شابهُ ملالُ
وأنتَ أنتَ الحبيبُ لـكنْ منْ دون إسعافك الهلالُ

ولأبى الفضل الميكالى فيه مع التعمية باسم [من الوافر] :

غزالٌ ينثنى و يريك غصناً ويرنو تارة ويريكَ رِيمًا
كريمٌ كلهُ ظَرْفٌ ولـكنْ إذا سميتهُ فاقلبْ كريما

وله أيضا فيه [من المتقارب] :

تعز عن الحرص تعزز بهِ ففى الطمع الذلُّ والمنقصهْ
وَلا تُنْزِلَنْ أبداً حاجـةً بمن كابدَ البؤسَ والمخمَصهْ
ولو نالَ نجم الدُّجى ثروة وأوطأشمس الضحى أخمُصَهْ

ولابن جابر الأندلسى فيه [من الطويل] :

ولمـا وقفنا كى نودعَ منْ نأى وَلم يبق إلا أن تُحَثَّ الركائبُ
بكينا وحَقٌ للمحبِّ إذا بكى عشية سارت عن حماهُ الحبائبُ

ولأبى جعفر الغرناطى فيه [من البسيط] :

ناولتهُ وَرْدةً فاحمرَّ من خجلٍ وقالَ وجهِىَ يغنينى عن الزَّهرِ

الخد وَرْدٌ، وعيني نرجس، وعلى خَدَّى عِذار كريحانٍ على نهَرِ

ومما يلحق بهذا النوع: ما يختبر به الأدباء أفكارهم، ويشحذون به قرائحهم، من التزام حروف جميعها مهملة، أو جميعها معجمة، أو لا تنطبق معها الشفتان، إلى غير ذلك من التفننات، كقول الخطيرى الوراق وجميع الحروف مهملة [من الطويل]:

صدودُ سعادٍ أحدرَ الدمعَ مُرْسلاَ وأسأر حرًّا لم أحاوله أوّلا
مُحلّلة صدًّا أراهُ محرماً محرمة وَصلا أراهُ محللاَ
أواصل لا أسلو هواها ملالةً وكم آملٍ للوصل هامَ وماسلاَ
لهـا طولُ صدٍّ للمسهد مؤلم وَوصلٌ له طعمٌ أراهُ معسلاَ

وقول أحمد بن الورد [من الكامل]:

علم العدو ملالة اللوّام ودوام صدك وهو صدٌّ حمام
لولاك ما حدَرَ السهادُ دموعَهُ ولما أطار كراهُ حرٌّ أوام
ردَّ السلام وما عداك مسلما وأراك أهل هواه سر كلام
كم حاسد لك أو مصدٍّ وداده ومعال أهداه طولَ ملامِ

وقول ابن سلام [من المنسرح]:

وصالُ دعدٍ أراه حالَ وما أحال عهداً لها مدَى العمُرُ
وطالما راحَ وِرْدُها حرَماً مُصارماً للورودِ والصدر

وأبيات الحريرى العاطلة حلية هذا النوع، وهى [من السريع]:

أعدد لحسادك حدَّ السلاحْ وأورد الآمال وِرد السماحْ
وَصارم اللهوَ ووصل المها وأعمل الكُومَ وسُمْرَ الرِّماحْ
واسع لإدراك محلٍّ سمَا عماده، لا لادِّراع المراحْ

والله ما السوددُ حَسْوُ الطلا ... ولا مراد الحمد ورد وراحْ
واهاً لحرّ صدره واسعٌ ... وهمه ما سرّ أهل الصلاحْ
مَوْرده حلو لسؤالهِ ... وماله ما سألوه مطاحْ
ما أسمع الآمل رداً ولا ... ما طله والمطل لؤم صُرَاحْ
ولا أطاع اللهو لما دعا ... ولا كسا راحاً له كأسَ راحْ
سوّده إصلاحه سرّه ... ورَدْعُهُ أهواءه والطماحْ
وحصّل المدحَ له علمه ... ما مُهِرَ العورُ مُهورَ الصحاحْ

وقول الخطيرى ، وحروفه لا تنطبق فيها الشفتان [من مجزوء الرجز] :

ها أنا ذا عارى الجلدْ ... أسهرنى الذى رَقَدْ
آهٍ لعينٍ نظرتْ ... إلى غزال ذى غَيَدْ
أرْيتنى يا ناظرى ... صَيْدَ الغزال للأسدْ
إنّ الضنى لهجره ... يا عاذلى هدّ الجسدْ
حشا حشاى إذ نأى ... نار الغضا حين شَرَدْ
يا غادراً غادَرَنى ... على لظى نارٍ تَقِدْ
هلاّ اصطنعت ناحلاً ... لا يشتكى إلى أحدْ

وقوله وفى كل كلمة همزة [من الخفيف] :

بأبى أغيداً أذاب فؤادى ... إذ تناءى وأظهر الاعراضا
رَشأٌ يألفُ الجفاء فان أقبـ ... ـل أبدى لآمليهِ انقباضا

وقول الحريرى ، وحروفه معجمة كلها [من الخفيف] :

فَتَنَتْنِى فجننتنى تَجنّى ... بتجنٍّ يفتنّ غِبَّ تجنّى
شغفتنى بجفن ظبى غضيض ... غَنِج يقتضى تفيضَ جفنى

وقوله ، وهو كلمة مهملة ، وكلمة معجمة [من مخلع البسيط] :

اسمحْ فبثُّ السَّماحِ زَيْنٌ وَلاَ تُخِبْ آملاً تَضيَّفْ
وَلا تُجِزْ رَدَّ ذى سُؤالٍ فَنَنَّ أَمْ فى السؤالِ خففْ(١)
وَلا تظنَّ الدُّهورَ تُبْقِى مالَ ضَنِينٍ وَلَوْ تقشفْ
وَاحلمْ فَجفنُ الكرامِ يُغْضِى وصدرُهمْ فى العطاء نَفْنَفْ(٢)
وَلا تخنْ عهدَ ذى وِدادٍ ثبْتٍ وَلاَ تبغِ ماتزيفْ

وقول بعضهم ، وليس فيه حرف متصل بغيره [من الخفيف] :

زَارَ دَاوُدَ دارَ أَرْوَى ، وأَرْوَى ذاتُ دَلّ إِذَا رَأَتْ دَاوُدَا

ومثله قول أبى الفضل الأوانى [من المنسرح] :

وَادِدْ أُودَّاءَ وارعَ ذَا وَرَعٍ وَدارِ دَارَا إِنْ زاغَ أَوْ دَارَا
وَزُرْ وَدُودًا وأدنِ ذا أدبٍ وَذَرْ ذراه إِنْ زَارَ أَوْ زَارَا

ومنه قول بعضهم ، وهو يجمع حروف المعجم كلها [من البسيط] :

صِفْ خَلْقَ خَوْدٍ كمثلِ الشمسِ إِذْ بَزَغتْ
يحظَى الضجيعُ بها نجلاء مِعطارَا

وقول أبى جعفر اليزيدى [من الكامل] :

وَلقدْ شَجتنى طِفْلَةٌ بَرَزَتْ ضُحًى
كالشمس خَثْماء العظامِ بذِى الغَضَا

وأحسن منه قول ابن حمديس الصقلى [من البسيط] :

مُزَرْفَنُ الصُّدْغِ يسطو لحظهُ عَبثاً
بالخلقِ جذلان إِنْ أشكُ الهوَى ضحكاَ

وهذا الباب واسع ، والاختصار به أليق .

---

(١) فنن : أى نوع وخلط حتى ثقل
(٢) النفنف : ما اتسع من الأرض شبه بهصدرهم فى سعته

وعبد الله [1] بن الزبير - بفتح الزاى وكسر الباء الموحدة — وهو ابن الأشيم ابن الأعشى بن بجرة بن قيس بن منقذ. ينتهى نسبه إلى أسد بن خزيمة، وهو شاعر كوفى المنشأ والمنزل، من شعراء الدولة الأموية، وكان من شيعة بنى أُمية، وذوى الهوى فيهم، والعصبية لهم، والنصرة على عدوهم، فلما غلب مُصْعَب ابن الزُّبَيْر رضى الله عنهما على الكوفة أُتى به أسيراً فمنّ عليه ووَصَله، فمدحه وَأكثر، وانقطع إليه، فلم يزل معه حتى قتل مصعب بن الزُّبَيْر رضى الله عنه. ثم عمى عبد الله بن الزَّبِير بعد ذلك، ومات فى خلافة عبد الملك بن مروان. وكان عبد الله هذا يكنى أبا كثير، وهو أحد الهُجَّاءين للناس المرهوب شرهم.

وكان ناس من بنى علقمة بن قيس قتلوا رجلا من بنى الأشيم، من رهط عبد الله بن الزَّبير دِنْيَةً، فخرج عبد الرحمن ابن أم الحكم وافداً إلى معاوية رضى الله عنه ومعه ابن الزبير ورفيقان له من بنى أسد، فقال عبد الرحمن لابن الزبير: خذ من بنى عمك ديتين لقتيلك، فأبى ابن الزبير - وكان عبد الرحمن يميل إلى أهل القاتل - فغضب عليه عبد الرحمن، وردّه عن الوفد من منزل يقال له: فياض، فخالفه ابن الزبير الطريقَ إلى يزيد بن معاوية، فعاذ به، فأعاذه وقام، وأمره بأن يهجو ابن أم الحكم، وكان يزيد يبغضه وينتقصه ويعيبه، فقال فيه ابن الزبير، من قصيدة طويلة [من الطويل] :

وَأنتم بنو حام بن نوح أرى لكمْ ... شفاهاً كأذنابِ المشاجرِ وُرَّما [2]

---

(١) لابن الزبير الأسدى ترجمة فى تاريخ دمشق لابن عساكر (المختصر ٧ - ٤٢٣) وفى الأغانى (١٣ - ٣٣) وفى مهذب الأغانى (٥ - ٢٢)

(٢) فى المطبوعتين* كآذان المساحر ورما * وأثبتنا ما فى الأغانى ومهذب الأغانى

فان قلتَ خالى من قُرَيْش فلم أجد   من الناس شرًا من أبيك وألأما

ولما بلغ عبدالرحمن بن أم الحكم أن عبدالله بن الزبير هجاه غضب عليه وهدم داره وأحرقها ، فأتى معاوية رضى الله عنه فشكا إليه ، وتظلم لديه منه ، وقال: قد أحرق لى دارا قد قامت على بمائة ألف درهم ، فقال معاوية : ما أعلم بالكوفة داراً أنفق عليها هذا القدر ، فمن يعرف صحة ما ادعيت ؟ فقال : هذا المنذر بن الجارود حاضر ويعلم ذلك ، فقال معاوية رضى الله عنه للمنذر : ماعندك فى هذا ؟ قال : إنى لم أأبه لنفقته على داره ومبلغها ، ولكنى لما دخلت الكوفة وأردت الخروج عنها أعطانى عشرين ألف درهم وسألنى أن أبتاع له بها ساجا من البصرة ففعلت ، فقال معاوية : إن دارا اشترى لها ساج بعشرين ألف درهم لحقيق أن يكون سائر نفقتها مائة ألف درهم ، وأمر له بها ، فلما خرجا أقبل معاوية على جلسائه ثم قال لهم : أى الشيخين عندكم أكذب ؟ والله إنى لأعرف داره ، وماهى إلا خصاص قصب ، ولكنهم يقولون فنسمع ، ويخادعوننا(١) فنخدع ، فجعلوا يعجبون منه .

وكان عبد الرحمن ابن أم الحكم لما ولى الكوفة أساء بها السيرة ، فقدم قادم من الكوفة إلى المدينة المنورة ، فسألته امرأة عبدالرحمن عنه ، فقال لها : تركته يسأل إلحافا ، وينفق إسرافاً . وكان محمقاً ، ولاه معاوية خالُه عدةَ أعمال ، فذمه أهلها وتظلموا منه ، فعزله واطرحه ، وقال له : يابنىّ ، قد جهدت أن أُنَفِّقَكَ وأنت تزداد كسادا ، وقالت له أخته أم الحكم بنت صخر : يا أخى ، زَوِّج ابنى بعض بناتك فقال : ليس لهن بكفء ، فقالت له : قد زوجنى أبوسفيان أباه ، وأبوسفيان خير منك ، وأنا خير من بناتك ، فقال : يا أخية ، إنما فعل ذلك أبو سفيان لأنه كان حينئذ يشتهى الربيب ، وقد كثر الآن الربيب عندنا فلانزوج إلا الأكفاء

(١) فى الأصول «ويخادعونا فنخدع» بحذف نون الرفع

وكان عبدالله بن الزبير قد مدح أسماء بن خارجة الفزارى بقصيدة طويلة منها [من الطويل] :

تراه إذا ما جئتَهُ متهللا كأنك تُعطيه الذى أنت نائلُه(١)

ولو لم يكن فى كفِّه غيرُ روحه لجاد بها فليتق الله سائلُه

فأثابه ثوابا لم يَرْضه فغضب وقال يهجوه [من الطويل] :

بَدَتْ لكم هندٌ بتلذيع بَظْرها دكا كين من جص عليها المجالسُ

فوالله لولا رَهْزُ هندٍ ببظرها لعد أبوها فى اللئام العوابس(٢)

فبلغ ذلك أسماء ، فركب إليه واعتذر من فعله بضيقة شكاها ، وأرضاه ، وجعل له على نفسه فى كل سنة وظيفة ، واقتطعه إلى جانبه ، فكان بعد ذلك يمدحه ويفضله ، وكان أسماء يقول لبنيه : والله ما رأيت قط جِصاً فى بناء إلا ذكرت بظر أمكم هند فخجلت

ولما ولى مصعب بن الزُّبير العراق دخل عليه عبدالله بن الزَّبير الأسدى ، فقال له : إيه يا ابن الزَّبير أأنت القائل(٣) [من الطويل] :

---

(١) فى الأغانى * كأنك تعطيه الذى أنت سائله *

(٢) فى الأصول « لو لا رهن هند » وأثبتنا ما فى الأغانى .

(٣) ورد هذان البيتان فى الأغانى وفى مهذب الأغانى هكذا :

فنى رجب أو غرة الشهر بعده تزوركم حمر المنايا وسودها

ثمانون ألفا دين عثمان دينهم كتائب فيها جبرئيل يقودها

وهما على هذا الوجه من قصيدة لعبدالله بن الزبير ، يقولها وقد أمر المختار الخارجى بهدم دار أسماء بن خارجة . لما كان له من سوء الأحدوثة عند الشيعة ، ولكن صاحب الأغاني يعود فيرويهما بعد ذلك على مثل ماجاء فى الأصول فى نفس الخبر الذى نقله المؤلف هنا عنه .

إلى رجب السبعين أو ذاك قبله تصبحكم حمر المنايا وسودها
ثمانون ألفاً نصر مروان دينهم كتائب فيها جبرئيل يقودها

فقال : أنا القائل لذلك ، فقال : إن الحقين ليأبى العذرة ، ولو قدرت على جحده لجحدته ، قال : فاصنع ما أنت صانع ، فقال : أما أنا فلا أصنع بك إلا خيراً ، أحسنَ إليك قوم فاجتبيتهم وواليتهم ومدحتهم ، ثم أمر له بجائزة وكسوة ورده إلى منزله مكرماً ، فكان ابن الزبير بعد ذلك يمدحه ويشيد بذكره[1] ، فلما قتل مصعب اجتمع عبدالله بن الزَّبير وعبيد الله بن زياد بن ظبيان فى مجلس ، فعرف ابن الزبير خبره ، وكان عبيدالله هو الذى قتل مصعباً ، فاستقبله ابن الزبير بوجهه وقال له [من الطويل] :

أبامطرٍ شلّتْ يمينٌ تفرعت بسيفك رأسَ ابن الحَوَارىّ مُصعَبِ[2]

فقال له ابن ظبيان : فكيف النجاة من ذلك ؟ فقال : لا نجاة ، هيهات ، سبَقَ السيفُ العذلَ ، وكان ابن ظبيان بعد قتله مصعبا لا ينتفع بنفسه فى نوم ولا يقظة ، كان يُهوَّلُ عليه فى منامه فلا ينام ، حتى نَحِلَ جسمه ونهك ، فلم يزل كذلك حتى مات .

وحدث خالد بن سعيد عن أبيه ، قال : كان عبد الله بن الزبير صديقا لعمرو ابن الزبير بن العوام ، فلما أقامه أخوه عبدالله ليقتص منه بالغ كل ذى حقد عليه فى ذلك وتدسس فيه من يتقرب إلى أخيه ، وكان أخوه لا يسأل من ادعى عليه

---

(١) فى الأصول : « ويشبب بذكره » ، وأثبتنا : ما فى الأغانى ، وهو الصواب .

(٢) فى الأغانى : « تقرعت » محرفا ، والمراد بقوله « تفرعت رأس ابن الحوارى » علت رأسه بالسيف . والحوارى : هو الزبير بن العوام ، رضى الله تعالى عنه ! وامه صفية بنت عبد المطلب ، عمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يقال له : حوارى رسول الله .

شيئاً بينة ، ولا يطالبه بحجة ، وإنما يقبل قوله ثم يدخله إلى السجن ليقتص منه ، فكانوا يضربونه والقيح ينضح من ظهره وأكتافه على الأرض والحيطان مما يمر به ، ثم أمر بأن ترسل عليه الْجُعْلانُ فكانت تدب عليه فتثقب لحمه وهو مقيد مغلول يستغيث فلا يغاث حتى مات على تلك الحالة ، فدخل الموكل به وهو يبكي على أخيه عبد الله بن الزبير وفي يده قدح لبن يريد أن يتسحر به ، فقال له : مالك ؟ أمات عمرو ؟ قال : نعم ، قال : أبعده الله ! وشرب اللبن ، ثم قال : لا تغسلوه ولا تكفنوه وادفنوه في مقابر المشركين ، فدفن ، فقال ابن الزُّبير يرثيه ويؤنب أخاه بفعله ، وكان له صديقاً وخلاً ونديماً [من الطويل]:

أيا راكباً إما عرضت فبلغن … كبيرَ بني العوّام إن قلت مَنْ تعني [1]
ستعلم إن جالتْ بك الحربُ جَوْلة … إذا فوّقَ الرامون أسهمُ من تُغني
فأصبحتِ الأرحام حين وليتها … بكفيك أكراشاً تجرُّ على دِمْنِ [2]
عقدتم لعمرٍو عُقْدةً وغدرتمُ … بأبيض كالمصباح في ليلةِ الدَّجْنِ [3]
وكَبَّلْتَه حولاً يجودُ بنفسهِ … تنوء به في ساقِهِ حلَقَ اللبْنِ [4]
فما قال عمرٌو إذ يجود بنفسِهِ … لضاربه حتى قضى نَحْبَهُ دعني

(١) رواية الأغاني « إذ قيل من تعني »

(٢) دمن — بكسر الدال وسكون الميم — حقد ، واحدته دمنة ، ويقال : « في قلب فلان دمنة » ، أي حقد ثابت ، ويقال « قد دمن قلب فلان على فلان » بوزان فرح .

(٣) الدجن — بفتح فسكون — إظلام الغيم ، ويقال : هذا يوم دجن ، والداجنة : السحابة ذات الدجن ، وتقول : دجنت السماء ، وأدجنت ، وأدجن المطر : أي دام أياماً .

(٤) في المطبوعتين « حلق البين » وأثبتنا ما في الأغاني ومهذب الأغاني

فى أبيات أخر أعرضت عن ذكرها حفظا لمقام عبد الله بن الزبير وصحبته.

وحدث العبسى قال : لما قُتِل عبد الله بن الزُّبير صَلَبَ الحجاجُ جسمه و بعث برأسه إلى عبد الملك فجلس على سريره وأذن للناس ، فدخلوا عليه ، وقام عبد الله ابن الزَّبير فاستأذنه فى الكلام ، فقال له : تكلم ولا تقل إلا خيراً ، وتوخَّ الحق فيما تقوله ، فأنشأ يقول [من الطويل] :

مَشَى ابن الزبير القَهْقَرى فتقدمت أميةُ حتى أحرزوا القَصَبَاتِ
وجئت المعالى يا ابن مروان سابقاً أمام قريشٍ تبغض الغدرات[1]
فلا زلتَ سباقاً إلى كل غايةٍ من المجد نجاء من الغمَرَاتِ

فقال له : أحسنت فسَلْ حاجتك ، فقال : أنت أعلى عينا بها وأرحب صدراً يا أمير المؤمنين ، فأمر له بعشرين ألف درهم وكسوة ، ثم قال له : كيف قلت ؟ فذهب يعيد هذه الأبيات ، فقال له : لا ، ولكن أبياتك فى المحلِّ وفى الحجاج التى قلتها ، فأنشده [من الطويل] :

كأنى بعبد الله يركبُ رَدْعَه وفيه سنانٌ زاعبىٌّ مجرَّبُ[2]

---

(١) ورد هذا البيت فى مهذب الأغانى هكذا :

وجئت المجلى يا ابن مروان سابقا أمام قريش تنفض العذرات

وظنى أن عجز البيت على ما هنا أحسن

(٢) يقال « رمح زاعبى » بالزاى ، وبعين مهملة — وهى منسوبة إلى رجل من الخزرج ، كان يعمل الأسنة . هكذا قال أبو العباس المبرد ، وقال غيره : الرماح الزاعبية ، هى : العسالة التى إذا هزت تدافعت كالسيل الزاعب يزعب بعضه بعضا : أى يدفعه . وياء النسبة — على هذا الوجه إما أن تكون للنسبة إلى السيل الزاعب لمعنى التشبيه به ، وإما أن تكون للنسبة إلى الرمح الزاعب ، من نسبة الشىء إلى نفسه للتأكيد كالأحمرى .

وقد فرّ عنه الملحدون وحلّقت ... به وبِمَنْ آساه عَنْقاء مُغْرِبُ (١)
تَوَلَّوْا لخذُله فشال بِشلْوِهِ ... طويلٌ من الأجذاع عارٍ مشذّبُ
بكفّىْ غلامٍ من ثقيفٍ نمت به ... قريش وذو المجد التليد معقّبُ

فقال له عبد الملك بن مروان : لا تقل غلام ، ولكن همام ، وكتب له الحجاج بعشرة آلاف درهم أخرى .

ودخل عبد الله بن الزّبير على بشر بن مروان وعليه ثياب كان بشر خلعها عليه ، وكان بشر قد بلغه عنه شيء يكرهه فجفاه ، فلما وصل إليه ووقف بين يديه وجعل يتأمل مَنْ حواليه من بنى أُمية ويجيل نظره فيهم كالمتعجب من جمالهم وهيئاتهم ، فقال له بشر : نظرك يا ابن الزبير يدل على أن وراءه قولا ، فقال : نعم ، قال : قل ، فقال [من الوافر] :

كأنّ بنى أميـة حول بشر ... نجومٌ وَسْطَها قمر منـيرُ
هو الفرعُ المقدّمُ من قريش ... إذا أخذَت مآخذها الأمورُ
لقـد عمّتْ نوافلهُ فأضحى ... غنياً من نوافله الفقيرُ
جبرت مهيضنا وعدَلت فينا ... فعاش البائِسُ الـكلُّ الـكبيرُ (٢)
فأنْتَ الغيث قد علمت قريش ... لنا والوا كفُ الجَوْنُ المطِيرُ (٣)

فأمر له بخمسة آلاف درهم ورضى عنه .

---

(١) فى الأغانى ومهذبه « به وبمن أسناه عنقاء مغرب »

(٢) فى الأغانى ومهذبه * فعاش البائس الـكل الفقير * وبقية القوافى مثل ما هنا ، فتكون القافية متكررة فى بيتين متجاورين ، وهذا عيب من عيوب القافية ولو أن العبارة كانت هكذا * فعاش البائس الـكل الـكسير * لـكانت أفضل .

(٣) الجون — بفتح فسكون — الأسود ، والسحاب الأسود أملأ السحائب بالمطر .

وعن عبد الله بن عباس قال : أخبرنى بعضُ مشيْخة بنى أسد أن ابن الزُّبير لما قَفَلَ(١) من قتال الأزارقة بعث بعثاً إلى الرى، قال: فكنت فيه، وخرج الحجاج إلى القنطرة -يعنى قنطرة الكوفة التى بزيارة(٢)- ليعرض الجيش، وجعل يسأل عن رجل رجل مَنْ هو، فمر به ابن الزُّبير فسأله من هو، فأخبره، فقال له : أنت الذى تقول [من الطويل] :

تخير فأما أن تزور ابن ضابىء عُمَيْراً و إما أن تزور المهلبا

فقال : بلى أنا الذى أقول [من الطويل] :

ألم تر أنى قد أخذت جعيلة وكنت كمن قاد الجبيب فأسمحا(٣)

فقال له الحجاج : ذلك خير لك ، فقال :

وأوقدت للأعداء يامى فاعلمى بكل سُرَى ناراً فلم أر مجمحا

فقال له الحجاج : قد كان بعض ذلك، فقال :

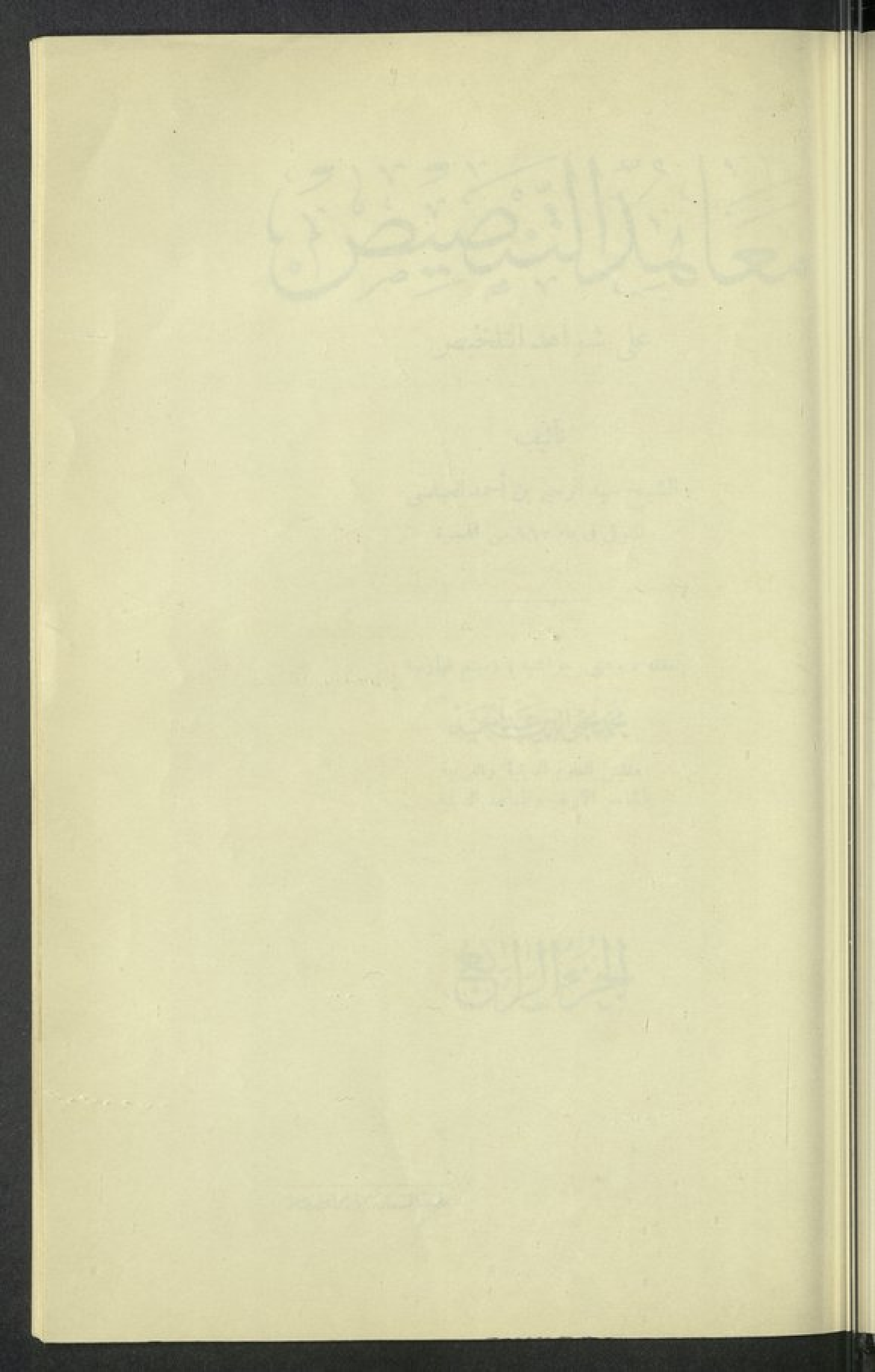
ولا يعدم الداعى إلى الخير تابعاً ولا يعدم الداعى إلى الشر مجدحاً

فقال له الحجاج : إن ذلك كذلك ، فامض إلى بعثك ، فمضى إلى بعثه ، فمات بالرى .

---

(١) قفل : رجع .
(٢) زيارة : كذا ، ولم أعثر على تصويبه
(٣) فى الأغانى « كمن قاد الجنيب »

قد تم ـ بحمد الله تعالى وعَوْنه وحسن تيسيره ـ طبع الجزء الثالث من كتاب « معاهد التنصيص ، على شواهد التلخيص » تصنيف السيد عبدالرحيم ابن عبد الرحمن بن أحمد العباسى ، ويليه ـ إن شاء الله تعالى ـ الجزء الرابع مفتتحاً بشرح شواهد « السرقات الشعرية » ، وهو آخر أجزاء الكتاب ، نسأل الذى بيده مقاليد الأمور أن يعين على إكماله ، وييسر أمر إتمامه ، إنه ولى ذلك ، ومنه العَوْن .



معاهد التنصيص

على شواهد التلخيص

تأليف

الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي

المتوفى سنة ٩٦٣ من الهجرة

حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه

محمد محيي الدين عبد الحميد

الجزء الرابع

تم - بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه - طبع الجزء الثالث من [illegible] على [illegible]، تحقيق [illegible] [illegible] بن [illegible] [illegible] - إن شاء الله تعالى - الجزء الرابع متضمنا [illegible] وهو آخر أجزاء الكتاب، [illegible] أن [illegible] [illegible] إنه ولي ذلك [illegible]

معاهد التنصيص

على شواهد التلخيص

تأليف

الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي

المتوفى فى عام ٩٦٣ من الهجرة

حققه ، وعلق حواشيه ، وصنع فهارسه

محمد محيى الدين عبد الحميد

مفتش العلوم الدينية والعربية

بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية



مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

تمتاز هذه الطبعة بدقة الضبط ، و بإضافة الشروح والتعليقات

١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر

لصاحبها

مصطفى محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم

شاهد سرقة الشعر المذمومة

١٨٤ – إذا أنتَ لمْ تُنصِفْ أخاكَ وجدتَهُ
عَلى طَرَفِ الهِجْرانِ إنْ كانَ يَعقِلُ
وَيرْكبُ حدَّ السَّيفِ منْ أنْ تَضيمَهُ
إذا لمْ يكنْ عنْ شَفْرَةِ السَّيفِ مَزْحَلُ

البيتان لمَعْن بن أوس المزنى، من قصيدة من الطويل[١]، قالها فى صديق يستعطفه، وكان معن متزوجاً بأخته فطلقها، فأقسم أن لا يكلمه، وأولها:

لَعمرُكَ ما أدْرى وَإنِّى لأوْجَلُ ... على أينا تعدو المنيةُ أوَّلُ
وَإنى أخُوكَ الدائمُ العهدِ لم أحُلْ ... إنْ أبزاكَ خصمٌ أونبا بك منزلُ[٢]
أحاربُ من حاربْتَ من ذى عداوةٍ ... وأحبسُ مالى إن غرِمْتَ فأعقِلُ[٣]
وَإن سُؤْتَنى يوماً صفحتُ إلى غدٍ ... ليُعقِبَ يوماً منكَ آخرُ مُقبِلُ
كأنكَ تَشفى منك داءَ مساءتى ... وَسُخطى ومافى رَيْثَتى ما تَعجَّلُ[٤]
وَإنى على أشياء منك تَريبُنى ... قديماً لذو صَفْحٍ على ذاكَ مُجْمِلُ
ستقطعُ فى الدُّنيا إذا ماقطَعْتَنى ... يمينَكَ فانظرْ أىَّ كفٍّ تبدَّلُ
وَفى الناس إنْ رَثَّتْ حبالُكَ وَاصلٌ
وَفى الأرض عنْ دَارِ القِلَى مُتَحَوَّلُ

---

(١) اقرأها فى ديوان معن (٥٧) وفى ديوان الحماسة (٢/١٣٢ من شرح التبريزى بتحقيقنا)

(٢) فى الحماسة «لم أخن» فى مكان «لم احل» وذكر هذه الرواية فى الشرح، وفى المطبوعتين «أباراك خصم» وأثبتنا ما فى الحماسة والديوان.

(٣) أعقل: يريد أنه يغرم الدية معه

(٤) فى الديوان «وما فى ريبتى ما تعجل» وكذلك هو فى الحماسة وذكر فى شرح الحماسة أنه يروى مثل ماهنا، والربثة: ضد العجلة، ومثله الريث.

وبعده البيتان ، وبعدهما :

وكنتُ إذا ما صاحبٌ رام ظِنتي وَبدَّل سوءاً بالذى كنتُ أفعلُ
قَلَبْتُ له ظَهْرَ الْمِجَنّ فلم أدُمْ على ذاكَ إلا رَيثما أتحوّلُ
إذا انْصرَفَتْ نفسى عَن الشيء لم تكدْ
إليـهِ بوجْـهٍ آخرَ الدهـرِ تُقبلُ

وهذا البيت الأخير ، مثل قول حسان بن ثابت ، رضى الله عنه ! [من الطويل] :

إذا انصرَفتْ نفسى عَن الشيء مرّةً
فلستُ عليـهِ آخرَ الدَّهرِ مُقبلاَ

وشفرة السيف : حـده ، والمَزْحل - بالزاى المعجمة والحاء المهملة — من زحل عن مكانه زحولاً إذا تنحى وتباعـد ، والمزحل : مصدر بمعنى الزحول ، ومعناه : أنه لا يبـالى أن يركب من الأمور ما يؤثر فيه تأثير السيف مخافة أن يدخل عليـه ضيم ، أو يلحقه هضم ، أو احتقار ، متى لم يجـد عن ركوبه مبعداً ولا معدلا .

والشاهد فيهما : سرقة الشعر المذمومة ، وهى : أن يؤخذ اللفظ كله من غير تغيير لفظة ، ويسمى نسخاً وانتحالاً .

حكى أن عبـد الله بن الزّبير دخل على معاوية ، فأنشده هذين البيتين ، فقال : لقد شَعرتَ بعدى يا أبا بكر ، ولم يفارق عبدُ الله المجلس حتى دخل معنُ ابن أوس ، فأنشد القصيدة ، وفيها البيتان المذكوران ، فأقبل معاوية على عبد الله بن الزبير ، وقال له : ألم تخبرنى أنهما لك ؟ فقال : اللفظ له ، والمعنى لى ، وبعدُ فهو أخى من الرضاعة ، وأنا أحق بشعره .

ومن السرقة المذمومة أن يبدّل بالكلمات كلها أو بعضها ما يرادفها ، كما يقال فى قول الحطيئة [من البسيط] :

دَعِ المكارمَ لاَ ترْحَلْ لِبُغْيَتِها
وَاقعُدْ فانكَ أنتَ الطاعمُ الكاسى

ذَرِ المآثرَ لاَ تذْهَبْ لِمَطْلَبِهَا
وَاجلسْ فانكَ أنتَ الآكل الكاسى

وكقول امرىء القيس [من الطويل] :

وُقوفاً بها صحبى علَىَّ مَطِيَّهُمْ يقولون لاتهلكْ أسىً وتحمَّلِ

وقد أورده طرفة فى داليته ، إلا أنه أقام « تجلد » مقام « تجمل » .

وكقول العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه [من الطويل] :

وَمَا الناسُ بالناسِ الذينَ عهدتَهُمْ وَلاَ الدَّارُ بالدَّارِ التى كنتَ تعلمُ

فأورده الفرزدق فى شعره ، إلا أنه أقام « تعرف » مقام « تعلم » .

وقريب من هذا أن يبدل بالألفاظ ما يضادّها فى المعنى ، مع رعاية النظم والترتيب ، كقول ابن أبى فنن [من الكامل] :

ذَهَبَ الزمانُ برهط حسّانَ الأولى كانَتْ مَناقبهم حديثَ الغابرِ
وَبقيتُ فى خَلْفٍ تحلُّ ضيوفُهُم فيهمْ بمنزلةِ اللئيمِ الغادرِ
سُودُ الوُجُوهِ لئيمةٌ أحسابهمْ فُطْسُ الأنوفِ منَ الطرازِ الآخرِ

فانه عكس قول حسان بن ثابت الأنصارى [من الكامل] :

بيض الوجُوهِ كريمةٌ أحسابهمْ شُمّ الأنوفِ من الطراز الأوّلِ

وهى من أبيات يمدح بها أولاد جَفْنَة ، وهم ملوك الشام :

أولادُ جفنةَ حولَ قبْرِ أبيهمُ مثلُ النجومِ تُجاهَ بدرٍ أكمل

يُغْشَوْنَ حتى ما تهِرُّ كلابهمْ لا يَسْأَلُونَ عن السَّوادِ المقبلِ
يسقونَ مَنْ وَرَدَ البريصَ عليهمُ
بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحيقِ السلسلِ

وأخذ قوله « و بقيت فى خلف » من قول لبيد [من الكامل] :

ذهَبَ الذين يُعاشُ فى أ كنافهمْ وَبقيتُ فى خَلْفٍ كجلدِ الأجْرَبِ

وعلى ذكره فما أحسن قول السراج الوراق [من الكامل] :

زعمُوا لبيداً قالَ فى عصرٍ لهُ وَبقيتُ فى خلفٍ كجلدِ الأجرَبِ
وأَرَاهُ أعدَى خلفهُ من خلفهِ جرَبَاً وأعيَا الدّاء كلَّ مُجرِّبِ
وتضاعفَ الجربُ الذى عدوَاهُ لاَ تنفكُّ عن ماضٍ ولا مُتعقبِ
وتفاقمَ الداء العُضالُ فخلفنا بلغَ الجُذامَ وعصرناعصرُ وَبى

وليت شعرى ماذا يقول الناظم أو الناثر فى عصرنا هذا والخلف الذى فيه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وما أحلى قول بدر الدين يوسف مهمندار العرب [من السريع] :

كنا إذَا جئنا لِمنْ قبلَكمْ أُنصفَ فى الترحيبِ بعدَ القيامْ
والآنَ صِرْنا حينَ نأتيكمُ نقنعُ منكم بلطيفِ الكلامْ
لاَ غيَّرَ اللهُ بكمْ خشيةً مِنْ أن يجى مَنْ لا يرُدُّ السلامْ

وسرقة الشعر مذمومة ، حتى قال فيها الحريرى ، فى إحدى مقاماته : واستراق الشعر عند الشعراء ، أفظع من سرقة البيضاء والصفراء ، وغيرتهم على بنات الأفكار، كغيرتهم على البنات الأبكار .

وأول من ذم ذلك طَرَفَةُ بقوله [من البسيط]:

وَلاَ أُغيرُ عَلىَ الأشعارِ أسْرِقها
عنها غَنيتُ ، وشرُّ الناسِ مَن سَرَقَا

وأبو تمام الطائى ضجَّ من سرقة محمد بن يزيد الأموى شعره ، فقال (١) [من الخفيف] :

مَنْ بنو بحدل من ابنُ الحبابِ — من بَنُو تغلب حُدَاةُ الكلابِ
مَن طُفيل وَعَامِرٌ وَمَن الحا — رثُ أو مَنْ عُتَيْبة بن شِهابِ (٢)
إنما الضيغم الهصُورُ أبو الأشـ — ـبالِ جبَّارُ كل خيسٍ وغابِ (٣)
من عدَت خيله على سَرْح شعرى — وَهْوَ للحَيْن رَاتعٌ فى كتابى (٤)
غارَة أسخنَتْ عيونَ المعانى — وَاستباحت محارم الآدابِ (٥)
لو ترَى منطق أسيراً لأصبحـ — ـتَ أسيراً لعبرةٍ وَانتحاب (٦)
ياعذَارَى الأشعار صِرتن من بعـ — ـدى سَبايا تُبعنَ فى الأعرابِ (٧)
طَالَ رَغبِي إليكَ يا رَبٌّ يا رَبٌّ — وَرَهبي لديكَ فاحفظ ثيابى (٨)

---

(١) اقرأها فى الديوان (٤٨٧ بيروت) وفيه فى أولها «غداة الكلاب»
(٢) فى الديوان « من طفيل من عامر » وفيه « أم من عتيبة »
(٣) فى الديوان « مناع كل خيس »
(٤) فى المطبوعتين « وهو للجبن راتع » وأثبتنا مافى الديوان ، والحين – بفتح الحاء المهملة – الهلاك
(٥) فى الديوان « أسخنت عيون القوافى » وفيه « واستحلت محارم الآداب »
(٦) فى الديوان « أسيرا ذا عبرة واكتئاب »
(٧) فى الديوان « يا عذارى الكلام »
(٨) روى هذا البيت فى الديوان هكذا :

طال رعبى يارب مما ألاقيـــه ورهبى إليك فاحفظ ثيابى

وكان البحترىّ قالَ قصيدةً ، فى أبى العباسِ بن بسطام (١) ، أولها [من المنسرح] :

مَن قائل للزمان ما أرَبُهْ فى خُلُقٍ منهُ قد بَدَا عجبهْ

فعارضهُ فيها أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بقصيدة ، يمدح بها الموفق أولها (٢) [من المنسرح] :

أجدٌّ هذا المقال أم لعبهْ أم صدق ما قيل فيه أم كذبه

فاستعارَ مِنْ ألفاظها ومَعانيها ما أوجبَ أن قالَ البحترىّ (٣) فيه ، [من المنسرح] :

ما الدهرُ مستنفد وَلاَ عجبه تسومنا الخسفَ كلهُ نُوبه (٤)

نالَ الرضى مادحٌ وممتدحٌ فقل لهذا الأمير ماغضبُهْ

أجلى لصوصَ البلاد يطردهمْ وظلّ لِصّ القريض ينتهبه (٥)

أرْدُد علينا الذى استعرت وَقل قولكَ يعرفْ لغالب غَلَبُهْ

وقد ذم ابن الرومى البحترى بالسرقة ، فقال (٦) [من البسيط] :

قبحاً لأشياء يأتى البحترىّ بها من شعره الغثّ بعدالكدّ والتعب

كأنها حين يُصغِى السامعونَ لها ممن يُمَيِّزُ بين النَّبْعِ وَالغَرَبِ (٧)

---

(١) اقرأها فى الديوان (١-٣٢)

(٢) هى فى ديوان البحترى منسوبة لعبيدالله بن عبدالله (١-٣٤ مصر)

(٣) اقرأها فى الديوان (١- ٣٧ مصر)

(٤) فى الديوان « لا الدهر مستنفد »

(٥) فى الديوان « أجلى لصوص البلاد يطلبهم » وفيه « وبات لص القريض »

(٦) اقرأها ضمن قصيدة فى الديوان (١-٤٠٨-٤٢٦)

(٧) النبع - بفتح فسكون - شجر تصنع منه القسى و السهام . والغرب - بفتح الغين والراء - ضرب من الشجر

رُقى العقارب أو هذرُ البُنَاة إذا
أضحوا على شُعَبِ الجدران فى صَخَبِ (١)

سمينُ ما انتحلوهُ من هنا وَهنا ... والغثّ منه صريحٌ غيرُ مؤتشبِ (٢)

يسىءُ عفاً فانْ أ كدت مسائلهُ ... أجادَ لصاً شديدَ البأس والكلبِ (٣)

حىٌّ يغيرُ على الموتى فيسلبهمْ ... حُرَّ الكلام بجيشٍ غير ذى لَجَبِ (٤)

ما إن تزال تراهُ لابساً حُللاً ... أسلابَ قومٍ مضوا فى سالف الحِقَبِ

شعرٌ يغير عليه باسلاً بَطَلاً ... فينشدُ الناسَ إياه على رَقَبِ

حتى إذا كفَّ عن غاراته فلهُ ... شعر يئنُّ مقاسيه من الوَصَبِ

شعر كنافض حُمَّى الخيبرى لهُ ... بردٌ وكربٌ فمن يرويه فى كَرَبِ

قل للعلاء أبى عيسى الذى نصلت ... به الدواهى نصول الآل فى رجبِ (٥)

أيسرقُ البحترىُّ الناسَ شعرهمُ
جهراً وأنتَ نكالُ اللصّ ذى الرِّيَبِ

وَتارَةً يترز الأرواحَ مَنطقهُ ... والخلقُ ما بين مقتولٍ وَمغتصبِ (٦)

---

(١) فى المطبوعتين «أو هذر البنات» وأثبتنا ما فى الديوان ، وفى الديوان «أضحوا على شعف الجدران» والبناة : جمع بان ، وشعف الجدران : أعاليها

(٢) فى الديوان «سمين ما نحلوه» وفيه «صريح غير مجتلب» وهو خير مما هنا

(٣) فى الديوان « أ كدت وسائله »

(٤) فى الديوان «عبد يغير على الموتى»

(٥) فى المطبوعتين « قل للعلاء بن عيسى والذى نصلت » وفيهما « نصول الآل » وكلاهما تحريف ، وأراد أبا عيسى العلاء بن صاعد الوزير ، ونصلت : ذهبت ، والآل : جمع ألة ، وهى الحربة ، يشير إلى ما كان العرب عليه من ترك القتال فى شهر رجب

(٦) فى المطبوعتين « وتارة يبرز الارواح » وأثبتنا ما فى الديوان ، ويترز : اراد به يزهق الأرواح

نكله إن أناساً قبله ركبوا ... بدون ماقد أتاه باسق الخشبِ
إذا أجاد فأوجبْ قطعَ مِقْوَلِهِ ... فقد رَمى شعراء الناس بالحَرَبِ (١)
وإن أساء فأوجبْ قتلَه قَوَداً ... بمَنْ أماتَ إذا أبقى على السَّلَبِ (٢)

ولا يخفى على ذى لب ما فى هذه الأبيات من التشنيع على البحترى والانتقاص من حقه، وفيه يقول ابن الحاجب أيضاً [من الخفيف] :

والفتى البحترىُّ سارقُ ما قا ... لَ ابنُ أوسٍ فى المدح والتَّشْبيبِ (٣)
كلُّ بيتٍ له يجود معنًا ... هُ فمعناه لابن أوسٍ حبيبِ

وللسرى الرفاء من قصيدة خاطب فيها (٤) أبا الخطاب المفضل بن ثابت الضبى، وقد سمع أن الشاعرين الخالديين يريدان الرجوع إلى بغداد، وذلك فى أيام الوزير المهلبى [من الكامل] :

بكَرَتْ عليك مُغيرةُ الأعرابِ ... فاحفظ ثيابَكَ يا أبا الخطابِ
وردَ العراقَ ربيعةُ بن مُكَدَّمٍ ... وعُتيبةُ بن الحارثِ بنِ شهابِ
أفعندنا شك بأنهما هما ... فى الفَتْكِ، لا فى صحة الأنساب
جلَبا إليك الشعر من أوطانه ... جَلَبَ التجار طرائفَ الأجلابِ
فبدائعُ الشُّعراءِ فيما جَهَّزا ... مَقْرُونة بغرائب الكُتّاب
شنّاً على الآداب أقبحَ غارةٍ ... جرحتْ قلوبَ محاسن الآداب
فحذارِ من حركات صِلَّىْ قَفْرَةٍ ... وحذارِ من وثبات ليثَىْ غابِ (٥)

(١) فى الديوان « فقد وهى شعراء الناس »
(٢) فى الديوان « بمن يميت إذا أبقى »
(٣) ابن أوس : هو أبو تمام حبيب بن أوس.
(٤) اقرأها فى يتيمة الدهر للثعالبى (٢-١٤٥ بتحقيقنا)
(٥) فى اليتيمة « وحذار من حركات ليثى غاب »

لا يَسْلبان أخا الثراء ، و إنما يتناهبان نتائج الألباب
إنْ عزَّ موجودُ الكلامِ عليهما فأنا الذى وقفَ الكلامُ ببابى
أو يهْبِطَا من ذِلَّةٍ فأنا الذى ضُربتْ على الشرفِ المطلِّ قِبابى
كم حاولا أمَدِى فطال عليهما أن يُدْرِكا إلا مثَارَ تُرابى
عجَزَا ولن تقفَ العبيدُ إذا جرتْ يومَ الرهانِ مواقفَ الأرباب
ولقد حميْتُ الشعرَ وَهْوَ لمعْشرٍ رمٍ سِوَى الأسماءِ والألقاب(١)
وضرَبْتُ عنه المدَّعينَ و إنما عن حَوْزَةِ الآداب كان ضِرابى
فغدَتْ نبيطُ الخالديةِ تدَّعى شعرى وترْفُل فى حَبِيرِ ثيابى
قومٌ إذا قصدوا الملوكَ لمطْلَبٍ نُقضت عمائمُهم على الأبواب
من كل كَهْل تستطيرُ سِبالَهُ لوْنين بين أنامل البواب
مُغْضٍ على ذلِّ الحجاب يرُده دامى الجبين تجهُّمُ الحجاب
ومُفَوَّهين تعرَّضا لِحرابتى فتعرضت لهما صدورُ حِرابى
نظرا إلى شِعْرى بروق فترَّبا منهُ خدود كواعبٍ أتراب(٢)
شربَاهُ فاعترَفا له بعذوبةٍ ولرُبَّ عذب عادَ سوطَ عذاب
فى غارةٍ لم تنْثلم فيها الظُّبا ضرْباً ولم تندَ القنا بخضاب
تركَتْ غرائبَ منطِقى فى غرْبة مسْبِيَّةً لا تهتدى لاياب
جَرْحَى وما ضُربتْ بحدِّ مُهنَّدٍ أسْرى وما حُمِلتْ على الأقتاب
لفظ صقلْتُ متُونه فكأنه فى مُشْرِقاتِ النَّظْمِ درُّ سحاب

---

(١) الذى فى اليتيمة «وهو لمعشر ذم سوى الأسماء»
(٢) فى اليتيمة «نظرا إلى شعر يروق»

وكأنما أجرَيْتُ في صفحاته حُرَّ اللُّجينِ وخالصَ الزِّرْياب(١)
أغرَيْت في تحبيرِه فِرُوَاتَهُ في نُزْهةٍ منه وفي استغراب
وقطعتُ فيه شبيبة لم تشتغل عن حُسْنه بِصِباً ولا بتصابي
وإذا ترَقرَق في الصَّحيفة ماؤه عبقَ النسيمُ فذاك ماء شبابي
يُصغي اللَّبيبُ له فيقسمُ لبَّه بين التعجُّب منه والاعجاب
جِدٌّ يطير شَرارُه ، وفكاهة تستعطفُ الأحبابَ للأحبابِ
أعززْ على بأن أرى أشلاءَهُ تدْمَى بظُفُرْ للعدوِ وناب
أفِنَتُ رَماه بغارةٍ مأفونةٍ باعتْ ظِباء الروم في الأعرَاب
إني أُحذِّر من يقول قصيدةً غرَّاء خِدْنَيْ غارةٍ ونهاب
إني نَبَذْتُ على السَّواء إليكما فتأهَّبا للقادح المنتاب
وإذا نبذْتُ إلى امرىء ميثاقهُ فليستعدَّ لسطوتي وعقابي

وهي طويلة متناسبة في الحسن والعذوبة .

وله من قصيدة يمدح بها أبا البركات لطف الله بن ناصر الدولة ويتظلم إليه من الخالديين وقد ادعيا شعره (٢) ومدحا به المهلبي وغيره [من البسيط] :

يا أكرمَ الناسِ إلا أن يعدَّ أباً فاتَ الكرامَ بآباء وآثار
أشكو إليكَ حَليفَيْ غارةٍ شَهرَا سيفَ الشِّقاق على إنتاج أفكاري(٣)
ذئبين لو ظفرا بالشِّعر في حرم لمزّقاه بأنياب وأظفار

(١) اللجين : الفضة ، والزرياب : الذهب

(٢) في يتيمة الدهر (٢/ ١٠٢ بتحقيقنا) « وقد ادعيا شعره وشعر غيره ومدحا به المهلبي وغيره»

(٣) في اليتيمة « على ديباج أفكاري »

سلاً عليه سيوفَ البغى مُصلَتةً ... فى جحفل من شنيع الظلم جرّار(١)
وأرخصاه فقل فى العطر مُمتهناً ... لديهما يُشترى من غير عطار
لطائمُ المسك والكافور فائحةٌ ... منهُ ومُنتخب الهندىِّ والغار(٢)
وكلّ مُسفرة الألفاظ تحسبها ... صحيفةً بين إشراق وإسفار
أرقتُ ماء شبابى فى محاسنها ... حتى ترقرق فيها ماؤها الجارى
كأنها نفَسُ الريحان تمزجهُ ... صبا الأصائل من أنفاس نوّارِ
إن قلّداك بدُرّ فهو من لُججى ... أو ختّماك بياقوتٍ فأحجارى
باعا عرائسَ شعرى بالعراق فلا ... تبْعَد سباياه من عُونٍ وأبكار
مجهولةَ القدرِ مظلوماً عقائلُها ... مقسومةً بين جهّال وأغمار
ما كان ضرّهما والدرُّ ذو خطرٍ ... لو حلّياه ملوكا ذاتَ أخطارِ
ومارأى الناسُ سبياً مثلَ سبيهما ... بِيعتْ نفيستهُ ظلماً بدينار
والله ما مدحا حيا ولا رثيا ... مَيْتاً ولا افتخرا إلا بأشعارى
هذا وعندىَ من لفظٍ أشَعْشِعهُ ... سُلافَةً ذاتَ أضواء وأنوارِ
كريمةً ليس من كَرْم ولا التثمت ... عَروسُها بخِمارٍ عند خمّارِ
تنشا خلالَ شِغافِ القلب إن نشأت ... ذاتُ الحباب خِلال الطّين والقار
لم يبقَ لى من قريض كان لى وزَراً ... على الشدائد إلا ثقلُ أوزارى
أراهُ قد هُتكت أستارُ حُرْمتِهِ ... وسائر الشعر مستوراً بأستار

---

(١) فى اليتيمة «فى جحفل من صنيع الظلم جرار»
(٢) اللطائم : جمع لطيمة وهى وعاء المسك ، والهندى والغار : من الأعواد ذات الريح الطيبة ، وقال الشاعر :

رب نار بت أرمقها ... تقضم الهندى والغارا

كأنه جنةٌ راحت حدائقُها من الغبيّيْن فى نارٍ وإعصار(١)
عارٍ من النَّسب الوَضَّاح مُنْتَسب فى الخالديين بين العزِّ والعار

وله من قصيدة (٢) فى أبى إسحاق الصابى ، وقد ورد عليه كتاب الخالديين بأنهما منحدران إلى بغداد فى سرعة [من الخفيف] :

قد أظلَّتْك يا أبا إسحاق غارةُ اللَّفظ والمعانى الرقاق(٣)
فاتخذْ معقلاً لشعرك يحميـــهِ مُروقَ الخوارجِ المرّاق
قبل رقراقة الحديد تريق الـدْ دَمَ فى صفو مائه الرّقراق
كانَ شنُّ الغارات فى البلد القفـــر فأضحى على سرير العراق
غارة لم تكن بسُمْر العوالى حين شُنَّتْ ولا السيوف الرّقاق
جالَ فُرْسانُها علىَّ جلوسا لا أقلّتهمُ ظهورُ العتاقِ
فجعتْ أنفسُ الملوك أبا الهيْـجاء حرْباً بأنفسِ الأعلاق
بقوافٍ مثلِ الرياض تمشّتْ بين أنوارها جياد السَّوَاقى(٤)
بدعٍ كالسيوف أرهفْنَ حُسْناً وسقاهنَّ رونقَ الطبع ساقِى
مشرقات تُريك لفظاً ومعنًى حُمرَةَ الحلْى فى بياض التَّراقِى
يا لها غارةً تفرّقُ فى الحوْمةِ بين الحَمَامِ والأطواقِ
تَسِمُ الفارس المقدَّم بالعا رِ وبعضُ الاقدام عارٌ باقِ(٥)

(١) الاعصار : ريح شديدة تصحبها نار غالبا
(٢) اقرأها فى يتيمة الدهر (٢/٤٦٠ بتحقيقنا)
(٣) فى اليتيمة « والمعانى الدقاق » وهى خير لئلا تتكرر كلمة « الرقاق » مع قافية الخامس
(٤) فى الأصول «جماد السواقى» وأثبتنا ما فى اليتيمة
(٥) فى اليتيمة «تسم الفارس السميدع بالعار»

لو رأيتَ القريضَ يُرْعَدُ منها بين ذاك الارعاد والابراق
وقلوبَ الكلام تخفق رُعْباً عن تَثَنِّي لوائها الخفاق (١)
وسيوفَ الضلالِ تفتِكُ فيها بعذارى الطُّروس والأوراق
والوجوهَ الرِّقاق داميةَ الأبـــشارِ فى معركِ الوُجوه الصِّفاق
لتنفستَ رحمةً للخدود الـــحُمْر منهنَّ والقدود الرِّشاق (٢)
والرياض التى ألحَّ عليها كاذبُ الوَدْق صادقُ الاحراق
والنجوم التى تظلُّ نجومُ الـــأرض حُسَّادَها على الاشراق
بعد ما لُحْنَ فى سماء المعالى طُلَّعاً وانتشرْن فى الآفاق
وتخيَّرْتُ حليهنَّ فلم يعـــدُ خيار النحور والأعناق (٣)
وقطعتُ الشبابَ فيه إلى أن همَّ بُرْدُ الشباب بالاخلاق (٤)
فهوَ مثلُ المدامِ بين صَفاء وبهاء ونفحةٍ ومذاق
منطق يُخجِلُ الرَّبيعَ إذا حلَّ عليه السحابُ عقدَ نِطاقِ
ياهلالَ الآداب يا ابن هلالٍ صرَفَ اللهُ عنكَ صرْفَ المحاق!
سوف أُهدِى إليك من خدَم المجـــد إماء تعاف قُبْحَ الاباق
كلَّ مطبوعةٍ على اسمك بادٍ وَسْمُها فى الجباه والآماقِ

وما اشتملت عليه هذه القصيدة وما قبلها من الرقة والانسجام وحسن الأسلوب وجودة السبك يمهد العذر فى الاطالة بهما ، مع ما فيهما من التزيد من السرى وكثرة التشنيع على الخالديين وسلبهما من التحلى بالآداب ، إذ مقامهما

(١) فى اليتيمة «تحت تثني لوائها الخفاق»
(٢) فى اليتيمة «للخدود السمر»
(٣) فى اليتيمة «فلم تعد»
(٤) الاخلاق ـ بكسر الهمزة ـ مصدر «أخلق الثوب» أى بلى ورث

فيه مشهور، ومحلهما منه على الألسنة مشكور ومذكور، وناهيك بأبي إسحاق الصابي نقداً للأدب، وقد قال فيهما مادحا [من الطويل]:

أرَى الشاعِرَيْنِ الخالدِيَّيْنِ سيَّرا ... قصائد يَفْنى الدَّهرُ وَهْيَ تخلَّدُ
جواهِرَ من أبكار لفظ وعُونِهِ ... يُقصِّرُ عنها راجزٌ ومُقصِّدُ
تنازَعَ قومٌ فيهما وتناقضوا ... ومرَّ جِدالٌ بينهم يتردَّدُ
فطائفة قالت: سعيدٌ مقدَّمٌ ... وطائفة قالت لهم: بل محمدُ
وصاروا إلى حُكمى فأصلحتُ بينهم ... وما قلتُ إلا بالتى هى أرْشَدُ
هُما فى اجتماع الفضلِ زَوْجٌ مؤلف ... ومعناهما من حيث يثبت مفردُ
كذَا فرْقدَا الظلماء لما تشاكلا ... علاَ أشكلاَ هل ذاك أم ذاك أحمدُ
فزَوْجهُما ما مثله فى اتِّفاقِهِ ... وفرْدُهما بين الكواكب أوْحدُ
فقاموا على صلحٍ وقالوا جميعهم: ... رَضينا، وساوى فرْقدَا الأرضِ فرْقدُ

وما أحسن وأعدل هذه الحكومة من أبى إسحاق، فمانهما إلا محسن ينظم فى سلك الابداع ما فاق وراق، ويكاثر ببدائعه ومحاسنه الأفراد من الشام والعراق وقد مر فى أثناء هذا المؤلف من بديع عجائبهما، ورفيع صنائعهما، ما يحق له أن يكتب بالنضار واللجين [١]، على آماق العين.

ترجمة معن ابن أوس

ومعن هو [٢] ابن أوس بن نصر بن زيادة [٣] بن أسحم، ينتهى نسبه إلى مزينة، وهى امرأة، وأبوها كلب بن وبرة، وأبو بنى مزينة عمرو بن أدبن طابخة ابن إلياس بن مضر بن نزار، وهو شاعر مجيد فحل، من مخضرمى الجاهلية

---

(١) النضار ـ بضم النون، بزنة الغراب ـ الذهب. واللجين ـ بصورة المصغر ـ الفضة

(٢) تجد لمعن بن أوس ترجمة فى الأغانى (١٠ ـ ١٦٤ بلاق)

(٣) فى الأغانى «بن زياد» بغير تاء

والاسلام ، وله مدائح فى جميع (١) أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم ، وقد وفد على عمر بن الخطاب رضى الله عنه مستعينا به على بعض أمره ، وخاطبه بقصيدته التى أولها [من الطويل] :

تأوَّبهُ طيفٌ بذات الجراثم فنامَ رفيقاه وليس بنائم (٢)

وعُمرَّ بعد ذلك إلى أيام الفتنة بين عبد الله بن الزبير وبين مروان بن الحكم

وحدث محجن الخزاعى قال : كان معاوية يفَضِّل مزينة فى الشعر ، ويقول: كان أشعر الجاهلية منهم وهو زهير وكان أشعر أهل الاسلام منهم وهو ابنه كعب ومعن بن أوس .

وحدث العتبي قال : كان معن بن أوس مِئْناثاً (٣) ، وكان يحسن صحبه بناته وتربيتهن ، فولد لبعض عشيرته بنت ، فكرهها ، وأظهر جزعا من ذلك ، فقال معن (٤) [من الطويل] :

رَأيتُ رجالاً يَكرَهونَ بناتِهمْ وفيهنَّ لا تُكذَبْ نساءٌ صَوالحُ
وَفيهنَّ والأيام تعثرُ بالفتى نَوَادِبُ لا يَمللنهُ وَنَوائِحُ

وحدّث [أبو](٥) سعيد بن عمرو الزبيدى ، قال : كانت لمعن بن أوس امرأة يقال لها ثور ، وكان لها محبا ، وكانت حضرية نشأت فى الشام ، وكانت فى معن أعرابية ولُوثة ، فكانت تضحك من عجرْفته ، فسافر إلى الشام فى بعض أعوامه

(١) فى الأغانى «وله مدائح فى جماعة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم»

(٢) فى الأصول « بذات الحرائم » وأثبتنا مافى الأغانى والديوان المطبوع بمصر (ص ٣٠) وقد روى فى الديوان هذا البيت مطلع قصيدة فى مدح عاصم ابن عمر بن الخطاب

(٣) مئناث : أى كثير البنات

(٤) اقرأهما فى الأغانى وفى الديوان (ص ٣٩)

(٥) الزيادة عن الأغانى

فضلتِ الرفقة عن الطريق ، وعدلوا عن الماء ، فطووا منزلهم ، وساروا يومهم وليلتهم ، فسقط فرس معن في وجارِ ضبّ : سقطت يده فيه ، فلم يستطع الفرس أن يقوم من شدة العطش حتى حمله الرفقة حملا فأنهضوه ، وجعل معن يقوده ، ويقول (١) [من الرجز] :

لَوْ شهِدَتْنى وجَوادِى ثورُ والرأسُ فيهِ ميَـلٌ ومورُ

* لضحكتْ حتَّى يميلَ الكورُ *

وحدّث العتبىُّ قال : قدم معن بن أوس مكة على ابن الزبير ، فأنزله دار الضيفان ، وكان ينزلها الغرباء وأبناء السبيل والضيفان ، فأقام يومه لم يطعم شيئاً ، حتى إذا كان الليل جاءهم ابن الزبير بتَيْس هرم هزيل ، فقال : كلوا من هذا ، وَهُم نيف وسبعون رجلا ، فغضبَ معن ، وخرَجَ من عنده . فأتى عبد الله ابن عباس ، فقراه وحمله وكساه . ثم أتى عبد الله بن جعفر وحدثه حديثه فأعطاه حتى أرضاه ، وأقام عنده ثلاثة أيام ثم رحل ، وقال يهجو عبد الله بن الزبير ويمدح عبد الله بن جعفر وابن عباس ، رضى الله عنهم (٢) [من الطويل] :

ظللنا بمستنّ الرياح غُدَيّةً إلى أن تعالى اليومُ فى شرّ محضرِ (٣)

لدَى ابن الزبير جالسين بمنزل من الخير والمعروف والرِّفدِ مُقفِرِ (٤)

رَمانَا أبو بكر وقد طالَ يومُنا بتيْس من الشاء الحجازىّ أعفَرِ (٥)

---

(١) ليس هذا الرجز فى ديوان معن

(٢) اقرأ الأبيات فى الديوان (ص٦٩) وهى مع الخبر فى الأغانى

(٣) فى الديوان « إلى أن تعالى الليل » وهى أوفق بالقصة ، ومحضر : أصله مصدر بمعنى الحضور ، وأراد منه القوم الحاضرين معه .

(٤) مقفر : خال ، وهو وصف المنزل

(٥) الشاء : اسم جمع للضأن من الغنم ، والأعفر : الذى لونه العفرة ، وهى لون أبيض تخالط بياضه حمرة

وقالَ اطعموا منـهُ ونحنُ ثلاثة وسبعونَ إنساناً فيالؤمَ مخبرِ
فقلتُ لهُ : لاَ تقرَبنّ فأمامَنا جفانُ ابن عباس العلاَ وابنِ جعفرِ
وكُن آمناً وارْفُقْ بتيسك إنهُ لهُ أعنزٌ ينزو عليها وأبشرِ (١)

وحدّث محمد بن معاوية الأسدى ، قال : قدم معن بن أوس المزنيّ البصرة ، فقعد ينشد فى المربد ، فوقف عليه الفرزدق ، فقال : يا معن ، من الذى يقول [من الوافر] :

لعمركَ ما مزينة رَهطُ معنٍ بأخفافٍ يطأنَ ولاَ سنامِ (٢)

فقال معَن : أتعرف يا فرزدق الذى يقول [من الوافر] :

لَعمرُكَ ما تميمٌ أهلُ فلجٍ بأرْدَاف الملوك ولاَ كِرامِ

فقال له الفرزدق : حسبك ، فإنما جرّبتك . قال : جرّبت وأنت أعلم ، فانصرف وتركه .

وحدّث الأصمعى ، قال : دخلت خضراء روح (٣) ابن حاتم المهلبى ، فاذا أنا برجل من ولده على فاحشة يوما (٤) ، فقلت : قبحك الله ! هذا موضع كان أبوكَ يضرب فيه الأعناق ويعطى اللُّها ، وأنت تفعل فيه ما أرى ، فالتفت إلىَّ من غير أن يزول عنها ، وقال [من الوافر] :

---

(١) وقع فى الديوان «له أعين ينزو عليها» محرفا شنيع التحريف، ووقع فى أصل هذا الكتاب فى آخر هذا البيت « وأبسر » بالسين مهملة ـ وهو تحريف ما أثبتناه عن الأغانى

(٢) وقع فى الأغانى « بأخفاف تطاق » ووقع فى الديوان « بأجفان تطاق ولا سنام »

(٣) فى الأصل « دخلت قصرا روح بن حاتم » وأثبتنا ما فى الأغانى

(٤) فى الأصول « على فاحشة يؤتى » وأثبتنا ما فى الأغانى ، وهو الذى يصلح مع قوله « وأنت تفعل » وقوله بعد « من غير أن يزول »

وَرِثنا المجدَ من آباء صدقٍ أسأنا فى دِيارهم الصنيعا
إذا الحسبُ الرفيعُ توَاكلتهُ بناةُ السوء أوشكَ أن يضيعا(١)

قال : والشعر لمعن بن أوس المزنىّ .

وحدث الحرمازى ، قال : سافر معن بن أوس إلى الشام ، وخلف ابنته ليلى فى جوار عمرو بن أبى سلمة(٢) ، وأمه أمّ سلمة ، رضى الله عنهما ، وفى جوار عاصم ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، فقال له بعض عشيرته : مَنْ خلفت على ابنتك ليلى بالحجاز ، وهى صبية ، ليس لها من يكفلها ؟ فقال معن(٣) له : [من الطويل] :

لعمركَ ما ليلى بِدار مضيعةٍ وَما شيخها إنْ غاب عنها بخائفِ
وإنّ لها جارَين لنْ يغدرا بها رَبيبَ النبىّ وابنَ خيرِ الخلائفِ

وحدّث عبد الملك بن هشام ، قال : قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده عدّة من أهل بيته وولده : ليقل كل واحد منكم أحسن شعر سمع به ، فذكروا لامرىء القيس ، والأعشى ، وطَرَفَةَ ، فأكثروا حتى أتوا على محاسن ما قالوا ، فقال عبد الملك : أشعرهم والله الذى يقول(٤) [من الطويل] :

وَذى رَحم قَلّمتُ أظفارَ ضِغْنهِ بحلمىَ عنه ، وهو ليسَ له حِلمُ
إذَا سُمْتهُ وصل القرَابة سامنى قطيعتها ، تلكَ السفاهةُ والظلمُ(٥)

---

(١) وقع فى الأصول وفى الأغانى « بنات السوء » بالتاء المفتوحة وهو فى شعر معن « بناة » على أنه جمع بان جمع تكسير كغزاة ورماة وقضاة .

(٢) فى الأصل « عمر بن أبى سلمة » وأثبتنا ما فى الأغانى

(٣) البيتان فى الديوان (ص٥٦)

(٤) الأبيات فى الديوان ضمن قصيدة (ص ١) وهذه الأبيات ليست متصلة هناك

(٥) فى الديوان « تلك السفاهة والاثم » وفى الأغانى مثل ما هنا

فأسعى لكى أبنى ويهدم صالحى ... وليس الذى يبنى كمن شأنه الهدم (١)
يحاول رغمى لا يحاول غيره ... وكالموت عندى أن ينال له رغم (٢)
فما زلت فى لين له وتعطف ... عليه كما تحنو على الولد الأم
لأستل منه الضغن حتى سللته ... وإن كان ذا ضغن يضيق به الحلم

قالوا : ومن قائلها يا أمير المؤمنين ؟ قال : معن بن أوس المزنى .

وحدث سليمان بن عياش (٣) السعدى عن أبيه ، قال : خرج معن بن أوس المزنى إلى البصرة ليمتار منها ويبيع إبلاً له ، فلما قدمها نزل بقوم من عشيرته ، فتولت ضيافته امرأة منهم يقال لها : ليلى ، وكانت ذات جمال ويسار فخطبها فأجابته ، فتزوجها ، وأقام عندها حولا فى أنعم عيش ، فقال لها بعد حول : يا ابنة عم ، إنى قد تركت ضيعة لى ضائعة ، فلو أذنت لى فأتيت أهلى ورأبت مالى (٤) فقالت : كم تقيم ؟ قال : سنة ، فأذنت له ، فأتى أهله ، فأقام عندهم وأزمن عنها -أى طال مقامه- فلما أبطأ عليها رحلت إلى المدينة ، فسألت عنه ، فقيل لها : إنه بعمق ، وهو ماء لمزينة ، فخرجت حتى إذا كانت قريباً من عمق ، نزلت منزلا ، وأقبل معن فى طلب ذود له قد أضلها ، وعليه مدرعة من صوف وبت من صوف أخضر -قال : والبت الطيلسان- وعمامة غليظة . فلما رفع له القوم مال إليهم ليستسق ، ومع ليلى ابن عم لها ، ومولى من مواليها جالس أمام خباء له . فقال له معن : هل من ماء ؟ قال : نعم ، وإن شئت سويقاً ، وإن شئت

---

(١) صدر هذا البيت فى الديوان «فيسعى إذا أبنى ليهدم صالحى» وهى خير مما هنا وفى الأغانى

(٢) حفظى فى عجز هذا البيت «وكالموت عندى أن يحل به الرغم»

(٣) فى الأغانى «سليمان بن عباس السعدى»

(٤) رأبت -بالباء الموحدة- أصلحت ولعل أصله «رأيت مالى» مع أن لما هنا معنى جيدا ، ووقع فى الأغانى «وزممت من مالى»

لبناً ، فأناخ معن ، وصاح مولى ليلى : يا منهلة : وكانت منهلة وصيفة : تقوم على معن عندهم بالبصرة . فلما أتته بالقدح وعرفها وحسر عن وجهه ليشرب عرفته وأثبتته ، فتركت القدح فى يده وأقبلت مسرعة إلى مولاتها . فقالت : يا مولاتى هذا والله معن ، إلا أنه فى جُبة صوف وبتّ صوف . فقالت : هو والله عيشهم الحق مولاى ، فقولى له : هـذا معن فاحبسه ، فخرجت الوصيفة مسرعة له ، فأخبرت المولى ، فوضع معن القدح من يده ، وقال : دعنى حتى ألقاها فى غـير هذا الزىّ ، فقالت لهُ : لست بارحاً حتى تدخل عليها . فلما رأته قالت : أهذا العيش الذى نزعت إليه يا معن ؟ قال : إى والله يا ابنة عم ، أما إنك لو أقمت إلى أيام الربيع حتى ينبت البلد الْخُزَامى والرُّخَامى والسَّخْبَرَ والكمأةُ لأصبت عيشاً طيباً ، فغسلت رأسه وجسده وألبسته ثياباً لينة وطيبته وأقام معها ليلته أجمع يحدثها(١) . ثم غدا متقدما بها إلى عمق ، حتى أعدّ لها طعاما ، ونحر ناقة وغنما ، وقدمت على الحىّ ، فلم يبق فيهم امرأة إلا أتتها وسلمت عليها ، فلم تدع منهنّ امرأة إلا وصلتها . وكانت لمعن امرأة بعمق يقال لها أمّ حقة ، فقالت لمعن : هذه والله خير لك منى فطلقنى . وكانت قد حمات ، فدخله من ذلك همٌّ وقام ، ثم إن ليلى رحلت إلى مكة المشرفة حاجةً ومعن معها ، فلما فرغا من حجهما انصرفا فلما حاذيا منعرج الطريق قال معن : يا ليلى كأن فؤادى يعرّج إلى ماهنا(٢) ، فلو أقمت سنتنا هذه حتى نحج من قابل ثم نرحل إلى البصرة ، فقالت : ما أنا ببارحة مكانى حتى ترحل معى إلى البصرة أو تطلقنى ، فقال : أما إذ ذكرت الطلاق

---

(١) فى الأصول «يهرجها» وأثبتنا ما فى الأغانى ، إذ كانت هذه الترجمة مأخوذة عنه بحروفها .

(٢) فى الأغانى «كأن الفؤادى ينعرجن إلى هنا» وأكبر الظن أنه محرف عما ثبت فى أصول هذا الكتاب

فأنت طالق ، فمضت إلى البصرة ومضى إلى عمق ، فلما فارقته ندم على ذلك وتبعتها نفسه ، فقال في ذلك(١) [من الطويل] :

توهَّمْتُ رَبْعًا بالمعبَّرِ واضحا أبَتْ قرَّتاه اليوم إلا تَرَاوحا

أربَّتْ عليه رأدة حضرمية ومرتجز قد كان فيه المضابحا(٢)

إذا هي حلت كرْبلاء فلعلعاً فجوزَ العذيب دُونها فالنوائحا(٣)

وبانتْ نواها منْ نواك وطاوعتْ

مع الشانئين الشامتات الكواشحا(٤)

فقولا لليلى هل تعوِّضُ نادماً له رجعةً قال الطلاق ممازحاً

فإنْ هي قالتْ لا فقولا لها بلى ألاَ تتقين الجارياتِ الذوابحا(٥)

وهي طويلة .

ولما انصرف وليست ليلى معه ، قالت له امرأته أم حقة : ما فعلَت ليلى ؟ قال : طلقتها ، قالَت : والله لو كان فيك خير ما فعلت ذلك ، فطلقني أنا أيضاً فقال لها معن [من الوافر] :

أعاذلَ أقصرِي ودَعي بَتاتي فإنكِ ذاتُ لو مات حماتِ(٦)

---

(١) الأبيات في الديوان « ص٧٧»

(٢) في الديوان «أربت عليها» وفي الأغاني «أريت عليها» وفي الأصل « كأن فيه المصالحا » وأثبتنا مافي الأغاني والديوان

(٣) في الأصل « فحوز العذيب » بالحاء مهملة ، وأثبتنا في هذه الكلمة مافي الديوان والأغاني وفيهما « بعدها » في مكان «دونها»

(٤) في الأغاني والديوان « مع الشاميين الشامتين الكواشحا » وما هنا أحسن

(٥) في الأغاني والديوان «ألاتتقين الحادثات الذوابحا» وهي بمعنى ماهنا

(٦) في الأغاني والديوان «ودعي بياتي» وأحسب أن ماهنا خير . والبتات: الطلاق ، والبيات : الغارة على الأعداء ليلا ، وأراد بلومات حمات شديدة

وإنَّ الصبحَ مُنتظرٌ قريب   وإنك بالملامة لن تفَانى
نأت لبلى فليلى لنْ تُواتى   وضنتْ بالمودّة والثباتِ(١)
وحلّتْ دارُها سفْوانَ بعدى   فذا قارٍ فمنحرفَ الفراتِ(٢)
تُراعى الريف دائبةً عليها   ظلالُ اللف مختلط النباتِ(٣)
فَدَعها أوْ تناولها بِعنسٍ   من العيدىّ فى قُلُصٍ شحاتِ(٤)

وقال أيضا فى مطالبة أم حقة له بالطلاق [من الطويل] :

كأن لم يكن يا أمّ حقة قبل ذا   بميطان مصطافٌ لنا ومرابعُ
وإذ نحن فى عصر الشباب وقد عفا   بنا الآن إلا أن يعوّض جازعُ(٥)
فقدْ أنكرته أمُّ حقةَ حادثاً   وأنكرها ماشئتَ والودُّ خادعُ
ولوْ آذنتنا أمُّ حقةِ إذنباً   شبابٌ وإذلما تَرُعنا الرّوائعُ(٦)
لقلنا لها بينى بِليل حميدةً   كذاكَ بلا ذمٍ تؤدّى الودائعُ(٧)

ومر عبدالله بن عباس بمعن بن أوس وقد كف بصره ، فقال له : يامعن ، كيف حالك ؟ فقال له : ضعف بصرى ، وكثر عيالى ، وغلبنى الدين ، قال :

---

(١) فى الأغانى «وليلى لاتواتى»
(٢) فى الأغانى «بمنخرق الفرات»
(٣) فى الأغانى روى هذا البيت هكذا :
تراعى الريف دانية عليها   ظلال أنف مختلط النبات
(٤) روى هذا البيت فى الأغانى :
فدعها أو تناولها بعس   من العودى فى قلص سحات
(٥) في الأغانى «غصن الشباب» وفيه «نعوض جارع»
(٦) فى الأصل « وإذ لما تروع الروائع » وأثبتنا ما فى الأغانى
(٧) فى الأغانى «تؤدى الصنائع»

وكم دينك؟ قال : عشرة آلاف درهم ، فبعث بها إليه ، ثم مر به من الغد ، فقال له : كيف أصبحت يامعن ؟ فقال [من الطويل] :

أخذتُ بعين المال حتى نهكتُه   وبالدّين حتى ما أكاد أُدانُ
وحتى سألتُ القرض عند ذوى الغنى   وردّ فلانٌ حاجتى وفُلانُ

فقال له عبدالله : الله المستعان ، إنا بعثنا لك بالأمس لقمة فمالكتها حتى انتزعت من يدك ، قال : فأى شىء للأهل والقرابة والجيران ؟ فبعث إليه بعشرة آلاف درهم أخرى ، فقال معن يمدحه [من الطويل] :

وإنك فرعٌ من قُريش وإنما   تمجّ النّدى منها البحورُ الفوارعُ
ثَوَوْا قادة للناس ، بطحاء مكة   لهم ، وسقاياتُ الحجيج الدوافعُ
فلما دُعُوا للموت لم تبك منهم   على حادثِ الدّهْرِ العيونُ الدوامعُ

ومن شعره أيضاً قوله [من مجزوء الخفيف] :

رُبما خُيِّرَ الفتى   وَهْوَ للخير كارهُ

* * *

شاهد حسن الاتباع

١٨٥ ـ مَنْ رَاقبَ الناسَ لَمْ يَظْفَرْ بحاجته   وفاز بالطيباتِ الفاتكُ اللهج

* * *

١٨٦ ـ مَنْ راقب النـاس ماتَ غماً   وفاز باللذةِ الجَسُورُ

البيت الأول لبشار بن برد من أبيات(١) من البسيط منها :

لو كنتِ تلقَيْنَ ماتلقى قسمْتِ لنا   يوماً نعيشُ به فيكُمْ ونبتهجُ
لا خيرَ فى العيش إن دُمنا كذا أبداً   لا نلتقى وسبيلُ الملتقى نَهَجُ

---

(١) روى فى المختار من شعر بشار بيتين أولهما بيت الشاهد وثانيهما ثالث هذه الأبيات بتغيير سنذكره

قالوا حرَام تلاقينـا فقلتُ لهم ... مافى التلاَقى ولا فى غيره حرجٌ(١)

وبعده البيت ، وبعده :

أشكو إلى الله همًّا لايفارقنى ... وشرًّا على فؤادى الدَّهرَ تعتلجُ

والفاتك اللهج : الجرىء الشجاع الذى له ولوع بالقتل

والبيت الثانى لسَلْم الخاسر من أبيات من مخلع البسيط أولها :

بانَ شبابى فما يحورُ ... وطالَ من ليلِىَ القصيرُ

أهدى لى الشوق وهو خلوٌ ... أغنُّ فى طرفهِ فتُورُ

وقائل حين شبَّ وَجدِى ... واشتعلَ المضمرُ السَّتيرُ

لو شئت أسلاكَ عن هواهُ ... قلبٌ لأشجانه ذكُور

فقلتُ لا تعجلَنْ بلومى ... فانمـا يُنبِىء الخبيرُ

عذَّبنى والهوى صغيرٌ ... فـكيفَ بى والهوى كبيرُ

وبعده البيت

ووقفت فى الدر الفريد على بيتين من مديحها وهما :

كأنهُ والقنا دَوَانٍ ... يومٌ على ليلةٍ مغيرُ

يُريكَ تحتَ العجاج وجها ... يضلُّ فى نوره البصيرُ

والجسور : الشديد الجراءة

والشاهد فيهما : حسن أخذ الثانى من الأول ، ويسمى حسن الاتباع ، فان بيت سَلم أجود سبكا ، وأخصر لفظا

حدَّث أحمد بن صالح قال : لما بلغ بيت سَلم الخاسر بشاراً غضب وأشط

---

(١) روى هذا البيت فى المختار هكذا :

قالوا حرام تلاقينا ، لقد كذبوا ... مافى التزام ولا في قبلة حرج

وحلف لايدخل إليه ولا يفيده ولا ينفعه مادام حيا ، فاستشفع سلم إليه بكل صديق له وكل من يشتمل عليه رده ، فكاموه فيه ، فقال : أدخلوه ، فاستدناه ثم قال : ياسلم من الذى يقول :

* من راقب الناسَ لم يظفر بحاجته *

قال : أنت يا أبا معاذ جعلنى الله فداك ، قال : فمن الذى يقول :

* من راقبَ الناسَ مات غما *

قال : تلميذك وخِرِّيجك وعبدك يا أبا معاذ ، فاجتذبه إليه وقَنَّعه بمخصرة كانت فى يده ثلاثا ، وهو يقول : لا أعود يا أبا معاذ إلى ماتنكره ، ولا آتى شيئاً تذمه ، إنما أنا عبدك وصنيعك ، وهو يقول له : يا فاسق ، أتتجرأ على معنى سهرت له عينى وتعب فيه فكرى وسبقتُ الناس إليه فتسرقه ثم تختصر لفظاً تقربه به لتزرى على وتذهب بيتى ؟ وهو يحلف له أن لا يعود ، والجماعة يسألونه ، فبعد جهد ما شفعهم فيه وكف عن ضربه ، ثم رجع له ورضى عنه

وحدث أبومعاذ النميرى ، قال : لما قال بشار بيته « من راقب الناس إلخ » قيل له : يا أبا معاذ ، قد قال سلم بيتا هو أحسن وأخف على الألسن من بيتك هذا قال : وما هو ؟ فأنشد بيت سلم هذا ، فقال بشار : ذهب والله بيتنا ، أما والله وددت أنه ينتمى فى غير ولاء أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وأنى أغرم ألف دينار ، محبة منى لهتك عرضه وأعراض مواليه ، قال : فقيل له : ما أخرج هذا القول منك إلا غم ، قال : أجل ، فوالله لاطعمت اليوم طعاما ولاصمت

ومن حسن الاتباع قول ابن نباتة السعدى [من الطويل] :

من شواهد حسن الاتباع

خلقنَا بأطراف القنا فى ظهُورهم عيوناً لها وقعُ السيوف حواجبُ

فانه أحسن اتباع قول بعضهم [من الطويل] :

خلقنا لهم فى كلِّ عين وحاجب بسُمر القناوالبيض عيناً وحاجبا

فبيت ابن نباتة أبلغ لاختصاصه بزيادة معنى وهو الاشارة إلى انهزامهم ، حيث أوقع الطعن والضرب على ظهورهم

ومن الشواهد الحسنة على حسن الاتباع قول منصور النميرى فى زينب أخت الحجاج وأترابها ، وهو [من الطويل] :

وهُنَّ اللواتى إن بَرَزْنَ قتلننى ... وإن غِبن قَطَّعن الحشى حسراتِ

فأحسن اتباعه ابن الرومى بقوله [من الكامل] :

ويلاه إن نَظَرت وإن هى أعرضت ... وقعُ السهام ونزعهن أليم

وقول البحترى [من الكامل] :

أخجلتنى بِنَدَى يديك فسوّدت ... ما بيننا تلكَ اليدُ البيضاءُ

صِلة غدت فى الناس وهىَ قطيعةٌ ... عجبٌ ، وبرٌّ راح وهو جفاءُ

فأحسن أبو العلاء المعرى اتباعه فقال [من البسيط] :

لو اختَصَرتم من الاحسان زرتكمُ ... والعذبُ يُهجَر للافراط فى الخَصَرِ

لأنه استوعب معنى البيتين فى صدر بيته ، وأخرج العجز مخرج المثل السائر مع الايجاز والايضاح وحسن البيان

وقول عنترة العبسى [من الكامل] :

إنى امرؤ من خير عبسٍ منصباً ... شَطْرِى ، وأحمى سائرى بالمُنْصُلِ

فأحسن اتباعه الفقيه منصور المصرى فى شريف سبه وكان شرفه من جهة أبيه دون أمه ، فقال [من المجتث] :

من فاتنى بأبيه ... ولم يفُتنى بأمه

ورامَ شتمىَ جهلا ... سكتُّ عن نصف شتمه

وحسن الأخذ فيهما ظاهر لا يخفى

ولمؤلفه فى عكس هذا [من مجزوء الرجز] :

من فاتَنَا بأمه ولم يَفُتنا بأبه
سكتُ عن جليه وقولُنا فى المُشتبه

وفى معنى البيتين الأولين قول بعضهم [من الوافر] :

لقد نِلتَ المفاخرَ من قُريش كما نلتَ الرذلة من نمار
فنصفُكَ كاملٌ لاعيبَ فيه ونصفُكَ كاملٌ من كل عار

وقول ابن الرومى [من الطويل] :

تخذتكمُ درعا حصينا لتدفعوا نبالَ العدى عنى فكنتم نِصالَهَا
وقد كنتُ أرجو منكم خير ناصر على حين خذلانِ اليمين شمالَهَا
فان كنتمُ لا تحفظُون مودتى ذِماماً فكونوا لا عليها ولا لهَا
قفوا وقفة المعذور عنى بمعزِل وخلُّوا نِبالى للعِدَى ونبالَهَا

فأحسن ابن سناء الملك اتباعه بقوله [من الكامل] :

أعددتكم لدفاع كلَّ مُلمة عوناً فكنتم عون كل ملمةِ
وتخذتكم لى جُنّةً فكأنما نظر العدوّ مقاتلى من جُنتى
فلأ نفضَنَّ يدىَّ يأساً منكم نَفْضَ الأنامل من تراب الميت

وقال ابن الرومى [من البسيط] :

سد السَّداد فمى عما يريبكمُ لكن فمُ الحال منى غير مسدود

فأحسن ابن أبى الاصبع اتباعه فقال [من الكامل] :

هَبنى سكت أما لسانُ ضرورتى أهجى لكلٌ مقصرٍ من منطقى

وقول سُليك بن سُلكة [من الطويل] :

تبسمُ عن ألمى اللثات مُفلج خليقِ الثنايا بالعذُوبة والبردِ

وما ذقته إلا بعينى تفرُّساً كما شِيمَ ماء فى السحابة من بُعْدِ

وقال نُصَيب [من الطويل]:

كأن على أنيابها الخمرَ شجَّها بماء النَّدى فى آخر الليل غابقُ

وما ذقتُه إلا بعينى تفرُّساً كما شِيمَ فى أعلى السحابه بارقُ

وأحسن بشار اتباعهما بإيجازه فقال [من البسيط]:

يا أطيب الناس ريقاً غير مُختبِرٍ إلا شهادةَ أطراف المساويكِ

وقد تلاعب الشعراء بهذا المعنى، فمنه قول ابن الرومى [من الطويل]:

وما سرُّ عيدان الأراك بريقها تداولها فى أيكها تتهصَّرُ

لئن عدمت سقيا الثرى إن ريقها لأعذبُ من هاتيك سقياً وأخصَرُ

وما ذقتُه إلا بشَيْمِ ابتسامها وكم مَخْبَرٍ يبديه للعين مَنظرُ

بدالى وميضٌ شاهد أن صوْبه عريضٌ وما عندى سوى ذاك مُخْبِرُ

وقول أحمد بن إبراهيم الكاتب [من الخفيف]:

فمتى ترشفى سواكَ أراكٍ يطلِ المسك نشرُ ذاك السِّواكِ

بأبى ثغرُكِ النقىُّ الذى نمّتْ على طيبه فروعُ الأراكِ

وقول بعضهم [من المتقارب]:

وثغرٍ لها طيبٌ واضحٌ لذيذ المقبَّلِ والمبتَسَمْ

وما ذقته غير ظنى بهِ وبالظنِّ يقضى على ما اكتتم

وقول المتوكل الليثى [من الوافر]:

كأن مُدامة صهباء صِرفاً تُصفَّق بين راووق ودَنٍّ

تُعَلُّ بها ثنايا أم سلمى فراسة مُقلتى وصحيحُ ظنى

وما أعذب قول الشهاب محمود من قصيدة [من الكامل]:

ياظبية تخشى إذا نظرت فتكات سود لحاظها الأسد
إن قلت ريقك خمرة شهدت قضب الأراك بأنه شهد

وقول البهاء زهير [من الطويل] :

وتبسم عن ثغر يقولون إنه حباب على صهباء كالمسك تنفح
وقد شهد المسواك عندى بطيبه ولم أر عدلا وهو سكران يطفح

وقول السموأل بن عادياء اليهودى [من الطويل] :

يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول

وقال أبو الطيب [من البسيط]

* أفناهم الصبر إذ أبقاهم الجزع *

وقال الأسود بن يعفر [من الكامل] :

يسعى بها ذو تومين كأنما قنأت أنامله من الفرصاد

فأحسن أبو نواس اتباعه بزيادة من المحاسن فقال [من السريع] :

تبكى فتذرى الدر من نرجس وتلطم الورد بعناب

وتقدم ذكره فى شواهد التشبيه

وقال أبو تمام يصف قصائده [من الطويل] :

يراها عيانا من يراها بسمعه ويدنو إليها ذو الحجى وهو شاسع
يود وداداً أن أعضاء جسمه إذا أنشدت شوقا إليها مسامع

وقال الأخطل يصف بعض القيان (١) [من المنسرح] :

جاءت بوجه كأنه قمر على قوام كأنه غصن

---

(١) القيان : جمع قينة ، وهى الأمة المغنية .

حتى إذا ما استوت بمجلسها وصار فى حجرها لها وثن
غنت فلم تبق فى جارحة إلا تمنت أنها أذن

والمرقص المطرب فى هذا المعنى قول الشيخ شرف الدين بن الفارض [من الطويل]

إذا ما بدت ليلى فكلى أعين وإن هى ناجتنى فكلى مسامع

وقال مسلم بن الوليد [من البسيط] :

تجرى محبتها فى قلب عاشقها مجرى المعافاة فى أعضاء منتكس

فأحسن أبو نواس اتباعه فقال [من المديد] :

فتمشت فى مفاصلهم كتمشى البرء فى السقم

وجميع ذلك مأخوذ من قول بعض ملوك اليمن [من الكامل] :

منع البقاء تقلب الشمس وطلوعها من حيث لا تمسى
تجرى على كبد السماء كما يجرى حمام الموت فى النفس

وقد مر طرف من هذا المعنى فى ترجمة أبى نواس فى أوائل الفن الأول

وحدث أبو بكر ابن هارون بن عبد الله المهلبى ، قال : كنا فى حلقة دعبل الشاعر ، فجرى ذكر أبى تمام ، فقال دعبل : كان يتبع معانى فيأخذها ، فقال له رجل فى مجلسه : ما من ذاك أعزك الله ؟ فقال : قلت [من الطويل] :

وإن امرأ أسدى إلى بشافع إليه ويرجو الشكر منى لأحمق

فأخذه أبو تمام فقال [من الكامل] :

وإذا امرؤ أسدى إليك صنيعة من جاهه فكأنها من ماله

فقال الرجل : أحسن والله ، فقال دعبل : كذبت والله ، قبحك الله ! فقال الرجل : إن كان سبقك بهذا المعنى وتبعته فما أحسنت ، وإن كان أخذه منك لقد أجاد فصار أولى ببيتك فى الحالتين ، فنضب دعبل وقام .

وقد أخذ ابن قلاقس هذا المعنى فقال [من الكامل] :

وإذا امرؤ أسدى إليك بشافع خيراً فذاك الخيرُ خيرُ الشافعِ

ولا يعرف للمتقدمين معنى شريف إلا نازعهم إياه المتأخرون ، وطلبوا الشركة معهم فيه ، إلا قول عنترة [من الكامل] :

وخَلاَ الذُّبابُ بها فليس ببارحٍ غَرِداً كفعلِ الشارب المُترنّمِ

هَزِجاً يحكُّ ذراعَه بذراعِهِ قَدْحَ المكبِّ على الزناد الأجذمِ

وقال الجاحظ : نظرنا فى الشعر القديم والحديث فوجدنا المعانى تقلب ويؤخذ بعضها من بعض ، غير قول عنترة فى الأوائل ، وأنشد البيتين ، وغير قول أبى نواس فى المحدثين [من الطويل] :

تُدَارُ علينا الرّاح فى عَسْجَدِيَّةٍ حَبَتْهَا بأنْواع التصاوير فارسُ

قَرَارَتُها كِسْرَى وفى جنباتها مَهًا تَدَّرِيهَا بالقِسِىِّ الفوارسُ

فللرَّاحِ ما زُرَّتْ عليه جُيُوبُهَا وللماء ما دارتْ عليه القَلاَنِسُ

فانه أراد بالعسجدية كؤوسا مذهبة فيها صور منقوشة ، وهى صورة كسرى ، وصور المها والفوارس ، ومعنى البيت الأخير منها أن حدَّ الخمر من هذه الصور التى فى الكؤوس إلى التراقى والنحور ، وأنها مزجت بالماء فانتهى المزاج فيها إلى مافوق رؤوسها ، وقد يكون الْحَبَابُ هو الذى انتهى إلى ذلك الموضع لما مزجت فأزبدت ، والمعنى الأول أبدع ، وفائدته معرفة حدها صرفاً من حدها ممزوجة ، وزعم بعضهم أن أبا نواس اهتدى إليه من قول امرئ القيس [من الطويل] :

فلما استَطَابُوا صَبَّ فى الصحن نصفَه ووافَوْا بماءٍ غير طَرْقٍ ولا كَدِرْ

جعل الماء والشراب قسمين ، فتسلّق أبو نواس عليه وأخفاه بما شغل به الكلام من ذكر الصور .

وذكرت بأبيات أبى نواس هذه تضمين أبى الحسين الجزار لها فى يوم نوروز

وكتب به إلى بعض أصحابه ناقلا المعنى من وصف الكأس المصورة إلى وصف الصفاع يوم النوروز ناقلا الراح من اسم الخمر إلى جمع راحة ، وهى اليد ، وهو [من الطويل] :

كَتبتُ بها فى يوم لَهْوٍ وهامَتى تمارسُ من أبطالهِ ما تمارِسُ
وعندى رجالٌ للمُجُون تَرَجّلَتْ عمائمُهُمْ عن هامهم والطَّيالِسُ
فللراحِ ما زرَّتْ عليه جيوبها وللماء ما دارت عليه القلانسُ
مساحِبُ من جرِّ الزقاقِ على الصفَا وأضغاثُ أنطاعٍ جنىٌّ ويابسُ

وما زال العلماء بالشعر وجهابذة المعانى يرون أن قول عنترة السابق أوحد فَرْدٌ ويتيمٌ فَذٌّ ، وأنه من المعانى العُقْم التى لا تولد ، على أن ابن الرومى قد تعلق بذيله فى معنى البيت الأول وزاد عليه بقوله [من الطويل] :

إذا ارتفعت شمسُ الأصيل ونَفَّضَتْ على الأفقِ الغربىِّ وَرْساً مذعذعا
وودَّعتِ الدنيا لتقضى نَحْبَها وشوَّل باقى عُمْرِها فتشعشعا
ولاحظتِ النوَّارَ وهى مريضةٌ وقد وضعتْ خدًّا إلى الأرض أضرعا
كما لاحظت عوَّادَها عينُ مُدْنَفٍ توجّعَ من أوصابها ما توجعا
وبين إغضاء الفراق عليهما كأنهما خِلّا صفاءٍ تودَّعا
وقد ضَرَبَتْ فى خُضْرةِ الروض صُفْرَةٌ من الشمس فاخضرَّ اخضرارًا مُشَعْشَعا
وظلَّتْ عيونُ الروض تخضلُ بالندى كما اغْرَوْرقتْ عينُ الشجىِّ لتدمعا
وأذكى نسيمُ الرَّوض رَيْعانَ ظلهِ وغَنَّى مغنّى الطيرِ فيه فرجَّعا
وغرَّدَ ربعىُّ الذباب خلاله كما حَثْحَثَ النشوان صنجاً مشرَّعا
فكانت أرانينُ الذباب هناكم على شدَوات الطير ضَرْباً مُوَقَّعا

وقال أبو محمد عبد المجيد بن عبدون [من البسيط] :

ساروا ومسكُ الدياجى غيرُ منهوبِ وطُرَّةُ الشرق غُفْلٌ غير تذهيبِ
على رُباً لم يزَلْ شادى الذباب بها يلهى بآنق ملفوظ ومضروبِ
كالغيد فى قُبَبِ الأزهار أذرعه قامتْ له بالمثانى والمضاريبِ

وقال أبو بكر بن سعيد البطليوسى [من الطويل] :

كأن أهازيجَ الذبابِ أساقِفٌ لها من أزاهير الرياض محاريبُ

وقال السلامى فى وصف زُنْبُور [من الطويل] :

إذا حكَّ أعلى رأسِهِ فكأنما بسالِفتيه من يديه جوامعُ

وتعرض حازم فى مقصورته لتشبيه عنترة بقوله [من الرجز] :

ألقى ذراعاً فوق أخرى وَحَكَى تكلف الأجذم فى قطعِ السَّنى
كأنَّمَا النورُ الذى يفْرَعُهُ مُقتدِحاً لزنده سَقْطٌ ورَى

فقصر عنه التقصير البين ، وأخل بذكر الاكباب والحك ، ولهما فى هذا التشبيه موقع بديع ، مع التكلف البادى على قوله « تكلف الأجذم فى قطع السنى » ثم رام أن يزيد فيه فقال « كأنما النور — البيت » وقوله « يفرعه » أى يعلوه عند إلقاء ذراعه على الأخرى ، والسقط — مثلث السين — ما يسقط من النار عند القدح .

ولا خفاء فى أن المعانى الشهيرة البارعة الحسن كتشبيه عنترة هذا لا ينبغى أن يتعرض لأخذها متعرض إلا بالزيادة البينة البديعة الموقع ، والعبارة الناصعة السهلة ، حتى يتبين الفضل للثانى على الأول ، والشفوف[1] للآخذ على المأخوذ منه ، وإلا كان فاضحاً لنفسه ، وماسخاً للمعنى الذى تعرض لأخذه

(١) كذا ، ولعله «والتفوق»

ترجمة سلم الخاسر

وسلم الخاسر (١) هو ابن عمرو مولى بنى تَيْم بن مرة (٢) ثم مولى آل أبى بكر الصديق رضوان الله عليه ، وهو شاعر بصرى مطبوع متصرف فى فنون الشعر ، من شعراء الدولة العباسية ، وهو راوية بشار بن برد وتلميذه ، وعنه أخذ ، ومن بحره اغترف ، وعلى مذهبه ونمطه قال الشعر ، ولقب بالخاسر - فيما يقال - لأنه ورث من أبيه مصحفاً فباعه واشترى بثمنه طنبوراً ، وقيل : لأنه لما مات أبوه واقتسم ورّاثه ماله وقع فى قسم سلم مصحف فرده وأخذ مكانه دفاتر شعر كانت عند أبيه فلقب الخاسر لذلك ، وقيل : لأنه ورث عن أبيه مائة ألف درهم فأنفقها على الأدب وبقى لا شىء عنده ، فلقبه الجيران ومن يعرفه سلماً الخاسر ، وقالوا : أنفق ماله على ما لا ينفعه ، ثم مدح المهدى والرشيد وقد كان بلغه اللقب الذى لقب به ، فأمر له بمائة ألف درهم ، وقال له : أكذب بهذا المال جيرانك ، فجاءهم بها وقال لهم : هذه المائة ألف التى أنفقتها ، وربحت الأدب ، فأنا سلم الرابح ، لا سلم الخاسر ، وقيل : إنه لما باع المصحف واشترى بثمنه طنبوراً فكان يقال له : ويلك هل فعل أحد ما فعلت ؟ فيقول : لم أجد شيئاً أسر به به إبليس وهو أقر لعينه من هذا .

وحدث محمد بن عمر الجرجانى قال : كان سلم تلميذ بشار إلا أنه تباعد ما بينهما فكان سلم يقدم أبا العتاهية ويقول : هو أشعر الجن والانس ، إلى أن قال أبو العتاهية يخاطب سلما [من الوافر] :

تعالى الله ياسلْمُ بْنَ عمْرٍو أذلَّ الحرصُ أعناق الرجالِ

(١) لسلم الخاسر ترجمة فى الأغانى (٢١ /٧٣-٨٤ الساسى) وفى مهذب الأغانى (٩ / ٤٥)

(٢) فى الأصول « مولى بنى تميم بن مرة » محرفا ، والذى يوضح تحريفه أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه أحد بنى تيم

هَبِ الدُّنيا تصيرُ إليك عفواً ... أليسَ مصيرُ ذاكَ إلى الزَّوالِ؟

قال : وبلغ الرشيد هذا الشعر فاستحسنه ، وقال : لعمرى لقد صدق ، إن الحرص لمفسدة لأمر الدين والدنيا ، ومافتشت عن حريص قط بعيبة إلا انكشف لى عما أذمه به ، وبلغ ذلك سلما ، فغضب على أبى العتاهية وقال : ويلى على الجرار ابن الفاعلة الزنديق، زعم أنى حريص وقد كنز البِدَرَ ، وهو يطلب ، وأنا فى ثوبىَّ هذين لا أملك غيرهما ، وانحرف عن أبى العتاهية .

وحدث القضاعى أن سلما كتب إلى أبى العتاهية [من السريع] :

ما أقبح التزهيد من واعظٍ ... يزهِّدُ النـاسَ ولا يزهَدُ
لو كان فى تزهيدِهِ صادقاً ... أضحى وأمسى بيتُه المسجدُ
ورَفضَ الدنيا فلم يلقَها ... ولم يكن يَسْعَى ويسترْفِدُ
يخاف أن تَنفَدَ أرزاقُه ... والرزقُ عندَ الله لا يَنْفَدُ
الرزقُ مقسومٌ على مَنْ ترَى ... ينـالُه الأبيضُ والأسودُ
كلٌّ يوفَّى رزْقَه كامـلاً ... من كفَّ عن جهْدٍ ومن يجْهَدُ

وحدث العباس بن عبد الله قال : كنا عند قُثَمَ بن جعفر بن سليمان ، وهو يومئذ أمير البصرة ، وعنده أبو العتاهية ينشد شعره فى الزهد ، فقال لى قثَمُ : يا عباس ، اطلب لى الجماز الساعة حيث كان وجئنى به ، ولك شيء ، فطلبته فوجدته جالسا ناحية عند ركن دار جعفر بن سليمان ، فقلت له : أجب الأمير ، فقام حتى أتى قثمَ فجلس فى ناحية مجلسه ، وأبو العتاهية ينشد ، ثم قام إليه الجماز فواجهه ، وأنشده أبيات سَلْم هذه ، فقال أبو العتاهية: مَنْ هذا أعز الله الأمير؟ قال : هذا الجماز، وهو ابن أخت سلم الخاسر انتصر لخاله حيث تقول له ، وأنشد البيتين السابقين ، قال : فقال أبو العتاهية للجماز : يابن أخى ، إنى لم أذهب فى شعرى الأول حيث ذهب خالك، ولا أردت أن أهتف به، ولا أذهب فى حضورى

وإنشادي حيث ذهب من الحرص على الرزق ، والله يغفر لكما ، ثم قام وانصرف

وحدث أبو محمد اليزيدي أنه حضر مجلس عيسى بن عمرو ، وحضر سلم الخاسر ، فقال له : يا أبا محمد ، اهجني على روي قصيدة امرىء القيس [من المديد]:

رُبَّ رامٍ من بني ثُعَل　　مُخْرِجٍ كفَّيْه من سِتَرِهْ

قال : فقلت له : ماذا دعاك إلى هذا ؟ قال : كذا أريد ، فقلت : أنا وأنت أغنى الناس عما تستدعيه من الشر ، فلنَدَعْكَ العافية ، فقال : إنك لتحتجر غايةَ الاحتجارِ مني ، وأريد أن توهم عيسى أني مفحم لا أقدر على ذلك ، فقال لي عيسى : أسألك يا أبا محمد بحق عليك إلا فعلت ، فقلت [من المديد] :

رُبَّ مغمورٍ بعافيةٍ　　غَمَط النَّعْماء من أَشَرِهْ

وامرئٍ طالت سلامتُه　　فرماه الدهرُ من غِيَرِهْ

بسهامٍ منه مُقْوِيَةٍ　　نَقَضَتْ منه قُوَى مِرَرِهْ

وكذاك الدهرُ مُنْقَلِبٌ　　بالتي حالَيْن من عُصُرِهْ

يخلطُ العُسْرَى بمَيْسَرةٍ　　ويسارَ المرء في عُسُرِهْ

عقَّ سَلْم أمَّهُ صِغَراً　　وأبا سَلْم على كِبَرِهْ

كلَّ يومٍ خلفَهُ رجلٌ　　رامحٌ يسعَى على أثَرِهْ

يولج الغُرْمولَ سُبَّتَهُ　　كولوج الضبِّ في جُحُرِهْ

قال : فاغتم سلم وندم ، وقال : هكذا تكون عاقبة البغي والتعرض للشر ، فضحك عيسى وقال : قد جَهِدَ الرجل أن تدعه وصيانته ودينه ، فأبيت إلا أن يدخلك في حرأمك .

وحدث محمد النوفلي ، قال : كان المهدي يعطي مروان[1] وسلما الخاسر عطية واحدة ، فكان سلم يأتي باب المهدي على البِرْذَوْنِ الفاره قيمته عشرة آلاف درهم بسرج ولجام ، ولباسه الخز والوشي وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان ،

---

(١) يريد مروان بن أبي حفصة ، وسيتمم اسمه في تمام الحديث

ورائحة المسك الطيب والغالية تفوح منه، ويجيء مروان بن أبي حفصة عليه فروٌ كبل وقميص وسراويل وعمامة من كرباس وخف كبل وكساء غليظ ، وهو منتن الرائحة وكان لا يأكل اللحم حتى يقرَمَ إليه بخلا ، فاذا قرم أرسل غلامه فاشترى له رأسا فأكله ، فقال له قائل : أراك لا تأكل إلا الرأس ، قال : نعم ، أعرف سعره فآمن خيانة الغلام ، ولا أشترى لحما فيأكله ويطبخ منه ، والرأس آكل منه ألوانا : آكل من عينيه لونا ، ومن غَلْصَمَتِه لونا ، ومن دماغه لونا .

وحدث الحسن الربيعى، قال : كان سلم الخاسر قد بُلى بالكيمياء ، فكان يذهب بكل شيء له باطلا ، فلما أراد الله عز وجل أن يصنع له عرف أن بباب الشام صاحب كيمياء عجيبا ، وأنه لا يصل له أحد إلا ليلا ، فسأل عنه ، فدلوه عليه ، قال : فدخلت إليه إلى موضع مغور ، فدققت الباب ، فخرج إلى ، فقال : مَنْ أنت عافاك الله ؟ فقلت له : رجل مُعْجَب بهذا العلم ، قال : لا تشهرنى فانى رجل مستور ، وإنما أعمل للقوت ، قال: فقلت : إنى لا أشهرك ، وإنما أقتبس منك ، قال: فاكتم ذلك ، قال : وبين يديه كوز شَبَهٍ صغير ، فقال لى : اقلع عرْوَته ، فقلعتها ، فقال : اسبكها فى البوْتَقَةِ ، فسبكتها ، فأخرج شيئا من تحت مُصَلَّاه ، فقال : ذُرَّه عليه ، ففعلت ، فقال : أفرغه ، فأفرغته ، فقال: دعه معك فاذا أصبحت فاخرج به وبعه وعد إلى ، فأخرجته إلى باب الشأم فبعت المثقال بأحد وعشرين درهما ، ورجعت إليه وأخبرته ، فقال : اطلب الآن ما شئت ، فقلت : تفيدنى ، قال : بخمسمائة درهم على أن لا تعلمه أحد ، فأعطيته ، وكتب لى صفة ، فامتحنتها فاذا هى باطلة ، فعدت إليه ، فقيل لى : قد تحول ، فاذا عروة الكوز الشبه من ذهب مركبة عليه ، والكوز شبه ، ولذلك كان يدخل إليه من يطلبه ليلا ليخفى عليه ، فانصرفت، وعلمت أن الله تعالى أراد بى خيرا ، وأن هذا كله باطل .

وحدث أبو المستهل الأسدى قال : كان سلم الخاسر يُهَاجى وَالِبَةَ بن الحباب فأرسلنى إليه سلم فقال : قل له [من المنسرح] :

والبةَ بْنَ الُحباب يا حَلَقي   لستَ من اهلِ الزِّناء فانطلقْ

تُدخِلُ فيك الغرمول تولجهُ   مثلَ ولوج المِفتاحِ فى الغَلَقِ

فأتيت إليه فقلت له ذلك ، فقال : قل له : يا ابن الزانية سَلْ عنك ريمان التميمى ، يعنى أنه ناكه ، وكان ريمان لوطيا آفة من الآفات ، وكان غلامه ظريفا ، وكان يقول : نكت الهيثم بن عدى ، فمن ترونه يفلت منى بعده .

وحدث أبو المستهل قال : دخلت يوما على سلم الخاسر ، وإذا بين يديه قراطيس يرثى ببعضها أم جعفر وببعضها أقواما لم يموتوا ، وأم جعفر يومئذ باقية ، فقلت له : ويحك ! ما هذا ؟ فقال : تحدث الحوادث فيطالبوننا بأن نقول فيها ، ويستعجلوننا ، ولا يجمل بنا أن نقول غير الجيد ، فنعد لهم مثل هذا قبل كونه ، فتى حدث حادث أظهرنا ما قلنا فيه على أنه قيل فى الوقت .

وحدث زكرياء بن مهران ، قال : طالب أبو الشمقمق سلما الخاسر أن يهب له شيئا ، وقد خرجت له جائزة ، فلم يفعل ، فقال أبو الشمقمق [من البسيط] :

يا أم سَلْمٍ هداكِ الله زُورينا   كيما ننيكَكِ فرداً أو تنيكينا

ما إنْ ذكرتك إلاهاجَ لى شَبَقٌ   ومثلُ ذكراك أم السَّلْمِ يشجينا

قال : فجاء سَلْم ، فأعطاه خمسة دنانير ، وقال : أحب أن تعفينى عن استزارتك أمى وتأخذ هذه الدنانير فتنفقها .

وحدث محمد بن القاسم بن الربيع عن أبيه ، قال : دخل الربيع على المهدى ، وأبو عبيد الله الوزير جالس يعرض كتبا ، فقال له أبو عبيد الله : مر هذا أن يتنحى ، يعنى الربيع ، فقال له المهدى : تَنَحَّ ، قال : لا أفعل ، فقال : كأنك ترانى بالعين الأولى ، قال : لا ، بل أراك بالعين التى أنت بها ، قال : فلم لا تتنحى إذ

أمرتك ؟ فقال له : أنت ركن الاسلام ، ومذ قتلت ابن هذا فلا آمن أن تكون معه حديدة يغتالك بها ، فقام المهدى مذعورا ، وأمر بتفتيشه ، فوجد بين جوربه وخفه سكين فردت الأمور كلها إلى الربيع ، وعزل أبو عبيد الله ، وولى يعقوب بن داود فقال سلم الخاسر فيه [من مجزوء الكامل] :

يعقوبُ ينظرُ فى الأمو رِ وأنتَ تنظر ناحيه
أدخلته فعلا عليـــك كذاكَ شؤمُ الناصيهْ

قال : وكان بلغ المهدى من جهة الربيع أن ابن أبى عبيد الله زنديق ، فقال له المهدى : هذا حسد منك ، فقال : افحص عن هذا ، فان كنت مبطلا بلغت فى الذى يلزم مَنْ كَذَبكَ ، فأتى بابن أبى عبيد الله فقرره تقريرا خفيا ، فأقر ، فاستتابه فلم يتب ، فقال لأبيه : اقتله ، فقال : لا تطيب نفسى بذلك ، فقتله وصلبه على باب أبى عبيد الله .

وكان ابن أبى عبيد الله هذا المقتول من أحمق الناس، وهب له المهدى جارية ثم سأله المهدى عنها ، فقال : ما وضعت بينى و بين الأرض خشبة أوطأ منها ، حاشا سامعى ، فقال المهدى لأبيه : أتراه يعنينى أو يعنيك ؟ قال : لا، بل يعنى أمه الزانية ، لا يكنى .

وحدث يحيى بن الحسن قال : حدثنى أبى قال : كنت أنا والربيع نسير قريبا من محمل المنصور حين قال للربيع : رأيت كأن الكعبة تصدعت ، وكأن رجلا جاء بحبل أسود فشدَّها ، فقال له الربيع : من الرجل ؟ فلم يجبه ، حتى إذا اعتل قال للربيع : أنت الرجل الذى رأيت فى نومى أنه شد الكعبة ؛ فأى شىء تعمل بعدى ؟ قال : ما كنت أعمل فى حياتك ، وكان من أمره فى أخذ البيعة للمهدى ما كان، فقال سلم الخاسر فى الفضل بن الربيع [من البسيط] :

وابنُ الذى جبَرَ الاسلامَ يومَ وهى واستنقذَ الناسَ من عمياء صيخُود

قالت قريشٌ غداةَ انهاضَ مُلْكهمُ ... أين الربيع؟ وأعطَوْا بالمقاليد
فقام بالأمرِ مئناساً بوَحْدَتِه ... ماضى الضريبة ضرّابُ القَماحيد(١)
إنْ الأمور إذا ضاقت مَسالكُها ... حلّتْ يدُ الفضل منها كلَّ معقودِ
إنّ الربيع وإنّ الفضل قد بَنيا ... رِوَاق مجدٍ على العباس ممدودِ

قال: فوهب له الفضل خمسة آلاف دينار.

وحدث أبو دعامة قال: قال سلم الخاسر فى الرشيد حين عقد البيعة لابنه محمد الأمين [من الكامل]:

قد بايعَ الثقلانِ مهدىَّ الهُدَى ... لمحمدِ ابنِ زُبيدَة ابنةِ جعفرِ
وليته عهدَ الأنامِ وأمرَهُمْ ... فدمَغْتَ بالمعروف رأسَ المنكر

فأعطته زبيدة مائة ألف درهم.

وحدث ميمون بن هارون قال: دخل سلم الخاسر على الفضل بن يحيى فى يوم نوروز، والهدايا بين يديه، فأنشده [من مجزوء الوافر]:

أمِنْ رَبْعٍ تسائلُهُ ... وقد أقْوَتْ منازلُهُ(٢)
بقلبى مِنْ هوَى الأطلا ... لِ حُبٌّ ما يُزايلُهُ(٣)
رويدكمُ عن المشغو ... فِ، إنَّ الحب قاتلُهُ
بلابلُ صدره تَسْرِى ... وقد نامت عواذلُهُ
أحقُّ الناسِ بالتفضيـ ... ـلِ مَنْ تُرْجَى فواضلُهُ

---

(١) في مهذب الأغانى «فقام بالأمر مئناس بوحدته» والقماحيد: جمع قمحودة وهي مؤخر القذال

(٢) أقوت منازله: أقفرت وخلت من الأنيس

(٣) يزايله: يفارقه ويغادره

رأيتُ مكارمَ الأخلا ... قِ ما ضمتْ حمائلهُ

ولستُ أرَى فتىً فى النا ... سِ إلا الفضْلُ فاضِلهُ

يقول لسانُه خيراً ... فتفعـلهُ أناملهُ

ومهما ترْجُ من خيرٍ ... فانَّ الفضل فاعلهُ

وكان إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق حاضرين فقال لابراهيم : ما تسمع ؟ قال : أحسن مسموع ، وفضلُ الأمير أكبر منه ، فقال : خذوا جميع ما أهدى إليَّ اليوم فاقتسموه بينكم أثلاثاً إلا ذلك التمثال ، فانى أريد أن أهديه اليوم إلى دنانير ، ثم قال : لاوالله ، ما هكذا يفعل الأحرار ، يقوَّمُ ويدفع لهم ثمنه ، ثم نهديه ، فقوم بألفى دينار ، فحملها إلى القوم من بيت ماله ، واقتسموا جميع الهدايا بينهم .

وحدث الجماز أن أبا الشمقمق جاء إلى سلم الخاسر يستميحه ، فمنعه ، فقال اسمع إذن ماقلته ، فأنشده [من مجزوء الرمل] :

حدثونى أنَّ سَلْماً ... يشتكى جارة أيره

فهو لا يحْسُدُ شيئاً ... غيرَ أيرٍ فى است غيره

وإذا سَرَّكَ يوماً ... ياخليلى نَيْلُ خيره

قُمْ فمرْ راهبكَ الأصـلعَ يقْرَعْ بابَ ديره

فضحك منه سلم ، وأعطاه خمسة دنانير ، وقال : أحب جُعِلت فداك أن تصرف راهبك الأصلع عن باب ديرنا .

وحدث أبو دعامة قال : دخل سلم الخاسر على الرشيد فأنشده [من مجزوء الكامل] :

* حَىِّ الأحبةَ بالسَّلاَمْ *

فقال الرشيد : حياهم الله ، فقال :

* أعلى وَداعٍ أم مقام *

فقال الرشيد : حياهم الله على أى ذلك كان ، فأنشده :

لم يبق منكَ ومنهُمُ   غيرُ الجلود على العظام

فقال الرشيد : بل منك ، وأمر باخراجه ، وتَطَيَّرَ منه ومن قوله ، فلم يسمع باقى شعره ، ولا أثابه بشيء .

وقال القاسم بن موسى بن مزيد بن يزيد بن مزيد : ما حسدت أحدا قط على شعر مدح به إلا عاصم بن عتبة الغسانى ، فانى حسدته على قول سلم الخاسر فيه [من مجزوء الرجز] :

لعاصم   سماء   عارضُها   هتَّانُ
أمطارُها الابريز واللُّـــجيْنُ   والعقيان[1]
ونارُهُ   تنادِى   إذ خبتِ النيرَانُ
الجودُ في قحطانٍ   ما بقيتْ غسَّانُ
اسلَمْ ولا تُبالى   ما فعلَ الاخوَانُ
صَلتْ له المعالِى   والسيفُ والسنَّانُ
ماضٍ مُرتجيه   ما فعل الزَّمانُ
مَنْ غاله مَخُوفٌ   فهوَ له أمانُ

وعاصم بن عتبة هذا هو جد أبى الشمر الغسانى ، وكان صديقا لسلم الخاسر

---

(١) فى مهذب الأغانى روى هذا البيت هكذا :

مطارها اللجين والدر والعقيان

كثير البر به والملاطفة له ، فأعطاه على هذه الأبيات سبعين ألف درهم ، وكان جملة ما وصل إلى سلم الخاسر منه خمسمائة ألف درهم ، فلما حضرته الوفاة دعا عاصما فقال : إنى ميت ، ولا وارث لى ، و إن مالى مأخوذ ، فأنت أحق به ، فدفع إليه خمسمائة ألف درهم .

وحدث حماد عن أبيه قال : استوهب أبى من الرشيد تركة سلم الخاسر وقد مات عن غير وارث ، فوهبها له قبل أن يتسلمها صاحب المواريث ، فحصل منها خمسين ألف دينار

وحدث أبو دعامة أنه رفع إلى الرشيد أن سلماً الخاسر قد توفى ، وخلف مما أخذه منه ألف ألف وخمسمائة ألف درهم ، سوى ما خلفه من عقَار وغيره مما اعتده قديماً ، فقبضه الرشيد ، فتظلم إليه مواليه من آل أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقال : هذا خادمى ونديمى والذى خلَّفه من مالى فأنا أحق به ، فلم يعطهم إلا شيئاً يسيراً من قديم أملاكه .

ولما مات سلم الخاسر قال أشْجَعُ السلمى يرثيه [من السريع] :

يا سَلْمُ إن أصبَحْتَ فى حفْرَةٍ مُوسداً ترباً وأحجارا
فرُبَّ بيتٍ حَسَنٍ قُلْتَهُ خلَّفْتَهُ فى الناس سيارا
قلدته ترباً وسيرته فكان فخراً ذاك أو عارًا
لو نَطَقَ الشعر بكى عبرةً عليه إعلاناً وإسرارا

***

١٨٧ — هيهَاتَ أن يأتى الزَّمانُ بمثلِهِ إن الزَّمانَ بمثلِهِ لَبَخِيلُ

***

١٨٨ — أعْدَى الزمان سخَاؤه فَسخَا به ولقَدْ يكونُ به الزمانُ بخيلا

البيت الأول لأبي تمام ، من قصيدة من الكامل يرثي بها محمد بن حميد، وكان قد استشهد في بعض غزواته ، وأولها [١] :

أبي وغير أبي ، وذلك قليلُ ... ثاوٍ عليه ثرى السباخ مهيلُ
خذلته أسرته كأنَّ سراته ... جهلوا بأن الخاذل المخذولُ
أكالُ أشلاء الفوارس بالقنا ... أضحى بهن وشلوه مأكولُ
كفى فقتلُ محمدٍ لي شاهدٌ ... إنَّ العزيزَ مع الفناء ذليلُ
إن يستضم بعد الإباء فانه ... قد يُستضامُ المُصْعَبُ المعقول[٢]
مستحسنٌ وجهُ الردى في معركٍ ... قُبْحُ الحياة بجومتيه جميل[٣]
أنسى أبا نصرٍ ؟ نسيتُ إذن يدي ... في حيث ينتصر الفتى ويُنيل

وبعده البيت ، وما أحسن ما قال بعده :

ما أنتَ بالمقتول صبراً ، إنما ... أملي غداةَ نعيكَ المقتولُ

والبيت الثاني لأبي الطيب المتنبي ، من قصيدة من الكامل يمدح بها بدر ابن عمار صاحب طرابلس الشام ، وكان قد خرج إلى أسد فهاجه عن فريسته فوثب على كفل فرسه وأعجله عن استلال سيفه، فضربه بسوطه وخرج إلى آخر فهرب منه ، وأولها :

في الخد إنْ عزمَ الخليطُ رحيلا ... مطرٌ تزيدُ به الخدودُ محولا
يا نظرةً نفت الرقادَ فغادرت ... في حدِّ قلبي ما حييتُ فلولا[٤]

---

(١) اقرأها في الديوان (٣٧٥ بيروت)

(٢) في الأصل رواية هذا البيت هكذا :

إن يستضم بعد الاباء فانه ... يقتاد لخل الصرمة المعقول

وأثبتنا ما في الديوان

(٣) في الديوان « وجه الحياة بجومتيه جميل »

(٤) في الديوان « يانظرة نفت الرقاد وغادرت »

كانت من الكحلاء سؤلى إنما أجلى تمثل فى فؤادى سولاَ

يقول فى مديحها:

محِكٌ إذا مطَلَ الغريمُ بدَينهِ جعلَ الحسامَ بما أرادَ كفيلا(١)

نَطِقٌ إذا حط الكلام لثامهُ أعطى بمنطقه القلوب عقولا

وبعده البيت ، وبعده :

فكأنَّ برْقاً فى مُتون غمامةٍ هنديه فى كفهِ مسلولا

ومحل قائمه يسيلُ مواهباً لو كنَّ سيْلاً ما وَجدْنَ سبيلاَ

رقَّتْ مضارِبه فهنَّ كأنما يُبدين من عشقِ الرقابِ نحولاَ

أمعفّرَ الليث الهزَبْرِ بسوطهِ لمن ادخَرْتَ الصارمَ المصقولا

واستمر فى وصف الليث إلى أن قال :

قبضتْ منيتهُ يديه وعُنقه فكأنما صادفْتهُ مغلولا

سمعَ ابنُ عمته به وبحالهِ فنجا يهرولُ أمسِ منكَ مهولاَ(٢)

وأمر مما فرّ منه فِراره وكقتلهِ أن لا يموتَ قتيلا

تلَفُ الذى اتخذَ الجراءة خُلةً وعظَ الذى اتخذ الفرارخليلاَ

لو كان علمكَ فى الالهِ مُقسَّماً فى الناس ما بعثَ الالهُ رسولاَ

لو كان لفظكَ فيهمُ ما أنزل التوارة والفرْقان والانجيلاَ

لو كان ما تعطيهم من قبلِ أن تعطيهمُ لم يعرفوا التأميلاَ

فلقد عُرفت وما عُرفتَ حقيقةً ولقد جُهلتَ وما جُهلت خُمولا

نطقتْ بسودَدِك الحمامُ تغنيا وبما تجشمها الجيادُ صهيلاَ

---

(١) محك ـ بفتح الميم وكسر الحاء ـ اللجوج ، وقالت أعرابية :

إذا الخصوم اجتمعت جثيا وجدت ألوى محكا أبيا

(٢) في الديوان « فنجايهرول منك أمس مهولا »

ما كل مَنْ طَلَبَ المعالى نافذا فيهـا ولا كل الرجال فُحُولا

ولقد جاوز المتنبي حد الغلو، وأنا أستغفر الله تعالى لى وله.

والشاهد فى البيتين: كون المأخوذ دون المأخوذ منه فى البلاغة.

وهذا الأخذ مذموم مردود، لفوات الفضيلة وعدم الفائدة، فان المصراع الثانى من بيت أبى الطيب مأخوذ من المصراع الثانى من بيت أبى تمام، لـكن مصراع أبى تمام أجود سَبْكا، لأن قول أبى الطيب «ولقد يكون» بلفظ المضارع لم يصب محزَّه، إذ المعنى على الماضى، والمراد «لقد كان».

وينظر إلى بيت أبى تمام قول الشريف الموسوى فى الصاحب بن عباد [من الـكامل]:

يا طالبـاً مِنْ ذا الزمان شبيهَهُ هيهات كلَّفْتَ الزمانَ مُحَالا

وينظر إلى صدر بيت المتنبي قول السَّلامى فى الوزير سابور [من الـكامل]:

أعدَى الزمانَ نَدَى أبى نصر فلو سُمْنَاهُ أن يهَبَ الصبى لم يَبْخَلِ

وما أحسن قول القاضى الفاضل فى هذا المعنى [من الـكامل]:

مَضَتِ الدهورُ وما أتينَ بمثلِهِ ولقد أَتَى فَعَجَزْنَ عن نُظَرَائِهِ

ومن الأخذ المذموم قول بعض الأعراب [من السريع]:

وريحها أطيبُ من طِيبها والطيبُ فيه المسك والعَنْبَرُ

وقول بشار بعده [من الرمل]:

وإذا أدنَيْتَ منهُ بصلاً غلبَ المسكُ على ريح البَصَلْ

وقول أشجع السلمى [من الـكامل]:

وعلى عدوِّكَ يا ابن عَمِّ محمدٍ رَصَدَانِ ضوء الصبح والاظلامُ

فاذا تَنَبَّهَ رُعتَه وإذا غفَا سلَّتْ عليه سيوفَكَ الأحلامُ

وقول أبي الطيب بعده [من الوافر] :

يرَى في النَّوْمِ رُمْحكَ في كُلاَهُ ويخشى أن يرَاهُ في السُّهادِ

وكذا قول السري الرفاء وإن كان فيه زيادة المعنى وحلاوة السبك ، وهو [من البسيط] :

تَرُوعُ أحشاءه بالكتب وَهوْلَهَا خَوْفَ الرَّدَى ورجاء السِّلْمِ مُسْتَلِمُ

لا يَشْرَبُ الماء إلا غَصَّ من حَذَرٍ ولا يَهُوِّمُ إلا راعَهُ الحُلُمُ

وقد ألم به الشهاب محمود فقال من قصيدة [من البسيط] :

كأن هاربهمْ والخوف يَطْلُبُه يبدو لديه مثالٌ منه أو مثَلُ

فإن تنبهَ يوماً راعَهُ ، وإذا غفَا جلَاهُ عليه في الكرَى المقَلُ

وقول الخنساء [من الطويل]:

وما بلغ المُهْدُونَ للناس مدحةً وإن أطْنبُوا إلا وما فيكَ أفضَلُ

وقول أشجع [من الطويل] :

وما ترك المداح فيكَ مقالةً ولا قال إلا دونَ ما فيكَ قائلُ

وهذا الباب واسع لا طاقة لأحد على حصره ، وهذه النبذة كافية فيه إن شاء الله تعالى .

***

١٨٩ — لَوْحَارَ مُرْتَادُ المَنِيَّةِ لم يجِدْ إلا الفِرَاقَ على النفُوسِ دَلِيلاَ[١]

***

شواهد مماثلة المأخوذ للمأخوذ منه

١٩٠ — لَوْلا مُفَارَقَةُ الأحْبَابِ مَاوَجَدَتْ لَهَا المنَايا إلى أرْوَاحِنَا سبُلاَ

البيت الأول لأبي تمام ، من قصيدة من الكامل ، يمدح بها نوح بن عمرو

(١) في الديوان (٢٤٢) « لو جاء مرتاد المنية »

السكسكي، أولها :

يومَ الفراقِ لقد خُلِقْتَ طويلا   لم تُبْقِ لي صبراً ولا معقُولا(١)

وبعده البيت، وبعده(٢) :

قالوا الرحيل فما شككتُ بأنها   نفْسٌ عن الدنيا تُريدُ رحيلاَ
الصبرُ أجملُ غيرَ أن تذلُّلي   في الحب أحْرَى أن يكونَ جميلاَ
أتظُنني أجِدُ السَّبيلَ إلى العزَا   وجَدَ الحِمامُ إذن إليَّ سبيلاَ
ردُّ الجموحِ الصعبِ أيْسَرُ مطلباً   من رد دمعٍ قدْ أصابَ مَسِيلاَ

وهي طويلة .

والارتياد : الطلب، وإضافة المرتاد إلى المنية بيانية، أي المنية الطالبة للنفوس لو تحيرت في الطريق إلى إهلاكها ولم يمكنها التوصل إليها لم يكن لها دليل عليها إلا الفراق .

ومثله قول الحِمّاني [من الكامل] :

ولقَدْ نظرْتُ إلى الفراق فلم أجد   للموْتِ لو فقِدَ الفراق سبيلا

والبيت الثاني لأبي الطيب المتنبي، من قصيدة من البسيط، يمدح بها سعيد ابن كلاب الطائي وأولها :

أحيا وأيْسَرُ ما لاقَيْتُ ما قتلا   والبينُ جارَ على ضعفي وما عدَلا
والوَجدُ يقْوَى كما يقْوَى النوى أبداً   والصبرُ ينْحلُ في جسمي كما نحلاَ

وبعده البيت، وبعده :

بما بجفنَيْكِ من سحرٍ صلي دنِفاً   يهْوَى الحياة، وأما إن صددت فلاَ
إن لا يَشِبْ فلقد شابتْ له كبِدٌ   شَيْباً إذا خضَبَتْهُ سلوة نَصلاَ
يجُنُّ شوقاً فلولا أن رائحةً   تزورُه في رياح الشرق ما عقَلاَ

---

(١) في الديوان « لم تبق لي جلدا »

(٢) بيت الشاهد تال للبيت الذي أوله « قالو االرحيل »

هافانظُرى أوفظُنى بى ترَى حُرَقاً   مَنْ لم يذق طرَفاً منها فقد وألاَ[1]
علَّ الأميرَ يرَى ذلى فَيَشْفَعَ لى   إلى التى تركتنى فى الهوى مَثَلاَ

وهذا البيت من المخالص القبيحة التى عِيبَتْ على المتنبى ، وسببُ القبح كونه جعل ممدوحه ساعياً بينه و بين محبوبته فى الوصال ، وفى ذلك ما فيه ، وقد سبقه أبو نواس إليه بقوله [من الطويل] :

سأشكو إلى الفَضْلِ بن يحيى بن خالد   هواكِ لعل الفَضْلَ يجْمَعُ بيننا

وقد سبقهما إلى ذلك قيس بن ذريح[2] حين طلق لُبنى فتزوجت غيره فندم على ذلك وشَبَّب بها فى كل مغنى ، فرحمه ابنُ أبى عتيق ، فسعى فى طلاقها وأعادها إلى قيس ، فى خبر طويل ، فقال يمدحه [من الوافر] :

جزَى الرحمن أفْضَلَ ما يجازى   على الاحسان خيراً من صديق
وقد جرَّبْتُ إخوانى جميعاً   فما ألفيت كابْنِ أبى عتيق
سَعَى فى جمع شملى بعد صَدْعٍ   ورأى حِدْتُ فيه عن الطريق
وأطفأ لوْعَةً كانت بقلبى   أغَصَّنى حرَارتها بريقى

فلما سمع ذلك ابن أبى عتيق قال لقيس : يا حبيبى ، أمسك عن هذا المدح فما سمعه أحد إلا وظننى قواداً .

ولنرجع إلى الكلام على البيتين .

والشاهد فيهما : مماثلة المأخوذ المأخوذ منه ، فيكون أبعد من الذم ، والفضل للأول إن لم يكن فى الثانى دلالة على السرقة باتفاق الوزن والقافية ، وإلا فهو

(١) الحرق ـ بضم الحاء وفتح الراء ـ جمع حرقة ، وأراد لواعج الغرام وآلامه ، ووأل : نجا . تقول : وأل يئل ، مثل وعد يعد ووصف يصف

(٢) فى الأصول « قيس بن الذريح »

مذموم جدا ، فأبو الطيب أخذ معنى بيت أبى تمام كله مع بعض الألفاظ كالمنية والفراق والوجدان ، وبدَّلَ النفوس بالأرواح .

ومنه قول أبى تمام [من الوافر] :

مقيمُ الظن عِندكَ والأماني وإن قَلِقَتْ ركابى فى البلادِ
ولا سافَرْتُ فى الآفاق إلا ومِنْ جَدْواكَ رَاحِلتى وزادى (١)

وقول المتنبى [من الوافر]:

محبك حيثما اتجهَتْ رِكابى وضَيْفُكَ حيث كنتُ من البلادِ

وقول القاضى الأرجانى [من الكامل] :

لم يُبكنى إلا حديث فِرَاقِكم لمـا أسَرَّ به إلى مُوَدِّعِى
هو ذلك الدُّرُّ الذى أوْدَعْتُمُ فى مَسْمَعَى ألقيته مِنْ مَدْمَعِى

وقول الزمخشرى فى مرثية أستاذه [من الطويل] :

وقائلة ما هذه الدرر التى تُسَاقِطُهَا عيناكَ سِمْطَيْنِ سِمْطَيْنِ
فقلت هو الدرُّ الذى قد حَشَا به أبو مُضَرٍ أذنى تَسَاقَطُ من عينى

وقول إبراهيم بن العباس فى ابن الزيات الوزير (٢) [من المتقارب] :

نَجَا بك لؤْمُك منجى الذبابِ حَمَتْهُ مقاذيرُه أن يُنالا

وقول ابن حجاج بعده [من الوافر] :

على أنى أظنك كنتَ تنجو بِعِرْضك من يدى مَنْجَى الذباب

وقول أبى نواس [من الطويل] :

تسترْتُ من دهرى بظلِّ جناحه فعينى ترى دهرى وليس يَرَانى

---

(١) فى الديوان والموازنة :

* وماسافرت فى الآفاق إلا *

(٢) كذا ذكر جماعة منهم صاحب اليتيمة ، والذى فى أخبار أبى تمام أن المقول فيه محمد بن عبد الملك بن أبان

وقول ابن حجاج [من الوافر] :

سترْتُ بظله من رَيب دهري فطال على النوائب أن ترَاني

وقول ابن المعتز [من المتقارب] :

وخَمَّارَةٍ من بنـات اليهود نرى الزق فى بيتهـا شائلاَ
وزَنّا لها ذهباً جامداً فكالَتْ لنـا ذهباً سائلاَ

وقول ابن حجاج [من الوافر] :

وخَمَّاراً أعدَّ الكأس ظِئراً لطارقَةٍ فلم ترْضِعْهُ غَيْلاَ
أوفِّيهِ خلاص التبر وزناً فيسكبه ويعطينيه كيلاَ

ولابن حمديس فى مثله [من المتقارب] :

وضعتُ بميزانهـا درْهمى فسيَّلَ بالكأس دينارَها

وقول جَحْظَةَ البرمكى ، أو على بن جبلة [من الرمل] :

بأبى من زارنى مكتتما خائفا من كل شىء جَزِعَا
زائر نمَّ عليه حسنه كيف يخفى الليل بدراً طلعا
راقَبَ الغفلة حتى أمكنَتْ ورعى السامِرَ حتى هَجَعَا
رَكبَ الأهوَالَ فى زَوْرَتهِ ثُمَّ ماَ سَلمَ حتىَّ وَدَّعَا

وقول المتنبى [من الخفيف] :

بأبِى مَنْ وَدِدْتهُ فافترَقْنَا وَقضى الله بعدَ ذَاكَ اجتمَاعَا
وَافترَقْنَا حَوْلاً فلمَّا التقينَا كانَ تسليمهُ علىَّ وَدَاعَا

وقول الحسين بن الضحاك [من الرمل] :

بِأبِى زَوْرٌ تَلفتَ له فتنفَّسْتُ عليه الصُّعَدَا
بينما أضحكُ مَسرُوراً بهِ إذْ تَقطعْتُ عليهِ كمَدَا

وقول الآخر أنشده الصولى [من الخفيف] :

زَائِرٌ زَارَنى يُشيِّعُهُ الشوْ ... قُ قَرِيبُ الهوَى بعيدُ المرَامِ

كانَ عنى أَوْحَى انصرَافاً مِنَ اللحْـــظِ وَأخفى مِنْ طَارِقٍ فى المنَامِ (١)

وقول العباس بن الأحنف [من الخفيف] :

سَألونا عنْ حَالِنا كيفَ أنتمْ ... فقَرَنَّا وَدَاعنا بالسؤالِ

ما حللنا حتى افترَقنا فما نفــرِقُ بَينَ النزُولِ وَالارْتحال

وقول كشاجم ، ويُعزى لأبى الحسين بن طاهر بن محمد النسجى الكاتب [من الكامل] :

بِأبى وأُمى زَائرٌ مُتقنعٌ ... لم يَخف ضوء البدر تحت قناعهِ

لَمْ أستتمَّ عِناقَهُ لِقدُومهِ ... حتى ابتدأتُ عناقَهُ لوَدَاعهِ

وَمضى فأبقَى فى فؤادى حسرَةً ... تركتهُ موْقوفاً على أوْجَاعهِ

ومنه قول الآخر [من الخفيف] :

زار يُهدِى السلامَ لم أرَ فصلاً ... بَينَ توْدِيعهِ وَبينَ السلامِ

وقول الآخر [من مجزوء الرمل] :

زَارَنا حتى إذا ما ... سرَّنا بالقرْبِ زَالاَ

ولأبى الشيص فى معناه [من السريع] :

يا حبذَا الزوْرُ الذى زَارَا ... كأنهُ مُقتبسٌ نارَا

نفسى فِدَاءٌ لكَ منْ زَائرٍ ... ما حلَّ حتى قيلَ قدْ سارَا (٢)

---

(١) أوحى : أسرع

(٢) فى الأصل * نفسى فدا لك من زائر ، ولا يتم وزن الشطر حتى تضم إليه الهمزة

وقد عكس ابن أبى البشر الصقلى الكاتب بيت جحظة الأخير ، فقال : يهجو ثقيلا [من الرمل] :

وثقيلٍ قدْ شَنِئنَا شخصهُ مُذْ عرفناهُ مُلِحّاً مُبْرِماً
ثقلَ الوطــــأة فى زَوْرَتهِ ثم ما وَدَّعَ حتى سَـــلَّما

* * *

شواهد السلخ

١٩١ — هُوَ الصنعُ إنْ يَعْجَلْ فخيرٌ ، وَإنْ يرِثْ
فللرَّيثُ فِى بعضِ المواضِعِ أنفعُ

* * *

١٩٢ — وَمِنَ الخيرِ بُطءُ سَيبكَ عَنِّى
أسرَعُ السحْبِ فى المَسِيرِ الجَهَامُ

البيت الأول لأبى تمام ، من قصيدة من الطويل ، أولها :

أمَا إنهُ لَوْلاَ الخليطُ المودّعُ وَرَبْعٌ عفاَ منهُ مَصيفٌ ومَرْبَعُ
لَرُدَّتْ على أعقَابِهَا أرْيَحِيـــةٌ مِنَ الشوْقِ وَادِيهَا مِنَ الدَّمْعِ مُترَعُ

وهى طويلة ، وسيأتى طرف منها فى التلميح ، إن شاء الله تعالى .

والريث : الابطاء .

والبيت الثانى لأبى الطيب ، من قصيدة من الخفيف ، يمدح بها علىّ ابن أحمد الخراسانى المرىّ أولها :

لا افتخارٌ إلا لِمنْ لا يُضَامُ مُدْرِكٍ أوْ مُحَارِبٍ لاَ ينامُ
ليسَ عَزْماً ما مَرَّضَ المرءُ فيهِ ليسَ هَمّاً ما عاقَ عنهُ الظلاَمُ

وَاحتمالُ الأذَى وَرُؤيَةُ جانيــــهِ غذاء تَضوَى بِهِ الأجسَامُ
ذَلَّ مَنْ يَغبطُ الذليلَ بعيشٍ رُبَّ عيشٍ أخَفُّ منهُ الحِمَامُ
كلُّ حِلمٍ أتَى بِغيرِ اقتدارٍ حُجةٌ لاجئٌ إليها اللئامُ
مَنْ يَهُنْ يَسهُلِ الهوَانُ عَليهِ مَا لجرْحٍ بميتٍ إيلامُ

يقول فى مديحها :

خيرُ أعضائنا الرُّؤوسُ وَلكنْ فضلتهَا بِقصدِكَ الأقدَامُ
قَدْ لَعمرِى أقصرْتُ عنكَ وَللوفْــدِ ازدِحَامٌ وللعطَايا ازدِحَامُ
خِفْتُ إنْ صِرْتُ فى يمينكَ أنْ يأ خُذَنِى فى هبَاتِكَ الأقوَامُ
وَمِنَ الرُّشدِ لَمْ أزُرْكَ على القرْ بِ، على البُعْدِ يُعْرَفُ الإلمَامُ

و بعده البيت ، و بعده :

قُلْ فكمْ منْ جواهرٍ بنظامٍ وَدُّها أنها بِفيكَ كلامُ
هَابَكَ الليلُ وَالنهارُ فلوْ تنْـــهاهُمَا لَمْ تَجُزْ بِكَ الأيامُ

والسَّيْب : العطاء ، والجَهَام : السحاب الذى لا ماء فيه ، أو الذى هراق ماءه .

والشاهد فى البيتين : الالمام ، ويسمى : السلخ ، وهو : أخذ المعنى وحده ثم هو على ثلاثة أقسام : إما أبلغ من المأخوذ منه ، أو دونه ، أو مثله ، فبيت المتنبى أبلغ من بيت أبى تمام ، لاشتماله على زيادة بيان للمقصود ، حيث ضرب المثل بالسحاب .

***

١٩٣ — وإذا تألق في الندي كلامه الـــمصقول خلت لسانه من عضبه

***

شاهد مجيء المأخوذ دون المأخوذ منه

١٩٤ — كأن ألسنهم في النطق قد جعلت
على رماحهم في الطعن خرصانا

البيت الأول للبحتري ، من الكامل ، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب، أولها :

من سائل لمعذب عن خطبه أو صافح لمقصر عن ذنبه

وهي طويلة يقول في مديحها :

وإذا استهل أبو علي بالندى جاء الغمام المستهل بسكبه

وإذا احتبى في عقده من حلمه يوماً رأيت متالعاً في هضبه

و بعده البيت . و بعده :

وإذا دجت أقلامه ثم انتحت برقت مصابيح الدجى في كتبه

فاللفظ يقرب فهمه في بعده منـــا ويبعد نيله في قربه

وكأنها والحسن معقود بها شخص الحبيب بدا لعين محبه

ومعنى تألق : لمع ، والندي : المجلس الغاص بأشراف الناس ، والمصقول : المنقح ، والعضب : السيف القاطع ، شبه لسانه بسيفه .

والبيت الثاني لأبي الطيب المتنبي ، من قصيدة من البسيط ، يمدح بها أبا سهل الأنطاكي ، أولها :

قد علم البين منا البين أجفانا تدمى وألف في ذا القلب أحزانا

أملت ساعة ساروا كشف معصمها ليلبث الحي دون السير حيرانا

وَلَوْ بَدَتْ لأتاهتْهمْ فحجَّبها صَوْنُ عقولَهُم من لحظها صانَا

إلى أن قال فى مديحها :

ماَ شيَّدَ اللهُ مِنْ مجدٍ لسالفهم إلا وَنحْنُ نَرَاهُ فيهمُ الآنَا

إنْ كُوتبوُا أوْ لقُوا أوْ حُوربُوا وُجدُوا

فى الخطّ وَاللفظِ والهيجاء فُرْسانَا

و بعده البيت ، و بعده :

كأنهمْ يَرِدُونَ المَوْتَ مِنْ ظمإٍ أوْ ينشقُونَ مِنَ الخَطِّ رَيْحانَا

وخرصان الرماح : أسنتها أو الحلق تطيف بأسافل الأسنة ، وواحدها : خُرْص بالضم والكسر ، يريد وصف فصاحة ألسنة الممدوحين وطلاقتها .

والشاهد فى البيتين : مجيء المأخوذ دون المأخوذ منه ، فبيت المتنبي دُون بيت البحترى ، لأنه قدفاته ما أفاده البحترى بلفظى «تألق ، والمصقول» من الاستعارة التخييلية ، حيث أثبت التألق والصقالة للكلام ، كأثبات الأظفار للمنية ، ويلزم من هذا تشبيه كلامه بالسيف ، وهو استعارة بالكناية .

***

١٩٥ — وَلَمْ يكُ أكثرَ الفتيانِ مالاً مجيء المأخوذ مثل المأخوذ منه

وَلَكنْ كانَ أرْحَبَهُمْ ذِرَاعاَ

***

١٩٦ — وليس بأوْسعهمْ فى الغنى ولكنّ معرُوفهُ أوْسعُ

البيت الأول لأبى زياد الأعرابى ، من أبيات من الوافر ، وقبله :

لهُ نارٌ تُشَبُّ عَلَى يفَاعٍ إذَا النيرانُ أُلبِستِ القناعاَ

ورَحب الذراع : كناية عن الوصف بالسخاء ، يقال : فلان رحب الذراع ، وواسع الذراع ، أى سخى .

والبيت الثانى لأشجع السُلَمى ، من قصيدة من المتقارب ، يمدح بها جعفر ابن يحيي البرمكى .

حدث إسحاق بن إبراهيم الموصلى ، قال : لما ولى الرشيدُ جعفر بن يحيى خراسان جلس للناس فدخلوا عليه يهنئونه ، ثم دخل الشعراء ، فأنشدوه ، وقام أشجع فى آخرهم ، فاستأذن فى الانشاد فأذن له ، فأنشده قوله :

أتَصبرُ للبينِ أمْ تجزَعُ فإنَّ الدِّيار غداً بَلقَعُ
غداً يتفرَّق أهلُ الهوَى ويكثرُ باكٍ ومُسترجعُ

حتى انتهى إلى قوله :

ودَوِّية بينَ أقطارِها مَقاطعُ أرضِين لاَ تُقْطَعُ
تجاوَزْتُها فوقَ عيرانةٍ مِن الرِّيح فى سيرِها أسرَعُ
إلى جعفرٍ نزعَتْ رَغبةٌ وأىُّ فتىً نحوَهُ يُنزَعُ
فمَا دُونه لامرىء مطمَعٌ ولا لامرىء غيره مَقنعُ
ولاَ يرْفعُ الناسُ من حَطّهُ ولاَ يضَعُونَ الذى يرْفَعُ
تُريدُ الملوكُ مدَى جعفرٍ ولاَ يصنعُونَ كما يَصنعُ

وبعده البيت ، وبعده :

تلوذُ المُلوكُ بآرائهِ إذَا نابها الحدثُ الأفظعُ
بَديهته مثلُ تدْبيرهِ متَى رُمْتَهُ فهو مُستجمعُ
وكم قائلٍ إذْ رَأى ثروَتى وَماَ فى فُضُول الغنى أصنعُ
غدَا فى ظلال نَدَى جعفرٍ يجرُّ ذُيولَ الغنى أشجعُ

فقلْ لخراسانَ تحيا فقدْ أتاها ابن يحيى الفتى الأروعُ

فأقبل عليه جعفر بن يحيى ضاحكا ، واستحسن شعره ، وجعل يخاطبه مخاطبة الأخ أخاه ، ثم أمر له بألف دينار ، قال : ثم بدا للرشيد فى ذلك التدبير فعزل جعفراً عن خراسان بعد أن أعطاه العهد والكتب ، وعقد له العقد ، وأمر ونهى ، فوجم لذلك جعفر ، فدخل عليه أشجع ، فأنشده [من السريع] :

أمستْ خراسانُ تعزَّى بما أخطأها منْ جعفر المُرْتجَى

كانَ الرشيدُ المعتَلى أمْرُهُ ولَّى على مشرِقها الأبْلجَا

ثمَّ أراهُ رأيهُ أنهُ أمسى إليهِ منهمُ أحوجَا

فكم بهِ الرحمنُ منْ كُربةٍ فى مُدةٍ تقصرُ قدْ فرَّجَا

فضحك جعفر ، وقال : لقد هوَّنت علىَّ العزل ، وقمت لأمير المؤمنين بالعذر ، فسلنى حاجتك ، فقال : كفانى جودك ذل السؤال ، فأمر له بألف دينار أخرى .

والشاهد فى البيتين مجىء المأخوذ مثل المأخوذ منه

وقد ألم أبو الطيب بهذا المعنى فقال [من المتقارب] :

بمصرَ ملوكٌ لهمْ مالهُ ولكنهمْ مالهمْ همَّهْ

ومثله قول بعضهم فى مرثية ابن له [من الكامل] :

والصبرُ يُحمَدُ فى المواطنِ كلِّها إلَّا عليكَ فإنهُ مَذمومُ

وقول أبى تمام بعده [من الطويل]

وقد كان يُدْعَى لابسُ الصبرِ حازماً فأصبحَ يُدْعَى حازماً حينَ يَجزَعُ

وقول بكر بن النطاح [من الطويل] :

كأنك عند الكرفى حوْمةِ الوغى تفر من الصف الذى من ورائكا

وقول أبى الطيب المتنبى [من الكامل] :

وكأنهُ والطَّعنُ من قُدَّامِهِ مُتَخوِّفٌ من خَلْفِهِ أن يُطعنَا

ترجمة أبو زياد الأعرابى

وأبو زياد الأعرابى اسمه يزيد بن الحر الكلابى ، وقيل : يزيد بن عبدالله بن الحر الكلابى ، قدم بغداد من البادية أيام المهدى ، لأمر أصاب قومه ، فأقام ببغداد أربعين سنة ، وكان العباس بن محمد يجرى عليه فى كل يوم رغيفاً ثم قطعه فقال أبو زياد فى ذلك [من الطويل] :

فان يَقْطعِ العباس عنى رغيفَهُ فما فاتنى من نعمة الله أكثر

ومن شعره أيضا [من الطويل] :

أراكَ إلى كُثبان يَبْرِين شيقاً وهذا لعمرى لوْ قنعتَ كثيبُ

فأينَ الأراكُ الآن والأيكُ والغضا ومُستخبرٌ عمَّنْ أحبُّ قريبُ

وصنف أبو زياد هذا كتاب النوادر ، وهو كتاب كبير فيه فوائد كثيرة ، وقال الصاحب جمال الدين أبو الحسن على بن القفطى : رأيت من بعض نسخة المجلد الثالثَ عشرَ ، وهو آخر الكتاب ، وكان بخط بانوسة معلم بنى مقلة ، ووَرَّاقهم . وله كتاب الفرق ، وكتاب الابل ، وكتاب خلق الانسان .

ترجمة أشجع السلمى

وأشجع (١) هو ابن عمرو السلمى ، ويكنى أبا الوليد ، وهو من ولد الشريد السلمى ، تزوج امرأة من أهل اليمامة ، فشخص معها إلى بلدها ، فولدت له هناك أشجع ، ونشأ باليمامة ، ثم مات أبوه ، فقدمت به أمه البصرة ، فطلب ميراث أبيه وكان له هناك مال ، فماتت بها . ونشأ أشجع بالبصرة ، فكان مَنْ لا يعرفه

(١) تجد للأشجع السلمى ترجمة فى الأغانى (١٧ : ٣٠-٥١) وعنها أخذ المؤلف

يدفع نسبه . ثم كبر وقال الشعر ، فأجاد وعدّ فى الفحول ، وكان الشعر يومئذ فى ربيعة واليمن ، ولم يكن لقيس شاعر معدود . فلما نجم أشجع وقال الشعر افتخرت به قيس وأثبتت نسبه ، وكان له أخَوَانِ : أحمد وحريث ابنا عمرو ، وكان أحمد شاعراً ، ولم يكن يقارب أشجع ، ولم يكن لحريث شعر ، ثم خرج أشجع إلى الرقة والرشيد بها ، فنزل على بنى سليم ، فتلقَوْهُ وأكرموه ، ومدح البرامكة ، وانقطع إلى جعفر خاصـة ، وأصفاه مدحه ، فوصله بالرشيد ومدحه فأعجب به ، وأثرى ، وحسنت حاله فى أيامه ، وتقدم عنده . وحدّثَ أسد بن جديلة ، قال : حدثنى أشجع السلمى ، قال : شخصتُ من البصرة إلى الرقة ، فوجدت الرشيد غازياً ، ونالتنى خَلَّة ، فخرجت حتى لقيته منصرفا من الغزو ، وكنت قد اتصلت ببعض أهل داره ، فصاح صائح ببابه : من كان ههنا من الشعراء فليحضر يوم الخميس ، فحضرنا سبعة وأنا ثامنهم ، فأمرنا بالبكور فى يوم الجمعة ، فبكرنا وأدخلنا ، فقدم واحد واحد منا ينشد على الأسنان ، وكنت أحدث القوم سنا وأرقهم حالا ، فما بلغ إلىّ حتى كادت الصلاة أن تجب ، فقدمت والرشيد على كرسى وأصحاب الأعمدة بين يديه سماطين ، فقال لى : أنشـد ، فخفت أن ابتدىء فى أول قصيدتى بالنسيب فتجب الصلاة ويفوتنى ما أردت ، فتركت النسيب وأنشدته من موضع المديح فى قصيدتى التى أولها [من الطويل] :

تذكرَ عهدَ البيض وَهْوَ لها تِرْبُ ... وأيامَ تُصْبِي الغانياتِ ولا يصبُو

فابتدأت قولى فى المديح :

إلى ملكٍ يَستغرقُ المالَ جودُهُ ... مكارمهُ نَهْبٌ ومعروفه سَكْبُ (١)

وما زال هارون الرضا بن محمد ... له مِن مياه النصر مَشْرَبها العذبُ

(١) فى الأغانى «مكارمه نثر»

متى تبلغ العيسُ المراسيلُ بابهُ بنافهناك الرحْبُ والمنزل الرحْبُ
لَقدْ جمعتْ فيكَ الظنون ولم يكنْ بغيرِكَ ظنٌّ يستريحُ له قلبُ
جمعتَ ذوي الأهواء حتى كأنهم على منهج بعدَ افتراقهمُ ركْبُ
بعثتَ على الأبناء أبناء دُرْبة فلم يَقِهِمْ منهمْ حصونٌ ولادربُ (١)
وما زلتَ ترميهمْ بها مُتفرِّداً أنيساكَ حزم الرأي والصارمُ العَضْبُ (٢)
جهدتُ فلم أبلغ علاكَ بمدحة وليس على من كان مجتهداً عَتْبُ

فضحك الرشيد : ثم قال : خفتَ أن يفوت وقتُ الصلاة ، وينقطع المديح عليك ، فبدأت به وتركت النسيب ، وأمرني أن أنشده النسيب ، فأنشدته إياه فأمر لكل واحد من الشعراء بعشرة آلاف درهم ، وأمر لي بضعفها .

وحدَّث قدامة بن نوح قال : جلس جعفر بن يحيي بالصالحية يشرب على مستشرف له ، فجاءه أعرابي من بني هلال ، فشكا واستماح بلفظ فصيح ، وكلام مثله يعطف المسئول ، فقال له جعفر بن يحيي : أتقول الشعر ياهلالي ؟ قال كنت أقوله وأنا حدَث أتملَّح به ، ثم تركته لما صرت شيخا ، قال : فأنشدني لشاعركم حُمَيد بن ثور ، فأنشده قوله [من الكامل] :

لِمن الديارُ بجانب الحمس كمخط ذى الحاجات بالنقسِ (٣)

حتى أتى على آخرها ، فاندفع أشجع ، فأنشده مديحا ، قاله فيه على وزنها وقافيتها [من الكامل] :

---

(١) كذا ، وأحسبه « بعثت على الأعداء أبناء دربة » ووقع فى الأغانى « بنيت على الأعداء » محرفا فى كلمة أخرى .

(٢) وقع فى الأصل « أينساك » محرفا عما أثبتناه عن الأغانى

(٣) فى الأغانى :

لمن الديار بجانب الخمس كمحط ذى الحاجات بالنفس

ذَهبتْ مكارمُ جعفرٍ وفعالهُ ... فى الناس مثلَ مَذاهِبِ الشمسِ
ملك تسُوسُ له المعالىَ نفسهُ ... والعقلُ خيرُ سياسة النفسِ
فاذا ترَاءته الملوكُ ترَاجعُوا ... جهرَ الكلام بمنطقٍ همسِ
ساد البرامكَ جعفرٌ وهمُ الأولى ... بعدَ الخلائف سادةُ الانسِ
ماضرَّ مَنْ قصدَ ابن يحيي راغباً ... بالسعدِ حلّ بهِ أمِ النحسِ (١)

فقال له جعفر : صِفْ موْضعنا هذا ، فقال [من الوافر] :

قُصُورُ الصالحيةِ كالعذَارَى ... لبسنَ ثيابهنّ ليومِ عرْسِ
مُطلاتٍ على قصرٍ كستهُ ... أيادِى الماءِ وشياً نسجَ غَرْسِ (٢)
إذَا ما الطلُّ أثرَ فِى ثرَاهُ ... تنفسَ نوْرُهُ منْ غيرِ نفسِ
فتصبغهُ السماء بصبغِ وَرْسٍ ... وتَصْبَحُهُ بأكؤسِ عينِ شمسِ (٣)

فقال جعفر للأعرابى : كيف ترى يا هلالى صاحبنا ؟ قال : أرى خاطره طوع لسانه ، و بيانَ الناس دون بيانه ، وقد جعلت له ما تصلنى به ، قال : بل نفردك (٤) يا أعرابى ونرضيه ، فأمر للأعرابىّ بمائة دينار ، ولأشجع بمائتى دينار .

وحدّث أشجع قال : كنت ذات يوم فى مجلس بعض إخوانى أتحدث وأنشد إذ دخل عليهم أنس بن أبى شيخ البصرى ، صاحب جعفر بن يحيى ، فقام له جميع القوم غيرى ، ولم أعرفه فأقوم له ، فنظر إلىّ ، وقال: من هذا الرجل؟

---

(١) فى الأغانى « ماضر من قصد ابن يحى راجيا »
(٢) فى الأغانى « مطلات على بطن كسته »
(٣) فى الأغانى « فتغبقه السماء بصبغ ورس »
(٤) كذا ، وفى الأغانى « بل نفدك ياأعرابى » وأحسبه محرفاعن « نرفدك » وفى مهذب الأغانى « بل نصلك ياأعرابى » وما رأيناه أقرب ،

فقيل : أشجع السلمى الشاعر ، فقال : أنشدنى بعض شعرك ، فأنشدته ، فقال : إنك لشاعر ، فما يمنعك من جعفر بن يحيى ؟ فقلت : ومن لى بجعفر بن يحيى ؟ فقال : أنا ، فقل أبياتاً ولا تطل فانه يمل الاطالة ، فقلت له : لست بصاحب إطالة ، وقلت أبياتاً على نحو ما رسم لى وصرت إليه ، فقال : تقدمنى إلى الباب فلم يلبث أن جاء ، فدخل وخرج أبو رمح الهمدانى ، صاحبُ جعفر بن يحيى ، فقال : أشجع ، فقمت إليه ، فقال : ادخل ، فدخلت ، فاستنشدنى فأنشدته [من الكامل] :

وترى الملوكَ إذا رأيتهمُ كلٌّ بعيدُ الصوت والجَرْسِ

الأبيات المارة قريباً ، فأمر لى بعشرة آلاف درهم . وكان أشجع يحب الثياب، فكان يكترى الخلعة فى كل يوم بدرهمين، فيلبسها أياما، ثم يكترى غيرها فيفعل بها مثل ذلك ، قال: فابتعت ثيابا كثيرة بباب الكرخ، فكسوت عيالى وعيال إخوتى حتى أنفقتها ، ثم أتيت المبارك مؤدب الفضل بن يحيى ، فقال : أنشدنى ، فأنشدته ، فقال : ما يمنعك من الفضل بن يحيى ؟ [فقلت : ومَنْ لى بالفضل بن يحيى ؟][(١)] قال : أنا لك ، فأدخلنى عليه فأنشدته [من الطويل] :

وما قدَّمَ الفضلُ بنُ يحيى مكانهُ على غيرهِ بلْ قدَّمتْهُ المكارمُ
لقدْ أرْهبَ الأعداء حتى كأنهُ على كلِّ ثغـــرٍ بالمنية قائمُ

فقال : كم أعطاك جعفر ؟ قلت : عشرة آلاف درهم ، فقال : أعطوه عشرين ألفاً .

(١) هذه الزيارة سافطة من اصول هذا الكتاب ، ولا يتم الكلام إلا بها ، وهي ثابتة فى الأغانى

وحدّث داود بن مهاهل ، قال : لما خرج جعفر بن يحيي ليُصْلح أمر الشام نزل فى مَضْرِبه ، وأمر باطعام الناس ، فقام أشجع فأنشده [من الكامل] :

فئتان طاغيـةٌ و باغيـةٌ جَلَّتْ أمورهما عن الخطبِ

قدْ جاءكم بالخيل شازبةً ينقلنَ نحوكم رَحى الحربِ (١)

لم يبقَ إلا أنْ تدُورَ بكم قدْ قامَ هاديها على القُطْبِ (٢)

قال : فأمر له بصلة ليستْ بالسنية ، وقال له : دائم القليل خير من منقطع الكثير ، فقال له : ونَزْرُ الوزير خير من جزيل غيره ، فأمر له بمثلها .

قال : وكان يُجرى عليه فى كل جمعة مائة دينار مدة مقامه ببابه .

وحدّث إسحاق الموصلى ، قال : دخلت على الرشيد يوماً وهو يخاطب جعفر ابن يحيي بشىء لم أسمع ابتداءه ، وقد علا صوته ، فلما رآنى مقبلا ، قال لجعفر : أترضى باسحاق ؟ فقال جعفر : والله مافى علمه مطعن إن أنصفَ ، فقال لى : أى شىء تروى للشعراء المحدثين فى الخمر ؟ أنشدنى منْ أفضل ما عندك ، وأشده تقدما ، فعلمت أنهما كانا يتماريان فى تقديم أبى نواس ، فعدلت عنه إلى غيره ، لئلا أخالف أحدهما ، فقلت له : لقد أحسن أشجع السلمى فى قوله [من الكامل] :

ولقدْ طعنتُ الليل فى أعجازه بالكأس بين غطارف كالأنجم

يتمايلونَ على النعـيم كأنهمْ قُضُبٌ مِن الهندىّ لمْ تتثلَّمِ

وسعى بها الظبىُ الغريرُ يزيدُها طيباً ويغشمها إذَا لمْ تغشم

والليـلُ مشتمل بفضل ردائهِ قد كادَ يحسرُ عنْ أغرّ أرثمِ (٣)

---

(١) شازبة : ضامرة ، ووقع فى الأصول « شاذبة » ووقع فى الأغانى «شاربة » ووقع فى مهذب الاغانى « سارية » وكل ذلك تصحيف

(٢) فى الأصول « قد قام هاربها » وماأثبتناه موافق لما فى الأغانى ومهذبه

(٣) فى رواية من روايات الأغانى « والليل منتقب بفضل ردائه » وفى أخرى كما هنا

فاذا أدارتها الأكف رأيتها تثنى الفصيح إلى اللسان الأعجمى
وعلى بنان مديرها عقيانة من مسكها وعلى فضول المعصم[(١)]
تغلى إذا ما الشعريان تلظتا صيفاً وتسكن فى طلوع المرزم
ولقد فضضناها بخاتم ربها بكراً وليس البكر مثل الأيم
ولها سكون فى الاناء وخلفها شغب يطوح بالكمى المعلم
تعطى على الظلم الفتى بقيادها قسراً وتظلمه إذا لم تظلم[(٢)]

فقال لى الرشيد : قد عرفت تعصبك على أبى نواس ، وأنك عدلت عنه ، متعمداً[(٣)] ، ولقد أحسن أشجع ، ولكنه لا يقول أبداً مثل قول أبى نواس [من المديد] :

ياشقيق النفس من حكم نمت عن ليلى ولم أنم

فقلت له : ماعلمت ما كنتما فيه يا أمير المؤمنين ، وإنما أنشدت ماحضرنى فقال : حسبك ، قد سمعت الجواب ، وكان فى إسحاق تعصب على أبى نواس لشىء جرى بينهما .

وحدث إسحاق ، قال : اصطبح الواثق فى يوم مطير ، واتصل شربه ، وشربنا معه حتى سقطنا لجنوبنا صرعى وهو معنا على حالنا ، فما حول أحد منا من مضجعه ، وخدم الخاصة يطوفون علينا ويتفقدوننا ، وبذلك أمرهم ، وقال لهم : لا تحركوا أحداً منهم عن مضجعه ، فكان هو أول من أفاق منا ، فقام

(١) فى الأصول « من كسبها » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى مهذب الأغانى ، وفى الأغانى « من لونها »
(٢) فى الأصول « بقتادها » محرفا عما أثبتناه عن الأغانى .
(٣) فى الأصول « معتمدا » وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

وأمر بانباهنا ، فانتبهنا ، وقمنا وتوضأنا وأصلحنا من شأننا ، وجئنا إليه ، وهو جالس ، وفى يده كأس ، وهو يروم شربها والخُمَار يمنعه ، فقال لى: يا إسحاق أنشدنى فى هذا المعنى شيئاً ، فأنشدته قول أشجع السلمى :

* ولقد طعنتُ الليل فى أعجازه *

إلى آخر الأبيات ، فطرب ، وقال : أحسن والله أشجع ، وأحسنت يا أبامحمد ، أعد بحياتى ، فأعدتها وشرب كأسه عليها ، وأمر لى بألف دينار .

وحدَّث على بن الجهم، قال : دخل أشجع على الرشيد ، وقد مات ابن له ، والناس يعزونه ، فأنشده [من السريع] :

نقصٌ منَ الدين ومنْ أهلِه نقصُ المنايا منْ بنى هاشمِ
قدَّمتَهُ فاصبرْ علَى فقدهِ إلى أبيـهِ وَأبِى القاسمِ

فقال الرشيد : ماعزانى أحدٌ اليوم أحسن من تعزية أشجع ، وأمر له بصلة .

وحدَّث عمر بن على أن أشجع السلمىَّ كتب إلى الرشيد ، وقد أبطأ عنه شىء أمر له به [من الطويل] :

أبلغْ أميرَ المؤمنينَ رسالةً لها عَنَقٌ بينَ الرُّواةِ فسيحُ(١)
بأنَّ لسانَ الشعر ينطقه الندَى ويخرسهُ الإبطاء وهو فصيحُ

فضحك الرشيد ، وقال : لن يخرس لسان شعرك ، وأمر بتعجيل صلته .

وحدَّث أشجع ، قال : دخلت على الأمين ، حين أجلس مجلس الأدب

(١) وقع فى الأصول «ألا أبلغ» بزيادة «ألا» عما فى الأغانى ، ولا يستدعيها الوزن ، ويجب معها وصل همزة «أبلغ»

للتعليم ، وهو ابن أربع سنين ، وكان يجلس فيه ساعة ، ثم يقوم ، فأنشدت [من الكامل] :

مَلِكٌ أبوهُ وأُمهُ من نَبْعَةٍ فيها سراجُ الأمةِ الوهاجُ
شربَتْ بمكةَ في رُبَى بَطْحائها ماء النبوة ليس فيهِ مزاجُ

قال : فأمرت له زبيدة بمائة ألف درهم .

وحدث سعيد بن زهير وأبو دعامة ، قالا : كان انقطاع أشجع إلى العباس ابن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، فقال الرشيد للعباس يوماً : يا عم ، إن الشعراء قد أكثروا من مديح محمد بسببي و بسبب أم جعفر ، ولم يقل أحد منهم في المأمون شيئاً ، وأنا أحب أن أقع على شاعر فطن ذكيّ يقول فيه . فذكر العباس ذلك لأشجع ، وأمره أن يقول فيه ، فقال [من المديد] :

بيعةُ المأمون آخذةٌ بعنانِ الحق في أُفُقِهْ
أحكمت مرآته عقَداً تمنعُ المحتال في نفقهْ
لن يفكَّ المرء رِبقتها أو يفكَّ الدين من عنقهْ
وله من وجهِ والده صورةٌ تمّتْ ومن خلقهْ

قالا : فأتى العباس الرشيدَ وأنشده إياها واستحسنها ، وسأله : لمن هي ؟ فقال : هي لي ، فقال : قد سررتني مرتين باصابتك مافي نفسي و بأنها لك . وما كان لك فهو لي ، وأمر له بثلاثين ألف درهم ، فدفع إلى أشجع منها خمسة آلاف درهم وأخذ باقيها لنفسه .

وحدث على بن الفضل السلمى قال : أول ما نجم به أشجع اتصاله بجعفر ابن المنصور ، وهو حدث ، وصله به أحمد بن يزيد السلمى وابنه عوف ، فقال أشجع فى جعفر بن المنصور [من الخفيف] :

اذ كروا حُرْمةَ العواتكِ منا ... يا بنى هاشم بن عبدِ منافِ
قدْ وَلَدْنا كم ثلاثَ ولادا ... تِ خلطن الاشرافَ بالأشرافِ
مهدَتْ هاشماً نجوم قصىّ ... من بنى فالج حجورُ عفَافِ (١)
إن أرماح بهثةَ بنِ سليمٍ ... لعجافُ الأطراف غير عجافِ (٢)
معشرٌ يطعمونَ من ذروة الشوْ ... ل ويُسقَوْنَ خمرة الأقحافِ (٣)
يضربون الجبَّارَ فى أخدعَيهِ ... ويُسقَّوْنَهُ نقيعَ الذُّعافِ

فشاع شعره و بلغ المنصور ، ولم يزل [أمره (٤)] يترقى إلى أن وصلته زبيدة بعدوفاة أبيها بزوجها الرشيد (٥) فأسنى جوائزه ، وألحقه بالطبقة العليا من الشعراء .

وحدث مهدى بن سابق قال : أعطى جعفرُ بن يحيى مروانَ بن أبى حفصة وقد مدحه ثلاثين ألف درهم ، وأعطى أبا البصير عشرين ألفاً ، وأعطى أشجع وقد أنشده معهم ثلاثة آلاف، وكان ذلك فى أول اتصاله به ، فكتب إليه أشجع [من مجزوء الكامل] :

أعطيتَ مروان الثلاَ ... ثينَ التى دلَّتْ رِعائَهْ (٦)

---

(١) فى الأغانى وبلغ المنصور ومهذبه « وبنو فالغ حجور عفاف »
(٢) هكذا وقع فى الأصول موافقا لما فى الأغانى ، ووقع فى مهذب الأغانى « بعجاف الأطراف غير عجاف »
(٣) فى الأغانى ومهذبه « ويسقون خمرة الأنحاف »
(٤) الزيادة عن الأغانى
(٥) فى الأصول « بعد وفاه أبيها وتزوجها الرشيد » وما أثبتناه موافق لما فى الأغاني ومهذبه
(٦) فى الأغانى « الثلاثين التى ذلت رغائه » وهو تحريف ، وما أثبتناه موافقا لما فى أصول هذا الكتاب مستقيم

وأبا البصير ، وإنما أعطيتنى معهم ثلاثهْ
ما خاننى حَوكُ القريـــض ولااتهمت سوى الحداثهْ (١)

فأمر له بعشرين ألف درهم أخرى

وحدث محمد بن الحارث الخراز قال : كان لأشجع جارية يقال لها ريم ، وكان يَجِدُ بها وجداً شديداً ، فكانت تحلف له أنها إن بقيت بعده لم تتعرض لغيره ، وكان يذكرها فى شعره ، فمن ذلك قوله من قصيدته التى يرثى بها الرشيد [من الطويل] :

وليس لأحزان النساء تطاوُلٌ ولكنّ أحزان الرجال تطُولُ
فلا تبخلى بالدمع عنى فانّ مَنْ يَضَنُّ بدمعٍ فى الهوى لبخيلُ (٢)
فلا كنت ممن يتبع الريحَ طرفَهُ دَبورا إذا هبّتْ صبا وقبُولُ (٣)
إذا دارَ فىء أتبعَ الفىءَ طرفه يميلُ مع الأيام حيث تميلُ

وقال فيها أيضاً [من الطويل]

إذا غمّضتْ فوقى جفونُ حفيرةٍ من الأرض فابكينى بما كنتُ أصنعُ
تعزّكِ عنى بعد ذلكَ سلوةٌ وأن ليس فيما وارتِ الأرضُ مطمعُ
إذا لم ترَىْ شخصى ، وتغنيكِ ثروتى ولم تسمعى منى ، ولا منكِ أسمعُ (٤)

---

(١) فى الأصول « ما خاننى خود القريض » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى

(٢) فى الأغانى ومهذبه « فان من يضن بدمع عن هوى لبخيل »

(٣) كذا ، وفى الأغانى ومهذبه * دبور إذا هبت له وقبول * وهو أحسن مما هنا .

(٤) كذا فى الأصول موافقا لما فى الأغانى ، وقد جعله فى مهذب الأغاني « وتغنك ثروتى » مجزوما بالعطف على جواب الشرط « تعزك عنى – إلخ » وليس الجزم بضربة لازب .

فحينئذ تَسْلين عنى ، وإن يكن بكاءٌ فأقصى ما تُبكِّين أرْبَعُ
قليلا وربِّ البيتِ يا ريمُ ما أرى فتاةً بمَنْ ولى به المـوت تقْنَعُ
بمَنْ تدفعين الحادثات إذا رَمَى عليك بها عامٌ من الجدب يَطْلُعُ
فيومئذٍ تَدْرِينَ من قد رُزِئْتِهِ إذا جعلت أركانُ بيتكِ تُنْزَعُ

قال : فشكته إلى أخيه أحمد بن عمرو ، فأجابه عنها بشعر نسبه إليها ، ومدح فيه الفضل أيضاً ، فاختير شعره على شعر أخيه ، وهو [من الطويل] :

ذَكَرْتَ فراقاً والتفرقُ يَصْدَعُ وأىُّ حياةٍ بعد مَوْتك تَنْفَعُ (١)
إذا الزمن الغدارُ فَرَّقَ بيننا فمالىَ فى طيبٍ من العَيْشِ مَطْمَعُ (٢)
ولا كانَ يومٌ يا ابن عمرو وليلةٌ يبددُ فيها شملنا ويُصَدَّعُ
فألطم وجهاً فيك كنت أصونه وأخشعُ مما لم أكن منهُ أخشعُ (٣)
ولا كان يوم فيه تَثْوِى رَهينةً فتروى بجسمى الحادثات وتَشْبَعُ (٤)
ولو أننى غُيِّبْتُ فى التربِ لم تبلْ ولم يرَكَ الراؤون لى تَتَوَجَّعُ
وهل رجلٌ أبصرْتَه متوجعاً على امرأة أو عينهُ الدهرَ تدمعُ
ولـكن إذا ولَّتْ يقولُ لها اذهبى فتلك أخرى سوف أهْوَى وأتبعُ (٥)

---

(١) فى الأغانى « والفراق يصدع »

(٢ فى الأغانى « إذا الزمن الغرار »

(٣) فى الأغانى « فألطم وجها كنت فيه أصونه » وما هنا أحسن

(٤) فى الأصول « ولا كان يوم فيه سوء رهبته » وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى ، وهو أصح

(٥) وقع فى الأصول * ولـكنها مهما تولت يقل سوى * وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى الأغاني .

ولو أبصرت عيناكَ ما بي لأبصرت ... صبابةَ حزن غيمها ليس يُقشَعُ (١)

إلى الفَضْلِ فارْحَلْ بالمديح فانه ... مَنيعُ الحمى معروفُهُ ليسَ يمنَعُ

وزُرْهُ تزر حلماً وعلماً وسودَداً ... وبأساً به أنف الحوادث يجْدَعُ

وأبدعْ إذا ما قلت فى الفضل مدحةً ... كما الفضل فى بذل المواهب يُبْدِعُ

فى أبيات أخر ، قال : فأنشدها أشجع الفضلَ وحدثه بالقصة ، فوصل أخاه وجاريته ، ووصله .

وحدث الحسين الجعفى قال : كان أشجع إذا قدم بغداد ينزل على صديق له من أهلها ، فقدمها مرة فوجده قد مات والنوح والبكاء فى داره ، فجزع لذلك وبكى ، وأنشأ يقول [من الخفيف] :

وَيْحَهَا هل دَرَتْ على مَنْ تنوحُ ... أسقيمٌ فؤادُها أم صحيحُ ؟

قمرٌ أطبقوا عليه ببغدا ... دَ ضريحاً ، ماذا أجنَّ الضَّريحُ ؟

رحِمَ الله صاحبي ونَديمى ... رحمةً تغتدى ، وأخرى تَرُوحُ !

ودخل أشجع على الرشيد فى عيد الفطر ، فأنشده [من السريع] :

استقْبِلِ العيدَ بعمْرٍ جديدْ ... مَدَّتْ لك الأيامُ حَبْلَ الخلودْ

مُصَعِّداً فى دَرَجات العلا ... نجمُكَ مَقْرُونٌ بسَعْد السُّعودْ

واطوِ رداء الشمْسِ ما أطلَعَتْ ... نوراً جديداً كلَّ يوم جَديدْ

تمضى لك الأيام ذا غِبْطَةٍ ... إذا أتى عيدٌ طوى عُمْرَ عِيدْ

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وأمر أن يغنى بهذه الأبيات .

وحدث محمد بن عبد الله بن مالك قال : كان حرب بن عمرو الثقفى نخاساً ،

---

(١) فى الأغاني « صبابة قلب غيمها ليس يقشع »

وكانت له جارية مغنية ، وكان الشعراء والكتاب وأهل الأدب ببغداد يختلفون إليها ويستمعونها و ينفقون فى منزله النفقات الواسعة و يبرونه و يهدون إليه ، فقال فيها أشجع [من السريع] :

جارية تهتز أردافها مُشْبَعَة الخلخالِ والقُلْبِ
أشكو الذى لاقيتُ من حُبها وبُغْضَ مولاها إلى رَبِّي
مِنْ بُغْض مولاها ومن حُبها سَقِمْتُ بين البُغْض والحبِّ
فاعتلجا فى الصدر حتى استوى أمرُهما فاقتسما قلبى (١)
فعجَّل الله شفائى بها وعجَّل السقمَ إلى حَرْبِ

وأخباره كثيرة ، وهذا القدر منها كاف .

وحدث ابن أشجع السلمى قال : مر أبى وعمَّاى أحمد و يزيد ، وقد شربوا حتى انتشوا ، بقبر الوليد بن عقبة و إلى جانبه قبر أبى زبيد الطائى ، وكان نصرانياً وكان أبو زبيد لما احتضر أوصى أن يدفن إلى جنب الوليد بالبليخ ، والقبران مختلفان كل منهما متوجه إلى قبلة أهل ملته ، قال : فوقفوا على القبرين ، وجعلوا يتحدثون بأحاديثهما ، و يتذاكرون أخبارهما ، فأنشأ أبى يقول [من الوافر] :

مررتُ على عظامِ أبى زُبَيْدٍ وقد لاحتْ ببلقعةٍ صَلودِ
وكان له الوليدُ نديمَ صدقٍ فنادم قبرُه قبرَ الوليدِ
أنيسا ألفةٍ ذهبا فأمستْ عظامُهما تأنس بالصعيدِ
وما أدرى بمن تبدو المنايا بأحمد أم بأشجع أم يزيدِ

قال : فماتوا والله كما رتبهم بالشعر ، فكان أولهم أحمد ، ثم أشجع ، ثم يزيد.

***

(١) فى الأغانى «فاختلجا فى الصدر» ولكل منهما وجه ، ومعناهما متقارب

شاهد الأخذ الخفى والمعنيان متشابهان

١٩٧ فلا يَمْنَعْكَ مِنْ أَرَبٍ لِحَاهُمْ سَوَاءٌ ذو العِمَامَةِ والخِمَارِ

***

١٩٨ ومَنْ فى كَفِّهِ مِنهُمْ قَنَاةٌ كمن فى كفِّهِ منهُمْ خِضَابُ

البيت الأول لجرير، من قصيدة [١] من الوافر.

والأرب: الحاجة، واللحى — بالضم والكسر — جمع لحية، وهى شعر الخدين والذقن. والخمار — بالكسر — النَّصِيف، وهو ما ستر الرأس، وكل ما ستر شيئاً فهو خمار.

والمعنى: لا يمنعك من الحاجة كونُ هؤلاء على صورة الرجال، لأن الرجال والنساء منهم سواء فى الضعف.

والبيت الثانى لأبى الطيب المتنبى، من قصيدة من الوافر [٢] يمدح بها سيف الدولة، ويذكر فيها خضوع بنى كلاب وقبائل العرب له، وأولها:

بغيرِكَ راعياً عبثَ الذئابُ وغيرَكَ صارماً ثَلَمَ الضِّرَابُ

وتَملِكُ أنفُسَ الثقلين طرًّا فكيف تحوزُ أنفُسَهَا كلابُ

وما تركوكَ مَعْصِيَةً ولكن يُعافُ الوِرْدُ والموتُ الشرابُ [٣]

طلبتَهمُ على الأمْوَاهِ حتى تخوف أن تُفَتِّشَهُ السحابُ

وهى طويلة يقول فيها:

---

(١) ارجع إليها فى الديوان (ص١٩٠) وفيه *فلا تمنعك من أرب لحاهم*

(٢) ارجع إليها فى الديوان (١ — ٧٥)

(٣) وقع هذا البيت فى الأصول

وما تركوك ضيعة ولكن يعاف الورد والماء السراب

وهو تحريف شنيع فى عدة مواضع، وقد أثبتنا صوابه عن الديوان

ولكن ربهم أسرى إليهم فما نفع الوقوف ولا الذهاب
ولا ليل أجن ولا نهار ولا خيل حملن ولا ركاب
رميتهم ببحر من حديد له فى البر خلفهم عباب
فمساهم وبسطهم حرير وصبحهم وبسطهم تراب

وبعده البيت ، وبعده :

بنو قتلى أبيك بأرض نجد ومن أبقى وأبقته الحراب
عفا عنهم وأعتقهم صغاراً وفى أعناق أكثرهم سخاب (١)
وكلكم أتى مأتى أبيه فكل فعال كلكم عجاب (٢)
كذا فليسر من طلب الأعادى ومثل سراك فليكن الطلاب

والشاهد فى البيتين : الأخذ الخفى مع تشابه المعنيين ، فتعبير جرير عن الرجل بذى العمامة كتعبير أبى الطيب عنه بمن فى كفه قناة ، وكذا تعبير جرير عن المرأة بذات الخمار كتعبير أبى الطيب عنها بمن فى كفه خضاب

ومن الأخذ الخفى قول الطرماح [من الطويل] :

لقد زادنى حبا لنفسى أننى بغيض إلى كل امرئ غير طائل
وأنى شقى باللئام ، ولا ترى شقياً بهم إلا كريم الشمائل

وقول أبى الطيب [من الكامل]

وإذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

---

(١) السخاب ــ بكسر السين ــ قلادة تتخذ من سلك وغيره وليس فيها من الجوهر شىء يلبسها الصبيان

(٢) فى الديوان * فكل فعال كلكم عجاب *

شاهد نقل المعنى المأخوذ إلى موضع آخر

١٩٩ – سُلِبُوا وأشرقتِ الدماءُ عليهمُ محمرّةً فكأنّهمْ لم يُسْلَبُوا

***

٢٠٠ – يبسَ النجيعُ عليه وَهُوَ مجرَّدٌ من غمدِهِ فكأنما هُوَ مُغْمَدُ

البيت الأول للبحترى من قصيدة من الكامل يمدح بها إسحاق بن إبراهيم [(١)] وأولها :

عارضْنَنَا أُصُلاً فقلنا الرَّبْرَبُ حتى أضاء الأقحوانُ الأشنَبُ

وأخضرَ مَوْشِيّ البُرود وقد بَدَا منهنّ ديباجُ الخدودِ المذهَبُ

أومَضْنَ من خَلَلِ السُّجوف فراعَنَا بَرْقانِ خالٍ ما يُشَام وخُلبُ [(٢)]

ولو أنّنى أنصفْتُ فى حكم الهوَى ما شِمْتُ بارقةً ورأسى أشيَبُ

إلى أن قال فيها :

ما إن ترى إلا توقُّدَ كوكبٍ من قومس قد غاب فيه كوكبُ

فمجدَّلٌ ومُوَسَّدٌ ومُرَمَّلٌ ومُضَرَّجٌ ومُضمَّخٌ ومُخضَّبُ

وبعده البيت ، وبعده :

ولو أنّهم ركبوا الكواكبَ لم يكن لمجدِّهم من جد بأسكَ مَهْرَبُ [(٣)]

وهى طويلة .

ومعنى البيت : أن الدماء المشرقة صارت بمنزلة الثياب عليهم .

وقد أخذ هذا المعنى السرى الرفاء فقال من قصيدة فى سيف الدولة [من البسيط] :

---

(١) ارجع إليها فى الديوان (١ — ٦٢ مصر)

(٢) فى الديوان « من خلل الستور » وفيه « برقان خال ماينال »

(٣) فى الديوان « من أخذ بأسك »

لما تراءى لك الجمعُ الذى نَزَحَتْ أقطارُه ونأت بُعْداً جوانبُهُ
تركتهمْ بين مصبوغ ترائبُهُ من الدماء ومخضوب ذوائبُهُ
فحائدٌ وشهابُ الرمح لاحِقُه وهاربٌ وذُبابُ السيف طالبُهُ
يَهوِى إليه بمثل النجم طاعِنُهُ ويَنْتَحيه بمثلِ البَرْقِ ضاربُهُ
يكسوه من دَمِهِ ثوباً ويسلبُهُ ثيابَهُ فهوَ كاسيهِ وسالبُهُ

وأصل هذا المعنى من قول بعض العرب [من الطويل] :

وفَرَّقْتُ بين ابْنَىْ هشيم بطعنةٍ لها عاند يكسو السليب إزارا(١)

والبيت الثانى لأبى الطيب المتنبى ، من قصيدة من الكامل (٢) أيضاً ، يمدح بها شجاع بن محمد الطائى ، أولها :

اليومَ عهدكُمُ فأينَ الموْعِدُ هيهات ليسَ ليَوْمِ موْعدكم غَدُ
الموتُ أقْربُ مخلباً من بينِكم والعيشُ أبعدُ منكم لا تَبْعَدُوا
إن التى سفكت دمى بجفونها لم تدْرِ أن دمى الذى تتقلَّدُ
قالت وقد رأت اصفرارى مَنْ به وتنهّدَتْ فأجبتُها المتنهِّدُ
فمضت وقد صبَغَ الحياء بياضَها لونى كما صبغ اللجينَ العَسْجَدُ
فرأيتُ قرنَ الشمس فى قمر الدجى متأوداً غصنٌ به يتأوَّدُ
عدويةٌ بدويةٌ منْ دونها سلبُ النفوس ونارُ حربٍ توقدُ
وهواجلٌ وصواهلٌ ومناصلٌ وذوابل وتوعدٌ وتهددُ
أبلتْ مودَّتَها الليالِى بعدنا ومشَى عليها الدهرُ وهو مقيدُ

---

(١) فى الأصل « لها عائد » محرفا عما أثبتناه ، والعاند ـ بالنون ـ العرق الذى يسيل دمه فلا يرقأ ، وهو أيضا الطعن يكون بمنة ويسرة

(٢) اقرأها فى الديوان (١ — ٣٢٧)

أبرحْتَ يامرضَ الجفون بممرضٍ مَرِضَ الطبيبُ لهوعيدَ العُوَّدُ (١)

وهي طويلة ، يقول في مديحها :

كنْ حيثُ شئتَ تسرْ إليكَ ركابُنا فالأرضُ واحدةٌ وأنت الأوْحدُ
وَصُنِ الحسامَ ولاَ تذلْهُ فانهُ يشكو يمينَكَ والجماجمُ تشهدُ

وبعده البيت وبعده :

رَيان لو قَذَف الذى أسقَيْتَه لجرى من المهجاتِ بحرٌ مزبدُ
ما شاركتْهُ منيةٌ فى مهجةٍ إلا وشفْرَتُهُ على يدها يدُ

والنجيع من الدم : ما كان إلى السواد ، وهو دم الجوف ، والغمد ـ بالكسر ـ جفن السيف .

والشاهد فى البيتين : نقل المعنى الآخر المأخوذ إلى محل آخر ، فمعنى بيت المتنبي أن الدم اليابس صار بمنزلة غمد السيف ، فنقل المعنى من القتلى والجرحى إليه .

* * *

شاهد مجيء معنى المأخوذ أشمل

٢٠١ — إذا غضِبَتْ عليكَ بنوتميمٍ حَسبْتَ الناسَ كلهمْ غضابَا

* * *

٢٠٢ — وَليسَ للهِ بِمُستنكرٍ أنْ يجمعَ العَالَمَ فِي وَاحِدِ

البيت الأول لجرير ، من قصيدة من الوافر تقدم ذكر أولها فى شواهد الاستخدام ، ومنها قبل البيت :

---

(١) فى الأصول : « أبرمت يا مرض الجفون » ، وقد أثبتنا ما فى الديوان .

لنا حوضُ الحجيجِ وساقياهُ ... ومَنْ وَرِثَ النبوّةَ والكتابَا
ألسنا أكثرَ الثقلين حيًّا ... ببطنِ منًى وأكثرَهمْ قِبابَا

وبعده البيت، وبعده:

فلا وأبيكَ مالاقيتُ حيًّا ... كيربوعٍ إذا رفعوا النقابَا
فَغُضَّ الطرْفَ إنكَ مِنْ نُميرٍ ... فلا كعبًا بلغتَ ولا كلابَا

والمعنى: أن بنى تميم يقومون مقام الناس كلهم.

والبيت الثانى لأبى نوَاس، من أبيات من السريع، كتبها للرشيد مادحًا الفضل بن الربيع، وهى:

قولا لهارونَ إمامِ الهدَى ... عندَ احتفالِ المجلسِ الحاشدِ
نصيحةُ الفضلِ وإشفاقهُ ... أخلى له وجهكَ مِنْ حاسدِ
بصادقِ الطاعةِ ديانها ... ووَاحِدِ الغائبِ والشاهدِ
أنتَ على ما بكَ منْ قدرةٍ ... فلستَ مثلَ الفضلِ بالواجدِ
أوْجَدَهُ اللهُ فما مثلهُ ... لطالبٍ ذاكَ ولا ناشدِ

وبعده البيت.

حدَّث سعيد بن حميد: أن أبا تمام الطائىّ دخل على ابن أبى دُؤادٍ، فقال له: أحسبك عاتبًا يا أبا تمام (١)، فقال له: إنما نعتب على واحد وأنت

(١) فى الأصول «أحسبك غائبا يا أبا تمام» وفيها «إنما نغيب على واحد» وفيها «فكيف نغيب عنك» وكل هذا تحريف ما أثبتناه موافقا لعدة مراجع من أمهات الكتب منها تاريخ ابن خلكان (١ - ٦٨ بتحقيقنا فى أثناء ترجمة أحمد بن أبى دؤاد) قال «ودخل أبو تمام عليه يوما وقد طالت أيامه فى الوقوف ببابه ولا يصل إليه، فعتب عليه مع بعض أصحابه فقال له ابن أبى دؤاد: =

الناس جميعاً ؟ فكيف نعتب عليكَ ؟ فقال له ابن أبى دُؤادَ : من أين أخذت هذه اللفظة ؟ فقال : من قول الحاذق أبى نواس ، وأنشد البيت .

والشاهد فى البيتين : مجىء معنى المأخوذ أشمل من معنى المأخوذ منه ، فان بيت جرير يخص بعض العالم ، وبيت أبى نواس يشمله .

وقد جاء فى معنى البيتين قول المتنبى [من الكامل] :

نُسِقُوا لنا نسقَ الحسابِ مُقدَّما وأتى فذلك إذ أتيتَ مؤخرا

وقوله أيضاً [من الطويل] :

مَضىَ وَبنُوهُ وانفردْتَ بفعلِهِ وألفٌ إذا ماجُمِّعَتْ واحدٌ فردُ

وقوله [من المنسرح] :

هدية ما رَأيتُ مُهديها إلا رَأيتُ العباد فى رَجلِ

وقول الوزير المغربى [من البسيط] :

حتى إذا ما أرادَ الله يُسعدُنى رَأيته فرأيتُ الناسَ فى رَجلِ

وقول أبى الفرج الببغاء يميل إلى المبالغة [من الخفيف] :

وإذا ماحللتَ فى بلدةٍ فهـو جميع الدنيا وأنت الأنامُ

وقول ابن قلاقس من قصيدة [من المتقارب] :

دَعوتُكَ فاحضرْ فليسَ الجميع إذا غبْتَ ـ لا غبْتَ ـ كالحضَّرِ

وقدْ جمعَ اللهُ فيكَ الأنام وَليسَ عليـهِ بِمُستنكرِ

وقوله أيضا [من البسيط] :

= أحسبك عاتبا يا أبا تمام ، فقال : إنما يعتب على واحد وأنت الناس جميعا فكيف نعتب عليك ـ إلخ»

عَلَى الشهادَةِ بالفضلِ المبينِ لهُ كلُّ المذاهبِ وَالآراءِ وَالمللِ
مدحتهُ فَمدَحتُ الناسَ قاطبةً لأنني منهُ ألقى الناسَ في رجُلِ

وقد ضمن القيراطيّ بيت أبي نواس فقال يهجو [من السريع] :

تجمعتْ مِنْ نُطَفٍ ذاتهُ حتى بدَا في قالب فاسِد
ليسَ علىَ الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحدِ

ومثله ما أجاب به قابوسَ صاحبَ جرْجان ، الصاحبُ بن عباد حين هجاه بقوله [من المنسرح] :

قدْ قبَسَ القابساتِ قابُوسُ ونجمهُ في السماء منحوسُ
وكيف يُرْجى الفلاحُ من رجُلٍ يكونُ في آخرِ اسمهِ بُوسُ

وجواب قابوس [من السريع] :

مَنْ رَامَ أنْ يهْجُو أبَا القاسمِ فقدْ هجا كلَّ بني آدمِ
لأنهُ صُوِّرَ مِنْ مُضغةٍ تجمَّعَتْ منْ نُطفِ العالمِ

ومثله لأبي أحمد العروضي [من الكامل] :

لو كانَ يُورَثُ بالتشابهِ ميتٌ لملكتَ بالأعضاء مالاً يُملكُ
بغلٌ مخائلهُ تخبِّرُ أنهُ في الناس من نطفِ الجميع مُشبَّكُ

ومنه قول ابن المسجف [من السريع] :

ابن العلائيَّ لهُ فقحةٌ شيعيةٌ تصبُو إلى القائم
أبخلُ من كلبٍ ولكنهُ بسُرْمهِ أجوَدُ من حاتمِ
كفاهُ هَجْواً أنهُ واحدٌ صُوِّرَ منْ كل بني آدمِ

ولقد أجاد أبو نعيم البزار الشاعر الواسطي بقوله [من الطويل] :

لَقد كمل الرحمن شَخصكَ في الورَى فلاشان شَيْئاً من كمالكَ بِالنقص

ومنْ جمعَ الآفاقَ في العـين قادرٌ على جمعِ أشتاتِ الفضائل في شَخْصٍ

فانه زادَ على أبي نواس بالمبالغة والتمثيل، لأن الانسان إذا فتح عينه رأى نصف العالم.

وكان الوزير مؤيد الدين بن العلقمي ـ أذاقه الله العلقم، من زقوم جهنم! ـ قد طالع المستعصم في شخص من أمراء الجبـل، يعرف بابن شرف شاه، وقال في آخر كلامه «وهو المدبر» فوقع المستعصم له [من السريع]:

وَلاَ تُساعدْ أبداً مدبراً وكنْ معَ اللهِ على المدبِرِ

فـكتب ابن العلقمي أبياتاً في الجواب، منها [من السريع]:

يا مالـكا أرْجُو بحبيٌ لهُ نيْلَ المنَى والفوْزَ في المحشَرِ

أرشدْتنِي لازلت لي مرْشداً وهادِياً من نورك الأنورِ

أبنتَ في بيْت هُدًى قلتهُ عن شرفٍ في بَيتكَ الأطهرِ

فضلكَ فضلٌ مالهُ منكرٌ لَيْسَ لضوء الشمْسِ من مُنكرِ

أن يجمعَ العـالم في وَاحدٍ فليسَ لِلّهِ بِمستنكرِ

فقلب بيت أبي نواس، فجعل عجزه صدراً.

والعلقمي هذا كان وزير المستعصم، وكان هو الركن الأكبر في مجيء التتار إلى بغـداد، وخراب ذلك الإقليم، وهـدم ذلك الجناب العظيم، فعليه منَ الله ما يستحقه!.

***

٢٠٣ – أَجِدُ الملامةَ فى هواكَ لذيذةً ... حُبًّا لِذِكْرِكَ فليلمنى اللُّوَّمُ

***

٢٠٤ – أأُحِبُّهُ وأُحِبُّ فيه ملامةً ... إنَّ الملامةَ فيهِ مِنْ أعدائهِ

شاهد مجىء الأخوذ نقيض المأخوذ منه

البيت الأول لأبى الشِّيص، من أبيات من الكامل، وقبل البيت:

وَقفَ الهوى بى حيثُ أنتَ فليسَ لى ... مُتأخَّرٌ عنهُ ولاَ مُتقدَّمُ

وبعده البيت، وبعده:

أشبهتَ أعدائى فصرتُ أُحبهمْ ... إذ كانَ حظى مِنكَ حظى منهُمُ

وَأهنتنى وأهنتُ نفسى عامداً ... ما مَنْ يهونُ عليكَ مِمَّنْ يُكرمَ

والبيت الثانى لأبى الطيب المتنبى، من قصيدة من الكامل يمدح بها سيف الدولة، أولها:

القلبُ أعلم يا عذُولُ بدائهِ ... وَأحق مِنكَ بجفنهِ وبمائهِ

فوَمَنْ أحبُّ لأعصينَّكَ فى الهوَى ... قسماً بهِ وبِحُسنهِ وَبهائهِ

وبعده البيت، وبعده:

عجبَ الوُشاةُ من اللحاةِ وقولهمْ ... دَعْ ماتراكَ ضعُفْتَ عَنْ إخفائهِ

ما الخلُّ إلا مَنْ يودّ بقلبهِ ... وَيَرَى بطرفٍ لا يرَى بسوائهِ

إنَّ المعينَ علَى الصبابةِ بالأسى ... أوْلَى برحمةِ ربِّها وَإخائهِ

مَهلاً فانَّ العذلَ منْ أسقامهِ ... وترفقاً فالسمعُ مِنْ أعضائهِ

وَهَبِ الملامةَ فى اللذاذة كالكرَى ... مطرُودَةً بسُهادهِ وَبُكائهِ

لاَ تعذُلِ المشتاقَ فِى أشواقهِ ... حتى يكونَ حشاكَ فِى أحشائهِ

إنَّ القتيلَ مُضرَّجاً بدُموعهِ ... مِثلُ القتيلِ مُضرَّجاً بِدمائهِ

والعشق كالمَعْشُوق يَعذبُ قُربه للمبتلى وينال من حَوْبائِهِ
لو قلْتَ للدنف الحزين فَدَيتُهُ مما به لأَغرته بفـدائِهِ

وقد أخذ المتنبيّ قوله * لا تعذل المشتاق فى أشواقه * البيت من قول البحترى [من الطويل]:

إذا شئتَ أن لا تعذِلَ الدهرعاشقاً على كمَدٍ من لوعة البين فاعشَقِ

والشاهد فى البيتين: كون معنى المأخوذ نقيض معنى المأخوذ منه، فبيت أبى الطيب نقيض بيت أبى الشيص، والأحسن فى هذا النوع أن يبين السبب كما فى هذين البيتين إلا أن يكون ظاهرا كما فى قول أبى تمام [من الوافر]:

ونغمَةُ مُعْتَفٍ جَدْوَاه أحلى على أذْنَيْهِ من نغَم السَّماع

وقول المتنبى [من الخفيف]:

والجراحاتُ عنده نَغَماتٌ سُبقت قبْلَ سَيْبِه بسؤال

أراد أبو تمام أن صوت السائل لعطاء ممدوحه أحلى وألذ على سمعه من نغمات السماع وألحان الغناء، وأراد أبو الطيب أن عادة ممدوحه الاعطاء بغير سؤال، فان سبقت نغمة من سائل عطائه أثر ذلك فيه تأثير الجرح فى المجروح

وفى معنى بيت أبى تمام قول البحترى [من الكامل]:

نَشْوان يَطرَب للسؤال كأنما غناه مالك طيء أو مَعْبَدُ

وكذلك قول المتنبى [من البسيط]:

كأنّ كلّ سؤالٍ فى مَسَامِعِهِ قميصُ يوسُفَ فى أجفَان يَعقُوبِ

وفى معناه قول أبى العلاء المعرى [من الطويل]:

فما ناح قُمْرِىٌّ ولا هبَّ عاصفٌ من الريح إلا خاله صوْتَ سائلِ

وقد أخذ بعض المغاربة بيت أبى الشيص فقال [من الكامل]:

هُدِّدت بالسلطان فيكَ وإنما أخشى صدُودكَ لا من السُّلطانِ

أجدُ اللذاذة فى الملام، فلو درَى   أخذَ الرُشا منّى الذى يَلحانِي

وأصل هذا المعنى لأبى نُوَاس فانه قال [من الوافر] :

إذا غادَيْتَنِي بِصَبُوح عَذْلٍ   فَمَمْزُوجاً بِتَسْمِيَةِ الحبيبِ
فإنى لاأعُدّ اللومَ فيهِ   عليكَ إذا فعَلْتَ من الذنوبِ

وفى معناه قول الآخر [من مجزوء الكامل] :

من ذمّ عاذلهُ فانى   شاكرٌ للعُذّل
سَمْعى لهم كالقلْبِ مِنْ   ذِكْرِ الأحبةِ ممتلى
ما ضرّنى إغراؤهم   بالعذْلِ إذ لم أقبلِ
تَعَبُ الملامِ عليهمُ   وحلاوة التذكار لى

ومنه قول ابن الرومى أيضاً [من الوافر] :

تلذُّ لىَ الملامة فى هوَاه   كمَرْآه وأستَحْلِي أذاها

ترجمة أبى الشيص

وأبو الشّيص[1] اسمه محمد بن رزين بن سليمان بن تميم ، وهو عم دعبل الخُزَاعىّ ، وأبو الشيص : لقب غلب عليه ، وكنيته أبو جعفر ، وكان من شعراء عصره ، متوسط المحل فيهم ، غير نبيه الذكر ، لوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع السلمى وأبى نواس ، فخمل ، وانقطع إلى أمير الرقة عقْبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعى فمدحه بأكثر شعره ، وكان عقبة جوادا فأغناه عن غيره ، فقلّ ما يُرْوَى له فى غيره شعر .

وحكى عبدالله بن المعتز أن أبا خالد العامرى قال له : مَنْ أخبرك أنه كان فى الدنيا أشعر من أبى الشيص فكذبه ، والله لكان الشعر أهون عليه من شرب الماء

---

(١) تجد ترجمة أبى الشيص فى الأغانى (١٥ – ١٠٨ بولاق) وعنها صدر المؤلف

على العطشان ، وكان من أوصف الناس للشراب ، وأمدحهم للملوك ، وكان سريع الهاجس جداً فيما ذكر عنه .

ومن شعره فى مدح أمير الرقة قوله [من الكامل] :

لا تُنكرِى صَدِّى ولا إعْرَاضى ليس المُقِلُّ عن الزمان بِرَاضِ
شيئان لا تَصْبُو النساء إليهما حَلْىُ المَشيب وحُلّة الانفاض
حَسَرَ المشيب قناعَهُ عن رأسهِ فرمَيْنَهُ بالصَّدِّ والاعراض
ولرُبما جعلَتْ محاسِنَ وجهه لجفونِها غَرَضاً من الأغراض

يروى عن أبى الشيص أنه قال : لما أنشدت هذه القصيدة لعقْبة بن جعفر أمر بأن تُعَدّ ، وأعطانى لكل بيت ألف درهم

وحدث أحمد بن عبيد قال : اجتمع مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشيص ودِعبلٌ فى مجلس ، فقالوا : لينشد كل واحد منكم أجود ماقاله من الشعر ، فاندفع رجل منهم فقال : اسمعوا منى أخبركم بما ينشد كل واحد منكم قبل أن ينشد ، فقال لمسلم : أما أنت يا أبا الوليد فكأنى بك قد أنشدت [من الطويل] :

إذا ما علَتْ منَّا ذُؤابةُ واحدٍ وإن كان ذا حلم دَعَتْهُ إلى الجَهْلِ
هَلِ العيشُ إلا أن تَرُوحَ مع الصبى وتَغْدُو صريعَ الكأس والأعين النُّجْلِ

قال : وبهذا البيت لقبه الرشيد صريع الغوانى ، فقال له مسلم : صدقت ، ثم أقبل على أبى نواس وقال له : وكأنى بك يا أبا على قد أنشدت [من البسيط] :

لاتبْكِ ليلى ولاتطْرب إلى هندِ واشرَبْ على الوَرْدِ من حَمْراء كالوَرْدِ
تَسقيك من عَيْنها خمرا ومن يَدِها خَمْراً فما لك عن سُكْرَيْن من بُدّ

فقال له : صدقت ، ثم أقبل على دِعبل فقال له : يا أبا على ، وكأنى بك تنشد قولك [من الكامل] :

* أين الشباب وأيةً سلكا *

الأبيات المارة فى إيهام التضاد ، فقال له : صدقت ، ثم أقبل على أبى الشيص

فقال له : وأما أنت ياأباجعفر فكأنى بك وقد أنشدت قولك [من الكامل] :

* لا تُنكِرِى صَدِّى ولا إعْرَاضى *

الأبيات السابقة قريبا ، فقال له : لا ، ما هذا أردت أن أنشد، ولاهذا بأجود شىء قلته ، قالوا : فأنشِدْنَا ما بدالك ، فأنشدهم الأبيات الميمية السابقة ، فقال أبو نواس : أحسنت والله وجوّدت ، وحياتِكَ لأسرقَنَّ هـذا المعنى منك ، ثم لأغلبنك عليه ، فيشهر ماأقول ويموت ماقلت ، قال : فسرق أبونواس قوله *وقف الهوى بى ... البيت * سرقا خفيا فقال فى الخصيب [من الطويل] :

فَمَا جازَهُ جودٌ ولا حلّ دُونَهُ   ولـكن يَسيرُ الجود حيث يَسير[1]

فسار بيت أبى نواس وسقط بيت أبى الشيص

وحدث رُزَين بن على الخزاعى أخو دعبل ، قال : كنا يوما عند أبى نواس أنا ودعبل وأبو الشيص ومسلم بن الوليد الأنصارى ، فقال أبو نواس لأبى الشيص: أنشدنى قصيدتك المخزية ، قال : وماهى ؟ قال : الضادية ، فما خطر بخَلَدى قولك * ليس المقل عن الزمان براض * إلا أخزيتك استحسانًا لها ، فان الأعشى كان إذا قال قصيدة عرضها على ابنته ، وكان قد ثَقَّفَهَا وعلمها مابلغت به استحقاقَ التحكيم والاختيار لجيد الكلام ، ثم يقول لها: عدى المخزيات، فتعد قوله [من البسيط]

أغر أرْوَعُ يُسْتَسقَى الغمام بهِ   لَوْ قارَعَ الناس عن أحسابهم قرَعا

وما أشبه ذلك من شعره ، فقال أبو الشيص : لا أفعل ، إنها ليست عنـدى عقددر مفصل ، ولـكنى أكاثر بغيرها ، ثم أنشده الأبيات الميمية المذكورة أيضاً فقال له أبو نواس : قد أردت صرفك عنها ، فأبيت أن تخلى عن سلبك ، أوتدرك

(١) وقع عجز هذا البيت فى بعض الأمهات ومنها تاريخ ابن خلـكان فى ترجمة أحمد بن محمد القسطلى الشاعر

* ولـكن يصير الجود حيث يصير *

فى هربك ، قال : بل اترك طلبي[١] فكيف ترى أنت هذا الطراز ؟ فقال : أرى نَمَطاً خسروانيامذهبا حسناً فكيف تركت قولك [من الخفيف] :

فى رداء من الصَّفيح صقيل وقميصٍ من الحديدِ مُذَال

قال : تركته كما ترك مختار الدرّتين إحداهما بماسبق فى خاطره و زين فى ناظره

قال ابن فضل الله : رأيت بخط الفاضل كمال الدين أبى العباس أحمد بن العطار الشيبانى الكاتب رحمه الله تعالى ما صورته : ذكر أن أباالشيص كان لو قيل له : ابنُ مَنْ أنت؟ لقال * وقف الهوى بى... البيت * ولو قيل لشهاب الدّين التلعفرى ابن من أنت ؟ لقال * هذا العذول عليكم مالى وله * ثم قال : وهذه القصيدة مشهورة سيارة دائرة محفوظة على ألسنة العالم ، وعارضها جماعة من معاصريه فلم يتفق لهم ما اتفق له فيها . انتهى .

أقول : ولا بأس بذكر طرف منها ليعلم صدق مقاله ، قال [من الكامل] :

هذا العذول عليكم مالى وَلَهْ أنا قدرضيتُ بذا الغرام وذاالوَلَهْ

إلى أن يقول فيها :

أألومُكم فى هجركم وصدُودكم ما هذهِ فى الهجر منكم أوّلَهْ

قسما بكم قد صرتُ مما أشتكى حىّ الدُّجى وعدِمتُهُ ما أطولَهْ

يا سائلى عن شرح حالى فى الهوَى تركى الجوَاب جوابُ هذى المسألَهْ

يا راحلين وفى أكلّة عِيسهِمْ رَشأ عليه حشَا المحبّ مُقَلْقَلَهْ

أسَرتْ له العشاقَ نظرةُ وجنَةٍ بسوى اللواحظِ لا تبيت مقبَّلَهْ

لو لم يصِبْ صُدْغيه عارض خدهِ ما أصبحَتْ فى سالفَيْه مُسلسلَهْ

وقد استعمل هذا المعنى أيضا فقال [من الكامل] :

هَبْ أن خدك قدْ أصيب بعارض ما بال صدغك راح وهُو مسَلسَلُ

---

(١) كذا ، وفى الأغانى « بل أقول فى طلبي »

رجع إلى أخبار أبي الشيص

وحدَّث موسى بن معروف الأصفهانى قال : دخل أبو الشيص على أبى دلف وهو يلاعب خادما له بالشطرنج ، فقال له : يا أبا الشيص ، سل هـذا الخادم أن يحل أزرار قميصه ، فقال : الأمير أعزه الله أحق بمسألته ، قال: قدسألته فزعم أنه يخاف العين على صدره ، فقل فيه شيئاً ، فقال [من السريع] :

وشادنٍ كالبَدْر يجلو الدُّجى   فى الفَرْق منه المسكُ مذرُورُ
يحاذرُ العينَ على صَدْرِهِ   فالجيبُ منهُ الدهرَ مَزْرُورُ

فقال أبو دلف : وحياتى لقد أحسنت، وأمر له بخمسة آلاف درهم ، فقال الخادم : قد أحسن والله كما قلت ، ولكنك أنت ما أحسنت ، فضحك وأمر له بخمسة آلاف درهم أخرى .

وحدَّث علىّ بن سعيد الشيبانى ، قال : تعشق أبو الشيص قَيْنَةً لرجل من أهل بغداد ، فكان يختلف إليها و ينفق عليها فى منزل الرجل ، حتى أتلفَ مالا كثيراً ، فلما كف بصره وأخفق ، جعل إذا جاء إلى مولى الجارية حجبه ومنعه من الدخول ، فجاءنى أبو الشيص وشكا إلىَّ وجْدَهُ بالجارية واستخفاف مولاها به ، وسألنى المضى معه إليه ، فمضيت معه إليه ، فاستؤذن لنا عليه ، فأذن لنا ، فدخلت أنا وأبو الشيص ، فعاتبته فى أمره ، وعظَّمت عليه حقَّه ، وخوَّفته من لسانه ومن إخوانه ، فجعل له يوما فى الجمعة يزورها فيه : فكان يأكل فى بيته ، ويحمل معه نبيذه ونَقْلَه ، فمضيت معه ذات يوم إليها ، فلما وقفنا على بابهم سمعنا صُرَاخاً شديداً من الدار ، فقال لى: مالها تصرخ ؟أتراه قد مات لعنه الله؟! فما زلنا ندق الباب حتى فتح لنا ، وإذا هو قد حسَرَ كميه و بيده سوط ، وقال لنا ادخلا ، فدخلنا ، وإنما حمله على الاذن لنا الفرَق منى ، فدخلنا ، وعاد الرجل إلى داخل يضربها ، فاستمعنا عليه ، واطلعنا ، فاذا هى مشدودة على سُلَّم ، وهو يضربها أشد الضرب ، وهى تصرخ ، وهو يقول لها : وأنت أيضا فاسرقى الخبز

فاندَفع أبو الشيص فى المكان على الحال يقول فى ذلك [من السريع] :

يقولُ والسوطُ على كفهِ   قدْ حزَّ فى جلدتِها حزًّا
وهْيَ على السلّم مشدُودةً   وأنتِ أيضاً فاسرقِى الخبزا

قال : وجعل أبو الشيص يرددهما ، فسمعهما الرجل ، فخرج إلينا مبادراً ، وقال له : أنشدنى البيتين اللذين قلتهما ، فدافعه ، فحلف أنه لابد من إنشادهما ، فأنشده إياهما ، فقال لى : يا أبا الحسن ، أنت كنت شفيع هذا ، وقد أسعفتك بما تحب ، فان أشاع هذه البيتين فضحنى ، فقل له يقطع هذا ولا يشيعهما ، وله علىَّ يومان فى الجمعة ، ففعلت ذلك ، ووافقته عليه ، فلم يزل يتردد إليه يومين فى الجمعة حتى مات.

وحدث على بن محمد النوفلى عن عمه ، قال : كان أبو الشيص صديقا لمحمد ابن إسحاق بن سليمان الهاشمى ، وهما حينئذ مملقان ، فنالَ محمد بن إسحاق مرتبة عند سلطانه ، فجفا أبا الشيص وتغير له ، فكتب إليه [من البسيط] :

الحمدُ للهِ رب العالمين على   قُرْبى وبُعدِكَ منى يا ابن إسحاقِ[1]
ياليتَ شِعرِى متى تُجْدِى علىَّ وقدْ   أصبحْتَ ربَّ دنانيرٍ وأوراقِ
تُجْدِى علىَّ إذا ماَ قِيلَ منْ رَاقِ
والتفَتِ السَّاقُ عندَ الموتِ بالساقِ[2]

---

(١) فى الأغانى «قربى وبعدك منه يا ابن إسحاق» وهو المناسب ، والضمير فى «منه» عائد إلى الله تعالى

(٢) يريد تجدى على يوم تكون روحى فى النزع ، وقد أخذ هذا من قوله تعالى (كلا إذا بلغت التراقى وقيل من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق) من سورة القيامة

يومٌ لعمرى تهمُّ الناسَ أنفُسُهُم — وليس تنفعُ فيه رُقيةُ الراقى

وحدَّث أحمد بن عبد الرحمن الكاتب عن أبيه قال: كانت لأبى الشيص جارية سوداء اسمها تبر، وكان يتعشقها، وفيها يقول [من المنسرح]:

لم تنصفى يا سمية الذهب — تتلف نفسى وأنتِ فى لعب
يا ابنةَ عمِّ المسك الزكى ومَنْ — لولاكِ لم يُتَّخذ ولم يطبِ
ناسبكِ المسك فى السواد وفى الريح فأكرِمْ بذاكِ من نسب

ومن لطيف شعره قوله [من الوافر]:

وقائلةٍ وقد بَصرتْ بدمعٍ — على الخدَّين منحدرٍ سكوبِ
أتكذبُ فى البكاء وأنتَ خِلْوٌ — قديماً ماجسرتَ على الذنوبِ
قميصكَ والدموعُ تجول فيه — وَقلبكَ ليسَ بالقلب الكئيبِ
نظيرُ قميص يوسف حين جاءوا — على أبابه بدم كذوبِ
فقلتُ لها فداكِ أبى وأمى — رَجَمْتِ بسوء ظنك فى الغيوبِ
أماَ وَاللهِ لو فتشتِ قلبى — لسرَّكِ بالعويلِ وبالنحيبِ
دُموعُ العاشقينَ إذَا تلاقَوْا — بظهرِ الغيبِ ألسنةُ القلوبِ

وعمى أبو الشيص فى آخر عمره. وله مراث فى عينيه قبل ذهابهما وبعده فحدث محمد بن القاسم بن مهرويه. قال: أنشدت إبراهيم بن المدبر أبيات أبى يعقوب الخريمى التى يرثى بها عينيه يقول فيها [من الوافر]:

إذا ما ماتَ بعضك فابكِ بعضاً — فان البعضَ من بعضٍ قريبُ

فأنشدنى لأبى الشيص يبكى عينيه [من المنسرح]:

يا نفس ابكى بأدمع هُتُنِ — ووا كفٍ كالجمان فى سَنَنِ
على دَليلى وقائدِى ويدِى — ونُورِ وجهى وسائس البدنِ

أبكي عليها بها مخافة أن تقرنني والظلام في قرنِ

وقال أبو هفان : حدثني دِعبل ، أن امرأة لقيت أبا الشيص ، فقالت : يا أبا الشيص ، عميتَ بعدي ، فقال : قبحكِ الله ! دعوتني باللقبِ ، وعيرتني بالضرر .

وحدَّث أبو العباس بن الفرات ، قال : كنت أسير مع عبيد الله بن سليمان ، فاستقبله جعفر بن حفص على دابة هزيلة ، وخلفه غلام له شيخ على بغل له هرم وما فيهم إلا نضوٌ ، فأقبل عليَّ عبيد الله بن سليمان ، فقال : كأنهم والله صفة أبي الشيص حيث يقول [من الكامل] :

أكل الوجيف لحومها ولحومهم فأتوك أنقاضاً على أنقاضِ

وكانت وفاة أبي الشيص سنة ست وتسعين ومائة ، مقتولا . حدث عبدالله ابن الأعمش ، قال : كان أبو الشيص عند عقبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعي يشرب مع خادم له . فلما ثمل نام عنده ، ثم انتبه في بعض الليل ، فذهب يدب إلى خادم لعقبة ، فوجأه بسكين ، فقال له : ويحكَ قتلتني والله ، وما أحب أن أفتضح ، وأني قتلت في مثل هذا ، ولا تفتضح أنت بي ، ولكن خذ دستيجة فاكسرها ولوثها بدمي واجعل زجاجها في الجرح ، فاذا سئلت عني فقل : إني سقطت في سكري على الدستيجة فانكسرت فقتلتني . ومات من ساعته . ففعل الخادم ما أمره به .

ودفن أبو الشيص ، وجزع عقبة عليه جزعا شديداً ، فلما كان بعد أيام سكر الخادم وتحدث بما كان . فصدق عقبة الخبر ، وأنه هو الذي قتله ، فلم يلبث عقبة أن قام إليه بسيفه فلم يزل يضرب به حتى قتله .

* * *

أخذ المعنى وإضافة ما يحسنه إليه

٢٠٥ــ وتَرى الطيرَ على آثارنا رأىَ عينٍ ثقةً أن ستُمارْ

* * *

٢٠٦ــ وقدْ ظُلِّلَتْ عقبانُ أعلامِه ضحى بعقبانِ طيرٍ في الدِّماء نَوَاهِلِ
أقامتْ معَ الراياتِ حتى كأنها من الجيشِ إلا أنها لم تقاتِلِ

البيت الأول للأفوه الأودى، من قصيدة من الرمل أولها :

إن تَرَىْ رأسِىَ فيه نزَعٌ وشوَاتى خلة فيها دوَار

يقول فيها :

إنما نعمةُ قوم متعةٌ وحياة المرء ثوبٌ مُستَعار
حَتمُ الدهر علينا أنهُ ظَلَفٌ ما نال مِنّا وجبار(١)

ظلف : باطل، وجبار : هدَر.

وهذه القصيدة من جيد شعر العرب، وهى التى نهى النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن إنشادها لما فيها من ذكر إسماعيل عليه السلام، وإياه عنى بقوله فيها :

وَيَشُتْ جرْهمُ نبلاً فرَمَى جرْهُما منهنّ فُوقٌ وغرار

والبيتان الأخيران لأبى تمام من قصيدة من الطويل، يمدح بها المعتصم والافشين، وأولها :

غدَا الملكُ معمُورَ الحرا والمنازل مُنوَّرَ وَحفِ الروض عذبَ المناهِلِ(٢)
بمعتصم بالله أصبــــح مَلجأ ومُعتَصما حرزاً لكلّ مُوائِلِ
لقد ألبسَ الله الامام فضائلا وَتَابَع فيها باللُّهى والفوَاضل(٣)
فأضحتْ عطاياه نَوازعَ شُرَّدًا تُسائل فى الآفاق عنْ كل سائل(٤)

(١) فى اللسان (ظ ل ف) «حكم الدهر»
(٢) وقع فى الأصول «معمور الحوا» وأثبتنا ما فى الديوان (٢٤٧) والحرا الناحية، والوجف : الريان، والمناهل : جمع منهل، وهو الحوض
(٣) فى الديوان «وتابع فيها باللهى»
(٤) فى الديوان «نوازع شزبا»

مواهبُ جَزْنَ الأرضَ حتى كأنما أخذنَ بأهْدَابِ السَّحابِ الهَوَاطلِ (١)

ومنها فى مديح الافشين :

شهدت أميرَ المؤمنين شهادةً كثيرٌ ذَوُو تصديقها فى المحافل

لقدلَبَّسَ الافشينُ قَسْطَلَةَ الوغَى محشابنصلِ السيفِ غيرَ مُوَاكل (٢)

وجَرَّد من آرائه حين أضْرِمَتْ به الحرب حدًّا من حدود المَنَاصِلِ

وثارَتْ به بين القنابل والقنا عزائمُ كانت كالقنا والقنابلِ (٣)

رأى بابكٌ منه التى لا شوَى لها سِوَى سِلمِ ضيْمٍ أوصفيحة قاتلِ (٤)

تراه إلى الهيجاء أول راكبٍ وتحت صبيرِ الموْت أولَ نازلِ (٥)

تسَرْبَلَ سربالامن الصبر وارتدى عليه بعضب فى الكريهة فاصِلِ

وبعده البيتان

والنواهل : جمع ناهلة ، من نهل إذا روى ، والرايات : الأعلام.

ومعنى البيت الأول إنك ترى الطير كائنة على آثارنا ، لوثوقها واعتمادها أن سنطعمها من لحوم مَنْ نقتلهم من أعدائنا .

ومعنى البيتين الأخيرين أن رايات الممدوح التى هى كالعقبان قد صارت

(١) فى الديوان «مواهب جدن الأرض» وفيه «أخذن بأذناب السحاب»

(٢) قسطلة الوغى: غباره ، والصوت يكون فى الحرب . والمحش: الجرىء على العمل ، ونصل السيف: حده، والمواكل : التكلة الذى يكل أموره إلى غيره ليقضيها

(٣) فى الديوان «وسارت به» وكان فى الأصول «بين القبائل» وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى الديوان

(٤) وقع في الأصول «التى لاشرالها» محرفا عما أثبتناه عن الديوان

(٥) فى الديوان «رأوه إلى الهيجاء»

مظللة بالعقبان من الطيور النواهل فى دماء القتلى ، لأنه إذا خرج للغزو تسير العقبان فوق راياته لأكل لحوم القتلى ، فتلقى ظلالها عليها ، والعقاب يطلق على الراية الضخمة ، قال الشاعر [من الرجز] :

وهْوَ إذا الحربُ هفا عقَابهُ مِنْ جمرِ حَرْبٍ تلتظى حِرَابهُ

وقال الآخر [من البسيط] :

ورُبَّ ظلِّ عُقاب قَدْ وقَيْتُ به مُهرى من الشمس والأبطالُ تجتلدُ

والشاهد فى الأبيات : أن يؤخذ بعضُ معنى المأخوذ منه و يضاف إليه ما يحسنه فان أبا تمام لم يلم بشىء من معنى قول الأفوه « رأى عين » ولا قوله « ثقة أن ستمار » ولكنه زاد عليه زيادات محسنة لبعض المعنى الذى أخذه بقوله « إلا أنها لم تقاتل » و بقوله « فى الدماء نواهل » و بقوله « أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش » وبهذه الزيادة يتم حسن قوله « إلا أنها لم تقاتل » لأنه لو قيل ظللت عقبان الرايات بعقبان الطير إلا أنها لم تقاتل لم يحسن هذا الاستثناء المنقطع ذلك الحسن ، لأن إقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش مظنة أنها أيضا تقاتل مثل الجيش ، فيحسن الاستدراك الذى هو رفع التوهم الناشىء من الكلام السابق ، بخلاف وقوع ظلها على الرايات ،

وما ذكر فى الأبيات من أن الطير تتبع جيشه لتغتذى مما يقتل من أعدائه معنى متداول بين الشعراء ، وأولُ من نطق به الأفوهُ هذا ومنه قول النابغة فى القصيدة السابقة فى تأكيد المدح بما يشبه الذم [من الطويل] :

إذا ما غزَوْا بالجيش حلَّقَ فوقهم عَصَائبُ طيرى تهتدى بعَصَائب

يُصاحبْنَهُمْ حتى يغزْنَ مغارَهُمْ من الضاريات بالدِّماء النوائب (١)

(١) هكذا وقع هذا البيت فى أصول الكتاب ، وهو متغير فى أكثر كلماته ، وأوضح رواية فى إنشاده :

يصاحبنهم حتى يغرن مغارهم من الضاريات باللحوم الدوارب

تَراهُنَّ خلفَ القوم خُزْراً عيونُها ... جلوسَ الشيوخ فى ثياب المرانب (١)
جوانح قدْ أيقنَّ أنْ قبيلَهُ ... إذا ما التقى الجمعانِ أولُ غالب
لهنَّ عليهم عادة قد عرَفنَها ... إذا عُرِّضَ الخطى فوقَ الكواثب (٢)

وقول أبى نواس [من المديد]:

وإذا مجَّ القنا عَلقاً ... وتراءى الموتُ فى صُوَرِه
راحَ فى ثنيى مُفاضتِهِ ... أسدٌ يَدمَى شَبَا ظُفرِه
تتأيَّا الطيرُ غُدوتَهُ ... ثقةً بالشِّبْعِ من جزَرِه

ولما سمع محمود الوراق أبانواس ينشد هذه الأبيات قال: ماتركت للنابغة شيئاً حيث يقول * إذا ما غزوا * وأنشد الأبيات، فقال له أبونواس: اسكت فان كان أحسن الابتداع فما أسأت الاتباع

وتبع أبانواس مسلم فقال [من البسيط]:

قد عوَّد الطيرَ عاداتٍ وثِقن بها ... فهُنَّ يتبعْنَهُ فى كل مُرتحَلِ

ومن هذا المعنى قول حُميد بن ثور الهلالى يصف ذئبا [من الطويل]:

إذا ما غدَا يوْماً رأيت غمامةً ... من الطير ينظرْنَ الذى هُوَ صانع (٣)

ومنه قول مروان بن أبى الجنوب يمدح المعتصم [من البسيط]:

لا تَشبعُ الطيرُ إلا فى وقائعِهِ ... فأينما سارَ سارتْ خلفَهُ زُمَرا
عوارفاً أنهُ فى كل مُعترَكٍ ... لا يُغمِدُ السيفَ حتى يكثُر الجزَرا

---

(١) وقع فى الأصول «فى ثياب المراتب» وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى الديوان . وثياب المرانب - بالنون قبل الباء - ثياب يقال لها المرنبانية كأنها متخذة من جلود الأرانب

(٢) وقع فى الأصول * إذا عرض الخطى فوق الكتائب * وأثبتنا ما فى الديوان ، والكواثب : جمع كاثبة ، وهى أمام قربوس السرج

(٣) فى الموازنة للآمدى «إذا ما غزا» وهو تحريف صوابه ما هنا

وأخذه بكر بن النطاح فقال [من مجزوء الكامل]:

وترَى السباعَ من الجوَا رح فوْقَ عسكرِنا جوَانح
ثِقــــةً بأنا لانزَا ل نميرُ ساغبَها الذبَائح

وأخذه ابن جهور فقال [من البسيط]:

ترَى جوَارحَ طيرِ الجو فوقَهُمُ بينَ الاسنةِ والراياتُ تختفِقُ

وأخذه آخر فقال [من الطويل]:

ولَستَ ترَى الطيرَ الحوائمَ وُقَّعاً من الأرض إلاحيثُ كان مُواقِعاً

ومنه قول الكميت بن معروف [من الوافر]:

وقد سترَت أسنَّتهُ المواضى حُدَىَّ الجو والرَّخمُ السغَابُ

ومنه قول بعضهم [من البسيط]:

والطيرُ إن سارَ سارَت فوق موكبِهِ عوَارفاً أنه يسطو فيقريها

وقد أحسن المتنبى بقوله [من الطويل]:

له عسكرَا خيلٍ وطيرٍ إذا رمى بها عسكراً لم تبق إلا جماجمُــهْ

وله فى قريب منه [من البسيط]:

يُطمِعُ الطيرَ فيهم طولُ أكلهم حتى تكاد على أحيائهم تقَعُ

وقد أشار إلى هذا المعنى أبو فراس بقوله [من الطويل]:

وأظمأُ حتى ترتوى البيضُ والقَنا وأسغَبُ حتى يَشبعَ الذئبُ والنَّسْرُ

ومنه قول ابن شُهيد الأندلسى [من الطويل]:

وتدْرِى سباعُ الطير أن كماتَهُ إذا لقيت صيدَ الكُماةِ سِباعُ
تَطيرُ جيــاعاً فوقَهُ وتردُّهَا ظُباه إلى الأوكار وهْيَ شِباعُ

وقد يقع اتفاق الشاعرين فى اللفظ والمعنى جميعاً أو فى المعنى وحده، ويكون ذلك من قبيل توارد الخاطر، كما يحكى أن سليمان بن عبدالملك أتى بأسارى من الروم وكان الفرزدق حاضراً، فأمره سليمان أن يضرب عنق واحد منهم، فاستعفى

فما أغنى ، وقد أشير إلى سيف غير صالح للضرب ، فلم يستعمله ، وقال : إنما أضرب بسيف أبي رَغْوَان سيفِ مُجَاشع ، يعنى سيفه ، ثم ضرب به الرومى ، فنبا السيف ، فضحك سليمان ومَنْ حوله ، فقال الفرزدق [من البسيط] :

أيَعْجَبُ الناسُ أنْ أضحكتُ سيدَهُمْ خَلِيفَةَ اللهِ يُسْتَسْقَى به المطرُ
لم يَنْبُ سيفى مِن رُعْبٍ ولا دَهَشٍ عَنِ الأسيرِ ولكن أخَّرَ القَدَرُ
ولَنْ يُقَدِّم نفساً قبل مِيتَتِها جَمْعُ اليَدَيْنِ ولا الصَّمْصَامَةُ الذكَرُ

ثم أغمد سيفه وهو يقول [من الرجز] :

ما إنْ يُعَابُ سيدٌ إذا صبَا ولا يُعَابُ صارمٌ إذا نبَا

ثم جلس يقول : كأنى بابن المراغة - يعنى جريراً - وقد هجانى فقال : [من الطويل] :

بسَيْفِ أبى رَغْوَانَ سَيْفِ مُجَاشِعٍ ضَرَبْتَ ولم تَضْرِبْ بسَيْفِ ابنِ ظَالِمِ

وقام فانصرف ، وحضر جرير ، فأخبر الخبر ، ولم ينشد الشعر ، فأنشأ يقول البيت بحروفه ، وزاد

ضَرَبْتَ به عندَ الامام فأرْعِشَتْ يَدَاكَ وقالوا مُحْدَثٌ غيرُ صارِمِ(١)

فأعجب سليمان ما شاهد ، ثم قال جرير : يا أمير المؤمنين كأنى بابن القَيْن - يعنى الفرزدق - قد أجابنى فقال [من الطويل] :

وَلا نَقتُلُ الأسْرَى ولكن نفُكُّهُمْ إذَا أثْقَلَ الأعْنَاقَ حملُ المَغَارِمِ

ثم حضر الفرزدق فأخبر بالهجو دون ما عداه ، فقال مجيباً :

كَذَاكَ سُيُوفُ الهند تَنْبُو ظُبَاتُها وتقطَع أحياناً مَناط التَّمائِمِ
ولا نقتُلُ الأسرَى ولكن نفُكُّهُمْ إذا أثقَلَ الأعناقَ حملُ المغارمِ
وهَل ضربَةُ الرُّومىّ جاعلةٌ لكم أباً من كليبٍ أو أخاً مثلَ دارمِ

(١) فى الأصول «وقالو مجدب» وأثبتنا مافى الديوان

ويضارع هذا مايحكى أن المهدىّ أتى بأسرى من الروم، فأمر بقتلهم، وكان عنده شبيب[1] بن شبة، فقال له : اضرب عنق هذا العِلْج، فقال: ياأمير المؤمنين، قد علمت ما ابتلى به الفرزدق، فعير به قومه إلى اليوم، فقال : إنما أردتُ تشريفك، وقد أعفيتك، وكان أبو الهول الشاعر حاضراً، فأنشد [من الطويل]:

جزَعتَ منَ الرُّومى وهو مقيَّدٌ ... فكيفَ إذَا لاَقيته وَهْوَ مطلقُ
دعاكَ أميرُ المؤمنينَ لِقتلهِ ... فكادَ شَبيبٌ عندَ ذلكَ يَفْرَقُ
فَنحٌ شبيباً عن قِرَاعِ كتيبةٍ ... وأدْنِ شبيباً منْ كلام يُلَفَّقُ

ومن نوادر الخواطر ما يحكى عن ابن ميَّادة أنه أنشد يوما لنفسه، [من الطويل] :

مُفيدٌ ومِتلاَفٌ إذا ما أتيتهُ ... تَهلَّلَ واهتزّ اهتزاز المهندِ

فَقيل له : أين يذهب بك ؟ هذا للحطيئة، فقال : الآن علمت أنى شاعر إذ وافقته على قوله ولم أسمعهُ.

ومنه ما حكى الصفى الحلى أنه نظم بيتا من جملة أبيات، وهو [من الكامل] :

تَهْوَى مواضيكَ الرقابَ كأنما ... من قبلُ كان حديدها أغلالاَ

ثم ذكر أنه سمع بعد ذلك بيتاً لا يعلم قائله، وهو [من البسيط] :

تهوى الرقابَ مواضيها فتحسبها ... تودُّ لوْ أصبحتْ أغلالَ من أسرَا

فأسقط بيته الذى نظمه، ثم إنه نظمه بعد ذلك فى بديعيته، فقال : [من البَسيط] :

تهوى الرقابَ مواضيهم فتحسبها ... حديدَها كان أغلالاً من القدمِ

ولنذكر مِنْ أخذ المتأخرين بعضهم من بعضٍ ما يحلو فى الأذواق، وتتحلى

(١) كذا، ويقع فى بعض الأمهات « شبيب بن شيبه »

به الأوراق.

فمن ذلك قول القاضي الفاضل في مليح مُعذر [من الطويل] :

وكنتَ وكنّا والزمانُ مُساعدٌ فصرْتَ وصِرْنا وهْوَ غير مُساعدِ

وَزَاحمني في وِرْد ريقكَ شاربٌ ونفسيَ تأبىَ شركها في الموارِدِ

أخذَه العز الموصلي ، فقال [من الطويل] :

لقدْ كنتَ لي وَحدي وَوجهكَ رَوْضَتي

وكُنا وكانت للزمان مواهبُ

فعارضَني في وردِ خدِّكَ عارضٌ وزَاحمني في ورد ثغركَ شاربُ

وقول ابن سناء الملك [من الطويل] :

وفي القَلب تَصديعٌ ، وفي الوصل جبْرُه

وَفي الخدِّ دينارٌ وفي الجفنِ كسرُهُ

أخذه ابن نباتة فقال [من مجزوء الكامل] :

في خـــده وجفُونه لِلحسن دينارٌ وكَسرُ

وقد تلاعبَ الشعراء بهذا المعنىَ إلى أن وصل للمعمار ، فقال : [من مجزوء الرمل] :

كم حوَىَ جفْنيَ معنىً قلتُ ألفاً وكسورا

وقول السراج الوَراق [من السريع] :

يا ساكناً قلبي على أنهُ بوجـــده في قلَق دائبِ

قَلْبي من خوف النوى واجبٌ وأنتَ لم تخرج عن الواجبِ

أخذ ابنُ نباتة نكتة الواجب وسبكها في قالب آخر ، فقال في رامي بندق [من السريع] :

أَسعدْ بها يا قمرى برزةً سعيدَةَ الطالعِ والغاربِ
صرعْتَ طيراً وسكنتَ الحشَى فما تعدَّيتَ عنِ الواجبِ

وقول أبى الحسين الجزار، وكتب به إلى بعض الرؤساء، يستدعى قطراً [من الطويل] :

أيا عَلَم الدينِ الذى جُود كفِّهِ برَاحتِه قَدْ أَخْجَلَ الغيْثَ والْبحْرَا
لئن أمحلَتْ أرْضُ الكُنافةِ إننى لأَرْجُوِلهَا من سُحْبِ رَاحتِكَ القَطْرَا

فتحلى ابنُ نباتة بهذا القطر فقال [من مخلع البسيط] :

لجود قاضِى القُضَاةِ أَشكُو عَجْزِى عَنِ الْحُلوِ صِيامِى
والقَطْرُ أَرْجُو ولا عجيبٌ للقَطْرِ يُرْجى مِنَ الغَمامِ

وقول محيى الدين بن عبد الظاهر [من مجزوء الكامل] :

شكرا لنَسْمَة أرضكم كم بلَّغت عنى تحيَّهْ
لاغَرْوَ أن حفِظت أحا ديثَ الهوى فهى الذكيَّهْ

أخذه الصلاح الصفدى فقال [من الكامل] :

ياطيبَ نَشْرٍ هبَّ لى من أرضكم فأثار كامِنَ لوعتى وتهتُّكى
أهدى تحيتكم وأشبَهَ لطفكم وروى شذا كم إنَّ ذا نشرٌ ذكى

وأشار إلى هذه السرقة ابن أبى حجلة فقال [من الكامل] :

إن ابن أيبَكَ لم تزل سرقاتُهُ تأتى بكل قبيحةٍ وقبيحِ
نَسَبَ المعانى فى النسيم لنفْسه جهلا فراح كلامُهُ فى الريحِ

وقول ابن عبد الظاهر أيضاً مقتبساً [من الكامل] :

بأبى فَتَاةٌ من كمال صِفاتِها وجمال بهجتها تحارُ الأعينُ
كم قد دفعتُ عواذلى عن وجهها لما تبدَّت بالتى هى أحسَنُ

أخذه ابن نباتة بقافيته ولكن زاده إيضاحاً فقال [من الكامل] :

يا عاذلى شمسُ النهارِ جميلةٌ   وجمالُ فاتنتى ألذ وأزينُ
فانظر إلى حسنَيْهما متأملا   وادْفع ملامَكَ بالتى هى أحْسَنُ

وألمّ به العز الموصلىّ فقال [من الخفيف] :

قد سَلَوْنا عن المليح بخَوْدٍ   ذاتِ وَجْهٍ به الجمالُ تَفَنَّنْ
ورَجعنَا عن التهتك فيه   ودَفعناه بالتى هى أحْسَنْ

وقول ابن عبد الظاهر أيضاً وكتب به من منهل بطريق الحجاز يسمى عيون القصب [من الطويل] :

كتبتُ لكم من أعيُنِ القَصَبِ التى   لَهَا من معَانيكم ومن نفسها طَرَبْ
فان أطربَ التشبيبُ فيها بذكركم   فكم أطرب التشبيب من أعينِ القَصب(١)

أخذه المعمار فقال فى مشبب [من مجزوء الرجز] :

هويته مشبباً   بعَادُهُ برَّحَ بى
تيَّمَ قلبى بالحجا   ز من عُيونِ القصَبِ(١)

وقول شيخ شيوخ حَمَاة موريا بالورد المنسوب إلى نصيبين [من مخلع البسيط]

أفدِى حبيباً رُزقتُ منهُ   عَطفَ مُحِب على حبيب
بوجنةٍ ما أتمّ ربحى   وقد غدَا وردُها نصيبى

أخذه ابن نباتة فقال [من الطويل] :

فَدَيتُكَ غصناً ليس يَبْرَحُ مثمرا   من الحسن فى الدنيا بكلّ غريب
تفتّح فى وَجناته الوردُ أحمرا   فياليتَ ذاك الوردَ كان نَصيبى

وقوله أيضاً فى أسماء متنزهات دمشق وهى السهم وسطرى [من السريع] :

قالوا أما فى جلقٍ نُزْهة   تُنْسيكَ ما أنتَ به مُغرَى

---

(١) أراد من الحجاز ضربا من النغم معروفا بهذا الاسم ، وأراد من عيون القصب المزمار

يا عاذلي دُونَكَ من لحظه سَهْماً ومن عارضه سَطْرا

أخذه الجلال ابن خطيب داريا فقال وأبدل السهم بمقرى وهو من متنزهاتها أيضاً [من الطويل] :

سألتكما إن جئتما الشام بكْرَةً وعاينتما الشقراء والغوطةَ الخضْرَا
قِفا واقرأ منى كتابا كتبتهُ بدمعى لكم مقرى ولا تنسيَا سطرا

وفى مثله للنور الأسعردى [من الطويل] :

وربّ جلالى خمرةً مُزَّةً جلَتْ همومى وقد عاينْتُ فى خده سَطْرَا
ورَبْوَته الشقراء ناعمةٌ غَدَتْ فيا حُسْنها من بَرْزَةٍ ليتها عذْرَا

وقول مجير الدين بن تميم فى سَجَّادة [من الطويل] :

أيا حُسْنها سجادة سندسية يرى للتقى والزهد فيها تَوَسُّمُ
إذا ما رآها الناسكون ذوُو الحِجى أمامَهم صلَّوا عليها وسَلَّموا

أخذه ابن نباتة فقال [من الخفيف] :

إن سَجَّادتى الحقيرةَ قدْراً لم يَفتها فى بابكَ التعظيمُ
شرفَتْ إذ سعَتْ إليك فأمسَتْ وعليها الصلاةُ والتسليمُ

وتطفل عليها ابن الوردى فقال [من المقتضب] :

سَجَّادتى أذكرَتْنى منك الذى كنت أعلم
أهدَيْتَها لمحبٍّ صلّى عليها وسَلّمْ

وقوله أيضاً فيمن غضب عند عزله من منصب ولايته [من السريع] :

كم قُلتُ لما فاضَ غيظاً وقدْ أُزيحَ عن مَنصبه المُعْجب
لا تَعجَبُوا أن فارَ من غَيظهِ فالقَلْبُ مَطبُوخ على المنصِب

ألم به الشرف النصيبى فقال [من الكامل] :

وَلَّوْكَ إذ علموا بجهلك منصباً علماً بأنك عن قليلٍ تبرَخُ
طبخوا بنارِ العزْلِ قلبكَ بعدَذا وكذا القلوب على المناصبِ تُطْبخُ

وقوله أيضا [من الوافر] :

دعيتُ فكان أكلى فخذَ طيرٍ ولم أشْرَب من الصهباء نقْطهْ
وما يومى كأمسِ وذاكَ أنى أكلتُ أوزة وشربتُ بطّهْ

أخذه الصلاح الصفدى بقافيته فقال [من المقتضب] :

شوَى الأوز فأضحَتْ فى حُمْرَة الخد بسْطَهْ
فقلت تَشْوى أوزا أم كنت تَشْرَب بطه

وقوله أيضا وتقدم فى حسن التعليل [من الطويل] :

حبيبي وعدْتَ الكأس منك بقبلة وأعقبَ ذاك الوعدَ منك نفارُ
وما كان هذا لونها غير أنها علاها لطول الانتظار صفارُ

أخذه ابن الصاحب فقال [من مخلع البسيط] :

يا حابس الكأس لا تردها من بعد حَبْس الدنان حسْرَهْ
واغنم مزاجا لها لطيفا أورثه الانتظارُ صفْرَهْ

وقول ابن العفيف [من مجزوءِ الرمل] :

كان ما كانَ وزالا فاطّرِحْ قيلاً وقالا
أيها المعرِضُ عنى حسبُكَ الله تعالى

أخذ المجد بن مكانس بعضه فقال [من مخلع البسيط] :

يا غصناً فى الرياضِ مالا حمَّلتنى فى هواكَ مالا
يارامحاً بعد ما سبانى حسبُكَ ربُّ السما تعالى

وقوله أيضاً [من مجزوء الكامل] :

إنى لأشكو فى الهوى ما راح يفعَلُ خدُّهُ
ما كان يدرى ما الجفَا لكن تفتّحَ وردُهُ

أخذه الصلاح الصفدى وزاده نكتة أخرى فقال [من الطويل]:

أقولُ له ما كان خدُّك هكذا ولا الصُّدْغ حتى سال فى الشَّفق الدُّجى
فِمنْ أين هذا الحسنُ والظرف قال لى تَفَتَّح وَرْدى والعذارُ تخرَّجا

وقول الوداعى من قصيدة [من الكامل] :

بخلتْ علىَّ بدرِّ مَبْسِمها فغدتْ مطوَّقةً بما بخلتْ

أخذه ابن نباتة فقال [من الكامل]

بخلَتْ باؤلؤ ثغرها عن لائمٍ فغدَتْ مطوقة بما بخلَتْ بِهِ

ومحاسن المتأخرين كثيرة ، والاقتصار على هذه النبذة أولى

ترجمة الأفوه الأودى

والأَفوه الأَوْدِي(١) اسمه صلاة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف ابن منبه بن أود بن صعب بن سعد العشيرة ، وكان يقال لأبيه عمرو بن مالك « فارس الشهباء » وفى ذلك يقول الأفوه [من الطويل] :

أبى فارسُ الشهباء عمرو بن مالكٍ غَداةَ الوغى إذ مال بالجد عاثرُ

ولقب بالأفوه لأنه كان غليظ الشفتين ، ظاهر الأسنان ، وقال الكلبى : وكان الأفوه من قدماء الشعراء فى الجاهلية ، وكان سيد قومه وقائدهم فى حروبهم ، وكانوا يصدرون عن رأيه ، والعرب تعده من حكمائها ، وتعد كلمته [من البسيط]

لنا معاشِرُ لم يَبْنُوا لقومِهِمُ وإن بنى قَوْمُهمْ ما أفسَدُوا عادوا

من حكمة العرب وآدابها ، وكان بينه و بين قوم من بنى عامر دماء ، فأدرك بثاره ، وزاد ، فأعطاهم ديات من قَتَلَ فضلا عن قتلى قومه ، فقبلوه وصالحوه فقال يفتخر عليهم [من الطويل] :

نقاتِلُ أقواما فنَسبي نساءهُمْ ولم يرَ ذو عِزٍّ لنسْوَتِنا حِجْلا
نقُودُ ونأبى أن نُقَادَ ولا نَرَى لقوم علينا فى مكارمهم فَضْلا

(١) للأفوه الأودى ترجمة فى شعراء النصرانية (٧٠) والشعراء لابن قتيبة (١١٠) والأغانى (١١ ـ ٤٤)

وإنا بطاء المشى عند نسائنا كما قُيِّدَتْ بالصيف نَجْدِيَّة بزلا
نظَلَّ غيارى عند كلِّ ستيرةٍ تقلب جيداً واضحاً وشَوًى عَبْلا
وإنا لنُعطى المالَ دون دمائنا ونأبى فما نستام دُونَ دمٍ عَقْلا

وقال أبو عمرو : أغار بنو أوْدٍ وقد جمعها الأفوهُ على بنى عامر ، فمرض الأفوه مرضاً شديداً ، فخرج بدله يزيد بن الحارث الأودى ، وأقام الأفوه الأودىّ حتى أفاق من وَجَعِهِ ، وخرج يزيد بن الحارث فلقى بنى عامر وعليهم عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، فلما التقَوْا عرف بعضهم بعضاً ، فقالت لهم عامر : ساندونا فما أصابنا كان بيننا و بينكم ، فقالت أود وكانوا قد أصابوا منهم رجلين : لا والله حتى نأخذ طائلتنا ، فقام أخو المقتول وهو رجل من كعب بن أود فقال : يا بنى أود والله لتأخُذُنَّ بطائلتى أو لأنتَحين على سيفى ، فاقتتلت أود و بنو عامر، فظفرت أود وأصابوا مغنما كثيرا ، فقال الأفوه فى ذلك [من الوافر]:

ألا يا لَهْفَ لو شهِدَتْ قنانى قبائلُ عامرٍ يوْم الصليبِ (١)
غداة تجمعت كعب إلينا حلائف بين أفناء الحُرُوبِ (٢)
فلما أن رأونا فى وغاها كآسادِ العرينةِ والحجيب (٣)
تداعَوْا ثم مالوا عن ذراها كفعل الجامعات من الوجيبِ (٤)
وطارُوا كالنَّعامِ ببطن قوٍّ مزايلةً على حذر الرقيبِ (٥)

وهو القائل (من البسيط) :

لا يَصْلُحُ الناسُ فوضى لاسراة لهم ولا سَرَاةَ إذا جُهَّالُهُمْ سادُوا

---

(١) فى الأغانى « لو شدت قنانى » وفيه « يوم الصبيب » .
(٢) فى الأغانى « جلائب بين أبناء الحريب » .
(٣) هذا البيت غير مذكور فى الأغانى ولا فى شعراء النصرانية
(٤) فى الأغانى وشعراء النصرانية :
تداعوا ثم مالوا فى ذراها كفعل معانت أمن الرجيب
(٥) فى الأغانى « وطاروا كالبغام » وفيه « مواءلة على حذر » .

تُهْدَى الأمورُ بأهل الرأى ما صلحت فإنْ تولَّتْ فبالأشرار تنقادُ

وهو القائل [من السريع] :

والمرء ما يُصْلحُ له ليلةً بالسَّعْدِ تُفْسِدُه ليالى النُّحُوسْ

والخير لا يأتى ابتغاءً به والشر لا يفنيه ضَرْحُ الشمُوسْ

وهو القائل [من الوافر] :

بَلَوْتُ الناسَ قَرْناً بعدَ قَرْنٍ فلم أر غيرَ ذى قيل وقال

ولم أرَ فى الخُطُوب أشدَّ هَوْلاً وأصْعَبَ من مُعاداةِ الرِّجالِ

وَذُقْتُ مَرارةَ الأشياء طرّاً فما شىءٌ أمرُّ من السُّؤالِ

قال عبد الله بن الزبير : هذه الأبيات الثلاثة جامعة لما قالت العرب

***

٢٠٧ــ إن كنت أزْمَعْتَ على هَجْرِنا من غير ما جُرْمٍ فَصَبْرٌ جميلْ

وإنْ تَبَدَّلْتَ بنا غَيْرَنا فَحَسْبُنا الله وَنِعْمَ الوَكيلْ

الاقتباس

البيتان من السريع ، وقائلهما أبو القاسم بن الحسن الكاتبى .

ومعنى « أزمعت » أجمعت على الأمر وثبتُّ عليه ، والجرم — بالضم — الذنب ، والصبر الجميل : هو الذى لاشكوى فيه ، كما أن الصفح الجميل هو الذى لا عتب فيه ، والهجر الجميل هو الذى لا غيبة فيه

والشاهد فى البيت الثانى : الاقتباس من القرآن العظيم

وما أحسن قول مجير الدين بن تميم فى وكيل بدار القاضى يدعى بالعز [من السريع] :

لا تَقْرَبِ الشرعَ إذا لم تكن تَخْبُرُه فهوَ دَقيقٌ جليلْ

وَوَكِّلِ العزَّ الذى وَجهه على نجاح الأمر أقوى دليلْ

ولا تَمِلْ عنه إلى غيرِه فحسبنا اللهُ ونعمَ الوكيلْ

وما أظرف قول بعضهم فى ذم وكيل اسمه كثير [من المقتضب] :

كثيرُ شأنكَ عندى وعندَ غيرى قليلُ

وحقُّ مَنْ هو حسبى ما أنتَ نعمَ الوكيلُ

من شواهد الاقتباس

٢٠٨ — قالَ لى إنَّ رَقيبى سَيءُ الخُلق فَدارِهْ
قلتُ دَعنى وَجهكَ الجنـــةُ حُفَّتْ بالمكارِهْ

البيتان للصاحب بن عباد ، من الرمل .

والرقيب : الحافظ والحارس ، والمداراة : الملاطفة والمخاتلة

والشاهد فى البيت الثانى : الاقتباس من الحديث ، ولفظه : « حُفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات » . والحفوف : الاحاطة بالشيء .

والمعنى : أن وجهك لحسنه جنة ، فلا بد لى من تحمل مكاره الرقيب ، كما أنه لا بد لطالب الجنة الحقيقية من تحمل مشاق التكاليف .

وفى مثله قول بعضهم [من الطويل] :

وَلِلّهِ فى عرْضِ السموات جَنةٌ ولكنها محفوفةٌ بِالمكارِهِ

وقول ابن قلاَقس [من الطويل] :

ووَالله لولاَ أنهُ جنـةُ المنىَ لما كانَ محفوفاً لنا بالمكارهِ

وقول ابنِ نُبَاتة السعدى [من مجزوء الكامل] :

عَنْ خـدهِ منعَ الرَّقيـــبُ وَبعدَهُ دَاجى عِذَارِهْ
وَاهاً لهـا من جنَّـةٍ حُفَّتْ بِأنوَاع المكارهْ

وقول الصفى الحلى [من مجزوء الكامل] :

يا جنـة الحسن التى حُفَّتْ لدينا بالمكارهْ
إنى لِوَجهكَ عاشقٌ ولِمنظرِ الرُّقباء كارِهْ

وقول ابن نباتة فى جارية صوَّرت بوجهها حية وعقرباً بغالية [من الطويل]:

قتيلكِ ما أذكى الهوى جُلَّنارهِ إلى أن تبدَّى الخدُّ فى جلُّنارهِ
رأى حيةً فى وجنتيك وعقرباً نعمْ جنَّةٌ محفوفة بالمكارهِ

وقريب منه قول الأبله الشاعر البغدادى ، وكان له ميل إلى بعض أولاد البغاددة ، فعبر على باب داره فوجد خلوة ، فكتب على الباب [من السريع] :

دارُكَ يا بدرَ الدجى جنة   بغيرها نفسى لاَ تلهُو
وقدْ رَوَى فى خبرٍ أنهُ   أكثر أهل الجنةِ البلهُ

ذكرت بهذا ما حكى ابنُ عَسَاكر ، عن سلمة بن عاصم ، قال : ما لقينى الأصمعى قط إلا قال : « أرجو أن تكون من أهل الجنة » قال : فقال لى جليس له : إنما أراد أنك أبلَه ، لأن أكثر أهل الجنة البله ، قال : لا يبعد ، فقد كان ماجِناً ، انتهى

ترجمة الصاحب بن عباد

والصاحب ابن عباد [1] ، هو : إسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد ابن أحمد بن إدريس الطالقانى ، والطالقان : اسم لمدينتين : إحداهما بخراسان ، والأخرى : من أعمال قزوين ، وهذه هى التى منها الصاحب ، ومولده بها ، أو باصطخر ، سنة ست وعشرين وثلثمائة ، وهوأول من سُمى بالصاحب من الوزراء لأنه صحب مؤيد الدولة من الصبى ، فسماه الصاحب فغلب عليه ، ثم سمى به كل من ولى الوزارة بعده ، وقيل : سُمى به لأنه كان يصْحَبُ الوزير ابن العميد ، فقيل له : صاحب ابن العميد ، ثم خفف فقيل : الصاحب

وقال الثعالبى فى حقه : ليست تحضرنى عبارة أرضاها للافصاح عن علو محله فى العلم والأدب ، وَجلالة شأنه فى الجود والكرم ، وتفرده بغَايات المحاسن ، وجمعه أشتات المفاخر ، إلى أن قال : ولكنى أقول : هو صَدْرُ المشرق ، وتاريخ المجد ، وغرة الزمان ، وَينبوع الفضل والاحسان . وكانت حضرته محط رحال الأدباء والشعراء ، وموسم فضائلهم ، ومَتْرع [2] آمالهم ، وأمواله مصروفة إليهم ،

(١) تجد للصاحب بن عباد ترجمة فى يتيمة الدهر (٣-١٨٨ بتحقيقنا) وفى تاريخ ابن خلكان (١ - ٢٠٦ بتحقيقنا) .

(٢) فى المطبوعتين « ومنزع آمالهم » وأثبتنا ما فى اليتيمة .

وصنائعه مقصورة عليهم . ولما كان نادرة عطارد فى البلاغة ، وواسطة عقد الدهر فى السماحة ، جلب إليه من الآفاق وأقاصى البلاد كل خطاب جزل ، وقول فصل ، وصارت حضرته مشرعا لروائع الكلام ، و بدائع الافهام ، ومجلسه مجمعاً لصوب العقول ، وذوب العلوم ، ونمار الخواطر ، ودرر القرائح ، فبلغ فى البلاغة ما يعد فى السحر ، و يدخل فى باب الاعجاز ، وسار كلامه مسير الشمس ، ونظم ناحيتى الشرق والغرب ، واحتفّت به من نجوم الأرض ، وأفراد العصر وأبناء الفضل ، وفرسان الشعر ، من يُرْبى عددهم على شعراء الرّشيد ، ولا يقصرُون عنهم فى الأخذ برقاب القوافى ، وملك رق المعانى ، فانه لم يجتمع بباب ملك ولا خليفة ما اجتمع بباب الرشيد من فحول الشعراء : كأبى نوَاس وأبى العتَاهية ، والعتابى ، والنميرى ، ومسلم بن الوليد ، وأبى الشيص ، وأشجع السلمى ، ومروان بن أبى حفصة ، وغيرهم . وجمعت حضرة الصاحب بأصبهان ، والرى ، وجرجان . مثل : السلامى ، والخوارزمى ، والمأمونى ، والبديهى ، والرستمى ، والزعفرانى ، وَالضبى ، والجرجانى ، وأبى قاسم بن أبى العلاء ، وابن بابك ، وابن القاشانى ، والبديع الهمذانى ، وأبى الفرج الساوى ، وغيرهم ، ومدحه مكاتَبَةً(١) الشريفُ الرضى ، وابن حجاج ، والصابى ، وابن سكرة الهاشمى ، وما أحسن قول الصاحب المتقدم فى شواهد الادماج [من الخفيف] :

إنَّ خيرَ المداح مَنْ مدحته ... شعُراء البلاد فى كل نادى

قال : وسمعت أبا بكر الخوارزمى يقول : إن مولانا الصاحب نشأ من الوزارة فى حِجْرِها ، ودرج فى وَكْرِها ، ورضع أفاويق دَرِّها ، وورثها عن أبيه ، كما قال الرستمى فيه [من الكامل] :

وَرِثَ الوزارة كابراً عن كابرٍ ... مَوْصُولَةَ الاسناد بالاسناد

يرْوِى عَنِ العباس عبَّادٌ وزا ... رتَه وإسْماعيلُ عَنْ عبَّادِ

---

(١) فى المطبوعتين «ومدحه كاتبه الشريف الرضى» وهو خطأ تصويبه عن اليتيمة .

قال : ولما ملك فخر الدولة واستعفى الصاحبُ من الوزارة ، قال له : لك فى هذه الدولة من إرث الوزارة ، مالَنا فيها من إرث الأمارة ، فسبيل كل منا أن يحتفظ بحقه .

قال : وحدثنى عون بن الحسين الهمذانى ، قال : كنت يوما فى خزانة الخلع للصاحب بن عباد ، فرأيت فى دستور كاتبها ، وكان صديقى ، مبلغ عمائم الخز التى صرفت فى تلك الشتوية للعلويين والفقهاء والشعراء خاصة غير الخدم والحاشية ثمانمائة وعشرين ، قال : وكان يعجبه الخز ، ويأمر بالاستكثار منه فى داره ، فنظر أبو القاسم الزعفرانى يوماً إلى جميع من فيها من الخدم والحاشية عليهم الخزوز الفاخرة الملوّنة ، فاعتزل ناحية ، وأخذ يكتب شيئاً ، فنظر إليه الصاحِبُ ، وقال : علىّ به ، فاستمهل الزعفرانى ريثما يتم مكتوبه ، فأمر الصاحبُ بأخذ الدرج من يده ، فقام ، وقال : أيد الله مولانا الصاحب [من الرجز] :

اسمعهُ ممنْ قاله تزدَدْ بهِ ... عُجْباً فحسن الورد فى أغصانه

فقال : هات يا أبا القاسم ، فأنشده أبياتاً ، منها [من المتقارب] :

سِواكَ يَعُدُّ الغنى ما اقتنى ... وَيَأمرهُ الحِرْصُ أنْ يخزنَا
وَأنتَ ابنَ عبَّادٍ المرْتجَى ... تعدّ نوالكَ نيـ ـلَ المنَى
وَخيرُكَ مِنْ باسطٍ كفَّهُ ... وممن ثنَاهَا قريبُ الجنَى
غمرْتَ الورَى بصنُوفِ الندَى ... فأصغرُ ما ملكوهُ الغنَى
وَغادَرْتَ أشعرَهُمْ مُفحَماً ... وأشكرَهُمْ عاجِزاً ألكنَا
أيَا منْ عطاياهُ تُهدِي الغنَى ... إلى رَاحتَىْ مَنْ نأى أوْ دنَا
كَسوْتَ المقيمينَ وَالزائرينَ ... كُساً لم يُخَلْ مثلها ممكنَا
وَحاشية الدَّارِ يمشونَ فى ... ضُرُوبٍ مِنَ الخزِّ إلاّ أنَا
وَلستُ أذكِّرُ بِى جارِياً ... عَلى العهدِ يحسن أنْ يحسنَا

فقال له الصاحب : قرأت فى أخبار معن بن زائدة أن رجلا قال له : احملنى أيها الأمير ، فأمر له بناقة وفرس و بغـلة وحمار وجارية ، ثم قال له : لو علمت مركوباً غيرها لحملتك عليه ، وقد أمرنا لك من الخز بجبة ، ودُرَّاعة ، وقميص ، وسراويل ، وعمامة ، ومنديل ، ومُطْرَف ، ورداء ، وجورب ، ولو علمنا لباساً آخر يتخذ من الخز أعطيناكه .

قال : وحدثنى أبو عبـد الله محمد بن حامد الحامدى ، قال : شهدت أبا محمد الخازن بين يدى الصاحب ينشده [من البسيط] :

هذا فؤادُكَ نُهبَى بينَ أهواءِ ... وذاكَ رأيكَ شُورَى بينَ آراءِ

هَوَاكَ بين العيونِ النُّجْلِ مقتسم ... داء لعمرُكَ ما أبلاهُ من داءِ

لاَ تستقرُّ بأرْضٍ أوْ تسيرَ إلى

أُخرَى بشخصٍ قريبٍ عزمهُ نائى

يوماً بحُزْوَى وَيوماً بالعقيق وَبالعذَيب يوماً وَيوماً بالخليصاءِ

وَتارَةً ينتحى نجداً ، وآونةً ... شعبَ الغُوَيْرِ ، وَيوماً قصْرَ تيماءِ

قال : فرأيت الصاحب مقبلا عليهِ ، حسن الاصغاء إلى إنشاده ، حتى عجب الحاضرون ، فلما بلغ إلى قوله :

أَدْعى بأسماء نبزا فى قبائلها ... كأنَّ أسماءَ أضحتْ بعضَ أسمائى

أطَلَقْتُ شعرى وأطلقتْ شعْرَهَا طَرَباً ... فألفا بينَ إصباحٍ وإمساءِ

مال الصاحب عن دَسْته طربا ، حتى بلغ قوله فى المدح :

لوْ أنَّ سحبَانَ جاراه لأسحبهُ ... على خطَابته أذيالَ فأفاءِ

أرى الأقاليم قدْ ألقتْ مقالدَهَا ... إليهِ مستلقيات أىَّ إلقاءِ

فساسَ سبعتها منه بأرْبعَةٍ ... أمرٍ ونهْىٍ وتثبيت وإمضاءِ

كذاكَ توحيدهُ أَلْوَى بأربعة كفرٍ وجبْرٍ وتشبيهٍ وإرجاء
نعم تجنبَ لا يومَ العطاء كما تجنب ابنُ عطاء لثْغَةَ الراء

فاستعاده وطرب للمعنى ، فلما ختمها بهذه الأبيات :

أطرِى وأطرِب للأشعار أنشدُها أحسنْ ببهجة إطرابى وإطرائى
ومِنْ منائح مولانا مدائحه لأنَّ منْ زندهِ قدْحى وإيرائى
فَخذْ إليكَ ابنَ عبادٍ محبرةً لا البحتريُّ يدانيها ولاَ الطائى

قال له : أحسنت ، أحسنت ، ولله أنت ، وتناول النسخة ، وتشاغل بإعادة النظر فيها . ثم أمر له بخلعة من ملابسه ، وفرس من مراكبه ، وصلة وافرة .

قال : وحدثنى أبو الحسن محمد بن الحسن النحوى ، قال : سمعت الصاحب يقول : أنفذ إلىَّ أبو العباس تاش الحاجب رقعة فى السر ، بخط مخدومه نوح بن منصور ملك خراسان وما وراء النهر ، يريدنى فيها على الانحياز إلى حضرته ليلقى إلىَّ مقاليد ملكه ويعتمدنى لوزارته ، قال : وكان فيما اعتذرت به إليه من تركى امتثال أمره ذكر طول ذيلى بكثرة حاشيتى ، وحاجتى لنقل كتبى خاصة إلى أربعمائة جمل ، فما الظن بما يليق بها من تجمل مثلى .

وحدثنى أيضا قال : سمعتُ الصاحب يقول : حضرت مجلس ابن العميد عشية من عشايا شهر رمضان ، وقد حضره الفقهاء والمتكلمون للمناظرة ، وأنا إذ ذاك فى رَيعان شبابى ، فلما تقوّضَ ذلك المجلس وانصرف القوم وقد حلَّ الافطار أنكرتُ ذلك بَينى وَبين نفسى ، وعجبتُ من إغفاله الأمر بتفطير الحاضرين مع وفور رياسته ، وعاهدتُ الله أن لا أخلَّ بما أخلَّ به إذا قمت يوماً مقامه ، قال : فكان الصاحب لا يدخل عليه فى شهر رمضان بعد العصر أحد كائناً مَنْ كان فيخرج منْ داره إلا بعد الافطار ، وكانت داره لا تخلو ليلة من ليالى الشهر من ألف نفسٍ مفطرة .

وكانتْ صِلاَته وصدقاته ونفقته فى هذا الشهر تبلغ مبلغ ما يطلق منها فى جميع السنة

قال : وحدثنى أبو الفضل الهمذانى بديعُ الزمان ، قال : لما أدخلنى أبى إلى الصاحب ووصلت إلى مجلسه واصلت الخدمة بتقبيل الأرض ، فقال لى : يابنى اقعد، كم تسجد؟ كأنك هدهد! .

وكان الصاحب فى الصغر إذا أراد المضى إلى المسْجد ليقرأ تعطيه والدته ديناراً ودرهما فى كل يوم ، وتقول له : تصدَّقْ بهذا على أول فقير تلقاه ، فجعل هذا دأبَهُ فى شبابه إلى أن كبر وماتت والدته ، وهو على هذا يقول للفراش فى كل ليلة : اطرح تحتَ المطرح دينارا ودرهما ، لئلا ينساه، فبقى على هذا مدة ، ثم إن الفراش نَسى ليلة منَ الليالى أن يطرح له الدرهم والدينار، فانتبه وصلى وقلَبَ المطرح ليأخذ الدينار والدرهم ، فما رآهما ، فتطير من ذلك ، وظن أنه قرب أجله فقَال للفرّاشين : شيلوا كل ما هنا مِن الفرش وأخرجوه وأعطوه لأول فقير تلقونه حتى يكون كفارة لتأخير هذا الخير . فلَقوا فقيراً أعمى هاشميا على يد امرأة وهو يبكى ، فقالوا له : تقبل هذا ، فقَال : ماهُو ؟ فقالوا : مطرح ديباج ومخادُّ ديباج ، فأغمى عليه . فأعلموا الصاحب بأمره ، فأحضره وسقاهُ شرابًا بعد مارش عليه الماء ، فلماأفاق سأله قال : اسألوا هذه المرأة إن لم تصدقونى ، فقال له : اشرح ، فقَال : أنا رجل شريف ، ولى ابنة من هذه المرأة خطبها رجلٌ فزوجناه بها ، ولى سنتان آخذ القَدر الذى يفضلُ منْ قوتنا أشترى لها به قطعة صفر أو صفرية ، أوما أشبه ذلك ، فلما كان البارحة قالتْ أمها : اشتهيتُ لها مطرح ديباج ومخاد ديباج، فقلت لها:من أين لى ذلك ؟ وجرى بينى وبينهاخصومة إلى أن سألتها أن تأخذ بيدى وتخرجنى حتى أمضى على وجهى، فلما قال لى هؤلاء هذا الكلام حق لى أن يغشى علىّ ، فقَال الصاحب : لا يكون الديبَاج إلا مع ما يليق به، علىّ بالانماطيين ، فجئ بهم، فاشترى منهم الجهاز الذى يليق بذلك المَطرح ، وأحضر زوجَ الصبية ، ودفع إليه بضاعة سنية .

قال : وحدثنى أبو منصور البيع قال : دخلت يوماً على الصاحب بن عباد فطاولته الحديث ، فلما أردت القيام قلت : لعلى طولت ، فقال : لا ، بل تطوَّلْتَ

يحكى أن الصاحب استدعى فى بعض الأيام شراباً ، فأحضروا قدحاً ، فلما أراد أن يشربه قال له بعض خواصه : لا تشربه فانه مسموم ، وكان الغلام الذى ناوله واقفا ، فقال للمحذر : وما الشاهد على صحة قولك ؟ قال : تجربه فى الذى ناولك إياه ، قال : لا أستجيز ذلك ولا أستحله ، قال : فجربه فى دجاجة ، قال : التمثيل بالحيوان لا يجوز ، ورد القدح وأمر بقلبه ، وقال للغلام : انصرف عنى ولا تدخل دارى ، وأمر باقرار جاريه وجرايته عليه ، وقال : لا يدفع اليقين بالشك ، والعقوبة بقطع الرزق نذالة .

يقال : إن ابن الخطيرى أتى يوماً إليه ، فقام له ، فمر مسرعا لأجله ، فضرط ، فقال : يامولانا هذا صرير التَّخْت ، فقال : بل صفير التَّحْت ، فذهب واستحيا وانقطع ، فكتب إليه [من البسيط] :

قل للخطيرىِّ لا تَذْهَبْ على خجل بضَرْطَةٍ أشْبَهتْ نايا على عُودِ
فانها الريحُ لا تستطيع تُمسِكُهَا إذ أنت لَسْتَ سليمان بن داودِ

وكان الصاحب قد وَلَّى عبد الجبار الأسترا باذى قاضى القضاة بهمذان والجبال فاستقبله يوماً ولم يترجل له ، وقال : أيها الصاحب ، أريد أن أُترجل للخدمة ، ولكن العلم يأبى ذلك ، وكان يكتب فى عنوان كتابه إلى الصاحب « داعيه عبد الجبار بن أحمد » ثم كتب « وليه عبد الجبار بن أحمد » ثم كتب « عبد الجبار بن أحمد» فقال الصاحب : نظن القاضى يؤول أمره إلى أن يكتب « الجبار »! .

وقال الصاحب يوما : ما أفظعنى إلا شاب بغدادى ورد علينا إلى أصبهان فقصدنى ، فأذنت له ، وكان عليه مرقعة ، وفى رجله نعل طاق ، فنظرت إلى حاجبى

فقال له وهو يصعد إلىّ : اخلع نعلك ، فقال : ولِمَ ؟ لعلنى أحتاج إليها بعد ساعة ، فغلبنى الضحك وقلت : أتراه يريد أن يصفعنى بها .

وقال بديع الزمان الهمذانى : كنت عند الصاحب ابن عباد ، فأتاه رجل بقصيدة يفضل فيها العجم على العرب ، وهى [من الوافر] :

غنينا بالطُّبُولِ عن الطلول وعن عَنْس عُذافرة ذَمُولِ
وأذهلنى عقَارى عن عقَارى ففى است أم القضاة مع العُدُولِ
فلست بتاركٍ إيوانَ كسرَى لتوضِحَ أو لحَوْمَلَ فالدَّخُولِ
وضبٍّ بالفلا ساع وذئبٍ بها يَعْوى وليثٍ وَسْطَ غِيلِ
إذا ذبحُوا فذلك يوم عيد وإن نحَرُوا ففى عُرْسٍ جليلِ
يَسُلُّون السيوفَ برأس ضب هِرَاشا بالغداة وبالأصيل
بأية رتبة قدَّمتمُوهَا على ذى الأصل والشرف الجليلِ
ألا لو لم يكن للفرس إلا نِجَار الصاحب العَدْل النَّبيل
لكان لهُمْ بذلِكَ خيْرُ عز وجيلُهمُ بذلك خير جِيلِ

فلما بلغ إلى هنا قال له الصاحب : قَدْك ، ثم اشرأبَّ ينظر إلى الزوايا وأطراف القوم ، فلم يرنى ، وكنت فى زاوية من زوايا البيت ، فقال : أين أبو الفضل ؟ فوثبت وبُسْت الأرض بين يديه ، فقال : أجبه عن ثلاثتك ، قلت : وما هى ؟ قال : أدبك ونسبك ومذهبك ، فقلت : ولا مهلة للقول إلا بما تسمع :

أرَاكَ على شفَا خطَرٍ مهُول بما أودَعْتَ نفسَك من فضُولِ
طلبت على مكارِمِنا دليلاً متى احتَاجَ النهارُ إلى دَليلِ
ألَسْنَا الضارِبِينَ جِزَى عليهم فأىَّ الخِزْى أقعدُ بالذليلِ
متى فرع المنابرَ فارسىٌّ متى عرف الأغرَّ من الحجُولِ

متى عَلِقَتْ وأنت بهم زَعِيمٌ ... أكفُّ الفُرْس أعْرَافَ الخيولِ
فَخَرْتَ بملء ماضغتيك فخراً ... على قحْطَانَ والبيت الأصيلِ
وحقك أن تُبَارِينا بكسرى ... فمأثور ككسرى فى الرّعيلِ
فخرت بنحو مَلْبُوس وأكْلٍ ... وذلك فخر رَبَّاتِ الحجُولِ
تفاخرهن فى خد أسيل ... وفَرْعٍ من مَفَارقها رَسيلِ
فأمجَدُ من أبيك إذا أثرْنَا ... عراة كالليوث وكالنصُولِ

قال: فلما أجبته بهذه الأبيات نظر الصاحب بن عباد إلى الرجل فقال: كيف ترى؟ فقال: لو سمعت به ما صدقت، قال: فاذن جائزتك إن وجدتك بعدها فى مملكتى أمرت بضرب عنقك، ثم قال: لا تَرَوْنَ رجلا يفضل العجم على العرب إلا وفيه عرق من المجوسية يرجع إليها.

قال: وحدثنى أبو منصور اللجيمىّ قال: أهدى العميرى قاضى قزوين إلى الصاحب كتباً وكتب معها [من الخفيف]:

العميرىّ عَبْدُ كافى الكُفَاة ... وإنِ اعتَدَّ من وُجُوه القُضَاة
خَدَمَ المجلس الرفيعَ بكُتْبٍ ... مُفْعَمَاتٍ من حُسْنها مُتْرَعَاتِ

فوقع تحتها [من الخفيف]:

قد قبلنا من الجميع كتاباً ... وَرَدَدْنا لِوَقْتِهَا الباقِيَاتِ
لست أستغنم الكثيرَ فطبعى ... قولُ خُذْ ليس مَذهبى قولَ هاتِ

قال: وكتب إليه بعض العلويين يخبره بأنه قد رزق مولودا، ويسأله أن يسميه ويكنيه، فوقع فى رقعته «أسعدك الله بالفارس الجديد، والطالع السعيد، فقد والله ملأ العين قرّة، والنفس مسرة مستقرة، فالاسم على ليعلى الله أمره، والكنية أبو الحسن ليحسن الله ذكره، فانى لأرجو له فضل جده، وسعادة جده وقد بعثت ديناراً من مائة مثقال، قاصداً فيه مقصد الفال، رجاء أن يعيش مائة

عام ، ويخلص خلوص الذهب الابريز من نُوَبِ الأيام ، والسلام »

وكتب إليه أبو حفصٍ الوراقُ رقعة نسختها « لولا أن الذكرى ـ أطال الله بقاء مولانا الصاحب الجليل ـ تنفع المؤمنين ، وهز الصمصام يعين المصلتين ، لما ذكرت ذكراً ولا هززت ماضياً ، ولكن ذا الحاجة لضرورته يستعجل النجح ويكد الجواد ، وحال عبد مولانا أدام الله تأييده فى الحنطة مختلفة ، وجُرْذَانُ داره عنها منصرفة ، فان رأى أن يخلط عبده ، بمن أخصب رحله عنده ، فعل إن شاء الله » فوقع عليها « أحسنت أبا حفص قولا ، وسنحسن فعلا ، فبشر جرذان دارك بالخصب ، وأمنها من الجدب ، فالحنطة تأتيك فى الأسبوع ، ولست عن غيرها من النفقة بممنوع ، إن شاء الله تعالى » .

قال : وسمعت أبا النصر بن عبد الجبار العتبي يقول : كتب بعض أتباع الصاحب إليه رقعة فى حاجة ، فوقع فيها ، ولما وردت إليه لم ير فيها توقيعاً ، وقد تواترت الأخبار بوقوع التوقيع فيها ، فعرضها على أبى العباس الضبى ، فما زال يتصفحها حتى عثر بالتوقيع ، وهو ألف واحدة ، وكان ختام الرقعة « فان رأى مولانا أن ينعم بكذا فعل » وأثبت الصاحب أمام « فعل » ألفاً ، يعنى أفعل .

قال : وبلغ الصاحب أن بعض المتشاعرين انتحل شيئاً من شعره ، فكتب إليه [من المقتضب] :

سرقتَ شعرى ، وغيرى يُضَامُ فيه ويُخْدَعْ
فسوْفَ أجزيك صَفْعاً يكدُّ رَأساً وأَخْدَعْ
فسارقُ المال يُقْطَعْ وسارق الشعر يُصْفَعْ

قال : فاتخذ الليل جملا وهرب من الرى .

وقال محمد بن المرزبان : كنا بين يدى الصاحب ليلة فنعس ، وأخذ إنسان يقرأ سورة الصافات ، فاتفق أن بعض الأجلاف من أهل ماوراء النهر نعس أيضاً

وضرط ضرطة منكرة ، فانتبه الصاحب وقال : يا أصحابنا ، نمنا على الصافات وانتبهنا على المرسلات.

وقال أيضاً : انفلتت ليلةً ضرطةٌ من بعض الحاضرين ، والصاحب فى الجدل فقال على حدته : كانت بيعة أبى بكر ، خذوا فيما أنتم فيه ، يعنى أنه قيل فى بيعة أبى بكر رضى الله عنه إنها كانت فلتة .

ولما كان الصاحب ببغداد قصد القاضى أبا السائب عُتْبَة بن عبيد الله لقضاء حقه ، فتثاقل فى القيام له ، وتحفز تحفزاً أراه به ضعف حركته وقصور نهضته فأخذ الصاحب بضَبْعه وأقامه ، وقال : نعين القاضى على قضاء حقوق أصحابه ، فخجل القاضى واعتذر إليه

وحدثنى غيره قال : كتب إنسان رقعة إلى الصاحب أغار فيها على رسائله ، وسرق فيها جملة من ألفاظه ، فوقع فيها « هذه بضاعتنا ردت إلينا » ووقع فى رقعة استحسنها « أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون » ووقع فى كتاب لبعض مخالفيه « فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » ووقع فى رقعة أبى محمد الخازن وكان قد ذهب مغاضباً ثم كتب إليه يستأذنه لمعاودة حضرته « ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين ، وفعلت فعلتك التى فعلت» ووقع فى رقعة بعض خطاب الأعمال « التصرف لا يلتمس بالتكفف، إن احتجنا إليك صَرَّفناك ، وإلا صرَفناك » وعزل الصاحب عاملا بقُمّ فكتب إليه « أيها العامل بقُم ، قد عزلناك فقم » وسأل أبا الحسين الربعى عن مسألة ، فأجاب جواباً أخطأ فيه ، فقال له: أصبت، فقبل الأرض بين يديه شكراً، فلما رفع رأسه ، قال : عين الخطأ ، ووقع إليه بعض منهى الأخبار أن رجلا ممن ينطوى له على غير الجميل يدخل داره فى غمار الناس ثم يتلوم على استراق السمع ، فوقع « دارنا هذه خان ، يدخلها مَنْ وَفى ومن خان » .

قال : وبلغنى عن القاضى أبى الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى أنه قال:

انصرفت يوما من دار الصاحب ، وذلك قبل العيد ، فجاءنى رسوله بعطر الفطر ورقعة مكتوب فيها [من الكامل] :

يأيها القاضى الذى نَفْسى له مَعَ قُرْبِ عهدِ لقائه مُشْتاقه
أهْدَيْتُ عِطراً مثلَ طيبِ ثنائه فكأنما أهدى له أخْلاقَهْ

قال: وسمعته يقول : إن الصاحب يَقْسِم لى من إقباله و إكرامه بجرجان ، أكثر مما يتلقانى به فى سائر البلدان ، وقد استعفيته يوما من فَرْط تحَفِّيه بى وتواضعه لى ، فأنشدنى لنفسه [من الكامل] :

أكرِمْ أخاكَ بأرض مَوْلِدِه وأمِدَّه مِنْ فعْلِكَ الحَسَنِ
فالعِزُّ مَطْلوبٌ وَمُلْتَمَس وأعَزُّه ما نِيلَ فى الْوَطَنِ

ثم قال لى : قد فرغت من هذا المعنى فى قصيدتك العينية ، فقلت : لعل مولاى يريد قولى [من الظويل] :

وشَيَّدْتُ مجدى بين قومى فلم أقل ألا ليْتَ قومى يعلمون صَنيعى

فقال : ما أردت غيره ، والأصل فيه قوله تعالى « يا ليت قومى يعلمون ، بما غفرلى ربى وجعلنى من المكرمين » .

قال : وأنشدنى أبو حنيفة الدهستانى للصاحب ما كتب به إلى أبى هاشم العلوى وقد أهدى إليه يوم أضحى عطراً فى طبق فضة [من الكامل] :

اقبلْ من الطيب الذى أهديتهُ ما يسرقُ العطارُ من أخْلاقِكْ
والظرف يوجب أخذهُ مَعَ ظرْفِهِ فأضِفْ به طبقاً إلى أطْباقِكْ

قال : و بلغنى عن الصاحب أنه قال : ما استأذنت قط على فخر الدولة وهو فى مجلس الأنس إلا انتقل إلى مجلس الحشمة، فأذن لى فيه ، وما أذكر أنه تبذّل بين يدى ومازحنى إلا مرة واحدة ، فانه قال لى فى شجون الحديث : بلغنى أنك تقول : المذهب مذهب الاعتزال ، والنيك نيك الرجال ، فأظهرت الكراهة

لانبساطه ، وقلت : بنا من الجد ما لا نفرغ معه إلى الهزل ، ونهضت كالمغاضب، فما زال يعتذر إلى مراسلَةً حتى عاودتُ مجلسه ، ولم يعد بعدها لما يجرى مجرى المزاح والهزل .

قال : وسمعت أبا الحسين العلوىّ الهمذانى الوصىّ قال : لما توجهت تلقاء الرىّ فى سفارتى إليها من جهة السلطان ، فكَّرْتُ فى كلام ألْقَى به الصاحب ، فلم يحضرنى ما أرضاه ، وحين استقبلنى فى العسكر وأفضى عنانى إلى عنانه جرى على لسانى «ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم» فقال «إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندونِ» ثم قال : مرحبًا بالرسول ابن الرسول ، والوصى ابن الوصى» .

قال : وسمعت عونًا الهمذانىّ يقول : إن الصاحبَ أُتى بغلام مثاقف ، فلعب فاستحسن الصاحب صورته ، وأعجب بخفته ، فقال لأصحابه : قولوا فيه شيئًا ، فلم يرضه ما قالوا ، فقال [من السريع] :

مثاقف فى غاية الحِذْقِ ... فَاقَ حِسَانَ الغَرْبِ والشَّرْقِ
شَبَّهْتُهُ والسيف فى كَفِّهِ ... بالبَدْرِ إذْ يَلْعبُ بالْبَرْقِ

قال : وسمعت سهل بن المرزبان يقول : كان الصاحب إذا شرب الماء والثلج ينشد فى أثره [من الرجز] :

قَعقَعَةُ الثلج بماء عذبِ ... تستخرجُ الحمدَ مِنَ اقصى القلبِ

ثم يقول : اللهم جَدِّدِ اللعنة على من منع الحسين الماء .

وقال غيره : كان ابن عباد فصيحا مُفَوَّها ، لكنه يتقعَّر فى خطابه ، ويستعمل وَحْشِىَّ الكلام حتى فى انبساطه ، وكان يعيب التيه ويتيه ، ولا ينصف من يناظره ، وقيل : كان مشوه الصورة ، وصنف فى اللغة كتابا سماه « المحيط » فى سبع مجلدات وله كتاب «الكافى» فى الترسل ، وكتاب الأعياد ، وكتاب « الامامة» ذكر فيه فضائل على رضى الله عنه وأثبت إمامة من تقدّمه ، وكان شيعيا جلدًا كآل بُوَيْه

معتزلياً وكان يقول: شاركت الطبرانى فى إسناده ،ويقال : إنه نال من البخارى وقال : هو حَشْوِىٌّ لا يُعَوَّل عليه ، ولما عزم على الاملاء تاب إلى الله تعالى ، واتخذ لنفسه بيتاً سماه «بيت التوبة» ولبث أسبوعا على الخير، ثم أخذ خطوط الفقهاء بصحة توبته ، ثم جلس للإملاء ، وحضر خلق كثير ، يحكى أنه خرج متحنكا متطلساً بزى العلماء ، وحضر خَلْقٌ ، فكان المستملى الواحد لا يقوم بالاملاء حتى انضاف إليه ستة كلٌّ يبلغ صاحبه ، وكان ينفذ إلى بغداد فى السنة خمسة آلاف دينار تُفَرَّقُ على الفقهاء والأدباء ، وكان يبغض من يميل إلى الفلسفة ، ومرض فى الأهواز بالاسهال ، فكان إذا قام عن الطست ترك إلى جانبه عشرة دنانير حتى لا يتبرم به الخدم ، فكانوا يودون دوام علته ، فلما عوفى تصدق بنحو خمسين ألف دينار .

وهذه غرر من فقر الصاحب تجرى مجرى الأمثال :

من استماح البحر العذب ، استخرج اللؤلؤ الرطب . من طالت يده بالمواهب، امتدت إليه ألسنة المطالب . من كفر النعمه ، استوجب النقمه . من نبت لحمه من الحرام ، لم يحصده غيرُ الحسام . من يكن الحَذَّاء أباه ، جادت نعلاه . من لم تهزه يسير الاشارة ، لم ينفعه كثير العبارة . ربَّ لطائف أقوال ، تنوب عن وظائف أموال . الشمس قد تغيب وتشرق ، والروض يذبل ثم يورق . والبدر يأفَل ثم يطلع ، والسيف ينبو ثم يقطع . العلم بالتذاكر ، والجهل بالتناكر . الذكرى ناجعة ، وكما قال الله تعالى نافعه . بعض الحلم مذله ، و بعض الاستقامة مزله . كتاب المرء عنوان عقله بَلْ عيار قدره ، ولسان فضله بل ميزان علمه . إنجاز الوعد ، من دلائل المجد . واعتراض المطل، من أمارات البخل . وتأخير الاسعاف ، من قرائن الاخلاف . لكل أمر أجل ، ولكل وقت رجل . شجاع ولا كعمرو ، ومندوب ولا كصخر . كفران النعم ، عنوان النقم . للصدر نفثَة إذا أُحرج ، وللمرء بثة إذا أحوج . قد يصلى البرىء بالسقيم ،

و يؤخذ البر بالأثيم . ما كل طالب حق يُعطاه ، ولا كل شائم مزن يسقاه .

ملح وظرف من ألفاظه :

أخبرنى عن سفرَتك ، وما حصل بها فى سفْرَتك . وجدت حَرًّا يشبه قلب الصَّبِّ ، ويذيب دماغ الضبِّ . لا اعتراض بين الشمس والقمر ، والروض والمَطر . مرحباً بزائر لباسه حرير ، وأنفاسه عبير . زائر وَجهه وسيم ، وريحه نسيم ، وفضله جسيم . فِقَرٌ كما جيدت الرياض ، وفصول كما تغامزت المقل المراض . ألفاظ كما نورت الأشجار ، ومعان كما تنفست الأسحار . نثر كَنثر الورد ، ونظم كَنظم العقد . كتابك رُقيَة السليم ، وغُرّة العيش البهيم . عشرته ألطف من نَسيم الشمال ، علىَ أديم الماء الزلال . وألصق بالقلب ، من علائق الحب . شكره شكر الأسير لمن أطلقه ، والمملوك لمن أعتقه . أثنى عليه ثناء العطشان الوارد ، على الزلال البارد .

رقعة استزارة — هذا اليوم ياسيدى طاروني ، يعجبنى جوه الفاختى ، و إذ قد غابت شمس السماء عنا ، فلا بد أن تَدْنو شمس الأرض منا ، فان نشطت للحضور ، شاركتنا فى السرور ، و إلا فلا إكراه ولاَ إجبار ، ولك متى شئت الخيار .

رقعة أخرى — غداً ياسيدى ينحسر الصيام ، وتَطيب المدام ، فلا بد أن تقيم أسواق الأنس نافقة ، وتنشر أعلام السرور خافقه ، فبالفتوة فانها قسم الظراف ، تفرض حسن الاسعاف ، ولوران المروءة حاجة مجتاح ، بادرتها ولو على جناح الرياح .

أخرى — نحن ياسيدى فى مجلس غَنِيّ إلا عنك ، شاكر إلا منك ، قد تفتحت فيه عيون النرجس ، وتوردت خدود البنفسج ، وفاحت مَجامِرُ الأترج ، وفتقت فارات النارنج ، ونطقت ألسنة العيدان ، وقام خطباء الأوتار ، وَهبَت

رياح الأقداح ، ونفقت سوق الأنس ، وقام منادى الطرب ، وطلعت كواكب الندماء ، وامتدت سماء الند ، فبحياتي لما حضرت لنحصل بك في جنة الخلد ، وتتصل الواسطة بالعقد

أخرى — نحن وحياتك في مجلس راحه ياقوت ونوره در ، ونارنجه ذهب ونرجسه دينار ودرهم يحملها زبرجد ، وألسنة العيدان تخاطب الظراف ، بهلم إلى الأقداح ، لكنا بغيبتك كعقد غيبت واسطته ، وعباب أخذت جدته ، فأحب أن تكون إلينا أسرع من الماء في انحداره ، والقمر في مداره

تهنئة ببنت — أهلا وسهلا بعقيلة النساء ، وأم الأبناء ، وجالبة الأصهار ، والأولاد الأطهار ، ومبشرة بأخوة يتناسقون ، ونجباء يتلاحقون (١)

ولو كانَ النساء كمثلِ هذى لفُضِّلت النساء على الرجالِ

فما التأنيثُ لاسم الشمس عَيباً ولاَ التذكيرُ فخراً للهلالِ

فادَّرع ياسيدى بها اغتباطاً ، واستأنف نشاطاً ، فالدنيا مؤنثة والرجال يخدمونها ، والذكور يعبدونها ، والأرض مؤنثة ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية ، والسماء مؤنثة ، وقد زينت بالكواكب ، وحليت بالنجم الثاقب ، والنفس مؤنثة ، وبها قوام الأبدان ، وملاك الحيوان ، والحياة مؤنثة ، ولولاها لم تتصرف الأجسام ، ولا عرف الأنام ، والجنة مؤنثة ، وبها وُعد المتقون ، وفيها ينعم المرسلون ، فهنيئاً هنيئاً ما أوليت ، وأوزعك الله شكر ما أعطيتَ ، وأطال بقاءك ما عرف النسلُ والولد ، وما بقي الأبد ، وما عمّر لُبَدُ .

رقعة في مُداعبة — خبر سيدى عندي وإن كتمه عنى ، واستأثر به دونى ،

---

(١) البيتان لأبى الطيب المتنبي ، وهما من الوافر

وقدْ عرفت خبره البارحة فى شربه وأُنسه ، وغناء الضيف الطارق وعرسه ، *وكان ما كان مما لست أذكره * وجرى ما جرى مما لست أنشره ، وأقول : إن مولاى امتطى الأشهب ؟ فكيف وجدَ ظهره ، وركب الطيار ، فكيف شاهدَ جريه ؟ وهل سلم على حزونة الطريق ؟ وكيف تصرف فى سعة أم مضيق ؟ وهلْ أفردَ الحج أم تمتع بالعمرة ؟ وقال فى الحملة بالكرة ، فليتفضل بتعريفى الخبر ، فلا يسعه الانكار ، ولا يغنى عنه إلا الاقرار ، وأرجو أن يساعدَنا الشيخ أبومرة[1] كما ساعدَه ، فنصلى للقبلة التى صلى إليها ، ونتمكن من الدرجة التى خطب عليها هذا وله فضل السبق إلى ذلك الميدان ، الكثير الفرسان

وله ديوان شعر ، ومن محاسنه قوله [من مجزوء الرجز] :

وشادنٍ جماله ... تقصُر عنه صفتى
أهوى لتقبيل يدى ... فقلت لا بل شفتى[2]

وقوله [من الكامل] :

رشأ غدا وَجْدِى عليه كردفهِ ... وغدَا اصطبارى فى هواه كخصْرِه
وكأنَّ يومَ وصاله من وَجهِهِ ... وكأن ليلةَ هَجْرِه من شعْرِهِ
إن ذقت خمراً خلتها من ريقه ... أو رُمْتُ مسكا نلته من ثغرهِ

وقوله [من السريع] :

ياخاطراً يَخْطِرُ فى تِيهِهِ ... ذِكْرُكَ مَوْقوفٌ على خاطِرِى
إن لم تكن أشرفَ مِنْ ناظرى ... عِنْدِى فلا مُتِّعْتُ بالناظِرِ

وقوله [من مخلع البسيط] :

قل لأبى القاسم الحسينِ ... يانورَ قلبى ونُورَ عينى

---

(١) أبو مرة : كنية إبليس

(٢) فى الوفيات « فقلت قبل شفتى » .

البدرُ زَيْنُ السماء حُسْنًا وأنت زين لكل زينِ

وقوله [من البسيط] :

دب العذارُ على ميدان وجنته حتى إذا كاد أن يَسْعَى به وَقَفَا
كأنهُ كاتبٌ عزَّ المدادُ لهُ أراد يكتُبُ لاما فابتدا أَلِفا

وقوله فى مليح ألثغ [من السريع] :

وشادنٍ قلتُ له ما اسمهُ فقال لى بالغَنَجِ عبَّاثُ
فصِرْتُ من لثغتِهِ ألثغاً وقلت أين الكاثُ والطاث

وقوله فى حبة عنب [من مجزوء الرجز] :

وحبةٍ من عِنَبٍ من المُنَى مُتَّخَذَهْ
كأنها لؤلؤة فى وَسْطها زُمُرُّذَهْ

وقوله [من الطويل] :

بَعَثْنَا من النارنج ما طاب عَرْفُهُ فظل على الأغصان منه نَوَافِجُ
كُرَات من العِقْيَانِ أُحكم خَرْطُهَا وأيدى الندامى حَوْلَهُنَّ صَوَالِجُ

وقوله [من السريع] :

لو فَتَّتُوا قلبى رأوْا وَسْطَهُ سَطْراً قد امتد بلا كاتبِ
حب على بن أبى طالب وحب مولاى أبى طالب

وقوله للقاضى أبى بشر الجرجانى [من الوافر] :

يَصُدُّ الفَضْلُ عنا أى صَدٍّ وقال تأخرى عن ضعف معده
فقلتُ له جَعَلْتَ الواوَ عيناً فان الضعف أجمع فى الموده

وقوله [من مخلع البسيط] :

قولوا لاخواننا جميعا مَنْ كُلُّهم سيد مُرَزَّا[1]

(١) «مرزا» أصله مرزأ – بالهمزة – فقلبت ألفا لانفتاح ما قبلها، والمرزأ – بصيغة اسم المفعول من المضعف العين – الكريم، والرجل من قوم مات خيارهم.

مَنْ لم يَعُدْنا إذا مَرِضنا إنْ ماتَ لم نشهدِ المعزّى

أين هذه الحشمة من قول أبى الحسن اللحام الحرانى [من مجزوء الرجز] :

إنى اعتللتُ علةً سقطتُ منها فى يدى

وكانَ فى الاخوان مَنْ لم أرهمْ فى العُوَدِ

فقلتُ فيهمْ كلهمْ قولَ امرئٍ مُقتصِدِ

أيرُ الذى قدْ عادَنا فى استِ الذى لم يعُدِ

ومثل قول الصاحب قول الآخر [من مخلع البسيط] :

قُلْ للذى لمْ يَعُدْ سَقَامى وَقلبهُ مُشْرَبٌ حَزَازَهْ

مَنْ لم يعدْنا إذا مَرِضنا إنْ ماتَ لمْ نَشْهدِ الجنَازَهْ

ومن قول الصاحب فى العيادة أيضاً [من البسيط] :

حقُّ العيادَةِ يَوْمٌ بعدَ يَوْمينِ وَجلسةٌ مثْلُ رَدِّ الطَّرْفِ فى العين

لاَ تبرمنّ مريضاً فى مُساءلة يكفيكَ مِنْ ذاكَ تَسْآلٌ بحرفينِ

وقال الثعالبى : سمعت أبا الفتح البستى ، يقول : لم أسمع فى إنفاذ الحلوى إلى الأصدقاء أحسن من قول الصاحب [من المتقارب] :

حلاَوَةُ حبكَ يا سيدِى تُسَوِّغ بعثى إليكَ الحلاوَهْ

فقلت له : وأنا لم أسمع فى النثار أحسن من قولك [من المتقارب] :

ولو كنتُ أنثر ما تستحقُّ نثرتُ عليكَ سعُودَ الفلكْ

وللصاحب فى الهجاء والمجون [من السريع] :

قالَ ابن مشوىّ لغلمانهِ وَقدْ حشوهُ بأيور العبيدْ

لِئنْ شكرتم لأزيدَنكمْ وَإنْ كفرتمْ فعذابى شديدْ

وقال فى الغويرى [من السريع] :

إنّ الغويرىَّ لهُ نكهةٌ ... بِنَتْنِهَا أَرْبتْ على الكُنُفِ
يا ليتهُ كانَ بلا نكهةٍ ... أوْ ليتني كنتُ بلاَ أنفِ

وقال فيمن زوّج أمه [من مجزوء الكامل] :

زَوَّجتَ أُمَّكَ يا فتى ... وكسوْتني ثوبَ القلقْ
والحرُّ لا يهدى اللحو ... م إلى الرجال على الطبقْ

وقال [من الوافر] :

أبُو العباس قدْ أضحى فقيهاً ... يتيهُ بفقهِهِ في الناس تيهَا
وذلك أنَّ لحيته أتقنى ... تناظر فقحتى فخريتُ فيها

وقال [من السريع] :

حُبُّ عليّ بن أبى طالبٍ ... هوَ الذى يُهدى إلى الجنهْ
إن كانَ تفضيلى لهُ بدعةً ... فلعنــةُ اللهِ عَلَى السنهْ

وقال فى شهر رمضان [من الخفيف] :

قدْ تعدّوْا على الصيامِ وقالُوا ... حرِمَ الصبُّ فيهِ حسنَ العوائدْ
كذبُوا ، فى الصيام للمرء مهما ... كان مستيقظا أتمُّ الفــــوائدِ
موْقِفٌ بالنهار غيرُ مُريبٍ ... واجتماع بالليل عنــدَ المساجدِ

وقال [من الكامل] :

رَاسلتُ مَنْ أهوَاهُ أطلبُ زوْرةً
فأجابنى : أو لستَ فِى رَمضانِ
فأجبتهُ والقلبُ يخفقُ صبوْةً ... أتصُومُ عنْ برٍ وعنْ إحسانِ
صُمْ إنْ أرَدْتَ تحرجاً وتعففاً ... عن أنْ تـكدَّ الصبُّ بالهجرَانِ
أولا فزرنى وَالظلام مُجللٌ ... واحْسبهُ يوما مرَّ من شعبانِ

وقال يرثى أبا منصور كثير بن أحمد [من الطويل] :

يقولون لى أودَى كثيرُ بن أحمدٍ وذلك رُزْءٌ فى الأنام جليلُ
فقلتُ دعُونى والعلا نبكه معاً فمثْلُ كثيرٍ فى الرجال قليلُ

وقال الثعالبي : سمعت أبا بكر الخوارزمى يقول : أنشدنى الصاحب لنفسه من نُتَفه هذا البيت [من الطويل] :

لَئِنْ هوَ لم يكفف عقارب صُدْغهِ
فقولوا لهُ يسمحْ بِدِرْياقِ ثغرهِ

فاستحْسنتهُ جدا ، حتى حممتُ من حسدى له عليه ، ووددتُ لو أنه بألف بيت من شعرى . قال الثعالبى : فأنشدت الأمير أبا الفضل عبيدالله هذا البيت ، وحكيت له هذه الحكاية فى المذا كرة ، فقال : أتعرف من أين سَرَقَ الصاحبُ معنى البيت ؟ فقلت : لا والله ، فقال: إنما سَرقه من قول القائل، ونقل ذكر العين إلى ذكر الصدغ [من مجزوء الرمل]

لدَغتْ عينك قلبى إنما عينكَ عقربْ
لكن المصةُ من ريقكَ دِرْياقٌ مُجرّبْ

فقلت: لله در الأمير ، لقد أوتى حظاً كبيراً من التخصص، بمعرفة التلصص .

ومما هجى به الصاحب * وما زالت الأملاك تهجى وتمدح * قول أبي العلاء الأسدى [من البسيط]

إذا ظفرت بحى فى مرقعةٍ يأوى المساجد حراً ضره بادِى
فاعلم بِأنَّ الفتىَ المسكينَ قدْ قذفتْ
به الخطوبُ إلى لؤم ابن عبَّاد

وقول السلامى [من مجزوء الرمل]

يا ابن عباد بن عبا س بن عبد الله جرها

تُنكرُ الجبر وأخرجـــت إلى العالم كرها

وقول غيره [من السريع]

صاحبنا أحولُ عاليـــه لكنما غرفته خاليـــه
وإن عرفتَ السرَّ من دائهِ لم تسأل الله سوى العافيه

والجروح قصاص ، فانه قال يهجو قاضيا [من الهزج]

لنا قاضٍ له رأس من الخفة مملوه
وفى أسفله داء بعيدٌ منكمُ السوْه

ذكر آخر أمره — لما بلغت سنوه الستين اعترته آفة الكمال ، وأتتابته أمراض الكبر ، وجعل ينشد قوله [من الوافر]

أناخَ الشيب ضيفاً لم أردهُ ولكن لا أطيقُ لهُ مَردا
رداء للردَى فيهِ دليلٌ تردَّى مَنْ به يوماً تردى

ولما كنى المنجمون عن عرضه فى سنة موته بما يفيد ذلك قال [من الرجز] :

يا مالكَ الأرْواح والأجسامِ وَخالق النجوم والأحكامِ
مُدبرُ الضيـــاء والظلام لا المشترى أرجوهُ للانعام
ولا أخاف الضرَّ منْ بَهرامِ وَإنما النجومُ كالأعلام
والعـــلم عندالملك العلام يا رب فاحفظنى من الأسقام
وَوقِّنى حـــوادثَ الأيامِ وَهجنةَ الأوزارِ وَالآثامِ
هبنى لحب المصطفى المغنامِ وصنـــوهِ وآلهِ الكرام

وكتب بخطه على تحويل السنة التى دلت على انقضاء عمره هذه الأبيات ، [من الطويل]

أرَى سنتى قد آذنتْ بعجائبِ وربىَ يكفينى جميعَ النوائبِ

وَيدفع عنى ما أخاف بِمَنِّهِ وآمَنُ ما قد خوّفوا من عواقب

إذا كانَ مَنْ أجرَى الكواكبَ أمرُهُ
مُعينى فما أخشى صروفَ الكواكب

عليكَ أيا ربَّ الأنام توكلى فحطنىَ من شرِّ الخطوب الحوازب

فكم سنةٍ حذرتها فتزحزحتْ بخيرٍ وَإقبال وجدّ مصاحب

ومنْ أضمرَ اللهمّ سوءاً لمهجتى فرد عليه الكيدَ أخيبَ خائب

فلست أريد السوء بالناس إنما أريد بهم خيراً مَرِيعَ الجوانب

وأدفع عنْ أموالهمْ ونفوسهمْ بجدّى وجهدى باذلاً للمواهب

ومنْ لم يسعه ذَاكَ منى فاننى سأكفاه إن الله أغلبُ غالبِ

وبلغه عن بعض أصحابه شماتة ، فقال [من الطويل] :

وكم شامتْ بى بعدَ موتى جاهل بظلم يسلُّ السيفَ بعد وفاتى

ولوْ علمَ المسكين ما ذَا يناله من الظلم بعدى مات قبل مماتى

ولم يسعد أحدٌ بعد وفاته كما كان فى حياته غير الصاحب ، فانه لما توفى أغلقَت مدينة الرى ، واجتمع الناس على باب قصره ، وَحضر مخدومه فخر الدولة وسائر الأمراء والقواد ، وقد غيروا لباسهم ، فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة ، وقبلوا الأرض ، ومشى فخر الدولة أمام النعش ، وقعد للعزاء أياماً .

ورثاه الناس بمراث كثيرة ، منها قول أبى القاسم بن أبى العلاء الأصفهانى من قصيدة [من البسيط] :

هذى نواعى العلا مذ متَّ نادبة من بعدِ ما ندبتكَ الخُرَّدُ العينُ

تبكى عليكَ العطايا والصلاتُ كما تبكى عليكَ الرَّعايا وَالسلاطينُ

قامَ السعاةُ وكانَ الخوفُ أقعدَهُمْ … واستيقظوا بعد ما مُتَّ الملاعينُ
لا يعجبِ الناسُ منهم إنْ همُ انتشروا … مضى سليمان فانحل الشياطينُ

ومن قصيدة لأبي سعيد الرستمي [من الطويل]:

أبعد ابن عباد يهش إلى السرى … أخو أملٍ أو يستماحُ جوادُ
أبى الله إلا أنْ يموتا بموته … فما لهما حتى المعادِ معادُ

ومن قصيدة لأبي الفياض الطبري [من الوافر]:

خليلي كيف يقبلك المقيلُ … ودهركَ لا يقيلُ ولا يقيلُ
ينادي كل يوم في بنيه … ألا هُبُّوا فقدْ جدَّ الرحيلُ
وهمْ رَجلان منتظر غفول … ومبتدر إذا يدعى عَجولُ
كأن مثال من يفنى ويبقى … رعيل سوف يتلوه رعيل
فهم سفر وليس لهم ركاب … وهم ركب وليس لهم قُفُولُ
تدور عليهمُ كأسُ المنايا … كما دارت على الشَّرب الشَّمول
ويحدوهم إلى الميعاد حادٍ … ولكن ليس يقدُمهم دليل
ألم تر من مضى من أولينا … وغالتهم من الأيام غُولُ
قد احتالوا فما نفع الحويل … وأعولْنا فما نفع العويل
كذاك الدهر أحوالٌ تزولُ … وأعمال تحول ولا تؤول
لنا منه وإن عفنا وخفنا … رسولٌ لا يُصابُ لديه سُولُ
وقد وَضَحَ السبيلُ فما لخلق … إلى تبديله أبداً سبيل
لعمرك إنه أمد قصيرٌ … ولكن دونه أمل طويل
أرَى الاسلام أسلمه بنُوه … وأسلمهم إلى وَلَهٍ يهول
أرى شمس النهار تكاد تخبو … كأن شعاعها طَرْفٌ كليل

أرى القمر المنير بدا ضئيلا بلا نور فأضناه النحول
أرى زُهَرَ النجوم مُحَدِّقات كأن سراتها عور وحُول
أرى وجه الزمان وكل وجه به مما تكاءده فلول
أرى شم الجبال لها وَجيبٌ تكاد تذوب منه أو تزول
وهذا الجوّ أكْلَفُ مقشعرّ كأنّ الجوّ من كمد عليل
وهذى الريح أطيبها عقيم إذا هبت وأعذبها بَليل
وللسحب الغِزَار بكل فج دموع لا يذاد بها المحول
نعى الناعى إلى الدنيا فتاها أمين الله فالدنيا ثَكول
نعى كافى الكفاة فكل عين بما تقذى العيون به كفيل

وهى طويلة يقول فى آخرها :

أأحيا بعده وأقرّ عيناً حياتى بعده هدر غلول
حياتى بعده موت وَحِيٌّ وعيشى بعده سم قَتُول

ومن قصيدة الشريف الرضىّ الموسوىّ [من الكامل] :

أكذا المَنُونُ تقطرُ الأبطالا أكذا الزمانُ يُضَعْضِعُ الأجبالا(١)
أكذا تُصَاب الأسْدُ وهى مدلة تحمى الشُّبُولَ وتمنع الأغيالا
أكذا تغاض الزاخرات وقد طَغَتْ لُجَجاً وأوردت الظماء زُلالاَ
يا طالب المعروف حلَق نجمه حطَّ الحمول وعطل الأجمالا
وأقم على يأس فقد ذهب الذى كان الأنامُ على نداهُ عِيَالا

ولأبى عيسى بن المنجم لما استوزر أبو العباس الضبى بعد موت الصاحب ولقب بالرئيس الجليل [من البسيط] :

والله والله لا أفْلَحتم أبداً بعد الوزير ابن عباد بن عباس

(١) فى الديوان « تقنطر الأبطالا »

إن جاء منكم جليلٌ فاجلبوا جَلَبى · أو جاء منكم رئيسٌ فاقطعوا راسى

ومدائحه ومراثيه كثيرة يطول الشرح بذكرها

وقال ابن أبى العلاء الأصفهانىّ : رأيت فى المنام قائلا يقول لى : لم لم ترث الصاحب مع فضلك وشعرك ؟ فقلت: ألجمتنى كثرة محاسنه فلم أدر بم أبدأ، وخفت أن أقصر وقد ظن بى الاستيفاء لها، فقال: أجز ما أقول [من الطويل] :

ثوَى الجودُ والكافى معاً فى حُفَيرةٍ

فقلت :

ليأنَسَ كلٌّ منهما بأخيهِ

فقال :

هما اصطَحَبَا حيَّيْنِ ثم تعَانَقَا

فقلت :

ضجيعينِ فى لحدٍ بباب دريه

فقال :

إذا ارْتحَلَ الثاوُونَ عن مُستَقَرِّهمْ

فقلت :

أقاما إلى يوم القيامة فيهِ

وكانت وفاته ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلثمائة بالرى ، ثم نقل إلى أصبهان ودفن فى قبة تعرف بباب دريه ، قال ابن خلكان : وهى عامرة الآن ، وأولاد بنته يتعاهدونها بالتبييض ، رحمه الله وعفى عنه !

***

من شواهد الاقتباس

٢٠٩ - لئن أخطأتُ فى مدحيـــك ما أخطأتَ فى منعى (١)
لقدْ أنزلتُ حاجاتى بوادٍ غيرِ ذى زرع

البيتان من الهزج ، وينسبان لابن الرومى ، لكن رأيت فى الأغانى نسبتهما إلى إسماعيل القراطيسىّ ، ولفظه : حدّث أحمد بن بشر المرثدىّ قال : مدح إسماعيل القراطيسىّ الفضل بن الربيع ، فحرمه ، فقال فيه ، وذكر البيتين ، وذكر قبلهما بيتاً آخر ، وهو :

ألاَ قُلْ للَّذى لم يَهْــدِهِ الله إلى نفْعِي

ورأيت فى كتاب الدر الفريد بعد البيت الأوّل بيتين ، وهما :

لِسانِى فيك مُحتاجٌ إلى التَّخليعِ والقَطْعِ
وأنيـابى وأضراسِى إلى التكسيرِ والقَلْعِ

والشاهد فيهما : الاقتباس من القرآن مع نقله عن معناه الأصلى ، فإن معناه فى القرآن وادٍ لا ماء فيه ، وهنا نقله إلى جنَاب لا خيْرَ فيه ولا نفع

ومثله قول الخباز البلدى [من الطويل] :

ألا إن إخوانى الذين عهِدْتهم أفاعى رمالٍ لا تُقَصِّرُ عن لَسْعى
ظَنَنْتُ بهم خيراً فلما رأيتهُمْ نَزَلْتُ بوادٍ منهمُ غير ذى زرع

وقول الآخر [من السريع] :

جميعُ ما يفعلهُ كلفةٌ إلا أذاهُ فهْوَ بالطبعِ
من حل منا بفِناء له حل بوادٍ غيرِ ذى زرعِ

ولمؤلفه وقد نقله إلى المدح [من مجزوء الوافر] :

عجبت لمطلبى أنّى يقابَلُ منك بالمنْعِ

(١) فى الأصول « فى مدحك فما » وأثبتنا ما فى نسخ التلخيص

وما أنزلتُ حاجاتى بواد غير ذى زرْعِ

ترجمة إسماعيل القراطيسى

والقراطيسى هو إسماعيل بن معمر ، الكوفى ، مول الأشاعثة ، وكان مألفا للشعراء ، وكان أبو نواس وأبو العتاهية ومسلم بن الوليد وطبقتهم يقصدون منزله ويجتمعون عنده و يقصفون و يدعوا لهم القيان وغيرهن من الغلمان ، و يساعدهم ، و إياهم يعنى أبو العتاهية بقوله [من مجزوء الوافر] :

لقد أمسى القراطيسىُّ رأساً فى الكساجبة

يعنى الكشاخنة .

ومن شعره [من السريع] :

ويلى على ساكن شطِّ الصَّرَاهْ مررِ حُبِّيه علىَّ الحياهْ
ما تنقضى من عجب فكرتى من خصلة فَرَّطَ فيها الولاه
تَرْكُ المحبينَ بلا حاكمٍ لم يقعدوا للعاشقين القضاه

يقول فيها :

وقد أتانى خبرٌ ساءنى مَقَالُهَا فى السرِّ واسوْأتاهْ
أمثل هذا يبتغى وَصْلَنَا أما يرى ذا وجْهُهُ فى المراه

قال القراطيسى : قلت للعباس بن الأحنف : هل قلت فى معنى قولى هذا شيئا ؟ فقال : نعم ، ثم أنشدنى [من السريع] :

جاريةٌ أعجبَهَا حُسْنُهَا ومثلها فى الناس لم يُخلَقِ
خبرْتُهَا أنى محبٌّ لها فأقبلَتْ تضحكُ من منطقى
والتفتت نحو فتاة لها كالرشا الوسنان فى قرْطَقِ
قالَتْ لها قولِى لهذا الفتى انظُرْ إلى وجهك ثم اعشَقِ

وحدّث أبو هفان عن الجماز قال : اجتمع يوما أبو نُوَاس وحُسَين الخليع

وأبو العتاهية فى الحمام ، وهم مخمورون ، فقالوا : أين نجتمع اليوم ؟ فقال القراطيسى [من مجزوء الوافر] :

أَلاَ قُومُوا بِأَجْمَعِكُمْ إِلى بَيْتِ القَرَاطِيسِى
فَقَدْ هَيَّا لنَا نُزُلاً غُلامٌ فارِهٌ طُوسِى
وقد هيَّا زُجَاجَاتٍ لَنَا من أَرْضِ بِلْقِيسِ
وأَلْوَاناً من الطَّيْرِ وأَلْوَاناً من العِيسِ
وقينَاتٍ من الحُورِ كأَمْثَالِ الطَّوَاوِيسِ
فنيكوهنَّ فى ذا كم تَقُمْ فى طاعةِ آبليس

***

٢١٠ — قَدْ كَانَ مَاخِفْتُ أن يَكونَا إنَّا إلى الله رَاجِعُونَا

من شواهد الاقتباس

البيت من مخلع البسيط ، وقائله بعض المغاربة عند وفاة بعض أصحابه ، وذكر صاحب قلائد العقيان أنه قيل فى الرئيس أبى عبد الرحمن محمد بن طاهر ، وقال : شهدت وفاته سنة سبع وخمسمائة ، وحين قضى دخل عليه الوزير أبو العلاء ابن أزرق وهو يبكى ملء عينيه ، ويقلب على ما فاته كَفَّيْه ، وينادى بأعلى صوته ، أسفاً على فوته :

كان الذى خفت أن يكونا إنا إلى الله راجعونا

والشاهد فيه : الاقتباس مع تغيير يسير فى التقفية

ومن الأمثلة الشعرية فى الاقتباس قول الأحوص [من الطويل] :

إذا رُمْتُ عنها سلْوَةً قال شافعٌ من الحبِّ : ميعادُ السلوّ المقابِرُ
ستَبقى لها فى مُضْمَرِ القلبِ والحشا سَرائرُ ودٍ يومَ تُبْلَى السرائرُ

وقول البديع الهمذانى [من المتقارب] :

لآلِ فريغون فى المكرمات يَدٌ أولا واعتذار أخيرًا
إذا ما حَلَلْتَ بمغناهمُ رأيتَ نَعِيماً وملكا كبيرًا

وقول الأبيوردى [من الكامل] :

وقصائد مثل الرياض أضعتها فى باخلٍ ضاعَتْ به الأحساب
فاذا تناشدها الرواة وأبصروا الـــمدوح قالوا ساحرٌ كذَّابُ

وقول محمد الشجاعى [من الرمل] :

لا تعاشر معشرا ضلوا الهدى فَسَواءٌ أقبلُوا أم أدْبَرُوا
بدت البغضاء من أفواههمُ والذى يخفُونَ منها أكثرُ

وقول القاضى منصور الهروى [من الطويل] :

ومنتَقبٍ بالورد قَبّلْتُ خدَّهُ وما لفؤادى من هوَاهُ خَلاصُ
فأعرَضَ عنى مُغْضَبًاقلت لا تجُرْ وقَبّلْ فمى إن الجروح قصاصُ

وقول أبى الفضل عبد الله بن محمد الحبرى [من الكامل] :

أشكو الأقارب لا يغبُّ جفاهم يبغى أذاى صغيرُهم وكبيرُهُمْ
هُمْ يُعلنون لَدَى اللقاء مَوَدّتى والله يَعْلَم ما تُكِنّ صُدُورُهُمْ

وقول أبى منصور عبد الرحمن بن سعيد [من الخفيف] :

خلة الغانيات خلة سوء فاتقُوا الله ياأُولى الألباب
و إذا ماسألتموهنّ شيئًا فاسألوهن مِنْ وَرَاءِ حِجَاب

وقول الحكيم [من الوافر]:

سبَقْتَ العالمين إلى المعالى بصائب فكرة وعلوِّ هِمّهْ
ولاحَ بحكمتى نورُ الهدى فى ليالٍ للضَلَالَةِ مُدْلَهِمّهْ

يريد الجاهلون ليُطفئوهُ   ويأبى اللهُ إلا أنْ يُتِمَّهْ

وقول أبى عبد الله الأبيوردى [من الوافر] :

أردْتُ زيارة الملكِ المُفَدَّى   لأمْدَحَهُ وآخذ منه رِفْدَا

فَعَبَّسَ حاجباً فقرأتُ : أما   مَنِ استغنى فأنت له تَصَدَّى

وقول الخباز البلدى [من الطويل] :

كأن يمينى حين حاوَلْتُ بَسْطَهَا   لتَوْديع إلفى والهوَى يَذْرِفُ الدَّمْعَا

يمين ابن عمرانٍ وقد حاول العصَى   وقد جُعلت تلك العصى حَيَّةً تَسْعَى

وقائلة هل تملكُ الصبرَ بعدهم   فقلت لها لا والذى أخرج المرعى

وقوله [من الكامل] :

سار الحبيبُ وخلَّف القلْبَا   يُبْدِى الغرام ويظهر الكربا

قد قلت إذ سار السَّفينُ به   والشوقُ يَنْهَبُ مُهجتى نَهْبَا

لو أنَّ لى عزًّا أصول به   لأخذت كل سفينة غصبا

وقول الأستاذ أبى محمد العبد لكانى [من المتقارب] :

إذا كنت متخذاً ضَيعَةً   فإياك والشركاء الوُجُوهَا

ودار الملوكَ فإن الملوكَ   إذا دخلوا قَرْيَةً أفسدوها

وقول الأمير نصر الدين أحمد الميكالى [من المقتضب] :

ياقَوْمَنا لا تُضيعُوا   ذمامَ كلِّ حميمِ

ولا تخلُّوا جُحُوداً   بحق خلٍّ قديمِ

وذكروا النفس حقاً   بقول ربٍ رَحيمِ

إنى أخافُ عليكم   عذاب يومٍ عظيمِ

وقول بعضهم يهجو بخيلا [من الهزج] :

رأى ضَيْفَكَ فى الدار وكَرْبُ الجوعِ يَغْشاهُ
على خبزكَ مكتوباً سَيَكفيكهمُ اللهُ

وقول محمد بن نصر الباخرزى [من الخفيف] :

وفتاة ألبَسْتُها من ثيابى مَلْبَساً فيه نزْهَةٌ ونَعيمُ
غَدَرَتْ بى وغادرتنى وحيداً إن رَبِّى بكيدهن عليمُ

وقول المطوعى [من السريع] :

انظر إلى وجه صديق لَنَا كَيْفَ محا الشَّوْكُ بهِ النَّقْشا
قد كتب الدهر على خده بالشَّعْرِ (والليل إذا يغشى)

وقول الأديب شهاب الدين أحمد الأمشاطى [من الوافر] :

وفَتَاكِ اللواحظِ بَعْدَ هَجْرٍ حَبَا كَرَماً وأنعمَ بالمَزارِ
وظلَّ نهارَهُ يرمى بقلبى سِهَاماً من جفون كالشفار
وعند النوم قلت لمقلتيهِ وحكم النوم فى الأجفان سارى
تبارَكَ من توَفَّاكم بليلٍ ويعلم ما جرحتمْ بالنهارِ

وقول شيخ شيوخ حماة [من البسيط] :

يا نَظْرَةً ما جَلت لى حُسْنَ طلعته حتى انقضَتْ وأدامتنى على وَجَلِ
عاتبْتُ إنسان عينى فى تَسَرُّعهِ فقال لى (خلق الانسان من عجَلِ)

وقوله أيضاً [من السريع] :

أدْمَعَتَ عينى فمن أجْلِ ذا بكى على حالىَ مَنْ لا بَكَى
أوقعنى إنسانها فى الهوَى (يا أيها الانسان ما غرَّكا)

وقول ابن نباتة المصرى [من الطويل] :

وأغيَدَ حارت فى القلوب لحاظه وأسهرتِ الأجفانَ أجفانه الوَسْنَى

أجِلْ نظراً فِي حاجبيهِ وطرْفهِ

ترَى السحرَ منهُ قابَ قوسين أوْ أدْنَى

وقول ابن قرناص [من مجزوء الكامل]:

إنَّ الذينَ ترَحلوا نزلوا بعينٍ ساهرَهْ

أسكنَتهُم فى مقلتى فاذا هُمْ بالساهرَهْ

وقول ابن الوردى [من مجزوء الرمل] :

رب فَلاَّحٍ مليح قال يا أهل الفتوهْ

كفلى أضعفَ خَصرى فأعينُونى بِقوهْ

وقول الحافظ العلامة ابن حجر العسقلانى [من الكامل]:

خاضَ العواذلُ فِى حديثِ مدامعى

لما جرَى كالبحرِ سرعةَ سيرهِ

فحبستُهُ لأصونَ سِرَّ هوَاكمُ

حتَّى يخُوضُوا فِى حديثٍ غيره

وقد سبق إلى هذا الاقتباس، الفقيه الواعظ إبراهيم بن سعيد البردشيرى بقوله [من الكامل]:

خالِلْ إذا خاللتَ خلا خيِّراً وَبهِ تمسك تقتبس من خيرهِ

واهجرأناساًمهجرِين أولى جفاً فالهجرُ سامعه درية ضيره

وَإذَا رَأيتهم فأعرضْ عنهُمْ حتى يخوضوا فى حديث غيرهِ

وما أحسن قول بعضهم وأصدقه [من الكامل]:

أما السماحُ فقد مضى وقد انقضى فتَسَلَّ عنهُ ولاَ تَسَلْ عَنْ خيره

واسكتْ إذاخاض الورَى فى ذكره حتى يخوضوا فى حديث غيرهِ

وقول الآخر [من المتقارب] :

دخلتُ على كافرٍ دارَهُ وأشجارُ بستانِهِ زاهرَهْ
وقد وافقَ الزهرُ نقشَ البساط فعيني لما أبصرَتْ حائرَهْ
جنانٌ تُزَخْرَفُ للكافرينَ ونحن نُحَالُ على الآخرهْ
فان يكُ في الحشرِ حالي كذا فتلك إذاً كَرَّةٌ خاسِرَهْ

وأحسن ابن سناء الملك في بعض مطالعه بقوله [من الكامل] :

رحلوا فلست مسائلا عن دارهم أنا باخعٌ نفسي على آثارهم

وما ألطف قول ابن عبد الظاهر في معشوقه نسيم [من الكامل] :

إن كانَت العشاقُ في أشواقهم جعلوا النسيم إلى الحبيب رسولاَ
فأنا الذي أتلو عليهم ليتني كنتُ اتخذتُ معَ الرسول سبيلاَ

وقول المعمار [من مخلع البسيط] :

ابنُ الجمالىّ مات حقا برّح بي موته وآذى
ورحت أقرأ عليه جهراً ياليتني مِتُّ قبل هذا

ومن أفحش السخف وأقبحه إدراج المفحشين من الشعراء الآيات الشريفة في أشعارهم على طريق المجون والسخف ، كقول القائل [من السريع]:

أوحى إلى عشاقه طرْفُهُ هيهاتَ هيهاتَ لما توعدونْ
وردفُه ينطق من خلْفه لمثل ذا فليعمل العاملون

وكقول أبي نواس [من مجزوء الرمل] :

خط في الأرداف سطرٌ في عروض الشعر موزون
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون

وقول ابن العفيف التلمساني [من مجزوء الرجز] :

يا عاشقين حاذروا مبتسماً عن ثغرهِ
فطرفه الساحر مذ شككتم في أمرهِ
يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحرهِ

والتهاون فى مثل ذلك يجر إلى الانسلال من الدين ، والعياذ بالله تعالى .

ومن الاقتباسات التى هى غير مقبولة قول ابن النبيه فى مدح القاضى الفاضل [من الخفيف] :

قمت ليل الصدود إلا قليلاَ ثم رتلت ذكركم ترتيلاَ
ووصلت السهاد أقبح وصلٍ وهجرت الرقاد هجراً جميلاَ
مسمعٌ ملّ من سماع عذولٍ حين ألقى عليه قولاً ثقيلاَ
وفؤاد قد كان بين ضلوع أخذته الأحباب أخذاً وبيلاَ
قل لراقى الجفون إن لعينى فى بحار الدموع سبحاً طويلاَ
ماس عجباً كأنه ما رأى غصـ ـناً طليحاً ولا كثيباً مهيلاَ
وحمى عن محبه كأس ريق حين أمسى مزاجها زنجبيلاَ
بان عنى فصحت فى أثر العيـ ـس ارحمونى وأمهلونى قليلاَ
أنا عبد للفاضل بن على قد تبتلت بالثنا تبتيلاَ
لا تسمه وعداً بغير نوالٍ إنه كان وعده مفعولاَ
جل عن سائر الخلائق قدراً فاخترعنا فى مدحه التنزيلاَ

نعوذ بالله سبحانه من مغالاته وفرط إغراقه ، فان مذهبه فى ذلك مشهور .

ومنه قول البهاء زهير [من الخفيف]:

وسقانى من ريقه البارد العذ ب كؤوساً حوت شراباً طهوراً

بِقوارير فضةٍ مِنْ ثنايا قدَّرُوها بلؤلؤ تقديرا
وغُيُومٍ مثل الجمان فما تنـــظرُ فيها شمساً ولا زمهريرا
نصب روض وشي النسيم عليه فانبرى سعيهُ بهِ مشكورا
أيها الحاسدُ المفنِّدُ إمّا إن تكن شاكراً وإمّا كفورا
كيفَ نجفو التى يطيرُ بها الهَمّ وإنْ كانَ شرُّهُ مستطيرا

وهذا النوع محظور ، وقد تجاوز فيه بعض العلماء ، وتجنُّبُه أولى بالأدب .

ومن الاقتباس من الحديث قول الصاحب بن عباد [من الوافر] :

أقولُ وقدْ رأيتُ لهُ سجايا منَ الهجرانِ مُقبلةً إلينا
وقدْ سحَّتْ عزاليها بِهَطْلٍ حَوالينا الصدُودُ ولاَ علينا

وقول شمس الدين محمد بن عبد الكريم الموصلى [من السريع] :

ومُنكرٍ قتلَ شهيدِ الهوَى ووجههُ ينبىء عنْ حالهِ
اللونُ لونُ الدَّمِ منْ خدهِ والريحُ ريحُ المسكِ منْ خالهِ

وقول أبى جعفر الأندلسى الغرناطى [من الرمل] :

لاَ تُعادِ الناسَ فى أوْطانهمْ قلَّما يُرْعى غريبُ الوَطنِ
وَإذا ما شئتَ عيشاً بينهمْ خالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حسَنِ

وقول أبى الحسن الباخرزى صاحب دمية القصر [من البسيط] :

ياحادِيَ العيس رفقاً بالقواريرِ وَقِفْ فليسَ بعارٍ وقفةُ العيرِ
وَاحلبْ ماَ فى عينٍ طالما قطرَتْ حمرَ الدمُوعِ على البيضِ المقاصيرِ

اقتبسه من قول النبي صلى الله عليه وسلم لأنجشة ، وكان يحدو بالإبل التى عليها نساء النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع : « يا أنجشةُ رُوَيدكَ

بسوْقكَ بالقوَارير » شبَّهَ النساء بها لضعف عزائمهن ، وَقلة دوامهن على العهد ، لأن القوارير يسرع إليها الانكسار ولا تقبل الجبر .

ومن الاقتباس فى صناعة الحديث قول ابن جابر [من الطويل] :

أَرَادَتْ على دَعوَى المحبة شاهداً فقلتُ لَهَا هذِى دُمُوعى فاسألى
فقَالَتْ لهـا جُرْحٌ بِخدكَ بَيِّنٌ فتلكَ شهودٌ عنـدنا لم تعـدَّلِ
وَإنَّ حديثَ الدَّمع عندِى مُرْسَلٌ وليسَ على ما أرْسلوا منْ معوَّلِ
فياَ عَجباً منْ حسنها وَهْوَ مالِكٌ ومُرْسَلُ دَمعى عندَهُ غير معملِ

ومن الاقتباس فى علم الخلاف ، قول ابن جابر أيضا [من الخفيف] :

عرَضُ الحبِّ دُونَ جوهرِ ذَاكَ الثغر منْ أعظم المحالِ بِجُودِى
أجمعَ الناظرُونَ فِى ذَاكَ أنْ لا عرَضٌ دُونَ جوْهرٍ فى الوُجودِ

وقوله أيضاً فى الاقتباس من الأصول [من الخفيف] :

جئتها طالباً لسالفِ وَعدٍ فأجابَتْ لَقَدْ جهلتَ الطريقهْ
إنما موْعدِى مجاز ! فقلت : الأصل فى سائر الكلام الحقيقهْ

ومن الاقتباس فى الفقه قول المتنبى [من الطويل] :

بَليتُ بِلى الأطلال إنْ لمْ أقفْ بِهاَ
وُقوفَ شحيح ضَاعَ فى التربِ خاتمهْ
فَفى تَغَرمِ الأولى مِنَ اللحظِ مُهْجتى
بِثانيــةٍ وَالمتلفُ الشىء غَارِمهْ

وقول بعضهم أيضا [من الوافر] :

أقولُ لِشادِنٍ فى الحسن أضحَى يصيدُ بِلحظه قلبَ الكمىٌّ

ملكتَ الحسنَ أجمعَ في نصابٍ فأدِّ زكاةَ منظرك البهيِّ (١)
فقالَ أبو حنيفةَ لي إمامٌ يرى أن لا زكاةَ على الصبيِّ
فإنْ تكُ مالكيَّ الرأي أوْمَنْ يرى رأيَ الإمام الشافعيِّ
فلا تكُ طالباً مني زكاةً فإخراجُ الزكاةِ علىَ الوَصِيِّ

وقول ابن جابر الأندلسى [من الطويل] :

طلبْتُ زكاةَ الحسْنِ منها فجاوبَتْ إليكَ فهذا ليسَ تُدْرِكه مِنِّي
علىَّ دُيُونٌ للعيون فلا تَرُمْ زكاةً فإنَّ الدَّينَ يُسقطها عنِّي

وقول القاضى عبد الوهاب المالكى [من السريع] :

يَزْرَعُ وَرْداً ناضراً ناظرى في وَجنةٍ كالقمَرِ الطالعِ
فلم حَرَمتمْ شفتى قطفَهُ والحكمُ أنَّ الزرع للزارعِ

وقوله أيضا [من الطويل] :

وَنائمةٍ قبلتُها فتنبهتْ وقالَتْ تعالوْا فاطلبُوا اللصَّ بالحدِّ
فقلتُ لها إني فديتكِ غاصبٌ وما حكمُوا في غاصب بسوَى الرَّدِّ
خذيها وكُفِّي عَنْ أثيم ظلامة وإن أنتِ لم ترضَيْ فألف على عدِّ
فقالت قصاصٌ يشهدُ العقلُ أنه على كبدِ الجانى ألذُّ من الشهدِ
فباتتْ يمينى وهى هميانُ خصرها وباتتْ يسارى وهى واسطةُ العقدِ
فقالتْ ألمْ أخبرْ بأنكَ زاهدٌ فقلتُ بلى مازلتُ أزهد فى الزهدِ

وقول صدر الدين ابن الوكيل [من البسيط] :

---

(١) حفظى أن بين هذا البيت والذى بعده بيتا آخر ، وهو قوله :

وذاك بأن تجود لمستهام برشف من مقبلك الشهي

يَا سَيِّدِي إنْ جرَى مِنْ مَدْمعِي وَدَمِي
للعـينِ والقلبِ مسـفوحٌ ومَسفوكُ
لاَ تخشَ مِنْ قَوَدٍ يُقْتَصُّ منكَ بهِ
فالعـينُ جارِيةٌ والقلبُ ممـــلوكُ

وقول الصاحب بن عباد [من الكامل]:

ومُهَفهفٍ يُغنى عَن القمرِ قمرَ الفـؤاد بفاتِرِ النظَرِ
خالستهُ تفـاحَ وَجنتَهِ مِنْ غيرِ إبقاءٍ ولاحـذَرِ
فأخَافنى قومٌ فقلتُ لهمْ لاقطعَ فى ثمرٍ ولاَ كثرِ

وقول أبى الفتح البكتمرى [من الكامل]:

ردُّوا الهدُوَّ كما عهدْتُ إلى الحَشَا والمقلتين إلى الكرَى ثم اهجرُوا
من بعدِ ملكى رُمْتُمُ أنْ تغدرُوا ماَ بعـدَ فرْقة بيِّعَيْنَ تخيُّرٌ

ومن الاقتباس فى علم المنطق قول ابن العفيف [من المنسرح] :

للمنطقيِّين أشتكى أبَـداً عَينَ رَقيبى فَليتهُ هجعاَ
حاذِرَهاَ مَنْ أُحبهُ فأبىَ أن نختلى ساعةً ونجتمعاَ
كيفَ غدَتْ دائماً وماا تصلَتْ مانعـةَ الجمعِ والخـلو معاً

وقول ابن جابر الأندلسى [من المنسرح] :

مُقدمات الرَّقيبِ كيفَ غدَتْ عنـدَ لقـاء الحبيبِ مُتصلهْ
تمنعنا الجمعَ والخـلوَّ معـاً وإنمـا ذاكَ حـكمُ مُنفصلهْ

وقوله أيضا [من الطويل] :

قياسُ غرامى صادقٌ معَ أنهُ تركَّبَ من تلكَ العيون السوالبِ
وقدْ حكموا أنَّ السوالبَ كلما تركبَ منها لايُرَى غير كاذبِ

وقول نجم الدين الدارميني [من الكامل] :

لاَ تخطبنَّ سوى كريمة معشرٍ فالعرقُ دسَّاسٌ منَ الطرفينِ
أولستَ تنظرُ فى النتيجة أنها تبعُ الأخسِّ منَ المقدمتينِ

ومن الاقتباس فى علم النحو قول المتنبي [من الطويل] :

إذا كانَ ما تنويه فعلاً مُضارعاً مضى قبلَ أنْ تلقى عليهِ الجوازمُ

وقول نجم الدين القحفارى الحنفى [من السريع] :

أضمرتُ فى القلبِ هوًى شادنٍ مشتغلٍ فى النحوِ لاَ يُنْصِفُ
وصفتُ ما أضمرتُ يوماً لهُ فقَالَ لى المضمرُ لاَ يُوصَفُ

وقول أبى إسحاق الأندلسى الاشبيلى [من الخفيف] :

ليتنى نلتُ منهُ وصلا وأجلتْ ليلةُ الوصلِ عنْ صباحِ المَنُونِ
وقرأنا بابَ العناق مُضافاً وحذفنا الرقيبَ كالتنوينِ

وقول ابن مماتى [من السريع] :

وأهيفٍ أحدثَ لى نحوُهُ تعجباً يعربُ عنْ ظرْفهِ
علامةُ التأنيثِ فى لحظهِ وأحرُفُ العلةِ فى طرْفهِ

وقول ابن جابر الأندلسى [من الكامل] :

قالتْ وقد حاولتُ نيلَ وصالها منْ غيرِ شىء لاَ تجوزُ المسألهْ
بالله قلْ لى أينَ نحوكَ يافتىَ أرأيتَ موصولاً يجىء بلا صِلهْ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

ما للنوَى مُدَّتْ بغير ضرُورةٍ ولقبلُ مَعرفتى بها مقصوره
إنَّ الخليل وإنْ دَعته ضرُورة لمْ يرْضَ ذَكَ فكيف دُونَ ضرُوره

وقول أبى جعفر الأندلسى [من الكامل] :

قد كان لى أُنسٌ بطيبِ حديثكم والآنَ صارَ حديثكم برسُولِ

ولقدْ مَدَدتَ من النوَى مقصورَهُ   إنَّ الخليل يراهُ غيرَ جميل

وقوله أيضاً [من الكامل] :

ما للنوَى مُدّتْ وأنْتَ خليلنا   ولقبل قدقصُرَتْ برغم الكاشحِ
أتبعتَ فِى ذَا مَذهباً لا يُرتضَى   نقداً وليْسَ الرّأىُ فيه بِصالِحِ

وقال محاسن الشواء [من المتقارب] :

أرَى الصفعَ ورّدَ منهُ القذَالاَ   وأوسعَ فِى أخدَعيه المجالاَ
وأسلاه عَنْ حب ذاتِ اللمَى   وإنْ هِىَ راقَتْ وَفاقَتْ جمالاَ
لئنْ كانَ قدْ حالَ ما بينهُ   وبينَ الحبيبة صفعٌ توالَى
فقد يحدثُ الظرْفُ بينَ المضاف   وَبينَ المضاف إليه انفصالاَ

وقول ابن الوردى [من مجزوء الرجز] :

وأغيدٍ يسألنى   ما المبتدا والخبرُ
مَثّلْهما لى مُسْرعاً   فقلتُ: أنتَ القمرُ

وقول ابن أبى الأصبع [من الطويل] :

أيا قمراً من حُسْنِ وجنته لنا   وظل عِذَارَيْهِ الضُّحَى والأصائِلُ
جَعَلْتُكَ بالتمييز نَصْباً لناظرى   فهَلاّ رفعْتَ الهجرَ والهجرُ فاعِلُ

ومن الاقتباس فى علم العروض قول ابن جابر الأندلسى [من البسيط] :

إن صدَّ عنى فانى لا أعاتِبهُ   فما التنافرُ فى الغزْلان تنقيصُ
شوقى مَديدٌ وحبى كامِلٌ أبداً   لأجل ذلك قلبى فيه مَوْقُوصُ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

سَبَبٌ خفيفٌ خَصْرُها ووراءها   مِنْ رِدْفِهَا سببٌ ثقيلٌ ظاهرُ
لم يجمعِ النوْعانِ فى ترْكيبها   إلا لأن الحسنَ فيها وافرُ

ومن الاقتباس فى علم الحساب قول ابن جابر أيضا [من الخفيف] :

قُسِمَ القلب فى الغرام بلحظ يَضْرِبُ القلبَ حين يرسل سَهْمَهْ
هذه فى هواه يا قوم حالى ضاعَ قلبى ما بين ضَرْب وقِسْمَهْ

ومن الاقتباس فى علم الخط قول بعضهم [من الوافر] :

بوجه معذَّبى آياتُ حُسْنٍ فقلْ ما شئتَ فيه ولا تُحاشِى
فنسْخَةُ وَجهِهِ قُرِئت فصَحَّتْ وها خط الكمال على الحواشى

وهذا القدر كاف فى الاقتباس ، إن شاء الله تعالى .

***

٢١١ — على أنِّى سأنْشِدُ عِندَ بَيْعِى أضَاعُونى وَأىَّ فَتًى أضاعُوا

شاهد التضمين

البيت للحريرى ، من قصيدة من الوافر ، أولها :

لحَاكَ الله هل مِثْلِى يُباعُ لكَيْما تَشْبَعَ الكرشُ الجِيَاعُ
وهَلْ فى شِرْعة الانصاف أنِّى أكلَّفُ خُطَّةً لا تُسْتطاع
وأن أبْلَى بروْعٍ بعد روْعٍ ومثلى حين يُبْلَى لا يُرَاعُ
أما جرَّبْتَنى نخَبَرْتَ منى نَصَائِحَ لم يُمازِجْهَا خِدَاعُ
وكم أرْصدْتَنى شَرَكاً لصَيْدٍ فعُدْتَ وفى حَبَائِلِكَ السِّبَاعُ
ونُطْتَ بِىَ المصاعِبَ فاستقادت مطَاوعةً وكان بها امتناعُ
وأى كريهة لم أبل فيها وغنم لم يكنْ لى فيه باعُ
وما أبدَت لىَ الأيامُ جرْما فيكشف عن مُصَارمتى القناعُ
ولم تَعْثر بحمد الله منى على عيبٍ يكتَّمُ أو يُذَاعُ
فأنَّى ساغ عندكَ نَبْذُ عهدى كما نُبذَت برايتها الصُّنَّاعُ
ولِمْ سمحَتْ قرونُكَ بامتهانى وأن أشْرَى كما يشرَى المتاعُ

وهلا صُنْتَ عِرْضى عنه صَوْنى   حديثك حين جدَّ بنا الوداعُ
وقلتَ لمن يساومُ فىَّ : هذا   سكاب فلا يُعارُ ولا يُباعُ(١)
فما أنا دونَ ذاكَ الطِّرْفِ لكن   طِباعُكَ فوقها تلكَ الطِّباعُ

و بعده البيت

والشاهد فيه : التضمين ، وهو أن يُضَمن الشاعر شيئاً من شعر الغير ، مع التنبيه عليه ، إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء ، و إن كان مشهوراً فلا حاجة إلى التنبيه ، فالمصراع الثانى من البيت للعَرْجىّ من أبيات قالها فى حَبْسِه ، وهى [من الوافر] :

أضاعونِى وأىَّ فتىً أضاعوا   ليوم كَرِيهَةٍ وسِدادِ ثَغْرِ
وصَبْرٍ عند مُعْتَرَكِ المَنَايا   وقد شَرَعَتْ أسِنَّتُها بنَحْرِى
أجَرَّرُ فى المجامع كل يومٍ   فيا للهِ مظلمتى وصبرى
كأنى لم أكن فيهم وسيطاً   ولم تك نسبتى فى آل عمرو

والكريهة : من أسماء الحرب ، وسداد الثغر هو بكسر السين فقط .

وقد ضمنه النميرى الغرناطى فقال [من الوافر] :

له شَفَةٌ أضاعوا النَّشْرَ منها   بلثم حين سَدَّتْ ثَغْرَ بَدْرِى
فما أشهىَ لقلبى ما أضاعوا   ليوْم كريهة وسدادِ ثغر

ومن لطيف ما يذكر هنا أن رجلا قدم ابنه إلى القاضى ليحجر عليه ،

---

(١) يشير بهذا إلى قول شاعر أراد أحد الأمراء أن يأخذ فرسا له اسمها سكاب :

أبيت اللعن إن سكاب علق   نفيس لا يعار ولا يباع
مفداة مكرمة علينا   يجاع لها العيال ولا تجاع
فلا تطمع أبيت اللعن فيها   ومنعكها بشىء يستطاع

وابن أبى الأصبع سمى هذا النوع إيداعا ، وفرق بينه و بين التضمين

فقال الابن : كيف تحجر على وأنا أحفظ القرآن ؟ فقال الأب : أصلحك الله ! إن كان يحفظ آية من كتاب الله فلا تحجر عليه ، فقال له القاضى : اقرأ ، فقال [من الوافر] :

أضاعونى وأىَّ فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال الأب: أصلحك الله ! إن قرأ آية أخرى فلا تحجر عليه ، فحجر عليهما معا.

وقد تقدمت ترجمة كل من الحريرى والعرجى فى هذا الفن الثالث ولله الحمد.

***

من شواهد التضمين

٢١٢- إذا الوَهم أُبْدى لى لَمَاها وثغرَها تذكَّرتُ ما بين العُذَيْب وبَارِق
وَيُذْكِرُنى مِن قَدِّها وَمَدامِعى مَجَرَّ عوالِينا وَمَجْرَى السَّوابِقِ

البيتان لابن أبى الأصبع ، من الطويل

والعذيب : ماء من مياه العرب ، و بارق : من ديارتها

والشاهد فيهما : التضمين ، فان المصراعين الأخيرين منهما مطلع قصيدة ، لأبى الطيب المتنبى يمدح بها سيف الدولة ، ويذكر وقعته ببنى عقيل ، فنقلهما ابن أبى الأصبع من الحماسة إلى الغَزَل ،

والبيتان المذكوران من قصيدة مطلعها [من الطويل] :

أعِرْ مقلتى إن كنت خير مُوافِقِ دُموعاً لتبكى فقْدَ حِبٍّ مفَارِقِ
فقد نَضَبَتْ يومَ الوداع مَدَامعى وشابت لتشتيت الفراق مفَارِقِى

وقد ضمنه ابن مطروح بقوله [من الطويل] :

إذا ما سقانى ريقَهُ وَهوَ باسمٌ تذكرت ما بين العذيب و بارق

والاستعانة والعنوان بأن التضمين يقع فى النظم والنثر، ولا يكون إلا بالنثر، ويكون من المحاسن والعيوب، لكنه لا يكون من العيوب إلا إذا وقع فى النظم بالنظم، وأما الايداع والاستعانة — و إن وقعا معا فى النظم والنثر — فلا يكونان إلا بالنظم، دون النثر، وأما العنوان فانه يقع فى النظم والنثر، ولا يقع بالنثر، ولا يكون إلا من المحاسن دون العيوب، فعلى هذا يكون ما ذكر من الشواهد هنا يسمّى إيداعا لا تضمينا.

وحيث ذكرنا الاستعانة والعنوان فلا بأس بذكر شيء من شواهدهما، تتميما للفائدة، ثم نرجع إلى ما نحن بصدده

الاستعانة وأمثلتها

فالاستعانة: أن يستعين الشاعر ببيت لغيره فى شعره، بعد أن يوطىء له توطئة لائقة به، بحيث لا يبعد ما بينه و بين أبياته، وخصوصاً أبيات التوطئة، وكذلك الناثر، إلا أن يكون البيت لنفسه، فيسمى تشهيراً

فمن أمثلة الاستعانة فى الشعر قول الحارثىّ [من الطويل]:

وقائلةٍ والدمعُ سَكبٌ مُبادِرُ ... وقد شَرِقَتْ بالماء منها المَحَاجِرُ
وقد أبْصَرَتْ نَعْمَانَ من بعدِ أُنْسِهَا ... بنا وهى منا مُوحشات دَوَاثِرُ
(كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصفا ... أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكة سامِرُ)
فقلت لها والقلب منى كأنما ... يُقَلِّبُه بين الجوانح طائرُ
(بلى، نحنُ كنَّا أهلَهَا فأبادنا ... صروفُ الليالى والجدودُ العواثرُ)

فاستعان ببيتى خرقة بنت تبع (١).

وقول ابن أبى الأصبع يهجو يهوديا طبيبا [من الطويل]:

رأيتُ أبا الخير اليهوديَّ ماسكاً ... بقارُورة كالوَرْسِ راق حليبُهَا
وقد رشَّ منها فوق صَفْحَةِ خدِّه ... وقال لقد أحيا فؤادى طِيبهَا
فقلت له: ما هذه؟ قال: بَوْلَةٌ ... لأسْوَدَ يشفى الداء منى قَضِيبُهَا

(١) المشهور ان البيتين لمضاض بن عمرو الجرهمى

قريبةُ عهدٍ بالحبيب وإنما هوَى كل نفسٍ أين حل حبيبها

قال ابن أبى الأصبع : ولا يضر تصحيف الحرف وتحريفه من الكلام المتقدم ليدخل فى معنى الكلام المتأخر عند الاستعانة، كما فعلت ببيت من الحماسة حين قلت [من الطويل] :

إذا ما خليلٌ صدّ عنك ملالةً وأصبحَ من بعدالْوفا وهْوَ غادرُ
فلا تحتفلْ واستغنِ بالله إنه على أن ترى عنه غنيًا لقادرُ
وهَبْه كشىء لم يكن أو كنازحٍ به الدارُ أو مَنْ غيَّبَتْهُ المقابرُ

فان هذا البيت كان نسيبا وكان أوله « فهبها » فحرفت ضمير التأنيث لضمير التذكير حتى دخل فى معناى .

قلت : تقدم ذكر هذا البيت فى شواهد التقسيم ، وأنه لعمر بن أبى ربيعة المخزومى .

العنوان وأمثلته

وأما العنوان فهو أن يأخذ المتكلم فى غرض له من وصف أو فخر أو هجاء أو مديح أو عتاب أو غير ذلك ، ثم يأتى لقصد تكميله بألفاظ تكون عنوانا لأخبار متقدمة أو قصص سالفة كقول أبى نواس [من البسيط] :

يا هاشمُ بْنَ خديجٍ لَيْسَ فخركُمُ بقتْلِ صهرِ رسولِ اللهِ بالسَّدَدِ
أدرجتم فى إهاب العير جُثّتَهُ لبئس ما قدّمت أيديكمُ لِغَدِ
إنْ تَقتُلوا ابنَ أبى بكرٍ فقد قَتَلَتْ حُجْرًا بدارةِ مَلْحوب بنو أسَدِ
وقد أصابَ شراحيلا أبو حَنَشٍ يَوْمَ الكُلابَ فما دافعتُمُ بيَدِ
ويَوْمَ قلتم لعَمْرٍو وهو يَقتُلكم قتلَ الكلاب لقدْ أبرَحتَ بالولد
ويَوْمَ كِنْدِيَّةٍ قالت لجارَتِها والدمع يَنْهلّ من مَثْنَى ومن وَحَدِ
أَلْهَى امرَأَ القيْسِ تشبيبٌ بغانيةٍ عن ثأرِهِ وصِفاتُ النؤى والوَتِدِ

فاشتملت هذه الأبيات على عدة عنوانات ، منها قصة قتل محمد بن أبى بكر

الصديق رضى الله عنهما ؛ وقتل حجر أبى امرىء القيس [١] وقتل عمرو بن هند كندة فى ضمن هجاء من أراد هجاءه ومعيرة المهجو بما أشار إليه من الأخبار الدالة على هجاء قبيلته وملوكهم .

ومثل ذلك قول أبى تمام لأحمد بن أبى دؤاد [من الوافر] :

تَذَبَّبْتُ ، إن قولا كان زوراً أتى النعمان قَبْلَكَ فى زيادِ

فأرَّث بين حى بنى جلاح لَظَى حَرْب وحى بنى مصادِ

وغادرَ فى صُدُور الدهرِ قتلى بنى بدر على ذات الأصادِ

فأتى بعنوان يشير إلى قصة النابغة حين وشى به الواشون إلى النعمان ، وما جرى فى ذلك من السعى للحروب التى انطوت عليها قطعة من أيام العرب .

وهذا القدر كاف فلنرجع إلى ما كنا بصدده فنقول :

عود إلى التضمين

ثم التضمين تارة يكون ببيت فما فوقه ، أو بمصراع فما دونه ، فمن إنشادات ابن المعتز فيه [من السريع] :

عَوَّذَ لما بتُّ ضيفاً لهُ أقراصهُ منى بياسينِ

وعَوَّذَ الماء بسُمْرِ القنا وبالأفاعى والثعابين

فبت والأرض فراشى وقد غنت قفا نبك مَصَارينى

والأحسن فى هذا النوع صرفه عن معناه الأول ، فمن ذلك قول أبى الحسن حازم فى تضمين قصيدة امرىء القيس وقد صرف معانيها إلى مدح النبى صلى الله عليه وسلم [من الطويل] :

لعينيك قُلْ إن زرْتَ أفضل مرسل (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

---

(١) فى المطبوعتين « وقتل حجر بن امرىء القيس » وارجع إلى شرح الشاهد الأول من شواهد هذا الكتاب

وفى طيبةٍ فانزل ولا تغش منزلا (بسقط اللوى بين الدخول فحومل)

ومن أبدع ماله فيها :

نبيّ هُدًى قد قال للكفر نوره (ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي)
تلا سوراً ما قولها بمعارضٍ (إذا هى نصّته ولا بمعطّل)
لقد نزلت فى الأرض حلة هديه (نزول اليمانى ذى العياب المخوّل)
أتت مغرباً من مشرق وتعرّضت (تعرّض أثناء الوشاح المفصّل)
ففازت بلاد الشرق من زينة بها (بشقّ وشقّ عندنا لم يحوّل)

وقد تلاعب الشعراء بتضمين هذه القصيدة ، فمن ذلك قول أبى منصور العبدونىّ :

أكتاب ديوان الرسائل مالكم تحمّلتم بل متّم بالتحمل
وأرزاقكم لا تستبين رسومها (لما نسجتها من جنوب وشمأل)
إذا ما اشتكا الأفلاس والضرّ بعضكم (تقولون لا تهلك أسًى وتجمّل)
خلقتم على باب الأمير كأنكم (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

ومما كتب به الصلاح الصفدىّ إلى ابن نُباتة :

أفى كل يوم منك عتب يسوءنى (كجلمود صخر حطه السيل من عل)
وترمى على طول المدى متجنبا (بسهميك فى أعشار قلب مقتّل)
فأمسى بليل طال جنح ظلامه (على بأنواع الهموم ليبتلى)
وأغدو كأن القلب من وقدة الجوى (إذا جاش فيه حميه غلى مرجل)
تطير شظاياه بصدرى كأنها (بأرجائه القصوى أنابيش عنصل)
وسالت دموعى من همومى ولوعتى (على النحر حتى بلّ دمعى محملى)
ترفّق ولا تجزع على فائت الوفا (فما عند رسم دارس من معوّل)

فى أبيات . . . .

فأجابه ابن نباتة متهكما فى المطلع بقوله :

فطمت ولائى ثم أقبلتَ عاتباً (أفاطِمُ مَهْلاً بعض هذا التدلُّلِ)
برُوحىَ ألفاظ تعرض عتْبُها (تعرُّض أثناء الوشاح المفصَّلِ)
فأحْيَيْتَ ودًّا كان كالرسم عافيا (بسقط اللوى بين الدخول فحومل)
تُعَفِّى رياحُ العذلِ منك رُقُومَه (لما نسجتْها من جَنُوب وشمأل)
نعمْ قوضتْ منك المودّة وانقضتْ (فيا عجباً من رَحلها المتحمَّل)
أموْلاىَ لا تسلُكْ من الظلم والجفا (بنا بطْنَ خَبْتٍ ذى قِفاف عقنقل)
ولا تنس منى صُحْبةً تصدع الدجى (بصبح وما الاصباح منك بأمثل)

وهى طويلة ، يقول فى آخرها :

فدونك عَتْبِى اللَّفْظُ ليس بفاحش (إذا هى نَصّتْهُ ولا بمعطلِ)
وعاداتُ حب هن أشهر فيك من (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

ومن التضمين الغريب ما اخترعه الصاحب فخر الدين بن مكانس فى مداعبة رجل من أصحابه كان كبير الأنف ، وهو [من الطويل] :

تأنف عن وَصفِ الغزال تغزُّلى بلحية أنف ذى عِقَاصٍ ومُرْسَلِ [1]
من البق فيها جُملة قد تعرضت (تعرض أثناء الوشاح المفصل)
فيا قبحَ شعر فوق أنفٍ معرْقَفٍ (أثيث كقِنوِ النخلةِ المتعثكل)
وقالوا اختبىء فى شعره فكأنه (كبير أناسٍ فى بجادٍ مزمّلِ)
ترى القمل والصئبان فى عرَصاتها (وقيعانها كأنه حبُّ فلفل)

إلى أن قال :

(١) آخر هذا البيت من قول امرىء القيس ، وهو الشاهد الأول :
غدائره مستشزرات إلى العلا تضل العقاص فى مثنى ومرسل

وكم قلت إذ أرخى ذوائِبَ أنفِهِ (على بأنواع الهموم ليبتلى)
(ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الاصباح منك بأمثل)
كأن الفُسَا إن قيسَ مَعْ ريح أنفه (نسيم الصبا جاءت بَرِيَّا القرنفل)
ترى شعراتِ الأنف سدتْ خدوده (لما نسجتها من جنوب وشمأل)
وقد دَرَست بالأنف آثارُ وجهه (فهل عند رسم دارسٍ من معول)
كأنى بمولانا علىَ وَصف أنفهِ (تولى بأعجاز وناء بكلكل)
وَجرّد شعْرَ الأنفِ منا وجاءنَا (بمنجردٍ قيدِ الأوابدِ هيكلَ)
(مكرّ مفرّ مقبل مُدبر معاً كجلمود صخرحطه السيل من علَ)

ومن ظريف التضمين قول أبي الحسين الجزار، مضمنا قصيدة امرىء(1) القيس المذكور(2):

قفانبك من ذكرى قيص وسرْوالِ وَدُرّاعة لى قدْ عفا رَسْمها البالى
وما أنا مَنْ يبكى لأسماءَ إنْ نأت ولكننى أبكى علىَ فقدِ أسمالى
لوَ ان امرَأَ القيس بن حُجْرٍ رَأى الذى أكابدُه مِنْ فرط همٍّ وَبلبال
لما مال نحو الخدر خدر عنيزةٍ ولا بات إلا وهوَ عن حبها سالى
ولى من هوى سكنى القياس عن هوى بتوضح فالمقراة أعظم أشغال
ولاسيما والبرد وافى بَرِيدُهُ وحالى على ما اعتدت من عسرة حالى

---

(١) ضمن هذه القصيدة ألفاظا من معلقة امرىء القيس التى أولها:
قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وألفاظا أخرى من لامية امرىء القيس التى أولها:
ألا عم صباحا أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان فى العصر الخالى
بل الأكثر من هذه القصيدة.

(٢) فى أصول هذا الكتاب «قصيدة امرىء القيس المذكورة» ولما كانت حقيقة الأمر ما ذكرنا أصلحناه بحذف التاء

ترى هل يرانى الناس فى فَرَجيَّةٍ أجرُّ بها تيهاً على الأرض أذيالى
ويُمسى عدُوِّى غير خال من الأسى إذا بات عن أمثالها بيتُهُ خالى
ولو أننى أسعى لتفصيل جبةٍ كفانى ولم أطلب قليلٌ من المال
ولكننى أسعى لمجدٍ بجوخةٍ وقد يُدْرِكُ المجد المؤثل أمثالى

ومنها :

وكم ليلةٍ أستغفرُ الله بتُّها بخد وريق بين وَرْدٍ وجريال
تَبَطَّنت فيها بَدْرَ تم مُشَنَّفٍ ولَمْ أتبطن كاعباً ذات خلخال

وما أحسن قول ابن نباتة [من الوافر] :

أقول لمعشر جلدوا ولاطوا وباتوا عاكفين على الملاح
(ألستم خيرَ من ركب المطايا وأندى العالمين بطونَ راح)

وقوله [من الطويل] :

تَصَدَّى إلى إيرى فقلت له اتَّئِدْ وحقكَ لو عايَنْتَهُ وهو ثائرُ
(رأيت الذى لا كلُّهُ أنت قادرٌ عليه ، ولا عن بعضه أنت صابرُ)

وما أحسن قول الناصر البارزى فى هذا المعنى [من الوافر] :

أقول وقد أبى عن أخذ إيرى وسالَتْ مِنْ محاجرِهِ دُمُوعُ
(إذا لم تستَطِعْ شيئاً فدَعْهُ وجاوزه إلى ما تستطيعُ)

وقول الاسعردى سامحه الله تعالى [من السريع] :

قال وقد قَصَّرْتُ فى نَيْكه سُدَّ فضا مَبْعَرِىَ الواسِعِ
فقلت يا مولاى عذراً فقد (اتَّسَعَ الخرقُ على الراقِعِ)

ذكرت بهذا التضمين ما حكى عن الوزير عون الدين بن هبيرة أنه قال له بعض أصحابه فى هربته التى قتل فيها : يامولانا أين ذلك التدبير ، وتلك

السياسات ؟ فأنشد [من السريع] :

الثوْبُ إن أسرع فيه البلى أعيا على ذى الحيلةِ الصانِعِ
كنا نُدَاريها وقد مزقتْ (واتسعَ الخرق على الراقعِ)

وقد أبدع ابن نباتة بقوله [من الكامل] :

لم أنْسَ مَوْقفنا بكاظِمة والعَيْشُ مثْلُ الدار مُسْوَدُّ
والدمعُ ينْشِدُ فى مسايله (هل بالطُّلولِ لسائلٍ ردُّ)

وما أحسن قول بعض المغاربة [من الوافر] :

وفرع كان يوعدنى بأسر وكان القلبُ ليس له قَرارُ
فنَادى وجْهُهُ لاخوفَ فاسكن (كلامُ الليل يمحُوهُ النهارُ)

ومن ظريف التضمين ما حكى أن الْحَيْصَ بَيْصَ الشاعر قتل جرو كلب وهو سكران ، فأخذ أبو القاسم القطان الشاعر كلبة وعلق فى رقبتها قصة وأطلقها عند باب الوزير ، فأخذت القصة من عنقها وأُدخلت على الوزير ، فاذا فيها مكتوب [من البسيط] :

ياأهل بغداد إن الحَيْصَ بَيْصَ أتى بخَزْية أورثَتْهُ العار فى البلدِ
أبدَى شجَاعته بالليل مجترئاً على جُرَىٍّ ضعيفِ البطْشِ والجلَدِ
فأنشدت أمه من بعد ما احْتَسبتْ دَمَ الأبيلقِ عندالواحدِ الصمدِ
(أقولُ للنفس تأساء وتعزيةً إحدَى يدَىَّ أصابتنى ولم تُرِدِ
كلاهما خَلَفٌ من فقْدِ صاحبه هذا أخى حين أدعوهُ وذا ولدى)

البيتان الأخيران لامرأة من العرب قتل أخوها ابناً لها ، فقالتهما تسلية لنفسها .

وما أحسن قول إبراهيم بن العباس الصولى [من البسيط] :

أولى البرية طراً أن تواسيهُ عند السرور الذى واساك فى الحزَنِ
(إن الكرام إذا ما أيسرُوا ذكرُوا من كان يألفهُمْ فى المنزل الخشنِ)

البيت الأخير لأبى تمام ، وقد أحسن تضمينه الصاحب بن عباد بقوله [من البسيط] :

أشكو إليك زماناً ظلَّ يعركنى عَرْكَ الأديم ومَنْ يَعْدُو على الزمَنِ
وصاحباً كنتُ مغبُوطاً بصُحْبَتِهِ دهراً فغادرنى فَرْداً بلا سَكَنِ
هَبَّتْ له ريحُ إقبالٍ فطارَ بها إلى السرور وألجانى إلى الحزَنِ
نأى بجانبه عنى وصيَّرنى مع الأسى ودواعى الشوق فى قرَنِ
وباع صفْوَ ودادٍ كنت أقصُرُهُ عليه مجتهداً فى السر والعلَنِ
وكان غالى به حيناً فأرْخصَهُ يا من رأى صفْوَ وُدٍ بيعَ بالغَبَنِ
كأنه كان مَطْوياً على إحنٍ ولم يكن فى قديم الدهر أنشدنى
(إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن)

وذكرت بهذه الأبيات واقعة الوزير المهلبى مع رفيقه ، وكانت حاله قبل الاتصال بالسلطان حال ضعف وقلة ، وكان يقاسى منها قَذَى عينيه وشَجَا صدره ، فبينا هو ذات يوم فى بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الجراب والمحراب ، إلا أنه من أهل الأدب ، إذ لقى من سفره نصباً ، واشتهى اللحم فلم يقدر على ثمنه ، فقال ارتجالا [من الوافر] :

ألا موْتٌ يباعُ فأشتريهِ فهذا العيش ما لاخيرَ فيه (١)

(١) ورد فى المطبوعتين «ألا موتا» والمحفوظ هو ما أثبتناه بالرفع ، مع أن للنصب وجها فى العربية وعليه ورد قول الشاعر :

ألا رجلا جزاه الله خيرا يدل على محصلة تبيت

إذا أبصرتُ قبراً من بعيد ودِدتُ لوَ انني فيما يليهِ

ألا رَحِمَ المهيمنُ رُوحَ عَبْدٍ تَصدَّقَ بالوفاةِ على أخيهِ

فاشترى له رفيقه بدرهم واحد ما سكن قَرَمه ، وتحفظ الأبيات ، وتفارقا ، وضربَ الدهر ضرباته فترقَّتْ حالُ المهلبي إلى أعظم درجة من الوزارة حتى قال [من مجزوء الكامل] :

رق الزمانُ لفاقتي ورثى لطول تَحرُّقِ

وأنالني ما أشتهي وأقالني ما أتقي

فلأغفِرَنَّ له الكثيرَ من الذنوبِ السُّبَّقِ

حتى جنايتَهُ لما فعلَ المشيبُ بمفرقي

وحصل الرفيق تحت كلكل الدهر ، وثقل عليه برْكُه ، وهاضه عرْكه ، فقصد حضرته ، وتوصل إلى إيصال رقعة تتضمن أبياتاً منها [من الوافر] :

ألا قُلْ للوَزير فَدَتْهُ نفسي مقالةَ مُذْكِرٍ ما قد نسيهِ

أتذكُرُ إذ تَقولُ لضَنْكِ عيشٍ (ألا مَوْتٌ يباع فأشتريهِ)

فلما نظر فيها تذكره وهزته أريحية الكرم للاحسان إليه ورعاية حق الصحبة فيه ، والجرى على حكم من قال [من البسيط] :

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن

فأمر له فى عاجل الحال بسبعمائة درهم ، ووقع فى رقعته « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء » . ثم دعا به ، وخلع عليه ، وقلده عملا يرتفق به ، ويرتزق منه .

ونظير ذلك ما حكى أن الأمير بدر الدين بيلبك الخازندار أحضره إلى القاهرة تاجر كان يحسن إليه وهو فى رقه ، فلما باعه تنقلت به الأحوال إلى

ما صار إليه، وافتقر التاجر فيما بعد، فحضر إليه إلى مصر، وكتب إليه رقعة فيها [من البسيط] :

كنا جميعَيْنِ فى كد نكابدُهُ والقلب والطرف منا فى أذًى وقذَى
والآنَ أقبلَتِ الدنيا عليك بما تَهْوَى فلا تنْسَنِي (إن الكرام إذا)

فأعطاه عشرة آلاف درهم.

وما أحسن قول بعضهم [من الكامل] :

قد قلت لما أطلعَتْ وجناته حول الشقيق الغض روضةَ آسِ
أعِذَارَهُ السارى العجول ترَفُّقاً (مافى وقوفك ساعة من باسِ)(١)

وقد ضمنه أبو جعفر الأندلسى فقال [من الكامل] :

ومُوَرَّدُ الوجنات دبّ عِذَارُه فكأنه خط على قرطاس
لما رأيت عذاره مستعجلاً قد رام يخفى الوردَ منهُ بآس
ناديتهُ قف كى أودع وردهُ (مافى وقوفك ساعة من باس)(١)

ولأبى بكر الخوارزمى فى ابن العميد [من الطويل] :

لئن كنت أضحِى من عطَايَاكَ شاعراً لقد صِرْتُ أمسى من عطاياك مفْحَمَا
أبيتُ إذا أجريتُ ذكْرَاكَ مُنْشِداً (وأن تعتب الأيام فيها فربما)
ومالى من الأصوات مقترحٌ سِوَى (أعالج وجداً فى الضمير مُكتَّما)

وله فى شمس المعالى قابوس [من الطويل] :

شموس لهن الخدر والبيت مغْرِب فطالعُهَا بالبين والهجر غارب
ولكنما شمس المعالى خلافها مشارِقهُ ليْسَتْ لهن مغَارِبُ

---

(١) عجزه صدر بيت هو مطلع قصيدة لأبى تمام، وهو :

ما فى وقوفك ساعة من باس نقضى ذمام الأربع الأدراس

فما لقبوهُ الشمس إلا وقد رووْا (فانكَ شمس والملوكُ كواكب)

ومن ظريف التضمين قول القاضى أبى عمر القابسى وقد أهديت إليه جارية فوجدها ابنة سرية له، كان قد تسري بها، فردها، وكتب إلى مهديها [من الكامل]:

يامهدىَ الرشأ الذى ألحاظُهُ تركَتْ فؤادى نُصْبَ تلكَ الأسهُمِ
ريحانَةٌ كل المنى فى شمها لولا المهيمنُ واجتناب المحرَمِ
ماعَنْ قلىً صُرِفَتْ إليك وإنما صيدُ الغزَالةِ لم يُبَحْ للمُحْرِمِ
إن الغـزَالةَ قدْ عرفنـاَ قَبلها سرَّ المهاة وليْتنا لم نعـلمِ
يا وَيحَ عنترَةَ الذى قدْ شفَّهُ ما شفنِى فَشـدا وَلمْ يتـكلمِ
(يا شاة ما قنصٍ لمنْ حلتْ لهُ حرُمتْ علىَّ وَليتها لم تحرُمِ)

فضمن بيت عنترة، والعرب تطلق الشاة على البقرة الوحشية، فكنى بها عن المرأة تشبيهاً لها بها، ويقال: إن التى عناها كانت زوجة أبيه، فلذلك حرمت عليه

ومن بديع التضمين، قول أبى فراس الحمدانىّ يتغزل فى غلام من الفرس [من الخفيف]:

قاتِلِى شادِنٌ رخيمُ الدَّلالِ كِسرَوِىّ الأعمامِ والأخوالِ
كيف أرجو ممن يرَى الثأرَ عندِى فرَجاً مِنْ تعطفٍ أوْ وصالِ
مادرَتْ أسرَتى بِذِى قارَ أنّى بعضُ مَنْ جندَلُوا مِنَ الأبطالِ (١)

(١) ذو قار: يوم كان بين العرب والفرس انتصر فيه العرب انتصارا باهرا. يقول: إن قومى العرب هم الذين قتلونى، لأن هذا الغلام الفارسى تسلط على قلبى حتى ذهب به، فأنا قتيل هذا الغلام الذى أراد أن يأخذ بثأر قومه منى

أيها الملزِمِى جرائرَ قومى بعدَ ما قدْ مضتْ عليها الليالى
(لم أكنْ مِن جناتها علمَ اللهُ وإنى بحرِّها اليومَ صالى)

والمعنى الذى أراد: أن بنى شيبان، وهم من ربيعة قوم أبى فراس، كانوا قد هزموا الفرسَ، يوم ذى قار، وهو يوم مشهور، فنزع أبو فراس فى هذه الأبيات منزعاً ظريفاً، وذهب مذهباً غريباً. ذكر فيه أن هذا الغلام على تأخر زمانه وزمان أبى فراس عن الذين شهدوا تلك الهزيمة، ذهب إلى الأخذ بثأر قومه من أبى فراس، وإن لم يكن أبو فراس من جناة تلك الحرب. وأما البيت المضمن فهو من شعر الحارث بن عباد البكرى (١) يقوله فى حرب البسوس بعد أن كان اعتزل الحرب، فلم يدخل فيها، إلى أن قتل ابنه بجير، فلما بلغه قتله ظنّ أنّ مهلهلا يقنع به فى دم أخيه كليب، وقال: نعم القتيل قتيلاً أصلح الله به بين ابنى وائل، يريد بكراً وتغلب، وعزم أن لا يطلب بثأره، إلى أن بلغه أن مهلهلا، قال له حين قتل: بُؤْ بشِسْع نعل كليب، يريد أنه لا يفى دمه بشىء من دم كليب، فعند ذلك حمى الحارثُ وغضب وعزم على الدخول فى الحرب، وقال فى ذلك [من الخفيف]:

قرِّبا مَرْبطَ النعامةِ مِنّى لقحتْ حربُ وائلٍ عَنْ حيالِ

إلى أن قال:

لمْ أكنْ مِنْ جناتِها علمَ اللهُ وإنى بحرِّها اليومَ صالى

وقد ضمنه شمس الدين التلمسانى، وأجاد، بقوله [من الخفيف]:

وعيونٍ أمرضْنَ جسمِى وأضرمْـنَ بقلبى لواعجَ البلبالِ
وخدودٍ مثل الرياض زواهٍ ما لأيامِ حسنها مِنْ زوالِ

(١) فى الأصول «الحارث بن عبادة» بزيادة التاء، وهو تحريف

(لَمْ أكُنْ مِنْ جُناتِها عَلِمَ اللهُ وَإنّى بِحَرِّها اليومَ صالِ)

فصرف لفظ « جُناتها» عن معنى الجناية إلى معنى الجَنَى .

ومن ذلك قول بعض المجان من أهل تونس فى مُعَذَّر [من الكامل] :

لا عذرَ لى إنْ لم أهِمْ بِمعذَّرٍ فِى وَجنتيهِ فتنةُ المتأمِّلِ
خطٌّ على خدٍّ قويم مثل ما دَبَّتْ على الكافورِ أرجلُ أنملِ
إنى مِنَ القومِ الذين إذا هَوَوْا (لا يسألونَ عَنِ السّوادِ المقْبلِ)
ولَدَيهمُ أنَّ العذارَ إذا بَدَا (مما يُعَدُّ مِنَ الطرازِ الأوّلِ)

ضمن أعجاز بيتى حسان فى آل جفنة [من الكامل] :

يُغْشَوْنَ حتى ما تهِرُّ كِلابُهُمْ لا يَسألونَ عَنِ السَّوادِ المُقْبِلِ
بِيضُ الوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أحْسابُهُمْ شُمُّ الأنوفِ مِنَ الطِّرازِ الأَوّلِ

فنقله من معنى المدح إلى ذكر العذار ، فأبدع ، ولا سيما البيت الثالث ، فهو نهاية فى الابداع .

ومنه قول ابن الجفان الشاطبى [من الكامل] :

للهِ قومٌ يعشقُونَ ذَوِى اللحَى (لا يسألُونَ عَنِ السوادِ المقْبِلِ)
وَبِمُهجتى نفرٌ وَإنى منهمُ جُبِلُوا على حُبِّ الطِّرازِ الأوّلِ

وقول الصلاح الصفدى [من الكامل] :

دَبَّ العذارُ فظنَّ فيهِ عواذلِى أنى أكونُ عَنِ الغرامِ بِمعزِلِ
لا كانَ ذاكَ فاننى مِنْ معشرٍ (لا يَسألونَ عنِ السوادِ المقبلِ)

ومن التضمين البديع ما أنشده القاضى الخطيبُ أبو البركات لنفسه ، وكتبه على جزء فيه كلام لابن سبعين [من الطويل] :

ألا فَدَعُوا ما قالَ عنكم فإنّما (محا السيفُ ما قال ابنُ دارةَ أجمعا)

أراد أن أصحاب ابن سبعين كانوا يعبرون عنه بابن دارة ، لأن شكل سبعين فى رسوم الحساب الرومية هكذا ٥ ، وكان ابن سبعين إذا كتب اسمه يكتب عبد الحق بن ٥ ، ويرسم دائرة ، فغاص الخطيب ، وأتى بتضمين بديع لا نظير له ، وهو عجز بيت من قول الشاعر :

وَلاَ تكثرُوا فيها اللجاجَ فانه محا السيفُ ماقال ابنُ دُرَةَ أجمعَا

وهو مما جرى عندهم مثلا ، وله قصة شهيرة :

ومن التضمين البديع قول ابن الرومى فى مأبون [من الكامل] :

يا سائِلى عن خالد ، عهدى بهِ رَطبَ العجَانِ وكفهُ كالجلمدِ
(كالأقحوَان غداة غب سَمَائه جفَّتْ أعاليه وأسفلهُ ندِى)

فصرف قول النابغة فى وصف الثغر إلى المعنى الذى أراد .

وما أحسن قول كشاجم [من البسيط] :

يَا خاضبَ الشيب والأيامُ تظهرُهُ هذا شبابٌ لعمرُ اللهِ مَصنُوعُ
أذكرْتنى قولَ ذى لبٍّ وتجربةٍ فِى مثله لكَ تأديبٌ وتقريعُ
(إنَّ الجديد إذا ما زِيدَ فى خلَقٍ تبينَ الناسُ أنَّ الثوبَ مَرْقُوعُ)

وقول ضياء الدين موسى بن ملهم الكاتب فى الرشيد عمر الفوّى ، وكان به داء الثعلب وأسنانه بارزة [من الوافر] :

أقُول لمَعْشرٍ جهلوا وغضُّوا منَ الشيخ الرشيد وأنكروهُ
هوَ ابنُ جلاَ وطلاّعُ الثنَايَا متَى يَضع العمامَةَ تعرِفوهُ

هو تضمين قول سحيم المار فى شواهد الايجاز [من الوافر] :

أنَا ابنُ جلاَ وطلاّعُ الثنايَا متَى أضعِ العمامةَ تعرفونى

وقد ضمنه صدر الدين بن غنوم ، فقال [من الوافر] :

جلاَ مسوَاكُ ثغركِ خيرَ دُرٍّ فجلَّ بذاكَ وا كتسبَ المزَايا
وأنشـــدَ صحبهُ تيهاً وفخراً (أنَا ابنُ جلاَ وطلاَّعُ الثنايَا)

وقال شمس الدين الحلبى فيه [من الوافر] :

جلاَ ثغراً وأطلعَ لى ثنايَا يسُوقُ بها المحبَّ إلى المنَايَا
فأنشدَ ثغرهُ يبغى افتخاراً (أنا ابْنُ جلاَ وطلاَّعُ الثنايَا)

وضمنه الأرَّجانىّ ، فقال [من الوافر] :

تغنَّمْ صُحبتى ياصاحِ إنى نزعتُ عن الصبا إلاَّ بقايا
وخالِفْ مَنْ تنَسكَ من رجال لَقُوكَ بأكبُدِ الابل الأبايَا
ولاتسلكْ سوى طرقى فانى (أنا ابْنُ جلاَ وطلاَّعُ الثنايَا)

وظريف قول المولى الفاضل على بن مليك فى تضمينه [من الوافر] :

وَمُذ تاهَ الدليلُ وقدْ ضللنَا بليلٍ ليس يهْدَى سالكُوهُ
فأشرَقَ وجهُ مَنْ أهوى ونادَى أنَا ابْنُ جلاَ ألا لاَ تُنكرُوهُ
وَوَجهُ الصبحِ وَافَانَا سريعاً وَقالَ وَقدْ حكاهُ أنا أخُوهُ
فقلتُ لصاحبى أنعمْ صبَاحاً لَعمركَ قدْ تعارَفَتِ الوُجُوهُ

ومن محاسن السراج الوراق فى التضمين قوله [من الطويل] :

توَارى منَ الواشى بليلِ ذَوائِبٍ لهُ من جبينٍ وَاضِحٍ تحتهُ فجرُ
فدلَّ عليهِ شَعرُهُ بظلاَمِهِ (وَفى الليلةِ الظلماءِ يفتقدُ البدْرُ)

نقله ابن الصائغ إلى المداعبة وزاده تورية بقوله [من الطويل] :

تطلَّبت جحرا فى الظلام فلم أجد ومن يك مثلى حيَّةً دأبه الجحر
فنادانى البدر الأديب إلى هنا (وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر)

ومن تضامين مجير الدين بن تميم البديعة قوله [من الكامل] :

عاينتُ فى الحمّامِ أسودَ وائباً ... من فوقِ أبيضَ كالهلالِ المُسفِرِ
(فكأنما هوَ زورقٌ من فضةٍ ... قد أثقلتهُ حمولة من عنبرِ)

وقوله فى الفانوس [من الطويل]

يقول لِىَ الفانوسُ حِينَ أتوْا بهِ ... وفى قلبهِ نارٌ من الوجدِ تُسعَرُ
(خذُوا بيدِى ثمّ اكشفُوا الثوبَ تَنظرُوا
ضَنَى جسدِى لكنّنى أتسترُ)

وقوله أيضاً [من الوافر]:

أزهرَ اللوزِ أنتَ لكلِّ زهرٍ ... منَ الأزهارِ يأتينا إمامُ
(لقدْ حسُنَتْ بكَ الأيامُ حتى ... كأنكَ فى فمِ الدهرِ ابتسامُ)

وقوله أيضا [من الكامل]:

لَوْ كنتَ إذْ أبصرْتَها فوّارةً ... للشمسِ فى أمواجها لألاءُ
لرأيتَ أعجبَ ما يُرى من بركةٍ ... (سالَ النضارُ بها وقامَ الماءُ)

وقوله أيضا [من الكامل]:

لَوْ كنتَ فى الحمامِ والحنّا على ... أعطافهِ وبجسمهِ لألاءُ
لرأيتَ ما يسبيكَ منهُ بقامةٍ ... (سالَ النضار بها وقامَ الماءُ)

وقوله، وهو من تضامينه البديعة [من الكامل]:

أفدِى الذى أهوَى بفيهِ شارباً ... من بركةٍ راقتْ فطابتْ مشرعاً
أبدَتْ لعينِى وجههُ وخيالَه ... (فأرَتنى القمرينِ فى وقتٍ معًا)

وقوله وأجاد [من الطويل]:

وشبّابة قدْ كنتُ أهوَى سماعهاَ ... وقدْ صرتُ منها بعد ماتبتُ أنفرُ
وَها أنا قدْ فارقتهاَ غيرَ نادِمٍ ... (وكم مثلها فارقتها وهْىَ تصفِرُ)

وقوله [من الطويل]:

ونَاطقةٍ بالرّوح عَنْ أمرِ ربها تعبر عما عندها وتترجمُ
سكتنا وقالت للقلوب فأطربَتْ (فنحن سُكوتٌ والهوَى يتكلّمُ)

ومن تضامين الشهاب محمود البديعة قوله [من البسيط]:

مَنْ حاتمٌ عدِّعَنهُ واطّرِحْ فيهِ في الجود لا بِسواه يُضربُ المثلُ
لوْ مُثّلَ الجودُ سَرْحاً قال حاتمهمْ (لاَ نَاقةٌ لِيَ في هذا ولاَ جمَلُ)

وما أحسن قول ابن العفيف التلمساني [من السريع]:

قالوا غداً تندَمُ عنْ لثمهِ في خدِّه إذْ يغلبُ السكرُ
فقالَ لِي مبسمهُ دَعهمُ (اليومَ خمرٌ وغداً أمرُ)

وما أحسن قول العز الموصلي [من الكامل]:

لحديث نبْتِ العارضين حلاَوةٌ وطلاَوةٌ هامتْ بها العشاقُ
فاذا نهاني المردُ قلت تمهلوا (فإليكمُ هذا الحديثُ يُساقُ)

وقول ابن نباتة [من الطويل]:

ومُذْ كَلَّمتْ قلبي سيوفُ لحاظها شكوت إليها قِصتي وهي تبسمُ
فلَم أرَ بدْراً ضاحكاً قبلَ وجهها ولم ترَ قبـلي ميتاً يتكلمُ

وقول ابن نميم [من البسيط]:

إنْ تاه ثغرُ الأقاحي إذ نشبهه بثغر حُبكَ واستولى به الطربُ
فقلْ له عندَ ما يحكيهِ مُبتَسماً
(لقدْ حكيتَ ولكنْ فاتكَ الشَّنَبُ)

وهذا المصراع الأخير لابن الخيمي ، من قصيدة طنانة ، مطلعها :
[من البسيط]:

يا مطلباً ليْسَ لي في غيرهِ أرَبُ إليكَ آلَ التقصّي وانتهى الطلبُ

وَما طَمحَتْ لِمرْأى أوْ لمستمعٍ … إلا لمعنىً إلى عَلياكَ ينْتسبُ
وما أرَانىَ أهلاً أنْ تواصلنى … حسبى علوّاً بأنى فيكَ مُكتئِب
لكنْ ينازع شوْقى تارةً أدبى … وأطلب الوصل لما يضعفُ الأدب
ولست أبرَح فى الحالين ذا قلَقٍ … نامٍ وشوقٍ له فى أضلعى لهَبُ
ومَدْمع كلما كفكفْتُ أدمعه … صَوْناً لذكركَ يعصينى وَينسكبُ

إلى أن قال :

والهفَ نَفْسِىَ لو يجدِى تَلَهُّفَهَا … غوثاً وواحَرَبَا لو ينفعُ الحرَبُ
يمضى الزمان وأشواقى مُضَاعَفَةٌ … ياللرجال ولا وصل ولا سَبَبُ
يا بارقاً بأعالى الرَّقمتين بدَا … (لقدحكيْتَ ولكنْ فاتكَ الشَّنَبُ)

وهى قصيدة بليغة بارعة متناسقة فى الحسن والعذوبة ، وكان لما فرغ منها كتبها فى ورقة ، وأومأ بيده ليضعها فى جيبه ، فسقطت ، فمر ابن إسرائيل على أثره ، فرآها فأخذها وقرأها فأعجبته وادعاها لنفسه ، وبلغ ابن الخيمى ذلك فالتهبت ناره ، وامتنع قراره ، وجدَّ فى استرجاع ابن إسرائيل عن ادعائها ، وهو مُصِرٌّ على ذلك ، فتراضيا على تحكيم ابن الفارض ، والتسليم إليه من غير معارض فلما عرضا عليه أمرهما أمر كل واحد منهما أن ينظم فى وزنها ، فذهبا ثم أتياه فأنشده ابن الخيمى أبياتاً منها [من البسيط] :

مَنْ مُنْصفى من لطيف منهم غَنِجٍ … لَدْنِ القوام لإسرائيل ينْتَسِبُ
مُبدِّل القول ظلماً لا يفى بموا … عيد الرجال ومنهُ الذنب والغضب
فى لثغةِ الراء منه صدقُ نسبتهِ … والمنُّ فيه بزورِ الوعدِ والكذبُ
فَمنْ عجائبهِ حدِّثْ ولا حرَجٌ … ما ينتهى فى المليح المنطقِ العجبُ

وأنشده ابن إسرائيل أبياتا منها [من البسيط] :

يا بارقاً ببراقِ الحزنِ لاحَ لنـا ... أأنتَ أم أرسلَتْ أقمارَها النقبُ

ويانسيماً سرى والمسك يصحبهُ ... أجزتَ حيث مشينَ الخردُ العربُ

أقسمتُ بالمقسمات الزهر تحجبُها ... زهرُ العوالى والخطيةُ القضبُ

لكدت تشبه برقاً من ثغورِهمُ ... يا درّ دمعىَ لولا الظلمُ والشَّنَبُ

فنظر ابن الفارض إلى ابن إسرائيل نظر الازدراء ، وقد كاد يرمى قصيدته بالعراء ، وقال له :

* لقد حكيْتَ ولكن فاتك الشَّنَبُ *

فقضى له عليه ، وتركه نادماً يعض يديه .

وقد ضمنه بعضهم أيضاً بقوله [من البسيط] :

ويا غزالاً حكى معنى جمالهم ... (لقد حكيت ولكن فاتك الشنب)

وألم به أبو الثناء محمود الحلبى فقال [من البسيط] :

يا بارق الثغر لولاحتْ ثغورُهمُ ... وشِمْتَ بارقها ما فاتكَ الشنبُ

وما أحسن قوله بعده :

ويا حياً جادَهُمْ إن لم تكن كلِفاً ... ما بالُ عينيْكَ منها الماء ينسكبُ

ويا قضيبَ النقا لو لم تجد خبراً ... عند الصبا منهم ماهزك الطرب

والصلاح الصفدى بقوله [من البسيط] :

يا برقُ لاتبتسم من ثغره عجباً ... قدفاتَ معناكَ منهُ الظلْمُ والشنب

وابن فضل الله بقوله [من البسيط]:

يابرْقُ وَاْحكِ وَميضاً من ثغورهم ... وما عليك إذا ما فاتك الشنب

رجعنا إلى التضمين .

عود إلى التضمين

ومنه قول إبراهيم الاشبيلى المهتدى [من الطويل] :

تأمَّلْ لظى شَوْقى وموسى يَشُبُّهُ (تجدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقِدِ)

ولطيف قول ابن عبد ربه [من الكامل]:

إنَّ الغوانى إنْ رَأَيْنَكَ طاوياً بُرْدَ الشبابِ طوَيْنَ عنكَ وصالاَ

(وإذَا دعوْنك عمهنَّ فانهُ نسبٌ يزيدكَ عندهنَّ خبالاَ)(١)

وقول بعضهم [من الكامل]:

كانَتْ بَلَهْنِيَةُ الشبيبة سكرةً فصحوْتُ واستبدلتُ سيرةَ مُجْمِلِ

وقعدتُ أنتظر الفناء كراكبٍ (عَرفَ المحلَّ فباتَ دونَ المنزلِ)

وقد ضمنه بعضهم مجوناً، فقال [من الكامل]:

قالوا وقد بصروا بأيرى نائماً عند الدبيب إليه رِخْوَ المفصلِ

ماذَا عراه فقلت سارى ليلةٍ (عرفَ المحلَّ فباتَ دونَ المنزل)

ولابن نباتة فيه [من الكامل]:

يا ربَّ ليلٍ بتُّ فيه منعمًا برشيقةٍ تَعْيَا بردْفٍ مثقلِ

أيرى بجانب كسها فى حجرها (عرفَ المحلَّ فباتَ دونَ المنزلِ)

وقول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر [من الطويل]:

لقدْ قال لى إذْ رُحْتُ مِنْ خمر ريقه أحثُّ كؤوساً من ألذ مُقبَّلِ

بلثم شِفاهى بعد تَقبيل مبسمى (تنقلْ فلَذَّاتُ الهوى فى التنقلِ)

وهذا المصراع الأخير لأبى عبد الله محمد بن أبى الفضل السلمى المرسى من أبيات، وهى [من الطويل]:

تَنَقَّلْ فلذَّاتُ الهوى فى التنقلِ وَرِدْ كلَّ صافٍ لاتقفْ عند منْهَلِ

وإنْ سار من تهوى فسرْ عن جنابه ولا تسكُبَنْ دمعاً علَى مترَحِّلِ

---

(١) نسب فى كتب العروض إلى الأخطل، ولم أجده فى ديوانه المطبوع

ولا تعتبرْ قولَ امرىء القيْسِ إنه ضليلٌ ومَن ذا يقتدى بالمُضَلَّلِ
فَفِى الأرْضِ أحبابٌ وفيها مَنازِلٌ
(فلا تبْكِ من ذكرى حبَيبٍ ومنزلِ)

ومن ظريف التضمين قول البدرى المنبجى [من الطويل] :

ولما خلوْنا والمسرة بيننا وقد عزّ شُرْبُ الراح فيناعلى الشّرْبِ
تعوضَ كل بالحشيش عن الطلا (ومن لم يجد ماء تيممَ بالترب)

وقول السراج الوراق يهجو بخيلا [من البسيط] :

و باخل يَشنأ الأضيافَ حلّ به ضيف من الصفْع نزّال على القِمَمِ
سألته ما الذى تشكو فأنشدنى (ضيف ألم برأسى غيرَ محتشم)

وقول الصلاح الصفدى [من الرجز] :

قل للرَّقيب يَسترح من رَصَدِى ما أصبح المعْشُوقُ عندى مشتهى
وارتَدّ قلبى عَنْ سيوف لحظه (وكل شىء بَلَغَ الحدَّ انتهى)

وقول ابن نباتة [من الطويل] :

ألا فاسقنى مِنْ خمْرة لَذَّ طعْمها بفيكَ ولا تبخلْ وقُلْ لى هى الخمرُ
وحُطَّ لثاماً حجَّبَ اللثم عن فمى (فلاخير فى اللذات من دونهاستر)

وقد أخذ الصلاح الصفدى هذا التضمين من ابن نباتة وإن كان فى معنى آخر ، فقال [من الطويل] :

لقدْ كنتَ فى لذّات ثغرك هائما ليالِىَ لمْ يمْنَعْ على عاشق ثغرُ
فأما وسترٌ دُونها من شوارب (فلاخير فى اللذات من دونها ستر)

وما أحلى قول الصلاح الصفدى مضمناً ومكتفياً [من المقتضب] :

رشفت ريقك حلواً فلم يكن لىَ صبرُ

وَسَوْفَ أَحظَى بِوَصْلٍ (وَأَوَّلُ الغيثِ قطرُ)

ومن الغايات هنا ما كتب به شيخ شيوخ حماة إلى السيف الآمدى ، وهو [من البسيط] :

لئنْ تقدَّمَ قومٌ عصرَ سيدنا فكمْ تقدَّمَ خيرَ المرسلينَ نبي
وَإنْ يكنْ عِلمُهُ فرْعاً لعلمهمُ (فإنَّ فى الخمرمعنىً ليسَ فى العنبِ)
وَإنْ أتتْ قبلَهُ كُتبٌ مؤلفة (فالسيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ)

وقول البدر بن الصاحب [من البسيط] :

للهِ يومُ الوفَا وَالناسُ قَدْ جمعُوا كالرَّوض تطفُو على نهْرٍ أزَاهرُهُ
وَللوَفاءِ عَمُودٌ مِنْ أصابعهِ مخلَّقٌ تملأُ الدُّنيا بشَائِرُهُ

وقول البرهان القيراطى [من الكامل] :

قلْ فى اخضرارِ عِذارهِ وقوامهِ خلعَ الربيعُ على غصونِ البانِ
وانشرْ مِنَ الأغزَال فى أرْدَافهِ حُللاً فواضلُها على الكُثبانِ

وقوله فى بادهنج [من الطويل] :

بِروحِيَ أفدِي بَادَهَنْجاً مُوكلاً
باطفَاءِ ما نلقاهُ مِنْ حُرَقِ الجوَى (١)
إذَا فُتِحَتْ فِي الحرِّ مِنهُ طَرائقٌ
(أتانِي هوَاهَا قبلَ أنْ أعرِفَ الهوَى)

---

(١) البادهنج : معرب بادكير ، أو بادخون ، وهو المنفــذ الذى يجيء منه الريح ، ويسميه الأدباء « راووق النسيم » وقال أبو الحسن الأنصارى :

ونفحة بادهنج أسكرتنا وجدت لروحها برد النعيم
صفا جرى الهوى فيه رقيقا فسميناه راووق النسيم

وقوله فيه أيضا [من الطويل] :

أيَا بَادَهَنْجاً صح فيهِ لَنا الهَوَى صِفاتُكَ ما وَفّى بِهِنّ خِطابُ
وما شئتُ إلا أنْ أدلّ عواذِلِي عَلى أن رأيي فِي هوَاكَ صوَابُ

وقال ابن أبي حجلة فيه ، وأجاد [من الوافر] :

هَجَا الشعراءُ جهلاً بادَهَنْجي لأنّ نسيمَهُ أبداً عليلُ
فقال البادَهنج وقدْ هَجَوْهُ إذا صحّ الهوَى دَعهُمْ يقُولُوا

وما أحسن قول القيراطى فى موسوس [من الكامل] :

ومُوَسْوسٍ عندَ الطهارة لم يزَلْ أبداً عَلى الماءِ الكثير مُواظبَا
يَستصغرُ البحرَ الكبيرَ لذقنهِ وَيَظُنُّ دِجلةَ ليسَ تكفي شارِبا

وَقول ابن أبي حجلة غاية هنا [من البسيط] :

قلْ للهلال وَسُحبُ الجوّ تسترُهُ حكيتَ طلعةَ مَنْ أهْواه بالبلَجِ
لكَ البشارَةُ فاخلعْ ماعليكَ فقدْ ذكرت ثم على مافيكَ منْ عِوجَ

وقول العلاء بن أيبك الدمشقى [من الوافر] :

أقول وقد ظَمِئْتُ ووجهُ حبي لهُ عرَقٌ على وَرْدِ الخدُودِ
أرَى ماء وَبي ظمأ شديدٌ ولكنْ لا سبيلَ إلى الورُودِ

وما أحسن قول البدر الزغارى [من الطويل] :

وَبي سَامرِيّ مَرّ بي فى عِمامَةٍ
قد اكتسبَتْ مِنْ وَجنتيهِ احمرَارها
مُورّدةٍ دَارَتْ بِوَجهِ كأنما تناوَلَها مِنْ خَدّهِ فأدَارَها

وما أبدع قول ابن أبي حجلة [من الكامل] :

ومتى امتطيتَ مِنَ الكؤوس كميتَها أمْسَيتَ نمسي فِي المسرّة رَاكبَا
ومتى طرَقْتَ عشِيّ أنس ديرهَا لم تلقَ إلا رَاغِباً أوْ رَاهبَا

وقوله فى الفانوس غاية هنا [من الكامل] :

أنا فى الدجا ألقى الهوى وبمهجتى حُرَقٌ يَذُوبُ لها الفؤادُ جميعهُ
فكأننى والليلُ صبٌّ مغرم كتمَ الهوى فوَشَتْ عليه دُموعهُ

وقوله أيضا فيه [من الكامل] :

يحكى سَنَا الفانوس حينَ بدَا لنَا برْقاً تألقَ موْهناً لمعانهُ
فالنار ما اشتملتْ عليه ضلوعهُ والماء ما سحَتْ به أجفانهُ

وقوله أيضا ، وهو بديع [من الكامل] :

ياصاحبي حضرَ الشرابُ ومنْيتي وحظيتُ بعدَ الهجرِ بالايناسِ
وكسَا العذارُ الخدَّ حسناً فاسقنى واجعلْ حديثك كلهُ فى الكاسِ

وظريف قول محيي الدين بن قرناص الحموى [من الكامل] :

أفديه أغيدَ زارَنى تحتَ الدُّجا وعلَيه منْ فرعيه ليلٌ ساجي
والفَرْقُ بين الشعر فوق جبينهِ عُرْيانُ يمشى فى الدُّجا بسراجِ

ومن غاياته هنا قوله فى كاحل يسمى بالشمس [من الطويل] :

دَعُوا الشمسَ منْ كحْلِ العيون فكفهُ
يسوقُ إلى الطَّرْف الصحيح الدَّوَاهيَا
فكمْ أذهبَتْ منْ ناظرٍ بسوَادهِ
وَخلّتْ بيَاضاً خلفهَا ومآقيَا

وما أملح قول ابن الوردى [من المتقارب] :

لِوَجنَة صيَّادكم نُسْخَة حريريَّة ملحة فى الملح
تقول لنبْتِ العذار اجتهد ومُدَّ الشباك وصِدْ من سنح

ومثله لابن أبى حجلة ، ونقله إلى معنى آخر [من المتقارب] :

غدا طيرُ أفراخنا سانحاً يَحومُ على عذب ورد القدحْ
فقلنا لدرِّ الحبَاب اجتهدْ ومدَّ الشباكَ وصِدْ منْ سنَحْ

وقد تضمن هذا الكتاب من فنّ التضمين ماهو ضامن لكل أديب الاستغناء به ، إن شاء الله تعالى .

ترجمة ابن أبى الأصبع

وابن أبى الأصبع : هو زكى الدين عبد العظم بن عبد الواحد بن ظافر ابن عبد الله بن أبى الأصبع ، العدوانى ، المصرى ، الشاعر المشهور ، الامام فى الأدب ، صاحب التصانيف الحسنة فيه ، منها « تحرير التحبير » فى البديع وكتاب « بديع القرآن » وكتاب « الجواهر السوانح ، فى سرائر القرائح » وغير ذلك ، وله شعر رائق ، منه [من الطويل]

ولما اعتنقنا ردّ دمعى لنحرها ودِيعتها فهىَ اللآلى التى تُرَى
بكتْ ورنتْ نحوى فجرّدَ لحظها مِنَ الجفنِ سيفاً بالدموعِ مُجوْهَرا

ومنه من قصيدة ، يمدح بها الملك الأشرف موسى [من الطويل] :

فضحتَ الحيا والبحرَ جُوداً فقدْ بكىَ الـــحيا منْ حياءٍ منكَ والتطَمَ البحرُ

ومنها :

عيُون معانيها صحاحٌ وأعينُ الـــملاحِ مراضٌ فى لواحظها كسرُ
هىَ السحرُ فاعجبْ لامرىءٍ جاءَ يبتغى عوَاطفَ مِنْ موُسَى وصنعتهُ السحرُ

ومنه [من الخفيف] :

انتخبْ للقريض لفظاً رَقيقاً كنسيم الرياض فى الأسحارِ
فاذَا اللفظُ رقّ شفّ عنِ المعـــنى فأبدَاهُ مِثلَ ضوءِ النهارِ
مثلَ ما شفّتِ الزجاجة جسماً فاختفىَ لونها بلونِ العقارِ

ومنه فى ذمّ قيم حمام [من البسيط] :

وَقيم كلمتْ جسمى أنَامِلهُ بِغيرِ ألسنةٍ تكليمَ خرصانِ

إنْ أمسكَ اليدَ مِنى كادَ يكسرُهَا
أو سرّحَ الشعرَ منْ فَوْدَىَّ أدمَانى
فليسَ يُمْسكُ إمسا كاً بمعرفةٍ ولاَ يُسَرِّحُ تَسْرِيحاً بإحْسَانِ

ومنه فى وصف فرس أدهم محجل [من الطويل]:

وَأدْهمَ جارَى الشمْسَ فِى مِثلِ لَوْنِهِ
مِنَ المغربِ الأقصى إلىَ جَانِبِ الشَّرْقِ
فَوَافى إلَيــهِ قبلَهَا مُتَمهّلاً فأعطَاهُ منْ أنْوَارِهِ قصَبَ السبْقِ

ومنه [من الطويل]:

رَأيتُ بِفيـهِ إذْ تَبَسَّمَ أدْمُعَا
فَقلتُ رَثَى لِى إذْ بَكَى فَمُهُ حُزْنَا
أجادَ لَهُ فى النظمِ شاعِرُ ثَغرِهِ
وَلـكنهُ مِنْ مُقلتِى سَرَقَ المَعْـنَى

ومحاسنه كثيرة، وعاش نيفاً وستين سنة، وكانت وفاته بمصر، فى الثالث والعشرين من شوال، سنة أربع وخمسين وستمائة، وحضر السراج الوراق مع عفيف الدين التلمسانى بن عدلان وأبى الحسين الجزار قبر الزكىّ المذكور، وكانا قد كتماه أن ذلك اليوم مأتمه، وكتماه قصيدتين فى رثائه، فقال السراج الورّاق [من الكامل]:

ماذَا أقُولُ وقد أتانا رَاثيـاً ملكُ النحاة وَسيِّدُ الشعراءِ
رَثيَاكَ بِالدُّرِّ النظيمِ فهـذِهِ لِلدَّال قافيـة وَتلكَ لِرَاءِ
وتوخّيَا نثرَ العقيقِ مَدَامِعاً إذ كنتَ لَم تنصفْ بنظمِ رثاءِ
يامَنْ طوَى بفضائلٍ وفوَاضلٍ ذِكرين للطائى بعدَ الطائى

غادرتنى وأنا الحبيب مودة ... صباً قد استعذبت ماء بكائى
فسقاك فضل الله فيض عطائه ... فلقد أقمت قيامة الشعراء

***

شاهد العقد

٢١٣ — ما بال من أوله نطفة ... وجيفة آخره يفخر

البيت لأبى العتاهية ، من قصيدة من السريع ، أولها :

واعجباً للناس لو فكروا ... وحاسبوا أنفسهم أبصروا
وعبروا الدنيا إلى غيرها ... فإنما الدنيا لهم معبر
الخير مما ليس يخفى هو الـ ... ـمعروف والشر هو المنكر
والموعد الموت وما بعده الـ ... ـحشر فذاك الموعد الأكبر
لا فخر إلا فخر أهل التقى ... غدا إذا ضمهم محشر
ليعلمن الناس أن التقى ... والبر كانا خير ما يذخر
عجبت للانسان فى فخره ... وهو غداً فى قبره يقبر

و بعده البيت ، و بعده :

أصبح لا يملك تقديم ما ... يرجو ولا تأخير ما يحذر
وأصبح الأمر إلى غيره ... فى كل ما يقضى وما يقدر

والشاهد فيه : العقد ، وهو : أن ينظم الشاعر نثراً ، قرآناً كان أو حديثاً أو مثلا ، أو غير ذلك ، لا على طريق الاقتباس .

فهذا البيت هو عقد قول على كرم الله وجهه : « وما لابن آدم والفخر ؟ و إنما أوله نطفة وآخره جيفة » .

و يروى أن مطرف بن عبد الله الشخير نظر إلى يزيد بن المهلب ، وهو

يمشى فى حُلة يَسحبها، فقال له: ما هذه المِشْيَة التى يُبغضها الله تعالى ورسوله؟! فقال يزيد: أما تعرفنى؟! قال: بلى، أولك نطفة مَذِرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت بين ذلك حامل العذرة.

وقد نظمَ هذا المعنى الشيخ أبو محمد الخوارزمىّ، فقال [من المنسرح]:

عَجبتُ من مُعْجَبٍ بصورته وكانَ منْ قبلُ نطفةً مَذِرَهْ

وفى غدٍ بعدَ حُسنْ صورته يصيرُ فى الأرض جيفةً قَذِرَهْ

وهو على عُجبهِ ونَخْوَتهِ ما بينَ ثوبيهِ يحملُ العَذِرَهْ

ومثله قول الفقيه منصور المصرىّ [من المتقارب]:

تتيهُ وجسْمكَ من نطفةٍ وأنتَ وعاء لما تعلمُ

وقول المؤمن الأدفوى [من الطويل]:

هل النفسُ إلا نطفة من مشيمة نمت بدَمِ الأحشاء شرَّ نَماءِ

وهل هو إلا ظرف بولٍ وغائط ولوْ أنهُ يُطْلَى بكل طلاءِ

كنيفٌ ولكنْ سدّدت جدراته بظل قميص واستتار رداءِ

وقول الآخر [من الوافر]:

أرَى أولادَ آدم أبْطرَتْهُمْ حظوظُهُمُ مِنَ الدنيا الدنيّهْ

فلِمْ بطِرُوا وأوّلهم مَنىٌ إذا افتخرُوا وآخرهم منيّهْ

وقول الفقيه منصور المصرى [من مجزوء الرمل]:

قلتُ للمعجب لما قالَ: مثلى لا يُراجعْ

يا قريبَ العهدِ بالمخـــرج لمْ لا تتواضعْ؟

ومثله قول ذى النون المصرى رضى الله عنه [من الخفيف]:

أيها الشامخ الذى لا يُرَامُ ... نحن من طينة عليك السلامُ
إنما هذه الحياة متَاعٌ ... ومعَ الموتِ تستوِى الأقْدَامُ

ومن أمثلة العقد من القرآن قول أبى نُوَاس [من الطويل] :

بروحى غزالٌ كان للناس قِبْلَةً ... وقدزُرْتُ فى بعض الليالى مُصَلاّهُ
ويقرأُ فى المحراب والناس خلفَهُ ... ولا تقتُلوا النفسَ التى حرَّمَ اللهُ
فقلتُ تأمل ما تقُول فانها ... فعالك يامَنْ تقتلُ الناسَ عيناهُ

وقول الآخر [من الوافر] :

أنِلْنى بالذى استقرضت خطاً ... وأشهد معشراً قد شاهدُوهُ
فان الله خلاق البرايا ... عنَتْ لِجلال هيبتِهِ الوجوهُ
يقولُ إذا تدَايَنْتُمْ بدَيْنٍ ... إلى أجلٍ مسمى فاكتبُوهُ

وقول أبى نصر سهل بن المرزبان [من السريع] :

لاتجزَعَنْ من كل خَطْبٍ عرَى ... ولا تُرِ الأعداء ما يشمِتُ
أما سمعتَ الله فى قوله ... إذا لقيتُمْ فئةً فاثبتُوا

وقول أبى محمد العبدلكانى [من السريع] :

لا تكرهن خلقاً على مذْهَبٍ ... لَسْتَ من الارشاد فى شىٌ
ألم ترَ الرحمنَ سُبْحَانَهُ ... المخرِجَ للميتِ منَ الحىٌ
يقول لا إكراهَ فى الدين قدْ ... تبينَ الرشدُ من الغىٌ

وقول المطوعى [من الوافر] :

غدَا منذ التحَى ليلاً بهيما ... وكان كأنه البدْرُ المنيرُ
فقدْ كتب السوادُ بعارضيه ... لمن يقْرا وجاءكم النَّذِيرُ

وقوله [من المتقارب] :

تكبرَ لما رأى نَفْسَهُ على صُورَةِ الشمس قد صُوِّرَت
سَيَنْدَمُ الفاعلى كِبْرِهِ إذا الشمس فى خده كُوِرَتْ

وقول ابن الصابونى الاشبيلى [من مخلع البسيط] :

رأيتُ فى خده عِذاراً خلعْتُ فى حبه عِذارى
قد كتب الحسن فيه سطْراً ويُولِجُ الليلَ فى النهارِ

وقول ابن يعمور [من مخلع البسيط] :

خطْبٌ أتى مسرعاً فآذى أصبح جِسْمى به جُذاذا
خصّصَ قلبى وعمّ غيرى ياليْتنى مت قبل هذا

وقول أبى الحسين الجزار [من السريع] :

أصبحت جزّاراً وفى البيت لا أعرفُ ما رائحةُ اللحمِ
جهلتُهُ فقراً فكُنْتُ الذى أضلهُ اللهُ على عِلمِ

ولمؤلفه فى غرض عرض [من السريع] :

أرى الضحايا قُسِّمَتْ فى الورَى وضاع فيما بَيْنهُم قِسْمى
وكلٌ من يعلَمُ حالى فقد أضله الله على علمِ

وقول ابن جابر الأندلسى [من السريع] :

يا صاحب المال ألم تستمعْ لقوله ما عِنْدَكم يَنْفَدُ
فاعمل به خيراً فوالله ما يبقى ولا أنتَ له تخلدُ

وقوله أيضاً [من المتقارب] :

إذا شئت رزقاً بلا حِسبَةٍ فلذْ بالتقى واتَّبعْ سُبْلَهُ
وتصديقُ ذلك فى قوله ومَنْ يتق الله يجعلْ لهُ

وقول أبى جعفر الأندلسى [من المتقارب] :

إذا ظَلَمَ المرء فامهـل له فبالقُرْب يُقْطَعُ منه الوتينُ
فقد قال ربك وهو القوى وأملى لهم إن كَيْدِى مَتينُ

ومن العقد فى الحديث قول الإمام الشافعى رحمه الله تعالى ورضى عنه [من الخفيف] :

عُمْدَةُ الخير عندنا كلماتٌ أَرْبعٌ قالهن خير البريهْ
اتَّقِ المشبهات وازهَدْ ودَعْ ما لَيْسَ يَعنيكَ واعمـلنْ بنيهْ

فهو عقد قول النبى صلى الله عليه وسلم « الحلال بين ، والحـرام بين ، و بينهما أمور مشتبهات » وقوله « ازهد فى الدنيا يحبك الله » وقوله « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » وقوله « إنما الأعمال بالنيات » .

ومنه قول بعضهم ، وهو عبد المحسن بن محمد الصورى [من الخفيف] :

وأخ مَسَّهُ نزولى بقَرْحٍ مثل ما مسنى من الجوع قَرْحُ
قيلَ لى إنه جوَاد كريمٌ والفتى يعتريه بخلٌ وشحُّ
بِتُّ ضيفاً له كما حكم الدهـ ـرُ وفى حكمه على الحرِّ قُبْحُ
قال لى إذ نزلت وهو من الخمـ ـرة سكرانُ طافحٌ ليس يَصْحُو
لم تغربْتَ ؟ قلتُ : قال رسولُ الله والقولُ منه نصحٌ ونُجْحُ
« سافروا تغنموا » فقال : وقد قا ل تمام الحديث « صوموا تصحوا »
قلت : فالصَّوْمُ لا يصحُّ بليلٍ قال : إن الوِصَالَ فيه يَصِحُّ

وقول ابن خلكان [من السريع] :

أنظرْ إلى عارضِهِ فَوْقَهُ لحاظُهُ تُرْسِلُ منها الحتوفْ
تشاهِدِ الجنة فى وجهـِهِ لكنها تحت ظلال السُّيُوفْ

وقول ابن نباتة المصرى [من المتقارب] :

أقولُ لمنْ يَتَشَكَّى الخطوبَ ويحذرمن موبقات الصُّروفْ
عليكَ بأبواب سيفِ العلا مَلاذِ الفقير وأمنِ المخوفْ
تجِدْ ظله جنةً والجنانُ بلا شك تحت ظلال السيوف

وقول الحلى [من المديد] :

مُتْ شهيداً فى غزالٍ ألوفِ لينِ الأعطافِ غيرِ عطوفِ
خدُّهُ دون ظُبا مقلتيهِ جنة تحت ظلال السيوفِ

وقول ابن جابر [من الرمل] :

عمل إن لم يوافق نية فهو غرسٌ لا يرى منه ثمر
إنما الأعمال بالنيات قد نصه عن سيد الخلق عمر

وقول أبى جعفر [من المنسرح] :

من سلم المسلمون كلهمُ وأمنوا من لسانه ويدهْ
فذلك المسلم الحقيقُ بذا جاء حديث لا شكَّ فى سَنَدِهْ

وقول ابن عبد القدوس [من البسيط] :

إذا وترْتَ أمرأ فاحذرْ عواقبهُ من يزرعِ الشوكَ لم يحصدْ بهِ عنبا

فهو عقد قول عيسى عليه السلام « تعملون السيئة وترجون أن تجازوا بما يجازى به أهل الحسنات ، أجلْ لا يجتنى من الشوك العنب »

وقول أبى تمام [من الطويل] :

وقال علىّ فى التعازى لأشعثٍ وخافَ عليه بعضَ تلك المآثمِ
أتصبرُ للبلوى عزاءً وحِسبةً فتؤجرَ أم تسلو سُلُوَّ البهائمِ

فهو عقد قول على رضى الله عنه فى كلام عزّى به الأشعث بن قيس فى ولده وهو « إن صبرت صبر الأحرار ، وإلا سلوت سلو البهائم » .

وَمن عقد الحكم قول أبي العتاهية [من الوافر] :

كفى حزَنا بدفنك ثم أنى نفَضْتُ تراب قبركَ عن يديَّا
وكانَتْ فى حياتكَ لى عِظَات وأنت اليومَ أوعظُ منك حيًّا

وهذان البيتان من جملة أبيات قالها فى مرثية على بن ثابت الأنصارى ، أولها :

ألا مَنْ لى بأنْسِكَ يا أخيًّا ومَنْ لى أن أبثَّكَ ماالديَّا
طَوتْكَ خطُوب دهرك بعد نَشْرٍ كذاكَ خُطُوبه نشراً وطَيًّا
فلو نَشرَتْ بِردَّكَ لى الليالى شكوت إليك ما اجترمَتْ إليا
بكَيْتُكَ يا علىُّ بدرِّ عينى فلم يُغْنِ البكاء عليك شيًّا

و بعده البيتان ، والأخير منهما عقد قول أرسطاطاليس يندب الاسكندر وقد أتى به ميتاً فى تابوت « قد كان هذا الشخص واعظاً بليغاً ،وما وعظ بكلامه موعظة قط أبلغ من موعظته بسكوته » .

وقول أبى العتاهية أيضاً فى المرثى أولا [من الخفيف] :

ياعلىُّ بنَ ثابتٍ بانَ منى صاحِبٌ جلَّ فَقْدُهُ يوم بنْتَا
قدلعَمرى حَلَبْتَ لى غصصَ المو ت وحرَّكتنى لها وسكَنْتَا(١)

فهو عقد قول مؤدب الاسكندر ، فانه لما مات بكى مَنْ حضره فقال مؤدبه : « حركتنا بسكونك » .

وقول بعضهم [من السريع] :

أصلِي وفرْعى فارقَانِى معاً واجتُثَّ من حبْلِهِمَا حبْلى

---

(١) حفظى فى صدر هذا البيت

* قد لعمرى حكيت لى غصص الموت *

فما بقاء الغُصْنِ في ساقِهِ بعد ذهابِ الفَرْعِ والأَصْلِ

فهو عقد قول حكيم « لقد مات أبوك وهو أصلك ، وابنك وهو فرعك ، فما بقاء شجرة ذهب أصلها وفرعها ؟! » .

ومثله قول عبد الله بن عبد الأعلى النحوى [من الطويل] :

تَصحبُنُكَ قبلَ الروح إذْ أنا نُطْفَةٌ مُصَانَ فلا يَبْدُو لخلق مَصُونُهَا

فماذا بَقَاء الفَرْع من بَعْدِ أصلهِ ستَلْقى الذى لاقى الأُصُولَ غُصُونُهَا

وللمتنبى فى عقد الحكم ساعد شديد ، فلنذكر من محاسنه طرفا صالحا من ذلك ، فمنه قوله [من الكامل] :

وإذا كانت النفوسُ كباراً تعبت فى مُرَادها الأجسامُ

عقد قول أرسطاطاليس « إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان تلاف النفس دون بلوغها » وقوله [من الطويل] :

بذا قَضَتِ الأيام ما بين أهلها مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ

عقد قول أرسطا طاليس « الزمان ينشىء ويلاشى ، ففناء كل قوم سبب لكون قوم آخرين » وقوله [من البسيط] :

والهَجرُ أقتلُ لى مما أحاذرُهُ أنا الغريق فما خوفى من البَلَلِ

عقد قول أرسطاطاليس « من علم أن الفناء مستولٍ على كونه هانت عليه المصائب » وقوله [من الطويل] :

وما الحسْنُ فى وجهِ الفتى شرفاً لهُ إذا لم يكن فى لَفْظِهِ والخلائقِ

عقد قول أرسطاطاليس وقد نظر يوماً إلى غلام حسن فاستنطقه فلم يجد عنده علماً ، فقال : « نعم البيت لو كان فيه ساكن » وقوله [من الخفيف] :

من يَهن يَسهُلِ الهوَانُ به ما لجُرحٍ بميِّتٍ إيلامُ

عقد قول أرسطاطاليس « النفس الذليلة لا تجد ألم الهوان ، والنفس العزيزة يؤثر فيها يسير الكلام » وقوله [من الخفيف] :

وإذا لم يكن مِنَ الموتِ بُدٌّ   فمِنَ العجز أن تموتَ جبانَا

عقد قول أرسطاطاليس « خوف وقوع المكروه قبل تناهى المدة خَوَرٌ فى الطبيعة » وقوله [من الوافر] :

ولم أر فى عُيُوب الناس شيئاً   كنقص القادرِينَ على التّمام

عقد قول أرسطاطاليس « أعجز العجزة مَنْ قدر أن يزيل العجز عن نفسه فلم يفعل » وقوله [من الطويل] :

ومن ينفِقِ الساعات فى جمع ماله   مخافةَ فقرٍ فالذى فعلَ الفقرُ

عقد قول أرسطاطاليس « من أفنى مدته فى جمع المال خوف العدم فقد أسلم نفسه للعدم » وفى هذا القدر كفاية .

* * *

شاهد الحل

٢١٤ — إذا ساء فِعلُ المرء ساءَتْ ظُنُونُهُ   وصدَّق مَا يَعْتَادُهُ مِن توَهُّم

هو للمتنبي ، من قصيدة من الطويل ، قالها فى كافور الاخشيدى ، وكان قد دخل عليه يوماً فلما نظر إليه وإلى قلته فى نفسه ، وخسة أصله ، ونقص عقله ، ولؤم كفه ، وقبح فعله — ثار الدم فى وجهه حتى ظهر ذلك فيه ، وبادر وخرج ، فأحس كافور بذلك ، فبعث إليه بعض قواده وهو يرى أن أبا الطيب لا يفطن فسايره وسأله عن حاله ، وقال له : يا أبا الطيب ، مالى أراك متغير اللون ؟ فقال : أصاب فرسى جرح خفته عليه ، وماله خلف إن تلف ، فعاد إلى كافور فأخبره ، فحمل إليه مهراً أدهم ، فقال هذه القصيدة ، وذلك سنة سبع وأربعين وثلثمائة ، وأولها :

فِرَاقٌ ومن فارقْتُ غيرُ مذمَّمٍ ... وأَمٌّ ومن يمَّمْتُ خيرُ مُيَمَّمِ
وما منزلُ اللذاتِ عندي بمنزلٍ ... إذا لم أُبَجَّلْ عندَهُ وأُكرَّمِ
سجيةُ نفسٍ ما تزالُ مليحةً ... منَ الضيم مَرْمِياً بها كلُّ مَخرِمِ
رَحلتُ فكم باكٍ بأجفان شادنٍ ... عليَّ وكم باكٍ بأجفان ضيغمِ
وما ربة القرط المليح مكانه ... بأجزعَ منْ ربِّ الحسام المصممِ
فلو كانَ ما بي مِن حبيبٍ مقنعٍ ... عذرْتُ ولكن من حبيبٍ معممِ
رَمى واتقى رَميِي ومن دُون ما اتقى ... هوًى كاسرٌ كفي وقوسي وأسهمي

وبعده البيت ، وبعده :

وعادَى مُحبيهِ بقولِ عُدَاتهِ ... وأصبحَ في ليلٍ منَ الشكِّ مُظلمِ

إلى أن يقول فيها :

وما كلُّ هاوٍ للجميل بفاعلٍ ... ولا كلُّ فعَّالٍ لهُ بِمتممِ
فِدًى لأبي المسك الكرامُ فإنها ... سوَابقُ خيلٍ يهتدينَ بأَدْهَمِ
أغرَّ بمجدٍ قدْ شخصنَ وَرَاءهُ ... إلى خُلُقٍ رَحْبٍ وخَلْقٍ مُطهمِ
إذا منَعتْ منكَ السياسةُ نفسهَا ... فقِفْ وَقفَةً قُدَّامهُ تتعلمِ
يضيق على منْ راءه العذر أن يرى ... ضعيف المساعي أو قليل التكرمِ
ومن مثل كافور إذا الخيل أحجمت ... وكان قليلا من يقول لها اقدمي
شديد ثبات الطرف والنقع واصل ... إلى لهَوَاتِ الفارس المتلثمِ
أبا المسكِ أرجو منك نصراً على العدا ... وآمل عزا يخضب البيض بالدمِ
ويوماً يغيظ الحاسدينَ وحالة ... أقيمُ الشقا فيها مَقامَ التنعمِ
ولم أرْجُ إلا أهلَ ذاك ومَنْ يُرِدْ ... مَوَاطرَ مِنْ غيرِ السحائب يظلمِ

قال أبو الفتح بن جني : أومأ إليَّ أبو الطيب وقت قراءة هذا البيت عليه أنه قد ظلم في قصده كافوراً .

فلولم يكنْ في مصر ماسرْتَ نحوَهَا بِقلبِ المشوقِ المستهام المتيمِ
ولا نبحتْ خيلي كلابُ قبائلٍ كأنَّ بها في الليل حملاتِ ديلمِ
ولا اتبعت آثارنا عينُ قائفٍ فلم ترَ إلا حافراً فوقَ منسمِ
وسمنا بها البيداءَ حينَ تغمَّرتْ من َالنيل واستذرت بظل المقطَّمِ
وأبلج يعْصِي باختصاصي مُشيرَهُ عصيتُ بقصْدِيه مُشيرِي ولومي
فساقَ إليَّ العرْفَ غير مكدَّر وسُقتُ إليه الشكر غير مجمجمِ
قد اخترتكَ الأملاكَ فاختر لهم بنا حديثاً فقد حكمتُ رأيك فاحكمِ
فأحْسنُ وجهٍ في الورى وجهُ محسنٍ وأيمنُ كف فيهم كفُّ منعمِ
وأشرفهم مَنْ كان أشرف همةً وأكثرَ إقداما على كل معْظَمِ
لمنْ تطلب الدنيا إذا لم ترد بها سرورَ محبّ أوْ مساءة مجرمِ

ثم لما خرج من عنده بعد إنشاده القصيدة بكمالها ، قال يهجوه [من السريع] :

أنوكُ من عبدٍ ومن عرسِهِ منْ حكم العبدَ على نفسهِ
وإنما يظهرُ تحكيمهُ ليحكم الافساد في حسهِ
ما مَنْ يرَى أنك في وعدهِ كمن يرى أنكَ في حبْسهِ
العبدُ لا تفضل أخلاقهُ عنْ فرْجهِ المنتن أوضرْسهِ
لا ينجز الميعادَ في يومهِ ولا يفي ما قالَ في أمسِهِ
وإنما تحتال في جذْبهِ كأنكَ الملاحُ في قلسهِ
فلا ترجّ الخيرَ عندَ امرىء مرَّت يدُ النخاس في رأسهِ
وإن عراكَ الشكُّ في نفسهِ بحالةٍ فانظر إلى جنسهِ
فقلما يلؤمُ فِي ثوْبهِ إلا الذي يلؤمُ فِي غرْسِهِ

مَنْ وَجَدَ المَذْهَبَ عَنْ قَدْرِهِ   لَمْ يَجِدِ المَذْهَبَ عَنْ قِنْسِهِ (١)

ومعنى البيت : إذا قبح فعل الانسان قبحت ظنونه ، فيسىء ظنه بأوليائه ويصدق ما يخطر بقلبه من التوهم الردىء فيهم

والشاهد فيه : الحلّ ، وهو نثر النظم ، وقد استشهد به على ماحله بعضُ المغاربة بقوله « فانه لما قبحت فعلاته ، وحنظلت نخلاته ، لم يزل سوء الظن يقتاده ، ويصدق توهمه الذى يعتاده »

وذكرت بقوله « حنظلت نخلاته » قول الشريف أبى الحسن الموسوىّ ، من قصيدة يفتخر فيها ، وهو [من الطويل] :

بنو هاشم عينٌ ونحنُ سَوَادها   على رغم من يأبى وأنتم قَذَاتها
وأعجبُ ما يأتى به الدهر أنكم   طلبتم عُلَى ما فيكُمُ أدوَاتها
وأملتمُ أنْ تدركوها طوَالعاً   دَعُوها ستسعى للمعالى سُعَاتها
غرستُ غروساً كنت أرجو لقَاحها   وآمُلُ يَوْماً أن تطيبَ جَنَاتها
فان أثمرت لى نلتُ ما كنتُ آملاً   ولا ذنب لى إن حَنْظَلَتْ نخلَاتها

وروى عن إبراهيم بن العباس الصولىّ أنه قال : ما اتكلت قط فى مكاتباتى إلا على ما يجلبه خاطرى ، أو يجيش به صدرى ، إلا قولى : « فأبدلوه آجالا من آمال » فانى حللت فيه قول مسلم بن الوليد [من البسيط] :

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يوم ذِى رَهَجٍ   كأنهُ أجلٌ يسعى إلى أمل

وقولى : « قد صار ما يحرزهم يبرزهم ، وما يعقلهم يعقلهم » فانى حللت فيه قول أبى تمام [من الطويل] :

فإنْ بَاشَرَ الأصْحَارَ فالبيضُ وَالقَنَا
قِرَاهُ وأحـــوَاضُ المنَايَا مَنَاهِلُهْ

---

(١) القنس — بكسر القاف ، وقد تفتح — الأصل .

وَإنْ يَبْنِ حِيطَانًا عَلَيْهِ فَإنَّمَا
أُولئِــــكَ عُقَالاَتُهُ لاَ مَعَاقِلُهْ

قال ابن أبي الأصبع : ومن ذلك قوله تعالى فى الكتاب العزيز (يَعملونَ لهُ مَا يَشَاءُ مِنْ محَارِيبَ وتمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كالجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) فان ذلك حلّ قول امرىء القيس [من مجزوء الرمل] :

وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ وَجِفَانٍ كالجَوَابِى

على أن بعض الرواة قد ذكر أن بعض الزنادقة وضعه وتكلم على الآية الكريمة ، وأن امرأ القيس لم يصح أنه تلفظ به

قلت : وقد تصفحت ديوانه على اختلاف رُوَاته ، فلم أجد فيه قصيدة على هذا الوزن والروى ، والله تعالى أعلم .

***

شاهد التلميح

٢١٥ — فَوَاللهِ مَا أدرِى أأحْلاَمُ نَائِمٍ أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كَانَ فِى الرَكبِ يُوشَعُ

البيت لأبى تمام ، من قصيدة من الطويل ، يمدح بها أبا سعيد محمد ابن يوسف الثغرى ، أولها :

أمَا إنَّهُ لوْلاَ الخليطُ المودِّعُ وربعٌ عفا منه مصيف ومَرْبَعُ
لردَّتْ على أعقابها أرْيحيَّةٌ من الشوق واديها من الدمع مُتْرَعُ
لحقنَا بأخْرَاهُمْ وقد حَوَّمَ الهوَى قلوباً عهدنَا طيرَها وهىَ وُقَّعُ[(١)]
فَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشمسَ والليلُ رَاغمٌ
بشمسٍ بدَتْ من جانبِ الخدر تطلعُ
نَضَا ضَوْؤهَا صبغَ الدّجنةِ وانطَوَى
لبهجتهاَ ثوبُ السماءِ المجــزَّعُ

(١) فى أصول الكتاب « وقد خذم الهوى » وأثبتنا ما فى الديوان .

وبعده البيت، وبعده :

وعهدي بها تحيي الهوى وتميته ... وتشعب أعشار القلوب وتصدع

وأفرع بالعتبى حميا عتابها ... وقد تستقيد الراح حين تشعشع

وتقفو لي الجدوى بجدوى وإنما ... يروقك بيت الشعر حين يصرع

والشاهد فيه : التلميح ، وهو : أن يشير الشاعر فى فحوى الكلام إلى قصة أو شعر ، أو مثل سائر ، فهنا أشار إلى قصة يوشع بن نون ، فتى موسى — عليهما السلام ! — واستيقافه الشمس ، فانه روى أنه قاتل الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ، ويدخل السبت ، فلا يحل له قتالهم فيه ، فدعا الله تعالى ، فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم ، وخرج مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « غزا نبي من الأنبياء ، فقال لقومه : لا يتبعنى رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولم يبن بها ، ولا آخر قد بنى بنيانا ولم يرفع سقفه ، ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات وهو منتظر ولادتها ، قال : فغزا القرية حين صلاة العصر ، أو قريبا من ذلك ، فقال للشمس : أنت مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها على ، فحبست عليه حتى فتح الله عليه » .

وقد تطرق الرصافى البلنسى بتلميحه بهذه القصة ، فقال يخاطب بعض من اسمه موسى بأبيات ، أولها [من الكامل] :

مامثل موضعك ابن رزق موضع
زهر يرف وجدول يتدفع

يقول فيها :

وعشية لبست رداء شحوبها ... والجو بالغيم الرقيق مقنع

بلغَتْ بنا أمدَ السرُور تألقاً والليـــلُ نحو فراقنا يتطلَّعُ
فابْلُلْ بها رَمقَ الغبُوقِ فقد أتى من دُون قرص الشمس مايتوقعُ
سقطتْ ولم يملك نديمكَ رَدّها فوددْتُ ياموسَى لوَ آنكَ يُوشَعُ

وقد قال ابن مرج الكحل فيها ينحو هذا المنحى، وأشار إلى قصة الرصافى هذه [من الكامل] :

حفَلَ المساءُ وللنسيم تضوُّعُ والأنسُ ينظمُ شملنا ويُجمِّعُ
والزهرُ يضحكُ عن بكاء غمامةٍ ربعتْ بشيم سيوفِ برقٍ تلمعُ
فانعمْ أبا عمرانَ واله بروْضةٍ حَسُنَ المصيفُ بها وطاب المرْبعُ
ياشادِنَ البانِ الذى دُونَ النقا
حيثُ التقى وادِى النقا والأجرَعُ
الشمسُ يغربُ نورُها ولرُبمـا كسفت ونورُكَ كل حين يطلعُ
أفلَتْ فناب سناكَ عنْ إشراقِها وجلاَ مِنَ الظلماء ما يتوقعُ
فأمِنتُ ياموسى الغرُوبَ ولَم أقُلْ
(فوَدِدْتَ ياموُسَى لوَ آنكَ يُوشَعُ)

وقد لمح بهذه القصة أيضا أبو العلاء المعرى حيث قال [من الوافر] :

فلوْ صح التناسخ كنتَ موسَى وكانَ أبوكَ إسحاقَ الذبيحاَ
ويوشعُ رَدَّ يوحاً يعضَ يومٍ وأنتَ متى سفرْتَ رَدَدْتَ يُوحَا

ويوح ويوحى — بياءين مثناتين من أسفل — من أسماء الشمس.

وقال كثير من اللغويين : إنهما بالباء الموحدة ، وكذا رواه أبو على البغدادى، والصحيح الأول .

ويروى أن المعرّى اعترض عليه فى هذه اللفظة ببغداد فى حلقة ابن المحسِّن

فاحتج عليه بكتاب الألفاظ ليعقوب ، فقال : هذه نسخ مُحْدَثَة غيرها شيوخكم ولكن أخرجوا مافى دار العلم من النسخ القديمة فأخرجوها فوجدوها مقيدة كما قال .

وقد لمح ابن قلاقس إلى هذه القصة أيضا بقوله [من الطويل] :

ومنتصر فى منع مقلوب عقربٍ بما تحته من لسع مقلوب برْقُعِ
أبَتْ شمسه إلا الغروبَ وقد سَما بها كَلَفِى منْ كل عضو بيوشعِ

وابن مطروح ، بقوله [من الطويل] :

وماَ أنسَ لاَ أنسَ المليحةَ إذْ بدَتْ دُجى فأضاءَ الأفقُ مِنْ كلّ موْضعِ
فحدّثتُ نفسى أنهاَ الشمْسُ أشرَقَتْ وَأنّى قدْ أوتيتُ آيـــةَ يوُشعِ

والملك الناصر داود بقوله ، يرثى الامام المنتصر بالله ، ويمدح المعتصم ، من قصيدة طويلة [من الطويل] :

أقامَ منارَ الدين بعدَ اعوجاَجهِ وشيَّدَ واهى الدينِ بعدَ التضعضعِ
بإقدَامِ منصورٍ وعزمَـةِ قادرٍ وَسيرَةِ مهدِىّ وَإخبات طيّـعِ
به رجعتْ شمسُ المكارِمِ والعلا كما رَجعتْ شمسُ النهار ليُوشَعِ

ونصر بن أحمد الخبزأرزى ، بقوله من قصيدة [من البسيط] :

وَلّى فأقبلتِ الأردافُ لاَعبةً كما تلاعبتِ الأمواجُ فى اللجج
ثم انثنى بانعطافٍ منهُ ملتفتاً كما ثنَى نفساً خوف الرقيب شَجِى
كأنّ يوشعَ رَدَّ الشمسَ ثانيةً عنـدَ التفاتهِ نحوى بمنعرجِ

وابن اللبانة ، بقوله [من الطويل] :

بكتْ عندَ توديعى فما علم الركبُ أذاكَ سقيطُ الطلّ أم لؤلؤ رطبُ
أتابعها سرْبٌ وَإنى لمخطىءٌ نجُومُ الدياجى لا يقال لها سربُ
لئنْ وقفَتْ شمْسُ النهار ليوشع لقد وقفَتْ شمْسُ الهوَى لى والشُّهبُ

وقد لمح إليها حازم فى مقصورته ، فقال [من الرجز] :

وكم رأتْ عينى نقيض ما رأتْ | من اطلاع نورها تحتَ الدُّجى
فيالَهَا من آيةٍ مبصرةٍ | أبصرها طرفُ الرقيب فامترَى
وَاعتورَتهُ شبهة فَضلَّ عنْ | تحقيق ما أبصرهُ وَما اهتدَى
وظنَّ أنَّ الشمْسَ قد عادَتْ لهُ | فانجابَ جنحُ الليل عنها وانجلَى
والشمسُ ما رُدّتْ لغير يوشع | لما غزَا وَلِعلىَّ إذْ غفَا

فلمح إلى قصة يوشع بن نون عليه السلام ، ثم زاد قصة رجوع الشمس لعلى ابن أبى طالب كرم الله وجهه ، وخبر ذلك مارواه الطحاوى عن أسماء بنت عُمَيْس من طريقين أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يوحى إليه ، ورأسه فى حجر علىّ ، رضى الله عنه ! فلم يصلّ العصر حتى غربت الشمس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أصليت ياعلىّ؟ » قال : لا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنه كان فى طاعتك وطاعة رسولك ، فاردد عليه الشمس » قالت أسماء : فرأيتها طلعت بعد ماغربت ، ووقعت على الجبال والأرض .

ومن ظريف ما يحكى هنا ما روى أن المظفر المَرْوَزِىّ الواعظ جلس يوما ما بالناجية ببغداد بعد العصر ، وأورد حديث رد الشمس لعلى رضى الله عنه ، وأخذ فى ذكر فضائله ، فنشأت سحابة غطت الشمس وظن أنها غابت ، فأومأ إليها وارتجل [من الكامل] :

لا تغرُبى يا شمس حتى ينتهى | مدحى لآل المصطفى ولنجله
واثنى عنانك إن أردتِ ثناءهم | أنسيت إذ كان الوقوف لأجلهِ
إن كان للمولى وقوفك فليكن | هذا الوقوف لخيله ولرجله

فطلعت الشمس من تحت الغيم عند انتهاء الأبيات ، فلايدرى ذلك اليوم ما رمى عليه من الأموال والثياب .

ومن التلميح بالقرآن قول ابن المعتز [من الخفيف] :

أترَى الجيرَةَ الذين تدَاعوْا   عندَ سير الحبيب وقتَ الزوالِ
علموا أنني مُقِيمٌ وقلبي   رَاحلٌ فيهمُ أمامَ الجمالِ
مثلُ صاعِ العزيز في أرْحُلِ القوْ   مِ ولا يعْلَمُونَ ما في الرِّحالِ
ما أعزَّ المعشُوقَ ما أهْوَنَ العا   شِقَ ما أقتَلَ الهوَى للرجالِ

أشار إلى قصة يوسف عليه السلام حين جعل الصاع في رحل أخيه، و إخوتُه لم يشعروا بذلك.

وقول أبي نصر محمد الأصفهاني في ذم مملوك [من الطويل]:

بُليتُ بمملوكٍ إذا ما بَعَثْتُهُ   لأمرٍ أعيرَتْ رجله مِشْيَةَ النملِ
بليدٍ كأن الله خالِقَنَا عَنى   بِهِ المَثَلَ المضرُوبَ في سورةِ النَّحْلِ

يشير إلى قوله تعالى (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كَلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير ـ الآيات).

ومنه ما ذكره أبو بكر بن الآبار في تحفة القادم أن أبا بكر الشبلي جلس يوماً على نهر شبل بالجسر، فتعرضه بعض الجواري للجواز، فلما أبصرته رجعت بوجهها وسترت ما قد ظهر له من محاسنها، فقال أبو بكر المذكور [من الكامل]:

وعقيلةٍ لاحَتْ بشاطىء نَهْرِها   كالشمس طالِعَةً لدى آفاقِهَا
فكأنها بلْقِيسُ وافَتْ صَرْحَهَا   لو أنها كَشَفَتْ لنا عن ساقِهَا
حورية قمرية بدوية   ليس الجفَا والصد من أخلاقِهَا

قال التيجاني في كتابه تحفة العروس : ويمكن تغيير البيتين الأولين بأن يقال [من الكامل]:

وعقيلة لاحت بشاطى نهرها   كالشمس تتلو في المشارق صُبْحَهَا

لو أنها كشفت لنا عن ساقها   لحسبتها بلقيس وافت صرحها

يشير إلى قوله تعالى فى قصة بلقيس مع سليمان عليه السلام (قيل لها ادخلى الصرح ، فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها ـ الآية)

ومن التلميح بالقرآن والشعر قول النفيس القراطيسى [من البسيط] :

يُسَرُّ بالعيدِ أقوامٌ لهم سَعَةٌ   من الثراء وأما المقترُون فلاَ

هل سرنى وثيابى فيه قومُ سبَا   أو راقنى وعلى رأسى به ابن جلاَ

يشير إلى قوله تعالى عن قوم سبأ (ومزقناهم كل ممزق) وإلى قول الرياحى [من الوافر] :

أنا ابنُ جلاَ وطلاع الثنَايا   متى أضع العمامة تعرِفُونى

ومن التلميح بالحديث على جهة التورية قول بعضهم [من المقتضب] :

يا بَدْرُ أهلكَ جارُوا   وعلموك التجرِّى

وقَبَّحوا لك وَصلى   وحَسَّنُوا لك هَجْرِى

فليَفْعَلوا ما يشاءوا   فإنهمْ أهلُ بدر

يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم لعمر حين سأله قتل حاطب « لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم »

ومنه قول السراج الوراق [من الطويل] :

ومن فَرْط فقرى واحتياجى بَعدكم   وبذل مُحَيًا بالحياء مُستَّرِ

أكنتُ حماراً طال ماقدْ ركبته   كأنى لم أسمع بأخبار خَيْبَرِ

يشير إلى تحريم لحوم الحمر الأهلية فى غزوة خيبر .

***

من شواهد التلميح

٢١٦- لعَمْرٌو مع الرَّمْضاء والنار تَلْتَظى   أرَقُّ وأحفى منك فى ساعةِ الكَرْب

البيت لأبى تمام، من قصيدة من الطويل.

والرمضاء: الأرض الشديدة الحر، وأحفى: من حَفِيَ بفلان، إذا بالغ فى إكرامه، وأظهر السرور والفرح، وأكثر السؤال عن حاله

والشاهد فيه: التلميح إلى البيت المشهور، وهو [من البسيط]:

المستجيرُ بعمْرٍو عند كُرْبَتِهِ   كالمستجير من الرَّمْضاء بالنارِ

وهو من البسيط، ولا أعرف قائله.

وعمرو: هو ابن الحارث، ولهذا البيت قصة، وهى أن البَسُوس بنت سعد خالة جسَّاس بن مرة كان لها جار من جَرْم، يقال له: سعد بن شمس، وكانت له ناقة يقال لها سَرَاب، وكان كليب بن وائل قد حمى أرضاً من أرض العالية فى مستقبل الربيع، فلم يكن يرعاها أحد إلا جساس لمصاهرة بينهما، لأن جليلة بنت مرة أخت جسَّاس كانت تحت كليب، فخرجت ناقة الجرمى ترعى فى حمى كليب مع إبل جساس، فأبصرها كليب، فأنكرها، فرماها بسهم فأصاب ضَرْعها، فولت حتى بركت بفناء صاحبها وضرعها يشخب لبناً ودما، فلما نظر إليها صاح: واذُلاه وذل جاراه، فخرجت جارته البسوس، فلما رأت الناقة ضربت يدها على رأسها وصاحت: واذُلّاه، وقالت [من الطويل]:

لَعَمْرِىَ لو أصْبَحْتُ فى دار مُنْقِذٍ   لما ضِيمَ سَعْدٌ وهو جارٌ لأبياتى

ولكننى أصبحت فى دار غُرْبَةٍ   متى يعد فيها الذئب يَعْدُ على شاتى

فياسعد لاتُغْرَرْ بنفسك وارتحِلْ   فانك فى قَوْمٍ عن الجار أمواتِ

فسمعها جساس فقال: اسكتى أيتها المراة فليقتَلَنّ جمل عظيم هو أعظم من ناقة جارك، ولم يزل جساس يتوقع غِرَّةَ كليب حتى خرج كليب لا يخاف شيئاً

فتباعد عن الحى ، وتبعه جساس ومعه عمرو بن الحارث ، فأدرك جساس كليبا فطعنه بالرمح فدق صلبه فأنفذه ، ثم أدركه عمرو بن الحارث ، فقال : ياعمرو أغثنى بشربة ماء ، فقال: تجاوزتَ شُبَيْثًا والأَحصَّ ، يعنى موضع الماء ، وأجهز عليه ، فقيل * المستجير بعمرو — البيت * ونشبت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة ، حتى قتل أكثر بكر ، وكانت الغلبة لتغلب عليهم، قال ابن إسحاق: كان بين هذه ومبعث النبى صلى الله عليه وسلم ستون سنة .

ومن محاسن التلميح هنا قول ابن حجاج الشاعر [من المنسرح]:

ولى شفيعٌ إليك شرّفنى إيجابه لى وَزَادَ فى قَدْرى
نبَّهتُ منه لحاجتى عُمَراً ولم أعوِّلْ فيه على عَمْرو

يريد بالشطر الأول قول بشار [من المتقارب] :

إذا أيقظتْكَ حروب العِدَى فنبِّهْ لها عمراً ثمَّ نم

و بالثانى البيت المار .

ومن لطيف ما يذكر هنا أن قائداً من قواد أحمد بن عبد العزيز بن دلف ابن أبى دلف هرب إلى عمرو بن الليث ، وهو يومئذ بخراسان ، فغم ذلك أحمد وأقلقه ، فدخل عليه أبو نجدة ، وهو سحيم بن سعد شاعر عجلى ، فأنشده [من البسيط] :

يا ابن الذين سبى كسرى بجمعهم فجللوا وَجْهَه قاراً بذى قار
دَوِّخْ خراسان بالجرد العتاق و بالبيض الرقاق بأيدى كلِّ مِسعَار
يامَنْ تيمَّمَ عمرا يَستَجيرُ به أما سمعتَ ببيت فيه سيّار
(المستجيرُ بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار)

فسر أحمد بذلك وسُرِّىَ عنه ، وأمر لأبى نجدة بجائزة .

وذكرت بهذا البيت ما حكى أن بعضهم كان إذا فرغ من صلاته وضع خده على الأرض وقال :

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وهو يقدر أنه يستجير بالله من النار .

وأنشد المبرد لأبى كريمة البصرى يقول لعمرو الجاحظ [من البسيط] :

لم يظلم الله عمراً حين صَيَّرَهُ من كل شىء سوى آدابه عارِ

بَتَّتْ حبال وصالى كفُّهُ قُطِعَتْ لما استغنت به فى بعض أوطارى

فكنت فى طَلَبى من عنده فرجاً كالمستجير من الرمضاء بالنار

إنى أعيذك والمعاذ محترس مِنْ شُؤْم عمرو بعز الخالق البارى

فان فَعَلْتَ فحظ قد ظَفِرْتُ به وإن أبيتَ فقد أعلنت أسرارى

وما أحسن قول السراج الوراق مشيراً إلى ذلك [من البسيط] :

مالى أرى عَمْراً أنّى استجرتُ به قدصار عَمْراً بواوٍ فيه وانصرفا

ونامَ عن حاجةٍ نبهتُه غلطاً لها فألفيْتُ منه السهد والأسفا

والمستجيرُ بعمرو قد سمعتَ به فما أزيدك تعريفاً بما عُرِفا

وقوله أيضاً [من المتقارب] :

أقمتَ المطامعَ من نومها ونمت فمن ذا بهذا حكم

وحاشاك تَسْمَعُ فى مثلها فنبه لها عُمرًا ثم نَمْ

وقوله أيضاً [من مجزوء الرجز] :

لا عدمتَكَ حاجةٌ حملْتَ عنى كلَّها

قد نامَ عنها عُمَرٌ وأنت يقظانُ لها

ومن لطيف مجونه فى تضمين هذا المعنى قوله [من المتقارب] :

نشطت لسُرّيتي فانثنى متاعي من بعدِ ما قد عزم
فقلت: تنامُ ولى مقلةٌ مُسهّدةٌ ؟ مَنْ بهذا حكم ؟
فقال: أما قال بشّارُكم فنبه لها عمراً ثم نم

ومنه قول الصفى الحلى فى رجل اسمه أحمد كان يرمى بأبنة وهو يدعى حب غلام اسمه عمر [من المتقارب] :

توالت على أحمد أبنةٌ فأقبلَ يشكو إليَّ الألمْ
فقلتُ له إنها فِتنةٌ فنبه لها عُمراً ثم نمْ

وقد عكس هذا المعنى بقوله [من السريع] :

أنا الذى خالفتُ كلَّ الورى فى خبرٍ أثبتَهُ الوقتُ
لما أتانى عُمرٌ زائراً أنمتُهُ ثم تنبهتُ

وظريف هنا قول الشهاب محمود من قصيدة [من الكامل] :

بينى و بين الحظ داجيةٌ عمياء لا نجمٌ ولا شَجَرُ
لا يُهتَدَى فيها ولوطَلَعتْ فى أفقها أخلاقُكَ الغررُ
وأرى وحاشاكَ الكرامَ وما لى عِندَهم ظل ولا ثَمَرُ
لو أننى نبّهتُ فى وطرٍ عمراً لماتَ من الكرَى عمرُ

ومن التلميح قول بشار [من البسيط] :

اليوم خمرٌ ويبدو فى غد خبرٌ والدهر ما بين إنعام وإيآس

يشير إلى قصة امرى القيس ، وقد بلغه أن أباه قتل ، وكان يشرب فقال : اليوم خمر ، وغداً أمر .

ومن مجون التلميح قول ابن حجاج [من الطويل] :

غضبَت صباح وقد رأتنى قابضاً أيرى فقلت لها مقالة فاجر

بالله إلا ما لطَمْتِ جبينهُ   حتى يحقق فيك قول الشاعر

يريد به قول ابن نباتة السعدى فى وصف فرس أغر محجل [من الكامل] :

وكأنما لطمَ الصباحُ جبينهُ   فاقتَصَّ منهُ فخاض فى أحْشائه

وما أحسن قول بعض شعراء المغرب فى التلميح [من الوافر] :

وعندى من لوَاحِظِهَا حديث   يُخَبِّرُ أن رِيقَتَهَا مُدَامُ

وفى أعطَافها النَّشْوَى دليل   وما ذُقنَا ولا زعَمَ الهمَامُ

يشير إلى قول النابغة [من الكامل] :

زعَمَ الهمام بأن فاها باردٌ   عَذْبٌ مُقَبَّلُهُ شهىُّ الموْرِدِ

زعمَ الهمام ولم أذقهُ أنهُ   عذب إذا ما ذقتهُ قلت ازدد

وقد مر فى السرقات الشعرية طرف مما قيل فى هذا المعنى .

ومن لطائف التلميح قصة الهذلى مع المنصور ، فقد روى أنه وعده بجائزة ثم نسى ، فحجَّا معا ، ثم مرا فى المدينة ببيت عاتكة ، فقال الهذلى : يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة الذى يقول فيه الأحوص [من الكامل] :

يا بَيْتَ عاتكة الذى أتعزَّلُ   حذَرَ العدى وبِهِ الفؤاد موكَّلُ[1]

فأنكر عليه المنصور ابتداءه من غير سؤال ، ثم أمرَّ القصيدة على باله ليعلم ما أراد ، فاذا فيها :

وأراكَ تفْعَلُ ماتقُولُ وبعضهم   مَذِقُ اللسانِ يَقُولُ مالا يَفعَلُ

فعلم أنه أشار إلى هذا البيت بتلميحه الغريب ، فتذكر ما وعده به ، فأنجزه له

ومثله ماحكى أن أبا العلاء المعرى كان يتعصب للمتنبي وشرح ديوانه وسماه

(١) وقع فى المطبوعتين « يابيت عاتكة التى أتغزل » محرفا عما أثبتناه .

« معجز أحمد » فحضر يوما مجلس الشريف المرتضى ، فجرى ذكر المتنبي فهضم المرتضى من جانبه ، فقال المعرى : لو لم يكن له من الشعر إلا قوله [من الكامل] :

* لكِ يا منازل فى القلوب منازلُ *

لكفاه ، فغضب المرتضى وأمر بسحْبه و إخراجه[1] ، وقال للحاضرين : أتدرون ما عنى هذا بذكر هذا البيت ؟ قالوا : لا ، قال: عنى به قول المتنبي [من الكامل] :

وإذا أتتكَ مَذمتى من ناقِص فهىَ الشّهادةُ لى بأنى فاضلُ

ومن التلميح بهذا البيت بعينه ما حكاه صاحب الحدائق أن الفتح ابن خاقان ذكر ابن الصائغ فى كتابه المسمى بقلائد العقيان فقال فيه « رَمدعين الدين ، وكمد نفوس المهتدين ، اشتهر سخفا وجنونا ، وهجر مفروضا ومسنونا ، فما يتشرَّع ، ولا يأخذ فى غير الأضاليل ولا يشرع ، ناهيك من رجل لا يتطهر من جَنابه ، ولا يُظهِرُ مخائل إنابه » فبلغ ابنَ الصائغ انتقاصُه له ، فمر يوما على الفتح وهو جالس فى جماعة ، فسلم على القوم وضرب على كتف الفتح ، وقال له : شهادة يا فتح ، ومضى ، فلم يَدْرِ أحدٌ ما قال إلا الفتح ، فتغير لونه ، فقيل : ما قال لك ؟ فقال : إنى وصفته بما تعلمون فى كتابى ، فما بلغت بذلك عُشْرَ ما بلغ هو منى بهذه الكلمة ، إنه يشير بها إلى قول المتنبي [من الكامل] :

وإذا أتتكَ مذمتى من ناقص فهىَ الشهادة لى بأنى فاضلُ

ومن هذا القبيل قصةُ السَّرى الرفاء مع سيف الدولة بن حمدان بسبَب المتنبي أيضاً ، فانهما كانا من مُدَّاحه ، فجرى ذكر المتنبي يوماً فى مجلس سيف الدولة ، فبالغ فى الثناء عليه ، فقال السرى : أشتهى أن الأمير ينتخب لى قصيدة من غرر قصائده لأعارضها ، و يتحقق بذلك أنه أرْكبَه فى غير سَرْجه ، فقال له سيف الدولة : عارض لنا قصيدته القافية التى مطلعها [من الطويل] :

---

[1] فى المطبوعتين « وأمر بسجنه وإخراجه » وليس بشىء ، ومن أين للمرتضى أن يأمر بالسجن ؟ !

لِعينيكَ ما يَلقَى الفؤادُ وما لقى　　وللحبُّ مالم يبق منى ومابقى

قال السرى : فكتبت القصيدة واعتبرتها فلم أجدها من مختاراته ، لكن رأيته يقول فيها :

إذا شاء أن يَلهو بلِحيةِ أحمَق　　أراهُ غُبَارى ثم قال لهُ الحقِ

فعلمت أن سيف الدولة إنما أشار إلى هذا البيت ، فأحجمت عن معارضته

ومن بديع التلميح قول الرئيس أبى العباس بن أبى طالب رحمه الله تعالى [من المتقارب] :

وكم ليلةٍ نلتُ فيها المُنَى　　وبات لى الحبُّ فيها نجيَّا

إذا ضلَّ لَحظىَ فى جُنحها　　هدَتْ وجنتاه الصِّراط السويّا

أُراع فأسأل عن صُبْحها　　فيرجع لى جُنْحها ثم هنيّا

إلى أن بَدَالىَ سِرْحانُها　　يُحاول للجَدْى فيها رقيّا

فيا لك من ليلةٍ بِتُّها　　أُنادمُ بدرَ دُجاها البهيّا

حكت ليلة السفح فى حُسنِها　　فأصبَحْتُ أحكى الشريفَ الرضيّا

يشير إلى قول الشريف الرضى رحمه الله تعالى فى قصيدته البديعة المشهورة وهو [من البسيط] :

ياليلة السَّفح هلاَّ عُدْتِ ثانيةً　　سقى زمانكِ هطّال من الدِّيَم

وأمستِ الريح كالغيْرَى تجاذِبنا　　على الكثيبِ فضولَ الرَّيطِ واللمَم

يَشِى بِنا الطيبُ أحياناً وآونة　　يُضيئنا البرقُ مجتازاً على إضَم[1]

وباتَ بارقُ ذاكَ الثغرِ يوضحُ لى　　مَواقع اللثم فى داجٍ من الظُّلَم

وبيننا عفّةٌ بايعتها بيدِى　　على الوفاء لها والرَّعىِ للذمم

وبلّلَ الطّلّ بُرْدَينا وقد نَسمتْ　　رويحة الفجر بين الضال والسَّلَم

---

(١) فى المطبوعتين « يشو بنا الطيب » وأثبتنا ما فى الديوان .

وأكتمُ الصبحَ عنها وهي غافلة … حتى ترنمَ عصفورٌ على عَلَمِ
فقمتُ أنفضُ برداً ما تعلقهُ … غيرُ العفافِ وراء الغيْبِ والكرَمِ
وألمسَتْنِي وقد جدّ الوَداعُ بنا … كفًّا يشيرُ بقضْبان مِنَ العنمِ
وألثمتني ثغراً ماعدلتُ به … أرْىَ الجنى ببنات الوَابِلِ الرذمِ
ثم انثنينا وقد رَابتْ ظواهرُنا … وفى بواطننا بُعْدٌ عن التهمِ

ومن لطائف التلميح قول أبى فراس من أبيات [من الطويل]:

وقال أصيْحَابى الفِرارُ أو الردى … فقلتُ هما أمران أحلاهما مُرُّ
ولكننى أمضى لمالا يَعيبنى … وحسبُكَ من أمرين خيرهما الأسْرُ
ولا خير فى دفع الردى بمذلةٍ … كما ردها يوماً بِسَوْأته عمرو

يريد عمرو بن العاص لما ضربه على رضى الله عنه يوم صفين، فاتّقاه بسوأته كاشفاً عنها، فأعرض وقال: عورة المرء حمى، وقد وقع ذلك لبشر بن أرطاة أيضا مع على رضى الله عنه كما وقع لعمرو، وكان مع معاوية بصفين أيضا، فأمره أن يلقى عليا، وقال له: سمعتك تتمنى لقاءه، فلو ظفرك الله به حصلت على دنيا وأخرى، ولم يزل يشجعه ويمنيه حتى رآه، فقصده فى الحرب، والتقيا، فصرعه على، فكشف عن سوأته، فتركه، وفى ذلك يقول الحارث بن النضر السهمى، وكان عدواً لعمرو وبشر [من الطويل]:

أفى كل يوم فارسٌ ليس ينتهى … وعورته وَسْطَ العَجاجةِ باديَه
يكف بها عنهُ علىٌّ سنانه … ويضحكُ منهُ فى الخلاء معاويه
بدَتْ أمس من عمرو فقنَّعَ رأسه … وعوْرة بشر مثلها حذو حاذيه
فقولا لعمرو ثم بشر: ألا انظرا … سبيلكما لاتلقيا الليث ثانيه
ولا تحمدا إلا الحيا وخُصَاكما … هُما كانتا والله للنفس واقيه
فلوْلا هُمَا لم تنجيَا من سنانِهِ … وتلك بما فيها عن العَوْد ناهيه

متى تَلْقَيا الخيلَ المشيحة صُبْحَةً وفيها عليٌّ فاتركا الخيلَ ناحيةْ
وكونا بعيداً حيثُ لاتدرك القنا نحورَكما إن التجارب كافيةْ

ومن التلميح البديع قول أبى فراس أيضاً [من الطويل]:

وقد علمت أمى بأن مَنِيَّتى بحد سِنَانٍ أو بحدّ قضيبِ
كما علمت من قَبْلِ أن يغرق ابنُها بمُهْلكهِ فى الماء أمُّ شبيبِ

يشير إلى ما رأته أم شبيب الخارجى فى منامها وهى حامل به من أن ناراً خرجت من بطنها فاشتعلت الآفاق، ثم وقعت فى ماء فانطفأت، فلما كان من أمره ما كان ونعى إليها غير مرة لم تصدق، حتى قيل لها: إنه قد غرق، فصدّقت، وأقامت المناحة عليه.

ومن بديع التلميح ما حكى أن عبدالرحمن بن الحكم قدم على معاوية رضى الله عنه الشام، وكان قد عزل أخاه مروان عن المدينة وولى سعيد بن العاص، فوجّهه أخوه وقال له: القه أمامى، فعاتِبْه لى واستصلحه، فلما قدم دخل عليه وهو يُعشى الناس، فأنشأ يقول [من الوافر]:

أتتكَ العيسُ تنفخ فى براها تكشف عن مَنَاكِبها القُطُوعُ
بأبْيَضَ من أمية مضرحيّ كأن جَبينَهُ سيف صنيعُ

فقال له معاوية: أزائرا جئت أم مفاخرا أم مكاثرا؟ فقال: أىّ ذلك شئت، فقال: ما أشاء من ذلك شيئا، وأراد معاوية رضى الله عنه أن يقطعه عن كلامه الذى عَنّ له، فقال: على أى الظهر أتيتنا؟ قال: على فرس، قال: ماصفته؟ قال: أجش هزيم، يعرض بقول النجاشى له [من الطويل]:

ونَجّى ابنَ حربٍ سابحٌ ذو عُلالة أجَشُّ هزيمٌ والرماح دَوَانى
إذا خِلْتَ أطرافَ الرماح تنَاله مَرَته به الساقانِ والقَدَمانِ

فغضب معاوية رضى الله عنه، وقال: أما إنه لا يركبه صاحبه فى الظلم إلى

الريب ، ولاهو ممن يتسوّر على جاراته ، ولا يتوثّب على كنائنه بعد هجعة الناس، وكان عبد الرحمن يتهم بذلك فى امرأة أخيه ، فخجل عبد الرحمن وقال : يا أمير المؤمنين ، ماحملك على عزل ابن عمك ؟ ألخيانة أوجبت سخطا أم لرأى رأيته وتدبير استصلحته ؟ قال : لتدبير استصلحته ، قال : فلا بأس بذلك ، وخرج من عنده فلقى أخاه مَرْوان ، فأخبره بما جرى بينه و بين معاوية فاستشاط غيظاً ، وقال لعبدالرحمن : قبحك الله ! ما أضعفك ! عرضت للرجل بما أغضبه حتى إذا انتصر منك أحجمت عنه ، ثم لبس حلته وركب فرسه وتقلد سيفه ودخل على معاوية رضى الله عنه فقال له حين رآه وتبين الغضب فى وجهه : مرحباً بأبى عبد الملك ، لقد زرتنا عند اشتياق منا إليك ، قال : لاها الله مازرتك لذلك ، ولا قدمت عليك فألفيتك إلا عاقا قاطعاً ، والله ما أنصفتنا ولا جزيتنا جزاءنا ، لقد كانت السابقة من بنى عبدشمس لآل أبى العاص بِصِهر رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلافة فيهم ، فوصلوكم يابنى حرب وشرفوكم وولوكم فما عزلوكم ولا آثروا عليكم ، حتى إذا وليتم وأفضى الأمر إليكم أبيتم إلا أثَرَةً وسوء صنيعة وقُبح قطيعة ، فرُوَيْدًا رويداً قد بلغ بنو الحكم و بنو بنيه نيفا وعشرين ، وإنما هى أيام قلائل حتى يكملوا أربعين ويعلم أمْرَوان يكون منهم حينئذ، ثم هم للجزاء بالحسنى و بالسوءى بالمرصاد ، فقال له معاوية رضى الله عنه : عزلتك لثلاث لو لم تكن منهن إلا واحدة لأوجبت عزلك : إحداها أنى أمرتك على عبدالله بن عامر و بينكما ما بينكما فلم تستطع أن تشتفى منه ، والثانية كراهتك لأمر زياد ، والثالثة أن ابنتى رملة استعدتك على زَوْجها عمرو بن عثمان رضى الله عنهما فلم تُعْدِها ، فقال له مروان : أما ابن عامر فانى لا أنتصر منه فى سلطانى ، ولكن إذا تساوت الأقدام علم أين موقفه ، وأما كراهتى أمر زياد فان سائر بنى أمية كرهوه ، وجعل الله لنا فى ذلك الكره خيراً كثيراً ، وأما استعداء رملة على عمرو فوالله إنه لتأتى على سنة أو أكثر وعندى بنت عثمان رضى الله عنه فما أكشف لها

ثوبا ، يعرض بأن رملة إنما تستعدى عليه طلباً للنكاح ، فقال له معاوية رضى الله عنه : يا ابن الوَزَغ لست هناك ، فقال له مروان : هو ذاك الآن ، والله إنى لأبو عشَرَة وأخو عشرة وعم عشرة ، وقد كاد ولدى أن يكملوا العِدة ، يعنى أربعين ، ولو قد بلغوها لعلمت أين تقع منى ، فانخزل معاوية رضى الله عنه ، ثم قال مروان [من الوافر] :

فإنْ أكُ فى شِرَارِكم قليلا ... فإنى فى خيارِكُمُ كثيرُ
بُغَاثُ الطير أكثرها فراخاً ... وأمُّ الصقرِ مقلاة نَزُورُ(١)

فما فرغ من كلامه حتى استخزى معاوية فى يده ، وخضع ، وقال : لك العتبى وأنا رَادُّك إلى عملك ، فوثب مروان وقال : كلا وعيشك لا رأيتنى عائداً إليه أبداً ، وخرج ، فقال الأحنف لمعاوية : ما رأيت قط لك سقطة مثلها ، ما هذا الخضوع لمروان ؟ وأى شىء يكون منه ومن بنى أبيه إذا بلغوا أربعين ؟ وأى شىء تخشاه منهم ؟ فقال له : ادْنُ منى أخبرك بذلك ، فدنا منه ، فقال له : إن الحكم ابن أبى العاص كان أحد من قدم مع أختى أمّ حبيبة لما زفت إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو تولى نقلها إليه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحِدُّ النظر إليه فلما خرج من عنده قيل له : يارسول الله ، لقد أحْدَدْتَ النظر إلى الحكم ، فقال : ابن المخزومية ، ذاك رجل إذا بلغ ولده ثلاثين أو أربعين ملكوا الأمر بعدى ، فوالله لقد تلقاها مروان من عين صافية ، فقال له الأحنف : لا يسمعن هذا منك أحد ، فإنك تضع من قدرك وقدر ولدك بعدك ، وإن يَقْضِ الله عز وعلا أمراً يكن ، فقال له معاوية رضى الله عنه : فاكتمها على يا أبا بحر إذا فقد لعمرى صدقت ونصحت .

ومن ظريف التلميح أن حمزة بن بيض الحنفى الشاعر قدم على بلال بن أبى بُردة ، وكان كثير المزاح معه ، فقال لحاجبه : استأذن لحمزة بن بيض الحنفى ،

(١) فى المطبوعتين « بغاث الطير أكثرهم » وليس بشىء

فدخل الحاجب فأخبره به ، فقال : اخرج فقل له : حمزة بن بيض بن من ؟ فقال له : ادخل فقل له : الذى جئت إليه بنيار الحمام وأنت أمْرَدُ تسأله أن يهب لك طائرا فأدخلك وناكك ووهب لك الطائر ، فشتمه الحاجب ، فقال له : ما أنت وذاك ؟ بعثك برسالة فأخبره بالجواب ، فدخل الحاجب وهو مُغضَبٌ فلما رآه بلال ضحك وقال : ما قال لك قبحه الله ؟ فقال : ما كنت أخبر الأمير بما قال ، فقال : يا هذا أنت رسول فأد الجواب ، فأبى ، فأقسم عليه حتى أخبره ، فضحك حتى فحص برجليه ، وقال : قل له قد عرفنا العلامة فادخل ، فأكرمه وسمع مديحه وأحسن صلته ، وأراد بلال بقوله بيض ابن مَنْ قول القائل [من البسيط] :

أنتَ ابنُ بيضٍ لعَمْرِى لست أنكره　　　فقدْ صدقتَ ولكن مَنْ أبو بيض

وعلى ذكره فقد ذكرت له واقعة مع أحد بنى مروان ، وكان يعبث به كثيراً فوجه إليه رسوله ليلة وقال : ائتنى به على أى حالة وجدته ، فهجم الرسول عليه فوجده داخلا إلى الخلاء ، فقال : أجب الأمير ، فقال : ويحك ! أكلت كثيراً ، وشربت نبيذاً حلوا وقد أخذنى بطنى ، فقال : لا سبيل إلى مفارقتك ، فأخذه وأتى به إليه ، فوجده قاعداً فى طارمة وعنده جارية عجيبة يتحظاها وهى تسجر البخور ، فجلس يحادثه وهو يعالج ماهو فيه من ذات بطنه ، فعرضت له ريح فسيبها ظناً أن البخور يسترها ، قال حمزة : فوالله لقد غلب ريحها المنتن ذلك الند ، فقال : ما هذا يا حمزة ؟ فقلت : علىَّ عهد الله والمشى والهَدْى إن كنت فعلتها وما فعلها إلا الجارية ، فغضب وخجلت الجارية وما قدرت على الكلام ، ثم جاءتنى أخرى فسرحتها ، وسطع والله ريحها ، فقال : ماهذا ويلك أنت والله الآفة ، فقلت : امرأتى طالق إن كنت فعلتها ، وهذه اليمين تلزمنى إن كنت فعلتها ، ماهو إلا عمل هذه الجارية ، فقال : ويلكِ ! ماقصتكِ ؟ قومى إلى الخلاء إن كنت تجدين شيئاً ، فأطرقت ، وطمعت فيها فسرحت الثالثة فسطع من ريحها مالم يكن فى الحساب ، فغضب عند ذلك حتى كاد يخرج من جلده ، ثم قال : ياحمزة

خذ بيد هذه الزانية فقد وهبتها لك ، وامض فقد نغصت على ليلتى ، فأخذت بيدها ، وخرجت ، فلقينى خادم فقال لى : ماتريد أن تصنع ؟ فقلت: أمضى بها، فقال : والله لئن فعلت ليبغضنك بُغضاً لا تنتفع به بعده ، وهذه ثلثمائة دينار فخذها ودع الجارية ، فقلت : والله لا نقصنك عن خمسمائة دينار ، فقال : ليس إلا ماقلت لك، قال : فأخذتها وأخذ الجارية ، فلما كان بعد ثلاث دعانى فلقينى الخادم وقال : هذه مائة دينار أخرى وتقول ما لا يضرك ولعله ينفعك ، فقلت : وماهو ؟ قال : تدعى أن تلك الفسوات الثلاث منك ، فقلت : هاتها ، ودخلت ، فلما وقفت بين يديه قلت : لى الأمان أيها الأمير ، فقال : قل ، فقلت : أرأيت تلك الليلة وما جرى من الفسوات ؟ قال : نعم ، قلت : علىّ وعلىّ إن كان فسَاهُنَّ غيرى ، فضحك حتى سقط على قفاه ، قال : فلم ويلك ما أخبرتنى ؟ فقلت : أردت خصالا ، منها أن قمت وقضيت حاجتى ، ومنها أنى أخذت جاريتك ، ومنها أنى كافأتك على أذاك بمثله حيث منعنى رسولك من دفع أذاى ، قال : وأين الجارية ؟ قلت : ما خرجت من دارك ، وأخبرته الخبر ، فسر به ، وأمر لى بمائتى دينار أخرى ، وقال : هذه لجميل فعلك وتركك أخذ الجارية

ومن جيد التلميح قول أبى تمام الطائى [من الطويل] :

لئن فَخَرَت يوماً تميمٌ بقوسها ... وزَادَتْ على ما وَطَّدَت من مَنَاقِبِ[(١)]

فأنتم بذى قار أمالَتْ سيوفُكُمْ ... عروش الذين استرْهَنُوا قوس حاجِبِ

يشير إلى قصة حاجب بن زُرارة حين أتى كسرى فى جَدْب أصابهم بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم يستأذنه لقومه أن يصيروا فى ناحية من بلاده حتى يحيوا فقال : إنكم معاشِرَ العرب ذوو غَدْر وحرص ، فان أذنت لكم أفسدتم البلاد ، وأغرتم على العباد ، فقال حاجب : إنى ضامن للملك أن لا يفعلوا ، فقال : ومن لى بأن تفى ؟ فقال: أرهنك قوسى ، فضحك مَنْ حوله، فقال كسرى: ما كان ليسلمها

(١) فى المطبوعتين « نجارا على ما وطدت » وأثبتنا ما فى الديوان

أبداً ، فقبلها منه وأذن لهم ، ثم أحيى الناس بدعوته صلى الله عليه وسلم ، وقدمات حاجب ، فارتحل ابنه عطارد رضى الله عنه إلى كسرى يطلب قوس أبيه ، فردها وكساه حلة ، فلما رجع أهداها للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يقبلها ، فباعها من يهودى بأربعة آلاف درهم .

ويشير فيه أيضاً إلى وقعة ذى قار المشهورة ، وكانت بين الفرس والعرب ، وكانت بعد وقعة بدر بأشهر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ولما بلغه خبرها قال : هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبى نصروا .

وعن ابن عباس قال : ذكرت وقعة ذى قار عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ذلك يوم انتصفت فيه العرب من العجم ، وبى نصروا » .

ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم تمثلت له الواقعة وهو بالمدينة فرفع يديه ودعا لبنى شيبان ولجماعة ربيعة بالنصر ، ولم يزل يدعو لهم حتى رأى هزيمة الفرس .

ويروى أنه قال « إيهاً بنى ربيعة » فهم إلى الآن إذا حاربوا دعوا بشعار النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته لهم ، وقال قائلهم : يارسول الله وَعْدَكَ ، فاذا دعوا بذلك نصروا .

وقد لمح إلى ذلك المطرانى بقوله [من المنسرح] :

تَزْهو علينا بقَوْس حاجبها زَهْوَ تميم بقوس حاجبها

وقد لمح إلى ذلك الصفدى فقال مُوَرِّيا فى مليح قلندرى حلق حاجبيه [من الطويل] :

بَدَا لِىَ فى حَلْقِ الحَواجِبِ فِتْنَةٌ فقُلْتُ بِعقْلٍ ذاهلٍ فيه ذاهِبِ

حبيبِى بحقِّ الله قل لِىَ ماالّذِى دعاكَ إلى هذا ، فقال مُجاوِبى :

وَعدْتُ بوَصْلِ العاشِقِين تَعطفاً فَلَمْ يَثقوا واسترْهَنوا قوْسَ حاجِبى

ومن لطيف التلميح قول الحسن بن القوطية [من الطويل] :

رأى صاحِبي عَمْراً فكَلَّفَ وصفَهُ ... وحمّلني من ذاكَ ما لَيْسَ في الطَّوْقِ

فقلت: له عمرٌو كعمرٍو، فقالَ لى: ... صَدَقْتَ ولكن شَبَّ عمرو عن الطوْقِ

يشير إلى قصة عمرو بن عدى بن أخت جذيمة الأبرش، وكانت الجن قد استهوته صغيراً. ثم قدم وقد التحى، فى خبر طويل، فأدخلته أمه رقاشِ إلى الحمام، وألبسته ثياب الملك، ووضعت فى عنقه طوقاً من ذهب كان له، وأزارته خاله، فلما رأى لحيته والطوق فى عنقه قال «شبَّ عمرٌو عن الطوق» فذهب مثلا.

و إلى ذلك لمح السراج الوراق بقوله من أبيات [من البسيط]:

بطوق سمورةٍ كادت محاسنهُ ... تكونُ للوُرْق فى أفنانهن سَمَرْ

إن شب عمرو عن الطوق الذى زعموا ... فقل وقد شب فى الطوق الوزير عُمَرْ

وأشار إلى ذلك بقوله أيضاً [من مجزوء الرمل]:

مثل ما قد شب عمْرٌو ... هكذا شابَ عُمَرْ

ومن غريب التلميح ما حكى أن رجلا قعد على جسر بغداد، فأقبلت امرأة بارعة الجمال من ناحية الرصافة إلى الجانب الغربى، فاستقبلها شابٌّ فقال لها: رحم الله على بن الجهم! فقالت له: رحم الله أبا العلاء المعرى! وما وقفا، بل سارا مشرقاً ومغربا، قال: فتبعت المرأة وقلت لها: لئن لم تخبريني بما أراد بابن الجهم وما أردت بأبى العلاء فضحتك، فقالت: أراد به قوله [من الطويل]:

عُيون المَهَا بينَ الرصافةِ والجِسرِ ... جَلبْنَ الهوى من حيثُ أدرى ولا أدرى

وأردت أنا بأبى العلاء قوله [من الطويل]:

فيادارَها بالخَيفِ إنَّ مَزارَها ... قريبٌ ولكن دون ذلك أهوالُ

ومن التلميح أيضاً قوله [من الوافر]:

شقيت بكم وكنت لكم جليساً ... فَلَسْتُ جليسَ قَعْقَاعِ بن شورِ

أراد به قول الآخر [من الوافر] :

وكنتُ جليسَ قعقاع بْنِ شورٍ ولا يشقى لقعقاعٍ جليسُ

ومن ظريف التلميح قول ابن قلاقس [من مجزوء الخفيف] :

عسكرٌ مِنْ جَمالِه بَطلٌ ليسَ يُدفعُ

قامَ عن قوْسِ حاجبَيْــه بعيْنَيْه يَنْزِعُ

أسْهم كيفَ ماانحرفْــنَ إلى القلْب تَدْبَعُ

هكذا كنتُ عن أبى حيّةٍ قبلُ أسمعُ

يشير إلى ما حدث به أبو حية النميرى عن نفسه قال : عَنَّ لى ظبى يوماً فرميته فراغ من سهمى فعارضه السهم ثم راغ فعارضه ، فما زال والله يروغ و يعارضه حتى صرعه ببعض الحارات .

وأبو حية هذا اسمه الهيثم بن الربيع شاعر مجيد من مخضرمى الدولتين : الأموية والعباسية ، وكان أهوج جباناً بخيلا كذابا معروفاً بذلك أجمع ، وقيل : إنه كان يُصْرَع .

ومن أخباره أنه كان له سيف يسميه لعاب المنية ليس بينه و بين الخشبة فرق ، قال ابن قتيبة : فحدثنى جار له قال : دخل ليلة إلى بيته كلب فظنه لصاً فأشرفتُ عليه وقد انتضى سيفه لعاب المنية وهو واقف فى وسط الدار وهو يقول : أيها المغتر بنا ، والمجترئ علينا ، بئس والله مااخترت لنفسك ، خير قليل ، وسيف صقيل ، لعاب المنية الذى سمعت به ، مشهورة ضربته ، لاتخاف نَبْوته ، اخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك ، إنى والله إن أدع قيساً عليك لا تقم لها ، قيس وما قيس تملأ والله الفضاء خيلا ورجلا . سبحان الله ! ما أكثرها وأطيبها ، فبينا هو كذلك إذ خرج الكلب ، فقال : الحمد لله الذى مسخك كلباً ، وكفانى حرباً .

وقال مسلمة بن عياش لأبى حية: أتدرى ما يقول الناس ؟ قال: وما يقولون؟ قال: يقولون إنى أشعر منك، قال: إنا لله، ذهب والله الناس.

وحدث عبد الله بن مسلم قال: كان أبو حية النميرى من أكذب الناس، فحدث يوماً أنه يخرج إلى الصحراء فيدعو الغربان فتقع حوله، فيأخذ منها ما شاء، فقيل له: يا أبا حية، أفرأيت إن أخرجناك إلى الصحراء فدعوتها فلم تأتك فماذا نصنع بك ؟ قال: أبعدها الله إذا.

وقال يوما: رميت والله ظبية فلما بعد سهمى عن القوس ذكرت بالظبية حبيبة لى فعدَوت خلف السهم حتى قبضت على قُذَذِه قبل أن يدركها.

وقد لمح الصلاح الصفدى إلى قصة أبى حية أيضا فقال [من السريع]:

وشادنٍ إنْ هبَّ عَرْفُ الصَّبا ... شممتُ منهُ عَرْفه طيِّهْ
أميل عنهُ خوفَ عشقى لهُ ... وجفنه يتبعنى غيه
كأننى قدامه ظبيةٌ ... وطرفهُ سهم أبى حيهْ

وقد تبع الصلاحَ الصفدى فى ذلك ابنُ نباتة على عادته المشهورة حيث قال [من الخفيف]:

وبديع الجمال لم يَرَ طَرْفى ... مثل أعطافهِ ولا طَرْفُ غيرى
كلما حدتُ عن هواهُ أتانِى ... سهم ألحاظهِ كسَهْمِ النميرى

ومما عد من هذا النوع، وهو بالتعريض أشبه، قول محمد بن مغيث وقد أتى عبد المجيد بن المهذب زائراً فحجبه، وهو [من الخفيف]:

زُرْتُ عبد المجيد زَوْرَةَ مُشْتا ... قٍ إليه فصدَّ عنى صُدُوداً
فكأنى أتيتهُ أنزعُ العمَّـ ... ـةَ عن رأسهِ وأخصى سَعِيداَ

وكان برأس المذكور قروح وله عبد يؤثره

وهذا يشبه تعريض ولادة بنت المستكفي في قولها [من السريع] :

إنَّ ابن زَيْدونَ على فضله   يَغتابُني ظلماً ولا ذَنْبَ لِي
يلحَظُني شَزْراً إذا جئتُه   كأنني جئتُ لأخصِيَ عَلِي

ومثله قول أبي الحسن بن نفادة [من المقتضب] :

إن ابن زَيذَبَ رامٍ   له مَرامٌ بعيدَهْ
يَريشُني بسهامٍ   نجيء غيرَ سَديدَهْ
والله إن لم يَدَعني   لأخصينَّ عبيدَهْ

وما أحسن قول أبي نواس [من الوافر] :

فأعْرَضَ هيثمٌ لما رآني   كأني قد هجوتُ الأدعياء

فعرَّض بكونه دعياً ، ثم تهكم به ، فقال :

فقد آليتُ لا أهْجُو دَعِيَّاً   ولو بلَغَتْ مُرُوءتُهُ السماء

ومن ظريف التلميح ما روى أن شريك بن عبد الله النميريّ ساير يزيد ابن عمرو بن هبيرة الفزاري يوماً ، فبرَزَتْ بغلة شريك ، فقال يزيد : غض من لجامها ، فقال شريك : إنها مكتوبة ، أصلح الله الأمير ! فقال له يزيد : ما ذهبتُ حيث أردت .

ويزيد أشار إلى قول جرير [من الوافر] :

فغضَّ الطرفَ إنكَ من نُميرٍ   فلا كعباً بلغتَ ولا كلاباَ

فعرَّض له شريك بقول ابن دارة [من البسيط] :

لا تأمننَّ فزارِيًّا نزلتَ بهِ   على قلوصكَ وا كتبها بأسيارِ

وكان بنو فزارة يُرْمَونَ باتيان الابل .

ومثله ما حكى أن تميمياً نزل بفزارى ، فقال له : قلوصكَ يا أخا تميم لا تنفر القطا ، فقال : إنها مكتوبة .

أشار الفزاريّ إلى قول الطرماح [من الطويل] :

تميمٌ بِطرُقِ اللؤم أهدَى مِنَ القَطَا
ولوْ سَلَكَتْ سُبُلَ المكارم ضَلَّتِ

وأشار التميمى إلى بيت ابن دارة المار .

و بيت الطرماح هذا يقول بعده :

ولوْ أنَّ بُرْغوثاً على ظهر قملةٍ   يكرّ على صَفَّيْ تميم لولّتِ

وقد أخذ ابن لنكك صدر البيت الأول ، فقال [من الطويل] :

تعسَّمْ جميعاً مِنْ وجوهِ لبلدةٍ   تكَنَّفكمْ لؤمٌ وجهْلٌ فأفرَطَا
أرَاكمْ تعيبونَ اللئامَ وإننى   أرَاكم بطرق اللؤم أهدى من القطَا

ومثله ماحكى أن تميما قال لشريك النميرى : مافى الجوارح أحبُّ إلى من البازى ، فقال النميريّ : خاصة إذا كان يَصيدُ القطا

أشار التميمى إلى قول جرير [من الوافر] :

أنَا البازِى المطلّ على نميرٍ   أُتِيحَ من السماء له انصبابَا

وأشار النميرى إلى بيت الطرماح المارّ قبله .

ومن ذلك ما روى أن رجلا من بنى مُحارب دخل على عبد الله بن يزيد الهلالىّ ، فقال عبدالله: ماذا لقينا البارحة من شيوخ بنى محارب، ما تركونا ننام، فقال المحاربى : أصلحك الله ! أضلوا البارحة برقعاً فكانوا فى طلبه .

أراد الهلالى قول الأخطل [من الطويل] :

تَرِيشُ بِلاَ شىء شيوخ مُحارِبٍ   وما خِلتُهَا كانتْ تَرِيشُ ولاتبرى

ضَفادعُ فى ظلماء ليل تجاوَبتْ   فدَلَّ عليها صوتُها حيةَ البَحرِ

وأراد المحاربى قول الآخر [من الطويل]:

لكل هلالى من اللؤم بُرْقعٌ   ولابن هلال بُرْقعٌ وجِلالُ

ومنه ما ذكره صاحب البيان، قال: دخل عبد الحميد بن سعيد بن مسلم الباهلى ومعه ابنه الأفوه، وكان مبغضاً، فتخطى الناس حتى بلغ إلى عمر بن فرج الرخجى، فلما قرب منه قال له: من هذا؟ فقال: ابنى، أصلحكَ الله! وهل يخفى القمر، فقال: إن كان كذلك فرفع عنه حاشية الازار.

أراد قول بشار بن برد [من الوافر]:

إذا أعيتك نسبةُ باهلىٍّ   فرَفع عنه حاشية الازارِ

على أستاهِ سادَتهمْ كتابٌ   موَالى عامرٍ وَسْماً بنَارِ

ومن ظريف التلميح: ما حكى أن الحَيْصَ بَيْصَ حضر ليلةً عند الوزير فى شهر رمضان على السماط، فأخذ أبو القاسم بن القطان قطاة مشوية، وقدمها إلى الحيصَ بيصَ، فقال الحيص بيص للوزير: يا مولانا هذا الرجل يؤذينى، فقال الوزير: وكيف ذاك؟ قال: لأنه يشير إلى قول الشاعر:

تميمٌ بطرقِ اللؤمِ أهْدَى مِنَ القطَا

وَلَوْ سَلَكَتْ سُبُلَ المكارِمِ ضَلّتِ

وكان الحيص بيص تميمياً، وقد سبق له ذكر فى شواهد الهزل الذى يراد به الجد، وكان ابنه يلقب هَرْجَ مَرْجَ، وابنته: دَخْلَ خَرْجَ.

ومما يستظرف لأبى القاسم المذكور، وهو مما نحن فيه: أنه لما ولى الزينبي الوزارة دخل عليه والمجلس حافل بالرؤساء والأعيان، فوقف بين يديه ودعا له، وأظهر الفرح والسرور، ورقصَ، فقال الوزير لبعض من يفضى إليه

بسرّه : قبح الله هـذا الشيخ ! فانه يشير برقصـه إلى قولهم : ارقص للقرد في دولته .

وقد نظم أبو القاسم المذكور هذا المعنى ، وكتبه إلى بعض الرؤساء [من مجزوء الخفيف] :

يا كمال الدين الذى هُوَ شَخصٌ مشخّصُ
والرئيسُ الذى بـهِ ذنبُ دَهرى يمحّصُ
كلما قلتُ قدْ تبغـــدَدَ قومى تحمصُوا
وغواشٍ على الرؤو س عليها المقرنص
والرّواشـــينُ وَالمناَ ظر والخيلُ تقمص
وأنا القردُ كل يَو مِ لـكلب أبصبصُ
كلّ منْ صفقَ الزما نُ لهُ قمتُ أرقصُ
محنٌ لاَ يفيدُ ذَا الـــون منهاَ التبرصصُ
فمتىَ أسمعُ النـــدَا ، وقدْ جاَء مخلصُ

وفى معناه قول ابن عتبة الاشبيلى ، وكان قد فارق الأندلس وهى مضطربة بدولة ابن هُودٍ ، وقدم مصر ، فلما سئل عن حاله أنشد [من مخلع البسيط] :

أصبحت فى مصر مستضاماً أرقصُ فى دولة القرودِ
واضيعةَ العمرِ فى أخير من النصارى أو اليهودِ
بالجدّ رزقُ اللئام فيهمْ لا بِذوَات ولا جدُودِ
لاتبصرُ الدهرمن يُراعى معنى قصيد ولا قصُودِ
أودّ من لؤمهم رُجُوعاً للغرب فى دولة ابن هُودِ

وعلى ذكر الرقص للقرود فبديع قول أبى الحسن الأهوازى [من مخلع البسيط] :

قلتُ لمَنْ لامَ لا تلمنى كل امرىء عالم بشانه
لا ذَنب فيما فعلتُ إنى رقصتُ للقرد فى زمانه
من كرم النفس أن تراها تحتملُ الذلّ فى أوانه

ومنه قول على بن بسام [من مخلع البسيط] :

لَا بدّ يانفسُ من سجود فى زمن القرْد للقرودِ

وقوله أيضاً [من الوافر] :

سَجدنا للقرودِ رَجاء دُنيا حوَتْها دوننا أيدى القرودِ
فما آلت أناملنا بشىء علمناه سوى ذل السُّجُودِ

وكان أبو القاسم بن القطان صاحب نوادر ، منها أنه دخل يوما على الوزير ابن هُبيْرَة وعنده نقيب الأشراف ، وكان ينسب إلى البخل ، وكان فى شهر رمضان والحر شديد ، فقال له : أين كنت ؟ قال : فى مطبخ سيدى النقيب ، فقال الوزير : ويلك فى شهر رمضان فى المطبخ ، قال : وحياة مولانا كسرت فيه الحر ، فتبسم الوزير ، وضحك الحاضرون ، وخجل النقيب

وهجا قاضى القضاة جلال الدين الزينبى بقصيدة كافية أولها [من مجزوء الخفيف] :

يا أخى ، الشرْطُ أملَكُ لستُ للثلب أتْرُكُ

وهى تزيد على مائة بيت ، فسير إليه أحد الغلمان ، فأحضره ، وصفعه ، وحبسه فكتب إلى مجد الدين استادار الخليفة [من الوافر] :

إليك أظلُّ مَجْدَ الدين أشكو بلاءً حلّ لستُ له مطيقا
وقوماً بلّغُوا عنى مُحــالاً إلى قاضى القُضاةِ الندب سيقا

فأحضرنى بباب الحكم شخصٌ ... غليظٌ جرَّنى كما وزيقا
وأخفقَ نعلُه بالصفعِ رأسى ... إلى أن أوجسَ القلبُ الخفوقا
على الخصم الأداء، وقد صُفِعْنَا ... إلى أن ما تَهدَّينا الطريقا
فيا مولاى هب ذا الافك حقاً ... أنُحْبَسُ بعد ما استوفى الحقوقا

فشفع فيه فأطلقه من الحبس، فقال [من السريع] :

عند الذى طرق بى أنه ... قد غضَّ من قدْرى وآذانى
والحبس ما غيَّر لى خاطراً ... والصفع مالين آذانى

ويضارع هذا ما حكى أنه كان بمصر شاعر يقال له أبو المكارم بن وزير، وكان قد بلغ سناء الملك أنه قد هجاه، فأدبه بالصفع وشتمه، فكتب إليه ابن المنجم الشاعر [من البسيط] :

قل للسعيد أدام الله دولته ... صديقنا ابن وزيرٍ كيف تظلمه
صفعته إذ غدا يهجوك منتقماً ... منه، ومن بعد هذا ظَلْتَ تشتمه
هجو بهجو، وهذ الصفع فيه رِباً ... والشرع ما يقتضيه بل يُحَرِّمه
فان تقل ما لهجو عنده أثر ... فالصفع والله أيضا ليس يؤلمه

وما أظرف قول القائل [من الطويل] :

حباها با كرام وقام مبادراً ... إلى وتد البيقار علق خفها
وكان إذا مارَابَهُ سوء فعلها ... يبل قفاه ثم يصفع كفها

وقد كان أبو الفرج بن السوادى الشاعر الواسطى مدح قاضى القضاة الزينبى لما قدم من واسط، فتأخرت عنه جائزته فاجتمع بابن القطان وشرح له حاله، فكتب إلى صديق لقاضى القضاة [من المديد] :

يا أبا الفضل الهجاء إذا ... ضاق صَدْرٌ منه يتسع

وقوافى الشعر واثبةٌ ولها الشيطان متبع
فاحذرُوا كافات منحدر مالكم فى صفعه طمعُ

فاتصلت الأبيات بالزينبى ، فأجاز ابن السوادى وأرضاه .

ومن نوادر ابن القطان أنه قصد دار بعض الأكابر فى بعض الأيام ، فلم يؤذن له ، فعز عليه ، فأخرجوا من الدار طعاماً لكلاب الصيد ، وهو يبصره ، فقال : مولانا يعمل بقول الناس « لعن الله شجرة لا تظل أهلها » !

ومن ظريف التلميح ما حكاه الشيخ فتح الدين بن سيد الناس أن الشيخ بهاء الدين بن النحاس دخل إلى الجامع الأزهر يوماً ، فوجد أبا الحسين الجزار جالسا و إلى جانبه مليح ، ففرق بينهما وَصلى ركعتين، فلما فرغ قال لأبى الحسين: ما أردت إلا قول ابن سناء الملك . وقال أبو الحسين : وأنا تفاءلت بقول صاحبنا السراج الوراق

أراد ابن النحاس بقول ابن سناء الملك [من مجزوء الرمل] :

أنَا فى مقعد صدقٍ بين قوّاد وعلق

وأراد الجزار بقول السراج الوراق [من مجزوء الكامل] :

ومهفهفٍ رَاض الأبىّ فقاده سلس القياد
لما توسـط بيننا جرت الأمور على السداد

ومحاسن ما أتينا به من التلميح تغتفر الاطالة . والله تعالى أعلم .

***

شاهد حسن الابتداء

٢١٧ — قِفاَ نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ
بسقط اللوَى بينَ الدَّخُولِ فحَوْملِ

البيت من الطويل، وهو مطلع قصيدة امرىء القيس السابقة فى شواهد المقدمة

والسقط : حيث انقطع معظم الرمل ودق ، واللوى : ما التوى من الرمل أو مُسْتَرَقُّه ، والدَّخول وحَوْمل : موضعان .

والشاهد فيه: حسن الابتداء ، ويسمى براعة المطلع ، وبراعة الاستهلال ، فبيت امرىء القيس هذا أبدع فيه، لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل فى نصف بيت ، عذب اللفظ، سهل السبك ، وانتقد عليه عدم المناسبة فى الشطر الثانى .

وأحسن منه فى التناسب ـ وإن كان مطلع امرىء القيس أكثر معان ـ قول النابغة [من الطويل] :

كِلِينى لهمٍّ يا أُمَيْمَةَ ناصِبِ وليل أقاسيهِ بطىءِ الكواكِبِ

فان قسميه متناسبان وألفاظه متلائمة .

وما سمع أشد مباينة من قسمى بيت جميل فى قوله [من الطويل] :

ألاَ أيها النُّوَّام ويْحَكُمُ هُبُّوا أسائلكم هل يَقْتُلُ الرجلَ الحبُّ

وهذا البيت هو الذى قال فيه الرشيد إما للمفضل الضبى أو غيره: هل تعرف بيتاً نصفه بدوى فى شملة وباقيه مخنث فى بِذْلَةٍ ، فأنشده البيت ، فاستحسن فكره.

* * *

٢١٨ ـ قَصْرٌ عَلَيْهِ تحيةٌ وسَلاَم خَلَعَتْ عليه جمالها الأيامُ — شاهد حسن الابتداء

البيت لأشجع السلمى ، من قصيدة من الكامل يمدح بها الرشيد ، والرواية « نثرت» بدل « خلعت » ، وبعده :

فيه اجتلى الدنيا الخليفة والتقى للمُلْكِ فيه سلامةٌ وسلامُ
قصرٌ سقُوفُ المزن دون سقوفِهِ فيه لأعلام الهدَى أعلامُ

نَشَرت عليه الأرض كسوتها التى | نسج الربيعُ وزخرفَ الإزهامُ
أدنتكَ من ظل النبى وَصِيّةٌ | وقرابة وشجَتْ بها الأرحامُ
بَرَقَتْ سماؤك فى العدُوِّ فأمطرَتْ | هاماً لها ظلُّ السيوف غمامُ
وإذا سُيُوفك صافحَتْ هامَ العدا | طارَت لهن عن الرؤوس الهامُ
يُثْنى على أيامك الاسلامُ | والشاهدان الحلُّ والاحْرَامُ
وعلى عدوكَ يا ابنَ عمّ محمد | رَصَدَانِ ضوء الصبح والاظلامُ
فاذا تنبه رُعْتَهُ وإذا غفَا | سلَّتْ عليه سُيُوفكَ الأحلامُ

حدث عبد الله بن العباس الربيعى أن أول من أدخل أشجع إلى الرشيد الفضل بن الربيع، فانه مدحه، فوصفه للرشيد، وقال: هو أشعر شعراء هذا الزمان وقد اقتطعته عنك البرامكة، فأمر باحضاره وإيصاله مع الشعراء، فلما وصل إليه أنشده هذه القصيدة، فاستحسنها، وأمر له بعشرين ألف درهم، فمدح الفضل ابن الربيع وشكر له إيصاله إلى الخليفة، فقال فيه قصيدته التى أولها [من الكامل]:

غَلبَ الرقادُ على جفُونِ المسعدِ | وغرقتُ فى سهَر وليلٍ سرْمَدِ
قد جدَّ بى سهرٌ فلم أرقُدْ له | والنومُ يلعبُ فى جفون الرقَّدِ
ولطالما سهِرَتْ بحبى أعينٌ | أهدى السهاد لها ولما أسْهدِ

ويقول فيها:

أأقيم مُحْتملا لضَيْمِ حوادثٍ | معَ همةٍ موْصولة بالفرْقدِ
وأرَى مخايلَ ليس يخلف نوءها | للفضل إن رعدت وإن لم ترعدِ
للفضل أموال أطاف بها الندى | حتى جهَدْن وجودُه لم يجهدِ
يا ابن الربيع حسرت شكرى بالذى | أوليتنى فى عوْدِ أمركَ والبدِ

أوْصَلْتَنى ورَفَدْتَنِي وكلاهما شَرَفٌ فقأتُ بِهِ عيونَ الحسَّدِ
وكفيتنى منن الرجال بنسائل أغنى يدى عن أن تُمَدَّ إلى يدِ

والشاهد فى البيت : حسن الابتداء .

وقد ضمنه الصلاح الصفدى فى مرثية فقال [من الكامل] :

صَلَّى وراءكَ كل مَنْ عاصرته علماً بأنك فى البيان إمامُ
وكأن قبركَ للعيون إذا بدا (قصرٌ عليه تحية وسلامُ)

ومن محاسن الابتداءِ قول أبى نواس [من الطويل] :

خليلىَّ هذا موقف من متيم فعُوجا قليلا وانظراهُ يسلمِ

وقوله أيضاً [من الطويل] :

لمن دمَنٌ تزدادُ حُسْنَ رسومِ على طول ما أقْوَتْ وطيب نسيمِ

وقول البحترى [من الطويل] :

يُودُّ ىَ لو يهْوَى العذول و يَعْشَقُ ليعلم أسبابَ الهوى كيف تَعْلَقُ

وقول أبى تمام [من الكامل] :

لا أنتَ أنتَ ولا الديارُ ديارُ خفَّ الهوَى وتقضَّتِ الأوْطارُ

وقول المتنبى [من الخفيف] :

أتراها لكثرة العشاق تحسبُ الدمعَ خِلقَةً فى المآقى

وقوله [من الطويل] :

حُشَاشةَ نفس وَدَّعتْ يوم ودعوا فلم أدرِ أىَّ الظاعنينَ أشيِّعُ

وقول ابن المعتز مع تناسب القسمين [من الخفيف] :

أخذَتْ من شبابىَ الأيامُ وتولَّى الصِّبَا عليه السلامُ

وقول أبى العلاء المعرى [من البسيط] :

يا ساهرَ البرق أيقظْ راقدَ السَّمَرِ لعلَّ بالجِزْعِ أعواناً على السَّهَرِ

وقول ابن هانى ، مع بديع الاستعارة [من الكامل] :

بَسَمَ الصَّباحُ لأعين النُّدَماء وانْشَقَّ جَيْبُ غُلالة الظَّلْماءِ

وقول الشريف أبى جعفر البياضى مشيرا إلى الرفق بالابل عند السُّرى [من الكامل] :

رفقاً بهنَّ فما خُلِقْنَ حديدًا أوَما تَراها أعظُماً وجُلودًا

وقول ابن قاضى ميلة [من الطويل] :

يذيل الهَوى دَمْعِي وقلبي المعنَّفُ وتجنِي جفونى الوجْدَ وهو المكلَّفُ

وقول التهامى [من الخفيف] :

حازَكِ البينُ حين أصبحْتِ بَدْرًا إنَّ للبدر فى التَّنَقُّل عذْرًا

وما أرشق قوله بعده :

فارْحلى إن أرَدت أو فأقيمى أعْظَمَ اللهُ للهوَى فيَّ أجْرًا

لا تقولى لقاؤنا بعدَ عشْرٍ لستُ ممن يعيشُ بعدكِ عشْرًا

وقول علىِّ الشطرنجىِّ الحلبىِّ من قصيدة نظامية [من الكامل] :

أمّا عُلاكَ فدونَها الجوزاء قَدْراً فماذا يَنْظِمُ الشعراء

وما أبدع ما قال بعده:

يرْتدُّ عنك الفكرُ وهوَ مُهنَّدٌ ويضيق فيك القولُ وهو فضاء

شرفٌ أناف على السِّماك وهمةٌ ضاقَتْ بمسرح عزمها الدهناء

وفضائلٌ جاءتْ أخيرَ زمانها فحثت على ما سطَّرَ القدماء

وقول سعيد بن على من نظامية [من الطويل] :

أبى الضيمَ قلبٌ بين جنبَىَّ قُلَّبُ وعزمٌ من الشهبِ الثواقب أثقبُ

وبديع قوله بعده :

وكلفنى خوْضَ الدجى طلبُ العلا ولولا المعالى ما طَبَانِىَ مركبُ

فما لى وللاّحى يُطيل ملامتى   كأنى لغير المجد أسعى وأدأبُ

وقول ابن العواذلى من نظامية [من البسيط] :

لو كان للدَّهرِ حِسٌ أو له كَلِمٌ   أثنى عليكَ بما يُثنى به الخَدَمُ

***

شاهد قبح الابتداء

٢١٩ — * مَوْعِدُ أحبابك بالفرقةِ غَدْ *

قائله ابن مقاتل الضرير ، أحد شعراء الجبال ، فى مطلع قصيدة من الرجز أنشدها للداعى إلى الحق العلوى الثائر بطبرستان ، فقال له : بل موعد أحبابك ولك المثل السوء .

والشاهد فيه : قبح الابتداء

وروى أيضاً أنه دخل عليه فى يوم مِهْرَجان وأنشده [من المديد] :

لا تَقُلْ بُشْرَى ولـكن بُشْرَيَان   غُرّة الداعى ويَوْمُ المِهْرَجان

فتطير منه الداعى ، وقال : أعمى يبتدىء بهذا يوم المهرجان ، وأمر ببطحه وضربه خمسين عصاً ، وقال : إصلاح أدبه أبلغ فى ثوابه

ومن الابتداآت القبيحة قول جرير يمدح عبد الملك بن مروان [من الوافر] :

* أتَصْحُو أم فؤادك غير صاح *

فانه لما أنشده قال له عبد الملك : بل فؤادك ياابن الفاعلة

ومثله قول ذى الرمة لما دخل على عبد الملك وأنشده قصيدته التى أولها [من البسيط] :

* ما بالُ عينِكَ منها الماء ينسكبُ *

وكانت عين عبد الملك تدمع دائما ، فتوهم أنه خاطبه وعرض به ، فقال له :

ما سؤالك عن هذا يا ابن الفاعلة ؟! ومقته وأمر بإخراجه .

ومثله قول أبى النجم حين دخل على هشام بن عبد الملك وأنشده أرجوزته فى وصف الشمس [من الرجز] :

صَفْراء قد كادَتْ ولما تَفْعَلِ كأنها فى الأفق عينُ الأحْوَلِ

فأمر بوجء عنقه وإخراجه من الرصافة

ومن قبيح الابتداء قول البحترى ، وقد أنشد يوسف بن محمد قصيدته التى أولها [من الطويل] :

* لكَ الوَيلُ من لعلٍ تقاصَرَ آخِرُهْ *

فقال له : بل لك الويل والحَرَبُ .

ومنه ما حكى أن أبا نواس مدح الفضل بن يحيى البرمكى بقصيدة أولها [من الطويل] :

أرَبْعَ البِلَى إن الخشوعَ لبادِ عليك ، وإنى لم أخُنْكَ ودادِى

فتطير الفضل من هذا الابتداء ، فلما انتهى إلى قوله فيها :

سلامٌ على الدنيا إذا ما فُقِدتُمُ بنى بَرْمَكٍ من رائحين وغادِ

استحكم تطيره ، فلم يمض أسبوع حتى نزلت بهم النازلة .

ومنه قصة إسحاق بن إبراهيم الموصلى مع المعتصم ، فانه دخل عليه وقد فرغ من بناء قصره بالميدان ، فشرع فى إنشاد قصيدة أولها [من الكامل] :

يادار غَيَّرَكِ البلَى ومَحاكِ ياليْتَ شعرِى ما الَّذِى أبلاكِ

فتطير المعتصم من قبح هذا الابتداء ، وأمر بهدم القصر على الفوْر ، وهذا مع يقظة إسحاق وشهرته بحسن المحاضرة ، وطول خدمته للخلفاء ، ولكن قد يَخبو الزّناد ، ويكبو الجواد ، مع أنه قيل : أحسنُ ابتداء ابتدأ به مولد قول إسحاق الموصلىّ [من الخفيف] :

هل إلى أن تَنَامَ عَيْنِي سبيلُ إنَّ عهدى بالنوم عهدٌ طويلُ

ولقد عيب على أبى الطيب المتنبى خطابه لممدوحه حيث قال [من الطويل]:

كفى بك داء أن ترَى الموت شافياً وحَسْبُ المنايا أن يكنَّ أمانيا

ومما يتعجب منه فى هذا الباب قول مهيار [من الطويل] :

وإنك مَذْخورٌ لإحياء دولةٍ إذا هى ماتت كان فى يدك النَّشْرُ

كيف تفاءل لممدوحه بنشر يده ، وكذلك قوله يتغزل [من الكامل] :

فى صَدْرها حَجَرٌ وتحت صدارها ماء يشف وبانَةٌ تَتَعَطَّفُ

فقوله « فى صدرها حجر » أبشع لفظ ، لما فيه من إيهام الدعاء .

وكذلك ابن قلاقس فى قوله [من الكامل] :

بطلاقة أبدَتْ بصفحةِ وجههِ وضَحَ الصباحُ لمن له عينانِ

حيث جعل الوضحَ بوجهه

ولا يخفى ما فى كثير مما ذكر من المشاحة والتعنت .

ومنه ما قاله الناصر بن العزيز للحاجرى حين أنشده [من الطويل] :

وما اخضرَّ ذاكَ الخدُّ نَبْتاً وإنما لكثرة ما شُقَّتْ عليهِ المَرَائِرُ

عسى هذا الخدُّ كان مسلخاً

وهذا أمر يطول استقصاؤه ، وفيما أوردناه مقنع ، إن شاء الله تعالى .

***

شاهد براعة الاستهلال

٢٢٠ — بُشْرَاكَ قدْ أنجزَ الاقبالُ ما وعَدَا

هو من البسيط ، وقائله أبو محمد الخازن ، من قصيدة يهنىء بها الصاحب ابن عباد بسِبْطه الشريف أبى الحسن عباد بن على الحسنى[1] ، وتمام المطلع :

(١) اقرأها فى يتيمة الدهر (٣ ـ ٢٣٦ بتحقيقنا)

* وكوكبُ المجدِ فى أفقِ العلاَ صعدا *

وبعده :

وَقدْ تفرَّعَ فى رَوض الوزارةِ عَنْ
دَوْحِ الرسالة غُصنٌ مُورِقٌ رَشَدَا

لِلهِ آيةَ شمس للعلاَ ولدَتْ   نجماً وغابَة عزٍّ أطْلَعَتْ أسدَا
وعنصُر منْ رسول الله واشجة   كريم عنصر إسماعيل فاتحدَا
وَبضعة من أمير المؤمنين زكَتْ   أصلاً وفرعاً وصحت لحمة وسدَى
ومثل هذى السعادات القوية لاَ   يحُوزُها غيرُهُ دامت لهُ أبدَا
يا دَهرَه حقٌّ أن تزهى بمولدِهِ   فمثلُهُ منذ كانَ الدهر ما وُلدَا
تعجبوا من هلال العيدِ يطلعُ فِى   شعبانَ،أمرٌ عَجيبٌ،قَطُّ ماعُهِدَا
فَمَنْ مُوَال يوالى الحمدَ مُبتهلا   ومخلصٌ يستديمُ الشكر مجتهدَا
وكادت الغادة الهيفاء مِنْ طرَبٍ   تعطى مُبشرَها الأهياف والغيَدَا
فلاَ رَعى اللهَ نفساً لا تسرُّ به   ولا وقاها وغشاها رداء رَدَى
وذى ضغائن طارَتْ رُوحه شفقاً   منهُ وطاحتْ شظايا نفسهِ قِدَدَا
علماً بأنّ الحسام الصاحبيَّ غدَا   مُجرَّداً والشهابَ الفاطمىَّ بدَا
وأنه انسدَّ شعبٌ كانَ منصدِعاً   بهِ وأمرعَ شعبٌ كان مختضدَا
وأرفعُ المجدِ أعناناً وأسمته   مجدٌ يناسب فيهِ الوالدُ الولدَا
فليهنىء الصاحبَ المولودُ ولتردِ الـــسعود نجلو عليه الفارسَ النجُدَا
لم يتخذ وَلداً إلا مبالغة   فى صدق توحيدِ مَنْ لم يتخذ وَلدَا

ما أشرف معنى هذا البيت ، وأبدعه وأبرعه ! ومنها :

وَخذْ إليكَ عرُوساً بنْتَ ليلتها   منْ خادِمٍ مخلص وُدّاً ومعتقدَا

أهديتها عفوَ طبعي وانتحيتُ لها سحراً وإن كنتُ لم أنفث لها عُقَدَا
وَازنتُ ما قلته شكراً لربكَ إذْ جاء المبشِّرُ بيننا سارَ واطردا
(الحمدُ لله شكراً دائماً أبداً إذصارَ سبطُ رسول الله لى ولدَا)

وكان الصاحب بن عباد قد قال هـذا البيت حين جاءته البشارة ، وقال أيضا [من مجزوء الرمل] :

أحمدُ الله لبشرَى أقبلتْ عندَ العشىِّ
إذ حبانى الله سبطاً هُوَ سِبطٌ للنبىِّ
مرْحباً ثُمَّتَ أهْلاً بغـلام هاشمىِّ
نبوىَّ عـلوىَّ حَسَنِىَّ صَاحِبىِّ

وَكان ابن عباد إذا تذكر عبادا هذا يقول [من البسيط] :

يا ربِّ لا تُخْلِنِي من صنعكَ الحسَنِ يا رب حُطْنِيَ فى عباد الحسنى

ولما فطم عباد قال فيه ابن عباد [من الطويل] :

فُطمْتَ أيا عباد يا ابْنَ الفواطمِ
فقالَ لكَ السادَاتُ من آل هاشم
لئنْ فَطموهُ عن رِضاعِ لبانِهِ
لمَا فَطَمُوهُ عَنْ رِضَاعِ المكارم

وفيه يقول عبد الصمد بن بابك ، من قصيدة [من الوافر] :

كساكَ الصوم أعمار الليالى وأعقبَكَ الغنيمةَ فى المآبِ
ولاَ زَالتْ سعُودُكَ فى خلود تُبارِى بالمَدَى يومَ الحسابِ
أتاكَ العز يسحَبُ بردتيه على ميثاء حاليـة التراب
ببدرٍ من بنى الزهراء سارٍ تعرى عنه جلبابَ السحاب

تفرّع في النبوة ثم ألقى ... بِضَبْعَيْهِ إلى خير الصِّحاب

تلاقتْ لابن عباد فروع الـــنبوّة والوزارة في نصاب

فلاَ تَغْرُرْ بِرَقدَته الليالى ... ولاَ تسمدْ لهُ الهمم النوابى

فَمَنْ خضعت له الأسد الضوارى ... ترَفَّعَ عن مغاورَةِ الذئاب

ولما أملك عباد هذا بكريمة بعض أقرباء فخر الدولة ، قال إسماعيل الشاشى قصيدة ، أولها [من البسيط] :

المجدُ ما حرست أولاهُ أخراهُ ... والفخرُ ما التفّ أقصاه بأدناهُ

والسعىُ أجلبهُ للحمد أصعبهُ ... والذكرُ أعلاه فى الأسماع أغلاهُ

والفرْعُ أذهبهُ فى الجوّ أنضَرُهُ ... والأصل أرسخهُ فى الأرض أنقاهُ

اليومَ أنجزتِ الآمالُ ماوعدتْ ... وأدركَ المجدَ أقصى ما تمنّاهُ

يقول فيها :

اليومَ أسفرَ وجهُ المُلْكِ مُبتسماً ... وأقبلتْ ببَريدِ السعد بشراهُ

يقول فيها أيضا :

قدْ زُفَّ مَنْ جَدُّه كافى الكفاةِ إلى ... مَنْ خَالُهُ ملكُ الدنيا شهنشاهُ

والشاهد فى البيت : براعة الاستهلال ، وهو : أن يكون فى الابتداء إشارة إلى ماسيق الكلام لأجله .

فمن ذلك ، وهو مما يشعر بالتهنئة بزوال المرض ، قول أبى الطيب المتنبى [من البسيط] :

المجدُ عُوفىَ إذ عوفيتَ والكرَمُ ... وزَالَ منكَ إلى أعدائكَ السَّقمُ

وقول لسان الدين الخطيب ، المشعر بالتهنئة ، والنصر على الأعداء ، [من الكامل] :

الحقُّ يعلو والأباطلُ تسفلُ والله عن أحكامهِ لا يُسْأَلُ

وقول مهيار الديلمى المشعر بالاعتذار [من الطويل] :

أما وهوَاهَا عِذرَةً وتنَصُّلاً لقدْ نقـل الواشى إليها وأمحلاَ

سعَى جهدهُ لـكنْ تجاوز حدّهُ وكثّرَ فارتابتْ ولوْ شاء قللاَ

وقول الباخرزى المشعر بالتهنئة [من الكامل] :

وفَتِ السعودُ بوعدها المضْمونِ وترَادَفت بِالطائرِ الميمونِ

وعلاَ لواء المسلمين وشافهُوا تحقيقَ آمال لهم وظنُونِ

وقول أبى نصر أحمد بن إبراهيم الكاتب فى التهنئة ببناء دار [من المنسرح]:

أهـلا بدار أبان بانيها دلائلَ المجـد فى مغَانيها

دارٌحكَتْ صدْرَ رَبهاسعَةً تُسافر العـينُ فى نواحيها

وقول محمد بن أبى العباس المسكانى فى التهنئة بالوزارة [من الوافر] :

يبشرنى علوّكَ بالوزارهْ وذاكَ الملك أولى بالبشارهْ

وقول أبى محمد المطرانى ، المشعر بذم المشيب ومدح الشباب [من المتقارب]:

ألَمَّ المشيبُ برأسى نذيرًا وولّى الشباب بعهدى نضيرًا

وأصبح ضوْءُ صباح المشيب لغرْبان ليل شبابى مَطيرًا

كذَاكَ إذَا لَاحَ نور البكورِ لسود الطيور هَجرْنَ الوكُورَا

ترجمة أبى محمد الخازن

وأبو محمد الخازن : هو عبد الله بن أحمد الخازن ، قال فيه صاحب اليتيمة[1] : هو من حسنات إصبهان وأعيان أهلها فى الفضل ، ونجوم أرضها وأفرادها فى الشعر

---

(١) اقرأ ترجمته فى يتيمة الدهر (٣ - ٣٢١ بتحقيقنا)

ومن خواص الصاحب، ومشاهير صنائعه ، وذوى السبق فى قديم خدمته (١) .

وكان فى اقتبال شبابه ورَيْعان عمره يتولى خزانة كتبه، وينخرط فى سلك ندمائه ، ويقتبس من نور آدابه ، ويستضىء بشعاع سعادته ، فتصرف من الخدمة فيما قَصَّرَ أثره فيه ، عن الحد الذى يحمده الصاحب ويرتضيه ، كالعادات فى هفوات الشبيبة ، وسقطات الحداثة ، فلما كان ذلك يعود بتأديبه إياه وعزله ، ذهب مغاضبا أو هاربا ، وترامت به بلدان العراق ، والشام ، والحجاز فى بضع سنين ، ثم أفضت حاله فى معاودة حضرة الصاحب بجرجان إلى مايقصه ويحكيه فى كتاب كتبه إلى صديقه أبى بكر الخوارزمى ، وذكر فيه عُجَرَه وبُجَره ، وقد ذكرته تنبيها على بلاغته وبراعته ، واختصارا للطريق إلى معرفة قصته .

وهذه نسخته — كتابى ، أطال الله بقاء الأستاذ ، سيدى ومولاى ! من الحضرة التى نرحل عنها اختياراً ، ونرجع إليها اضطراراً ، ونسير عن فنائها إذا أبطرتنا النعمة ، ثم نعود إلى أرجائها إذا أدبتنا الغربة . ومن لم تهذبه الاقالة هذبه العثار ، ومن لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار . وما الشأن فى هذا ، ولكن الشأن فى عشر سنين فاتت بين علم ينسى ، وغم لا يحصى . وإنفاق بلا ارتفاق وأسفار لم تسفر عن طائل ، ولم تغن عنى بريش طائر ، وبُعدٍ عن الوطن على غير بلوغ الوطر ، ورجعت ـ يشهد الله ـ صفرَ اليدين من البيض والصفر ، أتلو «والعصر إنَّ الإنسان لفى خُسْرٍ» وأنا بين الرجاء فى أن أُقال العثار ، والخوف من أن يقال : زأر الليثُ فلا قرار ، ولكننى قد كنت قدمت تطهير نفسى ، فلجت حتى حججت ، وعدت بغبار الاحرام ، وبركة الشهر الحرام .

وحين خيمت بأصبهان أنهى سيدنا الأستاذ الفاضل أبو العباس ـ أدام الله تمكينه ـ خبرى إلى الحضرَة ، حرَسَ الله بهاها وسَناها ، والناس يُنظرون هل أقبل ، فيتلقونى بأكرم الرتب ، أم أسخط ، فيتحامونى كالبعير الأجرب ،

(١) فى اليتيمة «وذوى السابقة فى مداخلته وخدمته»

وَوَرَدَ توقيعُ مولانا الصاحب كافى الكفاة ـ أطالَ الله مدته ، وكبت أعداءه ، وحَسدته! ـ بعالى خطه ، وقد نسخته على لفظه ، ليعلم مولانا الأستاذ ـ أدام الله عِزَّه ! ـ أن الكرم صاحبيّ لا برمكيّ ، وعَبَّادى لا حاتمى ، وأنا نتجرم ، ثم نتندم ونميل على جانب الادلال ، ثم لا نروى إلا من الماء الزلال ، والتوقيع « ذكر مولاى ، أدام الله عزه عوْدَ أبى محمد عبدالله الخازن ـ أيده الله ! ـ للفناء الذى فيه دَرَج ، والوكرِ الذى منه خَرَج ، وقد علم الله أن إشفاقى عليه فى إيابه ، لم يكن بأقل منه عند اغترابه (١) ، فإن أحبَّ أن يقيم مُدَيْدَة ، يقضى فيها وطر الغائب ، ويضع معها أوزار الآئب ، فليكن فى ظلّ من مولانا ظليل ، ورأى منه جميل ، وَبرمن دِيواننا جزيل ، وإن حفزه الشوق فَمرحباً بمن قَربته التربية لدينا ، فأفسدته العزة(٢) علينا ، وردّته التجربة إلينا ، وسبيله أن يرفد بما يزيل شغل قلبه بعياله ، ويعينه على كل قبل ارتحاله ، إن شاء الله تعالى ، لا جرم أنى أخذت مالا ، وأغنيت عيالا ، وقلت : ليس إلا الجمازة ، والمفازة ، وصبحت جرجان [مُشىً] عاشرة أهدى من القطا الكُدْرى ، كأنى دعَيْمِيصُ الرمل ، أستاف أخلافَ الطرق ، وأنا مع ذلك أحسب العفو عنى حلماً ، ولا أقدّر ما جنيت يعقب حلما ، وكأنى ما خطوت إلا فى التماس قربة ، ولا أخطأت إلا لتأثيل حرمة ، وكأنى لم أفارق الظل الظليل ، وأخذ فىّ بقول الله تعالى : « فاصفح الصفح الجميل » ، وقد ورد فى التفسير أنه عفو من غير عتب ، وعدنا للقرب فى المجلس ، وكرم اللقاء والمشهد ، وراجعت أيدينا ثقل الصرر ، وجلودنا لين الحبر. وركبنا صهوات الخيل ، وسبحنا إلى دورنا بفضلات الخير ، وأقبلنا على العلم ، وصافحنا يد النثر والنظم ، وراجع الطبع شىء كان يُدْعى الشعر ، كذلك آدم عليه السلام : أسكن الجنة بمنٍّ الله وفضله ، ثم خرج منها بما كان من جُرْمه ، وهو عائد إليها بعفو الله وطَوْله ، وحسبى الله ونعم الوكيل .

---

(١) فى اليتيمة «وقد علم الله أن إشفاقى عليه فى اغترابه ، لم يكن بأقل منه عند إيابه» (٢) فى اليتيمه « الغرة »

قال الثعالبي : فهذا الكلام كما تراه يجمع بين السهولة والحلاوة ، وحسن التصرف في لطائف الصنعة ، ويملك رق الاتقان ، والابداع والاحسان ، ويعبر عما وراءه من أدب كثير ، وحفظ غزير ، وطبع غير طبع ، وقريحة غير قريحة .

وأما شعره فجار مجرى عُقد السحر ، مرتفع الحسن عن الوصف ، وهو من نظراء الخوارزمي والرستمي ، وما أصدق قوله [من البسيط] :

لا يحسن الشعْرُ مالم يسترق له ... حُرُّ الكلام وتستخدم له الفِكَرُ
انظرْ تَجد صور الأشعار واحدةً ... وَإنما لمعانٍ تُعْشَقُ الصورُ
والمعدمون من الابداع قد كثروا ... وهم قليلون إن عُدُّوا وَإن حصرُوا
قومٌ لوانهمُ ارتاضوا لما قرَضوا ... أوأنهم شعروا بالنقص ماشعرُوا

قال : وكان أبو بكر الخوارزمي أنشدني لمعاً من شعره ، كقوله في وصف الغبار وذكر أنه لم يسمع في معناه أملح منه [من الخفيف] :

إنَّ هـذا الغبارَ ألبسَ عِطْفَيَّ سواداً ، ودينيَ التوحيدُ
وكسا عارضيّ ثوبَ مشيبٍ ... ورداء الشباب غضٌّ جديدُ

وقوله ، أوهو لأبيه أحمد[1] [من الكامل] :

منْ يستقمْ يحرمْ مناهومن يزغْ ... يختص بالاسعاف والتمكين
انظر إلى الألف استقام ففاته ... نقطٌ وفاز به اعوجاجُ النون

وعكس هذا المعنى أبو طالب يحيي بن زياد ، فقال [من الكامل] :

إن كنتَ تَسعَى للزيادة فاستَقمْ ... تَنَلِ المراد ولوسَمَوْتَ إلى السما
ألفُ الكتابةوَهوَ بَعْضُ حُروفها ... لما استقام على الجميع تقدَّمَا

---

(١) نسبه ابن خلكان لأبيه أحمد في ترجمته (انظر الترجمة رقم٦١ في وفيات الأعيان ١/١٣١ بتحقيقنا)

رجع إلى شعر الخازن

وله أيضاً فى الغزل [من الكامل] :

حُثَّ المطىَّ فهذه نجْدُ ... بَلَغَ المَدَى وتزايد الوَجْدُ

ياحبذا نجد وساكنها ... لو كان ينفع « حبذا نجد »

وبِمُنْحَنَى الوادى لنا رشأ ... قد ضل حيث الضال والرَّنْدُ

هند ترى بسيوف مقلتها ... مالاً تَرى بسيوفها الهندُ

وله أيضاً من قصيدة يعتذر فيها إلى الصاحب [من الوافر] :

لنار الهم فى قلبى لهيبُ ... فعفوا أيها الملك المهيبُ

فقد جاز العقابُ عقابَ ذنبى ... وضج الشعر واستعدى النسيب

وفاضت عبرةً مهجُ القوافى ... وغصصها التذلل والنحيب

وقد فصمت عراها واعتراها ... لسخطك بعد نَضْرتها شحوب

وقالت مالعفوك ليس يندى ... لنا وسماء مجدك لاتَصُوبُ

ومن يك شوط همته بعيداً ... فثنى عطفه سهل قريب

تجاوزَتِ العقوبةُ منتهاها ... فهَبْ ذنبى لعفوك ياوَهُوبُ

وأحسِنْ إننى أحسنت ظنى ... وأرجو أنَّ ظَنِّى لايخيب

أترضى أن أكون لقًى مقيما ... على خَسْفٍ أذوب ولاتذوب

أبيت ومقلتى أبقُّ كَرَاها ... وفى ألحاظها صَابٌ صَبيب

وقيدًا لايلائمنى طعامى ... ولاينساغ لى الماء الشروب

صببت على سوطا من عذاب ... ينل لبأسه الدهر الغلوب

وأرهقنى نكيرك لى صَعُودا ... من الأشجان ليس له صَبُوب

وما عونى على بَلْوَاى إلا ... رجائى فيك والدمع السكوب

فان تعطف على رجل غريب فانى ذلك الرجلُ الغريبُ
عليك أنيخ آمالى فرَحْبٌ بها ، وإليك من ذنبى أتوب
وأخطو ماير يب إذا دَهَتْنِى غوامضه إلى مالا يريب
فأية طَرْبة للعفو إن الـ ـكريم ـ وأنت معناه ـ طروب
فانى نَشْءُ دارك والمغذَّى بسَيْبك والصنيعةُ والرَّبيبُ
وأُبْتُ إليك من عفوٍ مدِلا بما يقضى علاك لمن يؤب
ولذت ببابك المعمور علما بأن ذراك لى مَرْعًى خصيب
وأن شعابه أندى شعاب إليها يلجأ الرجل الأديب
وسُقْتُ بناتِ آمالى إليها وقد حفيت وأنضاها الدءوب
فبوَّأْتنى اختصاصك حيث تُجْنَى ثمار العز والعيشُ الرطيب
ولـكن كادنى خب حقود لعقرب كيده نحوى دبيب
ومالجموح ألفته جنيب ولا الشَّمال فرقته جَنوبُ
ولايشفيه منى لو رآنى وقد أخذت بحلقومى شعُوبُ
بلوت الناس من ناء ودان وخالطنى القبائلُ والشُّعوبُ
فـكلٌ عنـد مغمزه ركيك وكل عند مشربه مَشُوبُ
فُجدْلِى بالرضا واقبل متابى وعذرى ، إننى أسِفٌ كئيب
وله من قصيدة صاحبية طويلة [من الكامل] :
مازلت أعتسفُ المهامه والفَلا وأواصل الاغوار بالإنجاد
حتى نأيت عن الخواطِرِ ملقيا رَحْلِى بواد فى تخوم بوادى(١)
فاذا بسعدى وهى بدر طالع من فوق غصن فى نَقًى مُنْهَاد(٢)
وطرقتها وعداؤها رقباؤها فى صورة المرتاب لا المرتاد

(١) فى المطبوعتين « حتى نأيت عن الخواطر » وأثبتنا ما فى اليتيمة وهو الذى يتسق مع عجز البيت (٢) هكذا فى اليتيمة وفى المطبوعتين « نقى مهاد »

فحللت منها حيث كان وشاحها درعي وساعدها الوثير وسادى
وخمارها حصنى وساحر طرفها سيفى وفاحمها الأثيث نجادى
وعقاصها المرصول زهرة روضتى ورضابها المعسول صوب عهادى
حيث الصبا عبق الحواشى مونق يزهى بناعم غصنه المياد
والروض أحوى والحمائم هتف والظل ألمى والقيان شوادى

ومحاسنه كثيرة، وفيما أوردناه كفاية

***

من شواهد براعة الأستهلال

٢٢١ — هى الدُّنْيا تقولُ بملء فِيهَا حَذَارِ حَذَارِ مِنْ بطشى وفتكى

البيت لأبى الفرج الساوى، من قصيدة من الوافر، يرثى بها فخر الدولة ابن بُوَيْه

وكان من خبر وفاته — كما حكاه العُتْبى — أنه لما فرغ من القلعة التى استحدثها على جبل طبرك نزل بها مرتاحا، فاشتهى طرائح من لحم البقر، فنُحرت بين يديه واحدة، وطفق أصحابه يَطْهُونَ له من أطايبها، وهو ينال منها، وأتبعها بعناقيد كرم، ودارت عليه الكؤوس ملأى ولاء، فلم يلبث أن لوى عليه جوفه، واتصل على الألم صوته، إلى أن جثم عليه موته، فرثاه الساوى بهذه القصيدة، وبعد البيت:

ولا يغرركم حُسْنُ ابتسامى فقولى مُضْحِك والفعلُ مُبْكِى
بفخر الدولة اعتبرُوا فانى أخذتُ الملك منه بسيف ملكى
وقد كان استطال على البَرَايَا ونظَّمَ جمعهم فى سِلك ملك
فلو شمس الضحى جاءته يوما لقال لها عتُوًّا أفٍّ منك
ولو زُهْرُ النجوم أتت رضاه تأبَّى أن يقول رضيت عنك
فأمسى بعد ماقرَع البرايا أسير القبر فى ضيق وضَنْك

أقدر أنه لو عاد يوماً إلى الدنيا تسربل ثوب نسك
دعى يانفس فكرك فى ملوك مضوا بك فى انقراض ويك فابكى
فلا يغنى هلاك الليث شيئاً عن الظبي السليب قميص نسك
هى الدنيا أشبهها بشهد يسم ، وجيفة طليت بمسك
هى الدنيا كمثل الطفل ، بينا يقهقه إذ بكى من بعد ضحك
ألا ياقومنا انتبهوا فانا محاسب فى القيامة دون شك

والشاهد فيه : براعة الاستهلال أيضاً ، فانه يشعر بابتدائه بأنه فى الرثاء

ومن ذلك قول التهامى فى مرثية ولده ، وهى من غرر القصائد [من الكامل] :

حكم المنية فى البرية جارى ماهذه الدنيا بدار قرار
طبعت على كدر وأنت تريدها صفواً من الأقذاء والأكدار
بينا يرى الانسان فيها مخبراً حتى يرى خبراً من الأخبار
ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب فى الماء جذوة نار
وإذا رجوت المستحيل فانما تبنى الرجاء على شفير هار
العيش نوم والمنية يقظة والمرء بينهما خيال سارى
فاقضوا مآربكم عجالاً إنما أعماركم سفر من الأسفار
وتراكضوا خيل الشباب وحاذروا أن تسترد فانهن عوارى

ومنها :

ليس الزمان وإن حرصت مسالما خلق الزمان عداوة الأحرار
ولد المعزى بعضه ، فاذا مضى بعض الفتى فالكل فى الآثار
أبكيه ثم أقول معتذراً له وفقت حين تركت ألأم دار

جاورت أعدائى وجاور ربه ... شتان بين جواره وجوارى
أشكو بعادك لى وأنت بموضع ... لولا الردى لسمعتَ فيه سِرارى
والشرق نحو الغرب أقرب شُقّة ... من بُعْدِ تلك الخمسة الأشبار
ومنها :
وَطَرِى من الدنيا الشبابُ وروقه ... فاذا انقضى فقدانقضت أوطارى
قصرت مسافته وماحسناته ... عندى ولا آلاؤه بقصار
نزداد هماً كلما ازددنا غِنىً ... فالفقر كل الفقر فى الاكثار
مازاد فوق الزاد خلف ضائع ... فى حادث أو وارث أو عار
إنى لأرحم حاسِدِىَّ لحرّ ما ... ضمنت صدورهُمُ من الأوغار
نظروا صنيع الله بى فعيونهم ... فى جنة وقلوبهم فى نار
لاذنب لى،قدرمتُ كَتْمَ فضائلى ... فكأنما برقعت وجه نهار
وسترتها بتواضعى فتطلعت ... أعناقُها تعلو على الأستار
ومن الرجال مجاهل ومعالم ... ومن النجوم غوامض ودرارى
والناس مشتبهون فى إيرادهم ... وتفاوت الأقوام فى الإصدار

وهى طويلة ، وإنما أثبت منها ماأثبت ليكون غرة لهذا الكتاب ، وتذكرة لأولى الألباب

ومن القصائد المشعرة بالرثاء قولُ الشريف الموسوى يرثى أبامنصورالشيرازى الكاتب [من المنسرح] :

أى دُمُوعٍ عليكَ لم تَصِبِ ... وأى قلب عليك لم يَجِبِ
مالى وما للزمان يَسْلُبنى ... فى كل يوم غرائب السلب
أما فتى ناضرُ الصبا كأخى ... عندىَ أو زائدُ المدى كأبى

وإنني للشقاء أحسبني ألعب بالدهر وهو يلعب بي

وقول ابن نُبَاتة يهنىء الملك الأفضل صاحب حماةَ ويعزيه بوالده الملك المؤيد وهي من غرر القصائد [من الطويل] :

هَنَاء مَحاذاك العزاء المقدَّما فما عَبَسَ المحزونُ حتى تَبَسَّما

ثُغُورُ ابتسام في ثُغُورُ مدامع شبيهان لا يمتاز ذو السَّبق منهما

ترد مجاري الدمع والبشرُ واضحٌ كوابلِ غيثٍ في ضحى الشمس قدهمى

والفاتح لهذا الباب أبونُوَاس، وقيل : أبوالشيص، حيث قال يهنىء الأمين بالخلافة ويعزيه بالرشيد [من المنسرح] :

جرَتْ جوارٍ بالسَّعْدِ والنحس فالناسُ في وحشةٍ وفي أنس

والعينُ تبكي والسِّنُّ ضاحكةٌ فنحنُ في مأتم وفي عُرْس

يضحكها القائم الأمين ويبكيها وفاة الرشيد بالأمس

بدران بدرٌ أضحى ببغداد في الـخلد وبدرٌ بطوس في الرَّمس

ومنه قول صالح بن عبد الله القدوس [من المديد] :

رب مغروسٍ بلذته فقدتهُ كفُّ مغترسهْ

وكذاك الدهر مأتمه أقربُ الأشياء من عُرُسِهْ

وقول يعقوب بن الربيع [من الكامل] :

أتتِ البشارةُ والنعيُّ معاً ياقربَ مأتمها من العُرْس

ولأبي دُلامة يعزِّي بالمنصور ويهنىء بالمهدي [من الكامل] :

عيناي واحدة ترى مسرورة بأميرها جذلاً وأخرى تذرف

تبكي وتضحك تارة ويسوءها ما أنكرت ويسرها ماتعرف

فيسوءها موت الخليفة محرماً ويسرها أن قام هذا الأرأف

ماإن رأيتُ كما رأيتُ ولاأرى   شعراً أرجِّلُهُ وآخر ينتف
هلك الخليفة يا لأمة أحمدٍ   وأتاكم منْ بعده من يخلفُ
أهدى لهذا الله فضل خلافةٍ   ولذاك جنات النعيم تزخرف

ولمروان بن أبي الجنوب برثي المعتصم ويهنىء الواثق [من الوافر] :

أبو إسحاق مات ضُحى فَبِتْنَا   وأصبحنا بهارون حُبِينَا
لئن جاء الخميس بما كرهنا   فقد جاء الخميس بما هَوِينَا

و بديع قول ابن قلاقس [من الكامل] :

خلف السعيد به الشهيد فأدمعٌ   مُنْهَلَّةٌ في أوجهٍ تتهلل
ملكان هذا راحلٌ وثناؤه   باق ، وذا باق ثناه يَرْحلُ

ولنذكرهنا من مطالع المتأخرين مايُزْرِى بمطالع البدور ، ويبهر نظمه محاسن الدر المنثور

فمن ذلك قول القاضى الفاضل [من الكامل] :

زار الصباحُ فكيف حالكَ يادجى   قم فاستدم بفرعه أو فالنَّجا

وقوله أيضاً يخاطب العاذل [من البسيط] :

أخرِج حديثكَ من سمعى فمادخلَا   لاترْمِ بالقول سهماً رُبَّمَا قتلا

وما ألطف ماقال بعده :

ولايخفّ على قلبي حديثُك لى   لا والذى خلقَ الانسان والجبلا

وقوله [من المتقارب] :

سمعتُك والقلبُ لم يَسْمعِ   فكم ذا تقولُ وكم لا يعى
يقول وما عندَه أننى   بغير فؤاد ولا أضلع
أما معَ هذا الفتى قلبُهُ   فقلتُ نعم يافتَى مامعِى

وقول ابن النبيه [من البسيط] :

يا ساكِنِي السَّفح كم عَيْنٍ بكُم سفحت　　نزحتم فَهْيَ بعدَ البُعْدِ قد نزحت

وقوله [من الطويل] :

ونا وانثنى كالسيفِ والصَّعْدَة السَّمْرَا　　فما أكثر القتلى وما أرخص الأسْرَى

وقول ابن قلاقس [من البسيط] :

كم مُقلة للشَّقيق الغض رمداء　　إنسانها سابحٌ فى دمع أنداء

وقوله [من الطويل] :

قِفا فالأسى منى زفيرا وأدمعا　　أكانا لهُمْ إلا مصيفاً ومربعَا

وقول الظهير البارزى [من الطويل] :

يذكرنى وجدى الحمَامُ إذا غنَّى　　لأنا كلانا فى الهوَى نعشق الغُصْنا

وقول ابن العفيف [من الوافر] :

أعزَّ الله أنصار العيون　　وخلَّدَ ملكَ هاتيك الجفون

وما أظرف ماقال بعده :

وضاعفَ بالفتور لها اقتِدَاراً　　وجدَّدَ نعمة الحُسن المصُون

وصانَ حجابَ هاتيكَ الثنايا　　وإن ثنَتِ الفؤادَ إلى الشُّجون

وأسبغَ ظل ذاكَ الشعر يوماً　　على قدٍّ به هَيَفُ الغصون

وخلَّد دولة الأعطافِ فينا　　وإن جارتْ على القلب الطعين

وقوله أيضاً [من الوفر] :

أدام الله أيام الوصال　　وخلد عمرَ هاتيك الليالى

وأسبغ ظل أعطاف التدانى　　وزاد قدُودها حسنَ اعتدال

ولازالت ثمارُ الوَصل فيها　　تزيدُ لطافةً فى كل حال

ولا بَرِحَتْ لنا فيها عُيُونٌ تغازلُ مُقلتي خَشْفِ الغزال

وقول شيخ شيوخ حماة [من الطويل]:

حُرُوف غرامي كلّها حرفُ إغراء على أن سقمي بعضُ أفعال أسماء

وقوله [من مجزوء الكامل]:

أهلاً بطيفكم وسهْلاً لو كنْتُ للإغفاء أهلا

لكنّهُ وافى وقد حلَفَ السُّهادُ عليَّ أن لا

وقوله [من مخلع البسيط]:

ويلاه من نَوْمِيَ المشَرَّدْ وآه من شملِيَ المُبَدَّدْ(١)

وقول ابن عنين [من الكامل]:

ماذا على طيفِ الأحبة لو سَرَى وعليهمُ لو ساعَحُوني بالكرى

وقول ابن نباتة المصرى [من البسيط]:

فى الريق سكر وفى الأصداغ تجعيدُ هذِى المدام وهاتيكَ العناقيدُ

وقوله [من الوافر]:

بدَا ورنَتْ لوَاحظهُ دلالا فما أبهى الغزَالةَ والغزَالا

وقوله أيضاً [من البسيط]:

سلبْتَ عقلى بأحداق وأقداح ياساحِيَ الطَّرفِ أو يا ساقىَ الرَّاح

وما ألطف ما قال بعده [من البسيط]:

سَكْرَانُ من مُقلَةِ الساقى وقهوتهِ فاترُكْ ملامك فى السُّكرين يا صاح

وقوله [من البسيط]:

إنسان عينى بِتعجيل السُّهادِ ملى عمْرِى لقد خُلقَ الإنسانُ من عجل

وقوله [من الخفيف]:

(١) سيأتى هذا المطلع مع جملة أبيات من القصيدة فى (ص ٢٥٩)

قامَ يرنو بمقلة كحلاءِ عَلَّمَتْنِي الجنونَ بالسَّوداء

وقوله [من البسيط]:

نفسٌ عن الحب ماحادت وماغفلت بأىِّ ذنب ــ وقاكَ الله! ــ قد قتلت

وقوله [من البسيط]:

لامُ العذار أطالت فيك تسهيدى كأنها لغرامى حرفُ توكيد

وقول الصفى الحلى [من الطويل]:

قفى ودِّعينا قبل وشكِ التفرُّق فما أنا مَن يحيا إلى حين نلتقى

وقول الوداعى [من المنسرح]:

بدر إذا ما بدَا مُحيَّاه أقول ربى وربُّكَ الله

وقول ابن نباتة معارضاً له [من المنسرح]:

له إذا غازَلتكَ عيناه سهمُ لحاظٍ أجارك الله

وقول الحاجرى [من الكامل]:

لك أن تشوقنى إلى الأوطان وعلىَّ أن أبكى بدمع قانى

وقول ابن النقيب [من الكامل]:

قلَّدتُ يومَ البين جيدَ مودِّعى دُرَراً نظمْتُ عقودَها من أدمُعى

ولنحبس لسان القلم عن بث أسرار هذه المطالع، وعنانَ البيان عن الركض مع فرسان هذه المعامع

***

شاهد حسن التخلص

٢٢٢ ــ يقولُ فى قُومسٍ قَوْمى وقدْ أخذَتْ مِنَّا السُّرَى وخُطَا المَهْرِيَّةِ القُودِ

أَمَطلَعَ الشَّمْسِ تَبْغِى أن تَؤُمَّ بِنَا فقلْتُ كلاَّ ولكن مطلعَ الجودِ

البيتان من البسيط، وقائلهما أبو تمام، فى عبدالله بن طاهر، ولهما خبر يذكر

حدث محمد بن العباس اليزيدى قال : حدثنى عمى الفضل قال : لما شخص أبو تمام إلى عبدالله بن طاهر وهو بخراسان أقبل الشتاء وهو هناك ، فاستثقل البلد ، وقد كان عبدالله وجد عليه وأبطأ بجائزته لأنه نثر عليه ألف دينار فلم تمسها بيده ترفعاً عنها ، فأغضبه ، وقال : يحتقر فعلى ، ويترفع على ، فكان يبعث إليه بالشيء بعد الشيء كالقوت ، فقال أبو تمام [من البسيط] :

لم يَبْقَ للضيف لا رسمٌ ولا طللُ ولاقشيبٌ فَيُستَكسَى ولا سَمَلُ
عدلٌ مِنَ الدَّمعِ أن يبكى المصيف كما يُبْكَى الشبابُ ويبكى اللهوُ والغزل
يمنى الزمان انقضى معروفُها وغدَت يُسْرَاه وَهْىَ لنا من بعْدِهِ بَدَل

فبلغت الأبيات أبا العميثل شاعر آل عبدالله بن طاهر ، فأتى أبا تمام واعتذر إليه لعبدالله ابن طاهر وعاتبه على ماعتب عليه من أجله ، وضمن له مايحبه ، ثم دخل إلى عبد الله بن طاهر فقال : أيها الأمير ، أتتهاون بمثل أبى تمام وتجفوه ؟ فوالله لو لم يكن له من النباهة فى قدره والاحسان فى شعره والشائع من ذكره ماله لكان الخوف من شره والتوقى من ذمه يجب به على مثلك رعايته ومراقبته ، فكيف له بنزوعه إليك عن الوطن ، وفراقه للسكن ، عاقداً بك أمله ، معملا إليك ركابه ، متعباً فيك فكره وجسمه ، وفى ذلك مايلزمك قضاء حقه حتى ينصرف راضياً ، ولو لم يأت بفائدة ولا سمع فيك منه ماسمع إلا قوله « وأنشد البيتين » المستشهد بهما ، فقال له عبدالله : لقد نبهْتَ فأحسنت ، وشفعت فلطفت ، وعاتبت فأوجعت ، ولك ولأبى تمام العُتبى ، ادعُهُ ياغلام ، فدعا به ، فنادمه يومه ، وأمر له بألفى دينار ، وما يحمله من الظهر ، وخلع عليه خلعة تامة من ثيابه ، وأمر بيذرقته إلى آخر عمره

وقد أخذ أبو تمام البيتين بلفظهما من مسلم بن الوليد حيث يقول [من البسيط] :

يقول صحبي وقد جدُّوا على عجل والخيل تَستَنُّ بالركبان فى اللُّجم

أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الكرم

وقد أخذ ذلك بعدهما أبو إسحاق الغزى فقال [من الوافر] :

تقول إذا حثثناها فَظلَّتْ تناجينا بألسنَةِ الكلال

إلى أفقِ الهلالِ مَسيرُ ركبي فقلنا بل إلى أفق النوال

وقومس - بضم القاف وآخرها سين مهملة - صقع كبير بين خراسان و بلاد الجبل ، والمهرية - بفتح الميم - الابل المنسوبة إلى مَهْرة بن حيدان ، والقود : الطوال الظهور والأعناق ، واحدها أقود

والشاهد فيهما : حسن التخلص ، وهو الخروج مما ابتدىء به الكلام من نسيب أو غيره إلى المقصود ، مع رعاية الملاءمة بينهما ، وهو قليل فى كلام المتقدمين

وأبدع ما أوردوه لهم قول زهير بن أبى سلمى [من البسيط] :

إن البخيل مَلوم حيث كان ولكنّ الجوادعلى عِلاَّتِهِ هَرِمُ

ومنه قول الفرزدق [من الطويل] :

وركبٍ كأن الريح تطلب عندهم لها تِرَةً من جذبها بالعصائب

سَرَوْا يخبطون الليل وهى تلفهم إلى شعب الأكوار من كل جانب

إذا آنسُوا ناراً يقولون ليتها وقدخَصِرَتْ أيديهمُ نار غالب

وقول أبى نواس يمدح الخصيب صاحب مصر [من الطويل] :

تقول التى من بيتها خف محملى يعز علينا أن نراك تسير

أما دون مصر للغنى مُتطلَّبٌ بلى إن أسباب الغنى لكثير

فقلت لها واستعجلتها بوادر جرت فجرى فى إثرهن عَبيرُ

دعينى أكثر حاسديك برحلة إلى بلد فيه الخصيب أمير

إذا لم تطأ أرض الخصيب ركابنا فأى فتى بعد الخصيب نزور

فتى يشترى حسن الثناء بماله ... ويعلم أن الدائرات تدور
فما جازه جود ولا حل دونه ... ولكن يصير الجود حيث يصير[1]

وقوله [من الكامل] :

و إذا جلست إلى المدام وشربها ... فاجعل حديثك كله فى الكاس
و إذا انتزعت عن الغواية فليكن ... لله ذاك النزع لا للناس
و إذا أردت مديحَ قوم لم تَمِنْ ... فى مدحهم فامدح بنى العباس

وقول مسلم بن الوليد [من الطويل] :

أجدك هل تدرين كم رب ليلة ... كأن دُجَاها من قُرونك تُنْشَرُ
لهوتُ بها حتى تجلَّتْ بغرة ... كغُرة يحيى حين يمدح جعفر

وقول أبى تمام من قصيدة [من الكامل] :

فالأرض معروف السماء قرى لها ... وبنو الرجاء لهم بنو عباس .

وقوله [من الكامل] :

لا والذى هو عالم أن النوى ... صبر وأن أبا الحسين كريم

وقد عيب عليه هذا التخلص كما عيب على المتنبى قوله [من الوافر] :

غدا بك كلُّ خلوٍ مستهاما ... وأصبح كل مستور خليعَا
أحبك أو يقُولوا جرَّ نَمْلٌ ... ثبيرًا وابن إبراهيم رِيعَا

وما أحسن قول البحترى [من الطويل] :

رياض تردت بالنبات مَجُودَةً ... بكل جَديدِ الماء عذب الموارِدِ
إذا راوحتها مزْنَةٌ بكرت لها ... شآبيب مجتاز عليها وقاصد
كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت ... عليها بتلك البارقات الرواعد

---

(١) الذى فى ديوانه وفى الموازنة ، وهو المحفوظ :

* ولكن يسير الجود حيث يسير *

ووقع فى وفيات الأعيان (١ ــ ١٢٠ بتحقيقنا) كما هنا

وقول المتنبي يمدح أحمد بن عمران من قصيدة [من الكامل] :

ومطَالِبٍ فيها الهلاكُ أتيتها ثبْتَ الجنان كأنني لم آتها
ومقَانِبٍ بمقانب غادرتها أقوات وحش كنّ من أقواتها
أقبلتها غرر الجياد كأنما أيدى بنى عمران فى جبهاتها

وقوله يمدح ابن عامر ، ويعرض بذكر أبيه بعد وفاته ، من قصيدة [من الطويل] :

ويوم وصلناه بليل كأنما على أفقه من برقه حُلَلٌ حُمْرُ
وليلٍ وصلناه بيوم كأنما على متنه من دَجْنِهِ حلل خضر
وغيث ظننا تحته أن عامراً علا لم يمت أو فى السحاب له قبر

وقوله يمدح سيف الدولة [من الطويل] :

خليليّ مالى لا أرى غير شاعر فَلِمْ منهم الدعوى ومنى القصائد[1]
فلا تعجبا إن السيوف كثيرة ولكنّ سيف الدولة اليوم واحد

وقول أبى العلاء من قصيدة [من الوافر] :

ولو أن المطى لها عقول وحقك لم نَشُدَّ لها عِقالاً
مواصلة بها رحلى كأنى من الدنيا أريد بها انفصالا
سألن فقلن مقصدنا سعيد فكان اسم الأمير لهن فالا

وقول النامى [من الطويل] :

وليل له نجم كَليلٌ عن السُّرَى تحيّر لا يَهْدى لقصد ولا يُهْدَى
كأنىَ وابن الغمد والطرف أنجم على قصدها والنجم ليس على قصد
إلى أن رأيت الفجر والنسر خاضب جناحيه وَرْساً علَّ بالعنبر الوردى
وحلت يد الجوزاء عقد وشاحها إزاء الثريا وهى مقطوعة العقد
فقلت أخيل التغلبى مغيرة أم الفجر يرمى الليل سداً على سد

---

(١) يروى « فكم منهم الدعوى »

ومما استحسن لابن حجاج من المخالص قوله من قصيدة [من الوافر] :

ألا ياماء دجلة لست تدرى بأنى حاسد لك طول عمرى
ولو أنى استطعت سكرت سكراً عليك فلم تكن ياماء تجرى
فقال الماء قل لى كل هذا بِمَ استوجبته ياليت شعرى
فقلت له لأنك كل يوم تمر على أبى الفضل بن بشر
تراه ولا أراه وذاك شىء يضيق عن احتمالك فيه صدرى

ومن مخالصه على طريقته المشهورة فى السخف والمجون قوله [من الوافر] :

وقد بادلتها فبالها لى بمشورة استها ولها قذالى
كما لابن العميد جميع مدحى ودنيا ابن العميد جميعها لى

ومن المخالص البديعة قول مهيار الديلمى يمدح سيف الدولة بن مزيد [من البسيط] :

تسعى السقاة علينا بين منتظر بلوغ كأس ووثاب فمستلب
كأنما قولنا للبابلىّ أدِرْ سُلَافةً قولُنا للمزيدى هَبِ

وقوله يمدح فخر الملك [من الوافر] :

أرى كبدى وقد بردت قليلا أمات الهمُّ أم عاش السرور
أم الأيام خافتنى لأنى بفخر الملك منها أستجير

وقوله من قصيدة عينية يمدح بها الوزير عميد الدولة مطلعها [من الكامل] :

لو كان يرفق ظاعن بمشيع ردّوا فؤادى يوم كاظمة معى
إن شاء بعدهم الحيا فَلْيَنْسَكِبْ أو شاء ظل غمامة فَلْيُقْلِعِ

يقول فيها :

فمقيل جسمى فى ظلال ربوعهم كاف، وشربى من فواضل أدمعى
لزمت جفونى فى الديار فأخصبت فتنيت أن أرِدَ المياه وأرتعى
فكأن دمعى مدّ من أيدى بنى عبد الرحيم ومـائها المتنبع
وكأن ليلى من تفاوت طوله أسيافهم موصـولة بالأذرع

وقول الأرجانى يمدح ولىّ الدين الكاتب من قصيدة [من الخفيف] :

تركتنى معانيـا لمعـانٍ وأعادت أعاديا أصـدقائى
كدرت مشربى وقد كان عين الـ شمس والماء دونه فى الصفاء
بعد عهدى بعيشتى وهى خضرا تتثنى كالبـانة الغنْـاء
وأمورى كأنها ألفـاتٌ خطهن الولىُّ فى الاستواء

وقوله يمدح سديد الدولة الأنبارى مترسل الخلافة من قصيدة [من البسيط]:

أقسمت ما كل هذا الضيم محتمل وَلا فؤادى على ما سُمْتِ صَبّارُ
إلا لأنك مِنّى اليومَ نازلةٌ بالقلب حيث سديد الدولة الجار

وقوله يمدح شهاب الدين أحمد بن أسعد الطغرائى من قصيدة مطلعها [من الطويل] :

إذا لم يخن صب ففيِمَ عتابُ وإن لم يكن ذنب فمَّ يُتابُ
أجل مالنا إلا هواكم جناية فهل عندكم غيرَ الصدودِ عقابُ

يقول فى مخلصها :

فلا تـكثرن شكوى الزمان فإنما لـكل مـلم جيئة وذهاب
وقد كان ليل الفضل فى الدهر داجيا إلى أن بدا للناظرين شهاب

وقول أبى نصر محمد الأصفهانى [من الـكامل] :

بتنا نظن الليل مما كتسب الدجى حتى نماه صباحه بظلام

ودنا الثريا للمغيب كأنها بدرُ اللآلى نُضِّدَتْ لنظام
والصبح قد صَدَعَ الظلامَ كراية بيضاء فى سود من الأعلام
أو رأى مولانا الوزير إذا احتبى يمحو ظلامَ الشك فى الأحكام

وقال بعده مع الزيادة فى الغلوّ :

ودّ الهلال لو أنه لجواده نعل وحافره أوان تمام
تا لله لو أصفى هواه مشرك لأقيم عند الله خير مقام

أستغفر الله من ذلك ! ! .

ومن المخالص البديعة الفائقة قول أبى القاسم بن هانى الأندلسى فى قصيدته البديعة التى منها [من الطويل]

بعيشك نبه كأسه وجفونه فقد نبه الابريق من بعد ماأغفى
وقد فكت الظلماء بعض قيودها وقدقام جيشُ الليل للصبح واصطفَّا
وولَّتْ نجومٌ للثريا كأنها خواتيم تبدو فى بنان يدٍ تَخْفَى
ومَرَّ على آثارها دبرانها كصاحب رد، كمنت خيله خلفا
وأقبلت الشعرى العبور ملية بمرزمها اليعبوب تجنبه طرفا
كأن بنى نعش ونعشا مطافل بوَجْرَةَ قد أضللن فى مهمه خشفا
كأن سُهَيلا فى مَطَالع أفقه مُفَارِقُ إلفٍ لم يجد بعده إلفا
كأن سُهَاها عاشق بين عُوَّدٍ فآونة يبدو وآونة يخفى
كأن المزيع الآبنوسى وَهْنَةً سرى بالنسيج الخسروانى ملتفا
كأن ظلام الليل إذ مال ميلة صريعُ مدام بات يشربها صرفا
كأن السماكين اللذين تظاهرا على كتديه ضامنان له الحتفا
كأن معلى قطبها فارس له لوا آن مركوزان قد كَرِهَ الزَّحفا

كأن قدامى النسر والنسر واقع ضعفن فلم تسم الخوافى به ضعفا
كأن أخاه حين دوّم طائراً أتى دون نصف البدر فاختطف النصفا
كأن رقيب الصبح أجدل مرقب يفتش تحت الليل فى ريشه طرفا
كأن عمود الصبح خاقان عسكر من الترك نادى بالنجاشى فاستخفى
كأن لواء الشمس غرة جعفر رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

ومثلها فى الحسن والوزن والقافية قول الخفاجى [من الطويل] :

سلا ظبية الوعساء هل فقدت خشفا فانا لمحنا فى مراتعها ظلفا
وقولا لخوط البان فلتمسك الصبا علينا فانا قد عرفنا بها عرفا
سرت من هضاب الشأم وهى مريضة فما ظهرت إلا وقد كاد أن يخفى
عليلة أنفاس نداوى بها الجوى وضعفا ولكنا نرجى بها ضعفا
وهاتفة فى البان تملى غرامها علينا وتتلو من صبابتها صحفا
عجبت لها تشكو الفراق جهالة وقد جاوبت من كل ناحية إلفا
ويشجو قلوب العاشقين حنينها وما فهموا مما تغنت به حرفا
ولو صدقت فيما تقول من الأسى لما لبست طوقا ولا خضبت كفا
أجارتنا أذكرت من كان ناسياً وأضرمت نارا للصبابة لا تطفى
وفى جانب الماء الذى تردينه مواعيد ما ينكرن ليا ولا خلفا
ومهزوزة للبان فيها شمائل جعلن له فى كل قافية وصفا
لبثنا عليها بالثنية ليلة من السود لم يطو الصباح لها سجفا
لعمرى إن طالت علينا فاننا بكم الثريا قد قطعنا لها كفا
رمينا بها فى الغرب وهى رميمة ولم نبق للجوزاء عقدا ولا شنفا
كأن الدجى لما تولت نجومه مدبر حرب قد هزمنا له صفا

كأن عليـه المجرة روضة ... مفتحة الأنوار أو نثرة زغفا
كأنا وقد ألقى إلينا هـلاله ... سلبناه جاما أو قصمنا له وقفا
كأن السها إنسان عين غريقة ... من الدمع يبدو كلما ذرفت ذرفا
كأن سهيلا فارس عاين الوغى ... ففرّ ولم يشهد طرادا ولا زحفا
كأن سنا المريخ شعلة قابس ... تخطفها عجلان يقذفها قذفا
كأن أفول النسر طرف تعلقت ... به سِنَةٌ ماهبَّ منها ولا أغفى
كأن نصير الملك سلَّ حُسامه ... على الليل فانصاعت كواكبه كسفا

ولحازم صاحب المقصورة قصيدة طائية حذا فيها هذا الحذو، وهى بديعة فأحببت أن أعزز هاتين القصيدتين بها، ومطلعها [من الطويل] :

أمن بارق أوْرَى بجنح الدجى سِقْطًا ... تذكرت مَنْ حلَّ الأبارق فالسقطا

يقول فيها بعد أبيات :

وكم ليلة قاسيتها نابغيةٍ ... إلى أن بدت شيباً ذوائبها شُمْطًا
وبت أظن الشهب مثلى لها هوى ... وأغبطها فى طول ألفتها غبطا
على أنها مثلى عزيزة مطلب ... ومن ذا الذى ماشاء من دهره يُعْطَى
كأن الثريا كاعب أزمعتْ نوى ... وأمت بأقصى الغرب منزلة شحطا
كأن نجوم المقعة الزهر هَوْدَجٌ ... لها عن ذرى الحرف المناخة قد حطا
كأن رشاء الدلو رشوة خاطب ... لها جعل الأشراط فى مهرها شرطا
كأن السُّهَا قد دقَّ من فرط شوقه ... إليها كما قد دقَّقَ الكاتب النقطا
كأن سهيلا إذ تناءت وأنجدت ... غدا يائسا منها فأتهم وانحطا
كأن خفوق البرق قلب مُتيمٍ ... تعدى عليه الدهر فى البين واشتطا
كأن كلا النسرين قد ريع إذ رأى ... هلال الدجى يهوى له مخلبا ملطا

كأن الذى ضم القوادم منهما   هوى واقعا للأرض أوقص أوقطا
كأن أخاه رام فوتا أمامه   فلم يَعْدُ أن مدَّ الجناحين وارتطَّا

ومثلها فى الحسن قول على بن محمد الكوفى من قصيدة [من الطويل] :

متى أرتجى يوما شفاء من الضنا   إذا كان جانيه علىّ طبيبى
ولى عائدات شفّهن فجُنَّ فى   لباسِ سوادٍ فى الظلام قَشيبِ
نجوم أراعى طولَ ليلىَ برجها   وهن لبعد السير ذات لغوب
خوافق فى جنح الظلام كأنها   فؤاد مُعنَّاة بطول وجيب
ترى حوتَها فى الشرق ذات سباحة   وعقربها فى الغرب ذات دبيب
إذا ماهوى الإكليل منها حسبته   تهدّل غصن فى الرياض رطيب
كأن التى حول المجرة أوردت   لتكرع فى ماء هناك صبيبَ
كأن رسول الصبح يخلط فى الدجى   شجاعة مقدام بجبن هَيُوبِ
كأن اخضرار الفجر صَرْحٌ ممرّد   وفيه لآلٍ لم تُشَنْ بثقوب
كأن سواد الليل فى ضوء صبحه   سواد شباب فى بياض مشيب
كأن نذير الشمس يحكى ببشره   علىّ بن داود أخى ونسيبى
ولولا اتقائى عَتْبَهُ قلت سيدى   ولكن يراها من أجلّ ذنوبى
نسيب إخاء وهو غير مناسب   قريب صفاء وهو غير قريب

ومن المخالص البديعة قول القاضى الفاضل ، من قصيدة يمدح بها خليفة الفاطميين فى ذلك العصر مطلعها [من الطويل] :

ترى لحنينى أو حنين الحمائم   جرَتْ فحكت دمعى دموعُ الغمائم

وما أحلى قوله بعده :

وهل من ضلوع أو ربوع ترحلوا   فكل أراها دارساتِ المعالم

دعوا نفس المقروح يحمله الصبا ... وإن كان يهفو بالغصون النواعم
تأخرتُ فى حمل السلام عليكم ... لديها لما قد حمات من سمائم
فلا تسمعوا إلا حديثاً لناظرى ... يعاد بألفاظ الدموع السواجم
فإن فؤادى بعدكم قد فطمته ... عن الشعر إلا مدحة لابن فاطم

ومنها قول شيخ شيوخ حماة من قصيدة دالية نبوية مطلعها [من مخلع البسيط]:

ويلاهُ من نومي المشرد ... وآه من شملي المبدد

ولم يزل يدير على خصور هذه الألفاظ الرقيقة وشاحات معانيه البديعة إلى أن قال:

أكسبني نشوةً بطرفٍ ... سكرتُ من خمره فعربد
غصن تقاحل عقد صبرى ... بلين خصرٍ يكاد يُعقد
فمن رأى ذلك الوشاح الصائم ... صلى على محمد

ومثله قوله يمدح الملك الناصر صلاح الدين يوسف من قصيدة مطلعها [من الوافر]:

لنا من ربة الخالين جارهْ ... تُواصل تارةً وتصدُّ تارهْ
تُعاملني بما يحلى سلوّى ... ولكن ليس فى جوّى مرارهْ

ولم تزل أعين هذا الغزل الرقيق تغازل إلى أن قال:

وقالوا قد خسرت الروح فيها ... فقلت الربح فى تلك الخساره
بأيسر نظرة أسرت فؤادى ... كما نشأ اللهيب من الشراره
ويفتك طرفها فيقول قلبى ... أشنّ ترى صلاحُ الدين غاره

وقوله من قصيدة يمدح بها الملك الأمجد [من الرمل]:

ظبية حكم ظبُا مقلتها ... عزة الظبى وذل الأسد
كنت فى ذاك الهوى مجتهداً ... وهى كانت زلة المجتهد
كملت حسناً فلولا بخلها ... خلتها بعض خلال الأمجد

ومنها قول ابن قلاقس من قصيدة يمدح بها أبا المنصور نور الدين محموداً عين الأمراء بالديار المصرية [من البسيط]:

ماذا على العيس لو عادت بربتها بقدر ما نتقاضاها المواعيدا
ردّ الركاب لأمرٍ عنّ فى خلدى وسمّه فى بديع الحسن ترديدا
وقف أبثك مالان الحديد له فان صدقت فقل لى كنت داودا
حلت عرى النوم من أجفان ساهرة ردالهوى هدبها بالحسن معقودا
تفجرت وعصا الجوزاء تضربها فأذكرتنيَ موسى والجلاميدا
يا ثعلب الهجر يا سرحان أوله كُلِ الثريا فقد صادفت عنقودا

ولم يزل ينثر درر هذا النظم إلى أن قال :

مالى وما للقوافى لا أسيِّرها إلا وأقعد محروماً ومحسودا
أسكرتهم بكؤوس النظم مترعة ولم أنل منهم إلا العرابيدا
سمعت يالجود مفقوداً ونائله يقول لى قد وجدت الجود موجودا
الحمد لله لا والله ما نظرت عيناى بعد أبى المنصور محمودا

وقوله من قصيدة يمدح بها الشيخ سديد الدين المعروف بالحصرى [من الوافر] :

سقى مصرا وساكنها بوبل صليل البرق صخاب الرعود
موارد من له ظمأ شديد ولكن لاسبيل إلى الورود
هل الرأى السديد البعد عنها نعم إن كان للشيخ السديد

وقول القاضى سعيد بن سناء الملك يمدح القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى [من الكامل] :

ضنت بطرف ظل يعدى سقمه أرأيتم من ضن حتى بالضنا
ياعاذلين جهلتم قدر الهوى فعذلتم فيه ولكنى أنا

إنى رأيت الشمس ثم رأيتها ماذا علىَّ إذا هويت الأحسنا
وسألت من أى المعادن ثغرها فوجدت من عبد الرحيم المعدنا
أبصرت جوهر ثغرها وكلامه فعلمت حقاً أن هذا من هنا

وقوله من قصيدة يمدح بها الملك المعظم عيسى مطلعها [من الطويل] :

تقنعت لكن بالحبيب المعمم وفارقت لكن كل عيش منمم
و باتت يدى فى طاعة الحب والهوى وشاحاً لخصر أو سواراً لمعصم
سعدت ببدر خده بُرْجُ عقرب فكذب عندى قول كل منجمٍ
وأقسم ما وجه الصباح إذا بدا بأوضح منه حجة عند لوَّمى
ولا سيما لما مررت بمنزل كفضلة صبر فى فؤاد متيم
وما بان لى إلا بعود أراكة تعلق فى أطرافه ضوء مبسم
وقفت بها أعتاض عن لثم مبسم شهى لقلبى لثم آثار منسم
ولم ير طرفى قط شملا مبدداً فقابله إلاَّ بدمع منظَّمِ
ولم يسل قلبى أوفمى عن غزالة وعن غزل إلا مديح المعظم

وقول البهاء زهير من قصيدة يمدح بها الأمير ناصر الدين الملطى مطلعها [من الطويل]:

لها خَفَرٌ يوم اللقاء خفيرُها فما بالها ضنت بما لا يضيرها
أعادتها أن لا يعاد مريضها وسيرتها أن لا يفك أسيرها

يقول فيها :

وها أناذا كالطيف فيها صبابةً لعلى إذا نامت بليل أزورها
من الغيد لم توقد مع الليل نارها ولكنها بين الضلوع تثيرها
تقاضى غريم الشوق منى حشاشة مُروَّعة لم يبق إلا يسيرها

وإن الذى أبقته منها يدُ الهوى   فداء بشيرٍ يوم وافى نصيرها

وقوله يمدح الملك الناصر صلاح الدين بن العزيز من قصيدة مطلعها [من الكامل] :

عرف الحبيبُ مكانه فتدللا   وقنعت منه بزورة فتعللا
وافى الرسول ولم أجد فى وجهه   بشراً كما قد كنت أعهد أولا

ولم يزل هائماً فى طريقته الغرامية إلى أن قال :

آها لقلب ما خلا من لوعة   أبدا يحن إلى زمان قد خلاَ
ورسوم جسم كاد يحرقه الهوى   لو لم تبادره الدموع لأشعلا
ولقد كتمت حديثه وحفظته   فوجدت دمعى قد رواه مسلسلا
أهوى التذلل فى الغرام وإنما   يأبى صلاح الدين أن أتذللا
مهدت بالغزل الرقيق لمدحه   وأردت قبل الفرض أن أتنفلا

وقول ابن النبيه من قصيدة يمدح بها الخليفة الناصر لدين الله مطلعها [من البسيط] :

باكر صَبُوحَك أهنى العيش باكرُهُ   فقد ترنم فوق الأيك طائرُه
والليل تجرى الدرارى فى مجرته   كالروض تطفو على نهر أزاهره

يقول فيها :

واجسر على فُرَصِ اللذات محتقرا   عظيم ذنبك إن الله غافره
فليس يخذل فى يوم الحساب فتى   والناصر ابن رسول الله ناصره

ومن مخالصه الموسوية من قصيدة مطلعها [من السريع] :

يا نار أشواقىَ لا تخمدى   لعل ضيف الطيف أن يهتدى

إلى أن قال :

غازلنا من نرجس ذابل   وافتر عن نَوْرٍ أقاح ندِى

وقام يَلْوِى صُدْغه قائلا لا تغترر بى فكذا موعدى
فقلت بالله أمات الوفا فقال موسى لم يمت خذ يدى

وقوله فيه [من البسيط] :

ياطالب الرزق قد سدت مذاهبه قل يا أبا الفتح ياموسى وقد فتحت

وقوله فيه [من الكامل]

بتنا وقد لف العناق جسومنا فى بردتين تكرم وتعفف
حتى بدا فلق الصباح كجحفل راياته رنك الأمير الأشرف(١)

وقوله فيه من قصيدة [من الوافر] :

يذود شَبَا القنا عن وجنتيها كمنع الشوك للورد الجنى
إذا مارمتُ أقطفه بعينى يقول حذار من مرعى وَبِىّ
لسان السيف من أدنى وُشَاتى ومن رقباى طرف السمهرىّ
كأنّ بجفنها فى كل قلب فعال المشرفى الأشرفى

وقول الشاب الظريف محمد بن العفيف من قصيدة يمدح بها ابن عبد الظاهر مطلعها [من البسيط] :

روح بمينك مما أنت معتقل أمضى الأسنة ما فولاذه الكَحَلُ
يامن يرينا المنايا واسمها نَظَر من السيوف المواضى واسمها مُقَلُ
ما بال ألحاظك المرضى تحاربنى كأنما كل لحظ فارس بطل
من دونها كثب من دونها حرس من دونها قُضُبٌ من دونها أسَلُ
ومعشر لم تزل فى الحرب بيضهم حمر الخدود وما من شأنها الخجل
يثنى حديث الوغى أعطافهم طربا كأن ذِكْرَ المنايا بينهم غَزَلُ
من كل ذى طُرَّةٍ سوداء يلبسها وشَيْبُهَا من غبار الحرب متصل

(١) كذا

ضاءت بحسنهم تلك الخيام كما ضاءت بوجه ابن عبد الظاهر الدُّوَلُ

وقول أبي الحسين الجزار يمدح موسى بن يغمور من قصيدة [من الطويل]:

وهيفاء تحكى الظبي جيداً ومقلةً رَنَتْ وانثنت فارتَعْتُ بالبِيض والسُّمر

جسرتُ على لثم الشقيقِ بخدها ورشف رُضَابٍ لم أزل منه في سكر

ولست أخاف السحر من لحظاتها لأنى بموسى قد أمِنتُ من السحر

فتىً إن سطا فرعونُ فقرٍ وجدتَهُ يغرقُه من جود كفيه في بحر

له باليد البيضاء أعظم آية إذا اسودت الأيام من نُوَبِ الدهر

وقوله يمدح فخر القضاة نصر الله بن بصاقة [من الطويل] :

وكم ليلة قد بتها معْسِراً ولى بِزُخرف آمالى كنوز من اليسر

أقول لقلبي كلما اشتقت للغنى إذا جاء نصر الله تبت يدا الفقر

وقول شيخ الاسلام ابن دقيق العيد وهو غاية هنا، وهو [من السريع] :

كم ليلة فيك وصلنا السرى لا نعرفُ الغمض ولا نستريح

واختلف الأصحاب ماذا الذى يزيل من شكواهم أو يريح

فقيل فى تعريسهم ساعة وقيل بل ذكراك وهو الصحيح

وهو مأخوذ من قول ذى الرمة [من الطويل] :

ونشوان من طول النعاس كأنه بحبلين من مشطونة يترجح

إذا مات فوق الرحل أحييت روحه بذكرك والعيس المراسيل جُنَّحُ

وقد أجاب ابن نباتة عن أبيات شيخ الاسلام بقوله [من السريع] :

فى ذمةِ الله وفى حفظهِ مسراك والمَوْدُ بعزم نجيح

لو جاز أنْ تسلك أجفاننا إذن فرَشْنا كل جفن قريح

لكنها بالبعدِ مُعتلة وأنت لا تسلكُ إلا الصحيح

وقول السراج الوراق [من الرمل] :

صدقوا قد نظروا الورد مسبج ... هل رأوه فى عذار من بنفسج
عشق الناس ولا مثل الذى ... هِمْتُ وجداً فيه فانظر وتفرّج
من رأى بدراً وغصنا ونَقًا ... قد تجلّى وتثنى وترجرج
وجهه نسخة حسنٍ حرِّرت ... ولها من عارض سطر مخرج
ذو وشاح مثل قلبى قلق ... وإزار مثل صدرى منه محرج
وأصمّ فتحتْ أسماعه ... بقواف كم بها يُفْتَحُ مُرْتَج
قال : شعر لك ، أم درّ ؟ على ... أنه أبهى من الدرّ وأبهج
قلت : تاج الدين فيه وصفه ... قال : هذا ملك الشعر المتوَّج

وقول ابن نباتة ، يمدح قاضى القضاة ، تاج الدين السبكى ، من قصيدة [من البسيط] :

قد أسرج الحسن خدّيه فدونك ذا ... سراج خد على الأكباد وَهّاج
وألجم العذل فاركب فى محبته ... طِرْفَ الهوى بعدَ إلجام وَإسراج
وقسم الشعر فاجعلْ فى محاسنه ... شَذرَ القلائد واهْدِ الدرّ للتاج

وقول القيراطى ، يمدح سيف الدين الكربى من قصيدة [من الوافر] :

فموعدهُ وناظرهُ وجسمى ... سقيمٌ فى سقيم فى سقيم
كريمٌ مالَ بخلاً عن ودادى ... فَمِلْتُ لنحو مخدوم كريم

وقول ابن حجة[1] فى ممدوحه صدقة [من المنسرح] :

طرقت باب الحبيب والرقبا ... عليه من خيفة اللقا حنقَهْ
قالوا فما تبتغى فقلت لهم ... حتى تخلصت أبتغى صدقه

وقول الفاضل على بن مليك من قصيدة نبوية [من الخفيف] :

(١) فى نسخة « ابن حجلة »

حاولتْ زورتى فنمَّ عليها قرْطها فى الدجى ومسك الغُلالَهْ
ثم لمـا أن سلَّمتْ أذ كرتنى مدح من سلمت عليه الغزاله

وقد آن أن نتخلص من سرد هذه المخالص البديعة إلى غيرها ، فالشرح قد طال ، وربما يحدث منه الملال .

***

شاهد الاقتضاب

٢٢٣ — لوْ رأى الله أنَّ فى الشيب خيراً جاوَرَتهُ الأبرارُ فى الخلدِ شيبًا
كل يومٍ تُبدِى صروفُ الليالى خلقـاً من أبى سعيد رَغِيبًا(١)

البيتان لأبى تمام ، من قصيدة من الخفيف يمدح بها محمد بن يوسف أولها :

من سجايا الطلول أن لا تجيبا فصوابٌ منْ مُقلتى أن تَصُوبَا
اسألنها واجعل بكاك جوابا تجد الشوق سائلا ومجيبًا
قد عهدنا الرسوم وهى عكاظ للصبا تزدهيك حسنا وطيبًا
أكثر الأرض زائراً ومزورا وصعوداً مِنَ الهوى وصبوبًا
وَكعاباً كأنمـا ألبستها غفَلَاتُ الشبـابِ برداً قشيبًا
بينَ البين فقدها قلما تعـرف فقداً للشمس حتى تغيبًا
لعبَ الشيب بالمفارق بل جـدّ فأبكى تماضراً ولعوبًا
خضبت خدّها إلى لؤلؤ العقـد دَما أن رأت شوَاتى خضيبًا
كل داء يرجى الدواء له إلا الفظيعين ميتة ومشيبًا
يا نسيم الثُّغَام ذنبُكَ أبقى حسناتى عند الحسان ذنوبًا

(١) المحفوظ * خلقا من أبى سعيد غريباً *

ولئن عِبْنَ ما رَأين لقد أنـــكرن مستنكراً وعبْنَ معيبا
أو تصدّ عن قلى فكفى بالــــشيب بينى وبينهنّ حسيبا

و بعده البيتان ، والرواية فى الديوان «فضلا» بدل «خيراً» ، والقصيدة طويلة.
والشيب — بكسر الشين المعجمة — جمع شائب[1] ، والرغيب : الواسع.

والشاهد فيه : الاقتضاب ، ويسمى : الاقتطاع، والارتجال ، وهو : أن ينتقل الشاعر مما ابتدأ به الكلام إلى مالا يلائمه ، وهذا مذهب العرب الجاهلية والمخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام ، مثل : لبيد، وحسان ، والشعراء الاسلاميون قد يتبعونهم فى ذلك ويجرون على منهبهم ، كأبى تمام هنا ، والبحترى بقوله من غير ارتباط بما قبله [من الطويل] :

وَرَدْنا إلى الفتح بن خاقان إنه أعمُّ ندًى منكمْ وأيْسرُ مطلبا

وهو كثير فى شعره ، حتى إنّ السلمانى الشاعر عرّض به فى قوله [من مجزوء الكامل] :

يغتابنى فاذا التفــــت أبان عن محض صحيح
وَثبًا كوثب البحترى من النسيب إلى المديح

وكأبى نواس ، وهو الغالب على شعره ، كقوله يمدح الأمين بن الرشيد [من المديد] :

يا كثير النوح فى الدمن لا عليها بل على السّكَنِ
سنة العشاق واحـــدة فاذا أحببتَ فاستكن
ظن بى من قد كلفت به فهو يجفونى علَى الظنن
قامَ لاَ يعنيه ماَ لقيت عين ممنوع من الوسن

(١) صوابه جمع أشيب كبيض من جمع أبيض

رَشاً لوْلاَ مـلاحته خَلَتِ الدنيا من الفِتَنِ
ما بدا إلا استرَق له حسنُهُ عبداً بلا ثمن
فاسقنى كأساً على عذَلٍ كرِهَتْ مسموعه أذنى
من كميت اللون صافية خير ما سلسلت فى بدنى
ما استقرت فى فؤاد فتى فَدَرَى ما لوعة الحزن
مزجت من صوب غادية حلبته الريح من مزن
تضحك الدنيا إلى ملك قَامَ بالآثار وَالسنَن

فهو كما تراه انتقل من الغزل إلى المديح من غير تخلص .

***

شاهد حسن المقطع . ٢٢٤ – وَإنى جدِيرٌ إذْ بلغتك بالمنى وأنتَ لما أملتُ منكَ جديرُ
فانْ تُولِنِي منكَ الجميلَ فأهله وَإلا فانى عاذرٌ وشكُورُ

البيتان لأبى نواس ، من قصيدة من الطويل ، يمدح بها الخصيب صاحب مصر ، أولها :

أجارَةَ بَيتينا أبوكِ غَيُور وَمَيْسُورُ ما يُرْجَى لدَيكِ عسير
فان كنت لا خلمًا ولا أنت زوجة فلا بَرِحَتْ دونى عليك ستور
وجاورت قوما لا تجاور بينهم ولا وصلَ إلا أن يكون نشور
فما أنا بالمشغوف ضربَةَ لازبٍ ولا كل سلطان على قدير
وإنى لطرف العين بالعين زاجر فقد كدت لا يخفى على ضمير

وهى طويلة ، وتقدم ذكر شىء منها فى حسن التخلص ، وقد عارضها أحمد

ابن دَرَّاج القَسْطَلِيُّ بقصيدة طنانة ، منها [1] [من الطويل] :

ألم تعلمى أن الثواء هو التَّوَى ... وأن بُيُوت العاجزين قُبُورُ
تخوفنى طولَ السفار وإنه ... لتقبيل كف العامرى سفير
دعينى أرد ماء المفاوز آجنا ... إلى حيث ماء المكرمات نَمِير
فان خطيراتِ المهالك ضُمَّن ... لراكبها أن الجزاء خطير
ولما تدانت للوداع وقد هفا ... بصبرىَ منها أنة وزفير
تناشدنى عهد المودة والهوى ... وفى المهد مبغوم النداء صغير
عَيِىٌّ بمرجوع الخطاب ولحظه ... بموقع أهواء النفوس خبيرُ
فكل مفداة الترائب مرضع ... وكل مُحَيَّاة المحاسن ظِئرُ
عصيت شفيع النفس فيه فقادنى ... رَواحٌ لتدآب السرى وبكور
وطار جناح البين بى وهَفَتْ بها ... جوانح من ذعر الفراق تطير
لئن ودعت منى غيوراً فاننى ... على عزمتى من شجوها لغيور
ولو شاهدتنى والهواجر تلتظى ... على ورقراق السراب يمور
أسلط حَرَّ الهاجرات إذا سطا ... على حُرُّ وجهى والأصيل هجير
وأستنشق النكباء وهى لواقح ... واستوطىء الرمضاء وهى تفور
وللموت فى عين الجبان تلون ... وللذعر فى سمع الجرىء صفير
لبان لها أنى من الضيم جازع ... وأنى على مض الخطوب صبور
ولو أبصرت بى والسرى جل عزمتى ... وجرسى لجنان الفلات سمير
وأعتسف الموماة فى غسق الدجى ... وللأسد فى غيل الغياض زئير

(١) ذكر الكثير منها القاضى ابن خلكان فى وفيات الأعيان فانظره (١٢٠/١ بتحقيقنا)

وقد حومت زهر النجوم كأنها كواعب فى خضر الحدائق حُورُ
ودارت نجومُ القُطْب حتى كأنها كؤوس مَهاً والى بهن مُديرُ
وقد خَيَّلَتْ طرق المجرة أنها على مفرق الليل البهيم قتير
وثاقب عزمى والظلام مروع وقد غض أجفان النجوم فتور
لقد أيقنت أن المنى طوع همتى وأنى بعَطْفِ العامرى جدير

قال ابن فضل الله : ومَنْ وقف على هذه القصيدة وقصيدة أبى نواس عرف فضل قائلها على من تقدم ، وشهد له بأنه سَبَق وإن تأخر ، وجزم بأن الرجال معادن ، وأن لكل زمان محاسن ، ولم يشك أن الخواطر موارد لاتنزح ، وأن الأفكار مصابيح لاتطفى ، وأن الأفهام مرَاءٍ (١) لاتتناهى صورها، وأن العقول سحائب لاينفد مطرها ، وعلم أن المعانى غير متناهية ، والفضائل غير متوارية ، وإن أم الليالى لوَلُودُ ، وإن الفضل فى كل حين لمشهود ، وإن هذا الشاعر فى قصيدته هذه التى عارض بها أبا نواس لم يدع له عارضا يستمطر ، ولا عارضة تذكر ، وإنه لحقيق أن ينشد [من الطويل]

وإنى وإن كنت الأخيرَ زمانُهُ لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل

يروى أن أبا نواس لما قدم على الخصيب صادف فى مجلسه جماعة من الشعراء ينشدونه مدائح لهم فيه ، فلما فرغوا قال الخصيب : ألا تنشدنا يا أبا على ، فقال : أنشدك أيها الأمير قصيدة هى بمنزلة عصا موسى تَلْقَفُ مايأفكون ، فأنشده هذه القصيدة ، فاهتزَّ لها وأمر له بجائزة سنية

وفى كتاب آداب الغرباء أن أبا نُوَاس كان عائداً من الشام إلى بغداد، قال : فانى على ظهر فرسى إذ ترنمت بهذه الأبيات * تقول التى من بيتها خف محملى * الأبيات المارة فى حسن التخلص ، قال: فسمعت ورائى شهْقَة ، فالتفت، فاذاشيخ

(١) الصواب أن يقول « مرايا» مثل وخطايا .

عليه أطْمَار رَثَّة يقود فرساً أعجف ، وهو منتجد سيفه ، فقال لى : أعد ياأبانواس هذه الأبيات ، فأعدتها، فقال : لمن هذه ؟ قلت : لى ، امتدحت بهـا الخصيب أمير مصر ، قال : ما أرفدك ؟ قلت : إنه ملأ فِيَّ جوهراً بعته بمـائة ألف درهم ، قال : أتعرفه ؟ قلت : نعم ، قال : أنا والله الخصيب ، فلما عرفته نزلت عن دابتى وقبلت يده ورجله ، فقال : لاتفعل ، ثم سألته عن حاله وسبب تغير أمره ، فقال لى : قولك الدائرات تدور ، قال : فدفعت إليه جميع ما كان معى من مركوب ونفقة وثياب ، وسألته قبول ذلك ، فأبى وقال : والله لاأخذت من يد أرفدتها ، ثم ركب دابته وتركنى ومضى

وحدث معاوية بن صالح الطبرانى قال : ماج الناس فى مصر بسبب السعر ، فبلغ الخصيبَ وهو يشرب مع أبى نواس ، فقال : دعنى أيها الأمير أسكنهم ، فقال : ذلك إليك ، فخرج أبو نواس حتى وافى المسجد الجامع فصعد على المنبر، واعتمد على عضادتيه ، وحول وجهه للناس ، وعليه ثياب مشهرات ، فقال [من الطويل]:

مَنَحْتُكُمُ ياأهل مصر نصيحتى ألا فخذُوا من ناصح بنصيب
ولاتَثِبُوا وثب السفّاه فتركبُوا على ظهر عارى الظهر غير ركوب
فان يك باقى إفك فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب

قال : فتفرق الناس ولم يجتمعوا بعده

وحدث مطيعٌ خادمُ البرامكة قال : كنت واقفاً على رأس الرشيد إذ دخل أبو نواس ، فقال : أنشدنى قولك فى الخصيب :

فان يك باقى إفك فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب

فأنشده ، فقال الرشيد : ألاقلت « فباقى عصا موسى بكف خصيب » فقال أبونواس : هذا أحسن والله ، ولـكنه لم يقع لى

وحكى إسماعيل بن أسباط قال : لما قال أبو نواس * منحتكم يا أهل مصر نصيحتى * رأى الخصيبُ فى المنام قائلا يقول : يا خصيب ، مافوق هذا المدح مدحٌ ، قال : فما جزاؤه ؟ قال : نبحة كلب ، قال : وما نبحة كلب ؟ قال : ألف ، قال : من أى الحجرين ؟ قال : من الصفر ، فلما أصبح صبح أبانواس بألف دينار ، فقال أبو نواس [من الكامل] :

أنت الخصيبُ وهذه مصر فتَدَفقَا فكلاكما بحر

وقال ابن قتيبة : لما قال أبو نواس *فان يك باق إفك فرعون فيكم * وبلغ الرشيد فقال : يا ابن اللخناء ، أنت المستخف بنبي الله موسى عليه السلام ، وقال لابراهيم بن نهيك : لايأوين أبو نواس عسكرى من ليلته ، فقال له : ياسيدى ، فأجل نمود ، فضحك وقال : أجله ثلاثا ، فبعث الأمين إلى إبراهيم فقال : والله لئن مسست منه شعرة لأقتلنك ، فأقام عند إبراهيم حتى مات الرشيد ، وأخرجه محمد الأمين سنة تسع وتسعين ومائة ، وهو ابن اثنتين وخمسين سنة

قال أبوعبدالله حمزة : قد غلط ابن قتيبة فى التاريخ لأن الأمين تولى الخلافة سنة ثلاث وتسعين ومائة فى جمادى الآخرة

والجدير : الخليق بالشىء

والشاهد فيهما : الانتهاء ، ويسمى حسن المقطع، وحسن الخاتمة ، وهو أن يختم الناظم أو الناثر كلامه بأحسن خاتمة، لأنه آخر ما يعيه السامع ويرتسم فى النفس

ومثل البيت الأول قول بعضهم [من الطويل] :

و إنى خليق من نداك بمثلها وأنتَ بما أمّلتُ منكَ خليقُ

وقول الآخر [من الرمل] :

فجديرٌ أنا بالشكر كما أنتَ بالطّول وبالحسنى جديرُ

وقول ابن شداد [من الخفيف] :

فجدير بالشكر أنت ، فشكرى لك ، والحمد دائماً والثناء

***

٢٢٥ – بَقيتَ بَقاء الدَّهرِ يا كهف أهله وهذا دُعاء للبرية شامِلُ

شاهد حسن الانتهاء

البيت من الطويل ، ونسب لأبى العلاء المعرى ، ونَسَبه ابن فضل الله لأبى الطيب المتنبي ، ولم أره فى ديوان واحد منهما

والشاهد فيه : حسن الانتهاء

ومنه قول أبى تمام معتذرا فى آخر قصيدة [من الطويل] :

فان يك ذنبٌ عَنَّ أوتكُ هفوة على خطإ منى فعُذرى على عَمْدِ

وقول أبى الطيب فى ختام قصيدة [من الوافر] :

فلاحطَّت لك الهيجاء سرجا ولا ذاقت لك الدنيا فِراقا

وقول أبى العلاء المعرى [من البسيط] :

ولا تزال لك الأيام ممتعة بالآل والحال والعلياء والعُمُر

وقول الأرجانى [من الطويل] :

بقيت ولا أبقى لك الدهر كاشحاً فانكَ فى هذا الزمان فَريدُ

علاكَ سِوارٌ والممالك مِعْصَم وجودك طَوْقٌ والبرية جِيدُ

وقول إبراهيم الغزى [من الطويل] :

بقيت بقاء الدهر ماذرَّ شارق وغار جديد المكرمات وأنجدا

وقول الخوارزمى [من الوافر]

بقيت لنا تجود مَدَى الليالى فانك مابقيت لنا بقينا

وقول الرستمى [من الطويل] :

بقيت مدى الدنيا وملكُكَ راسخٌ وظلُّكَ ممدود وبابكَ عامرُ

يود سناكَ البدرُ والبدرُ زاهرٌ ويقفُو نداكَ البحرُ والبحرُ زاخر
وهنئت أياما أتتك سعودُها كما تتوالَى فى العقود الجواهر

وقول ابن النبيه [من السريع] :

دمتم بنى أيوب فى نعمة تجوز فى التخليد حدَّ الزَّمانْ
والله لا زلتم ملوكَ الورَى شَرْقاً وغرْباً وعلىَّ الضمانْ

وقول شيخ شيوخ حماة [من الطويل] :

فلا زلت فى مُلكٍ جديد مؤيد تدينُ لكَ الدُّنيا وتصفُو لكَ الأخرى
ولا زال للأيام طَوْلٌ على الورى وما الطول إلا أن تطيل لك العمرا

وقول ابن سناء الملك [من البسيط] :

بقيت حتى يقول الناس قاطبة هذا أبو الياس أو هذا أبو الخضر

وقول ابن نباتة [من الخفيف] :

فابق عالى المقام دانى العطايا قاهرَ البأس ظاهرَ الأنباء
يتمنَّى عدوكَ العيشَ حتى أتمنى له امتداد البقاء

وقول مؤلفه مترجياً حسن الختام لمن سطر باسمه بديع هذا النظام [من السريع] :

لازال مَنْ سُطِّرَ ذا باسمه يبقى بقاء الفَلَكِ الدائر
ومن يناويه يعش بائساً يسحب ذيل الخاسىء الخاسر

* * *

قال مؤلفه رحمه الله تعالى : وكان الفراغ من تأليفه ، وتوشيته وتفويفه ، بالقاهرة المعزية ، عام واحد وتسعمائة ، ومن زَبْرِهِ وتحريره يوم الأربعاء المبارك الثانى والعشرين من شهر رمضان المعظم قدره وحرمته ، عام أربعة وثلاثين وتسعمائة ، وذلك على يد مؤلفه الفقير الحقير ، المعترف بالعجز والتقصير ، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسى ، ستره الله عيوبه ، وغفر ذنوبه ، ولمن نظر فيه ودعا له بالمغفرة والرحمة ! وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم ! !

قال أبو رجاء محمد محيي الدين عبد الحميد :

قد تم - بحمد الله تعالى وحسن توفيقه - كتاب « معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص » للشيخ عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد إمام الهدى وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين

فهارس كتـــاب

معاهد التنصيص ، على شرح شواهد التلخيص

١ – فهرست بالموضوعات البلاغية

التى وردت الشواهد لإيضاحها

أولا — فى الجزء الأول

ثالثا — فى الجزء الثالث

رابعا — في الجزء الرابع

ءت فهرس الموضوعات البلاغية التي جيء بالشواهد لبيانها ، وشرحت هذه الشواهد في كتاب «معاهد التنصيص على شواهد التلخيص» والحمد لله أولا وآخرا

٢ – فهرس الشواهد

المشروحة فى كتاب « معاهد التنصيص ، على شواهد التلخيص »

مرتبة على حروف الهجاء بحسب قوافيها

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٦٠	١/٣٢٣	ولا فضل فيها للشجاعة والندى	وصبر العدى لولا لقاء شعوب
٦٥	١/٣٥٥	كأن عيون الوحش حول خبائنا	وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب
٦٦	١/٣٥٨	ولست بمستبق أخا لا تلمه	على شعث أى الرجال المهذب
٧٧	٢/٢٨	كأن مثار النقع حول رءوسنا	وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه
٨٥	٢/٩٥	تشابه دمعى إذ جري ومدامتى	فمن مثل ما فى الكأس عينى تسكب
		فوالله ما أدرى أبا لخمر أسبلت	جفونى أم من عبرتى كنت أشرب
٩١	٢/٩٠	صدفت عنه ولم تصدف مواهبه	عنى ، وعاوده ظنى فلم يخب
		كالغيث إن جئته وافاك ريقه	وإن ترحلت عنه لج فى الطلب
١٠١	٢/١٣١	وصاعقة من نصله تنكفى بها	على أرؤس الأقران خمس سحائب
١٢٢	٢/٢٦٠	إذا نزل السماء بأرض قوم	رعيناه وإن كانوا غضابا
١٢٣	٢/٢٦٩	فسقى الغضا والساكنيه وإن هم	شبوه بين جوانح وقلوب
١٤١	٣/٤٦	أسكر بالأمس إن عزمت على ا	شرب غداً ، إن ذا من العجب
١٤٢	٣/٤٨	حلفت فلم أترك لنفسك ريبة	وليس وراء الله للمرء مذهب
		لئن كنت قد بلغت عنى وشاية	لمبلغك الواشى أغش وأكذب
		ولكننى كنت امرأ لى جانب	من الأرض فيه مستراد ومذهب
		كفعلك فى قوم أراك اصطفيتهم	فلم ترهم فى مدحهم لك أذنبوا
١٤٤	٣/٥٣	ما به قتل أعاديه ولكن	يتقى إخلاف ما ترجو الذئاب
١٤٨	٣/٨٨	أحلامكم لسقام الجهل شافية	كما دماؤكم تشفى من الكلب
١٤٩	٣/١٠٧	ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم	بهن فلول من قراع الكتائب
١٥٢	٣/١٣٤	أقلب فيه أجفانى كأنى	أعد بها على الدهر الذنوبا
١٥٤	٣/١٥٦	إذا ما تميمي أتاك مفاخرا	فقل عد عن ذا كيف أكلك للضب
١٦٠	٣/٢٠١	إن يقتلوك فقد ثللت عروشهم	بعتيبة بن الحارث بن شهاب
١٦٢	٣/٢١٠	إذا ملك لم يكن ذا هبه	فدعه فدولته ذاهبه
١٦٤	٣/٢٢٥	يعدون من أيد عواص عواصم	[تصول بأسياف قواض قواضب]

حرف التاء المثناة

حرف الجيم

حرف الحاء المهملة

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٩٠	٢/٨٨	كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد	أو برد أو أقاح
١٠٣	٢/١٣٤	[أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا]	وسالت بأعناق المطى الأباطح
١٠٤	٢/١٤٧	[جمع الحق لنا فى إمام]	قتل البخل وأحيا السماحا
١٥٦	٣/١٦٤	ألمع برق سرى أم ضوء مصباح	أم ابتسامتها بالمنظر الضاحى
١٦٥	٣/٢٣٠	إن البكاء هو الشفا	ء من الجوى بين الجوانح
١٧٢	٣/٢٧٧	أملتهم ثم تأملتهم	فلاح لى أن ليس فيهم فلاح

حرف الدال المهملة

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٦	١/٢٥	كريم متى أمدحه أمدحه والورى	معى ، وإذا مالمته لمته وحدى
٨	١/٥١	سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا	وتسكب عيناى الدموع لتجمدا
٩	١/٥٨	[وتسعدني فى غمرة بعد غمرة]	سبوح لها منها عليها شواهد
٢٣	١/١٣٥	والذى حارت البرية فيه	حيوان مستحدث من جماد
٢٩	١/١٧٠	تطاول ليلك بالإثمد	[ونام الخلى ولم ترقد]
٥٥	١/٢٨٧	[إذا أنكرتنى بلدة أو نكرتها]	خرجت مع البازى على سواد
٥٦	١/٣٠٤	فقلت عسى أن تبصرينى كأنما	بنى حوالى الأسود الحوارد
٥٨	١/٣٠٨	والعيش خير فى ظلا	ل النوك ممن عاش كدا
٧٠	١/٣٧٧	يصد عن الدنيا إذا عن سؤدد	[ولو برزت فى زى عذراء ناهد]
٧٣	٢/٤	وكأن محمر الشقيـق	إذا تصوب أو تصعد
		أعلام ياقوت نشر	ن على رماح من زبرجد
١٠٥	٢/١٤٨	تقريهم لهذميات [نقد بها	ماكان خاط عليهم كل زراد]
١٢٥	٢/٢٨٣	إن الشباب والفراغ والجده	مفسدة للمرء أي مفسده
١٢٧	٢/٣٠٦	ولا يقيم على ضيم يراد به	إلا الأذلان عير الحي والوتد
		هذا على الخسف مربوط برمته	وذا يشج فلا يرثى له أحد
١٣١	٣/٨	ثقال إذا لاقوا ، خفاف إذا دعوا	كثير إذا شدوا ، قليل إذا عدوا
١٥١	٣/١٣٢	نهبت من الأعمار مالو حويته	لهنئت الدنيا بأنك خالد

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٥٩	١٨٠/٣	قلت ثقلت إذ أتيت مرارا	قال ثقلت كاهلي بالأيادى
١٧٨	٢٨٩/٣	تجلى به رشدى، وأثرت به يدى	وفاض به ثمدى، وأورى به زندى
٢٠٠	٧٨/٤	يبس النجيع عليه وهو مجرد	من غمده فكأنما هو مغمد
٢٠٢	٨٠/٤	وليس لله بمستنكر	أن يجمع العالم فى واحد
٢١٩	٢٢٩/٤	. . . .	موعد أحبابك بالفرقة غد
٢٢٠	٢٣١/٤	بشراك قد أنجز الإقبال ما وعدا	[وكوكب المجد فى أفق العلا صعدا]
٢٢٢	٢٤٨/٤	يقول فى قومس قومى وقد أخذت	منا السرى وخطا المهرية القود
		أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا	فقلت كلا ولكن مطلع الجود

حرف الراء المهملة

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٥	٣٤/١	وقبر حرب بمكان قفر	وليس قرب قبر حرب قبر
١٤	٧٨/١	يزيدك وجهه حسنا	إذا مازدته نظرا
٣٩	٢٠٨/١	له هم لا منتهى لكبارها	وهمته الصغرى أجل من الدهر
٤٠	٢١٥/١	ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها	شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر (١)
٤٣	٢٥٤/١	ولم يبق منى الشوق غير تفكر	فلو شئت أن أبكى بكيت تفكرا
٤٨	٢٧١/١	وقال رائدهم أرسوا نزاولها	[وكل حتف امرىء يجرى بمقدار]
٥٠	٢٧٩/١	أقسم بالله أبو حفص عمر	[مامسها من نقب ولا دبر]
٦٤	٣٤٦/١	وإن صخرا لتأتم الهداة به	كأنه علم فى رأسه نار
٦٩	٣٧٧/١	واعلم فعلم المرء ينفعه	أن سوف يأتي كل ماقدرا
٧١	٣٧٩/١	ولست بميال إلى جانب الغنى	إذا كانت العلياء فى جانب الفقر
٧٦	١٧/٢	وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى	كعنقود ملاحية حين نورا
٨٦	٧٨/٢	ياصاحبي تقصيا نظريكما	ترياوجوه الأرض كيف تصور
		تريا نهارا مشمسا قد شابه	زهر الربى فكأنما هو مقمر

(١) وانظره أيضا فى (٢٨٤١١)

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٩٩	٢/١٢٩	لا تعجبوا من بلى غلالته	قد زر أزراره علي القمر
١٠٢	٢/١٣٢	وإذا احتبى قربوسه بعنانه	[علك الشكيم إلى انصراف الزائر]
١١٤	٢/١٧٨	تردى ثياب الموت حمراً فما أتى	لها الليل إلا وهى من سندس خضر
١١٧	٢/٢٢٧	كالقسى المعطفات بل الأسهم	مبرية بل الأوتار
١٢٠	٢/٢٥٥	إذا ما نهى الناهى فلج بى الهوى	أصاخت إلى الواشى فلج بها الهجر

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٢٨	٣/٤	فوجهك كالنار في ضوئها	وقلبي كالنار في حرها
١٥٨	٣/١٦٧	بالله ياظبيات القاع قلن لا	ليلاى منكن أم ليلى من البشر
١٦٦	٣/٢٥٠	تمتع من شميم عرار نجد	فما بعد العشية من عرار
١٧٥	٣/٢٨٥	لو اختصرتم من الإحسان زرتكم	والعذب يهجر للافراط فى الخصر
١٧٦	٣/٢٨٨	فدع الوعيد فما وعيدك ضائرى	أطنين أجنحة الذباب يضير
١٧٧	٣/٢٨٩	وقد كانت البيض القواضب فى الوغي	بواتر فهى الآن من بعده بتر
١٨٢	٣/٢٩٩	ياخاطب الدنيا الدنية إنها	شرك الردى وقرارة الأقدار

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٨٦	٤/٢٦	من راقب الناس مات غما	وفاز باللذة الجسور
١٩٧	٤/٧٦	فلم يمنعك من أرب لحاهم	سواء ذو العمامة والخمار
٢٠٥	٤/٩٥	وترى الطير على آثارنا	رأى عين ثقة أن ستمار
٢٠٨	٤/١١٠	قال لى إن رقيبي	سيء الخلق فداره
		قلت دعنى وجهك الجنة	حفت بالمكاره
٢١٣	٤/١٨٢	مابال من أوله نطفة	وجيفة آخره يفخر
٢٢٤	٤/٢٦٨	وإنى جدير إذ بلغتك بالمنى	وأنت لما أملت منك جدير
		فإن تولنى منك الجميل فأهله	وإلا فإنى عاذر وشكور

حرف السين المهملة

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٩٨	٢/١١٣	قامت تظللنى من الشمس	نفس أعز على من نفسى
		قامت تظللنى ومن عجب	شمس تظللنى من الشمس

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
		حرف الصاد المهملة	
١١٩	٢٥٢/٢	قالوا اقترح شيئا نجدلك طبخه	قلت أطبخوا لى جبة وقميصا
		حرف العين المهملة	
١٠	٥٩/١	حمامة جرعا حومة الجندل اسجعى	فأنت بمرأى من سعاد ومسمع
١٣	٧٧/١	ميزعنه قنزعا عن قنزع	جذب الليالى أبطئي أو أسرعى
١٦	١٠٠/١	إن الذين ترونهم إخوانكم	يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا
١٩	١١٩/١	أولئك آبائى فجئنى بمثلهم	إذ جمعتنا ياجرير المجامع
٢٢	١٢٨/١	الألمعى الذى يظن بك الظن	كأن قد رأي وقد سمعا
٢٥	١٤٧/١	قد أصبحت أم الخيار تدعى	على ذنبا كله لم أصنع
٣٢	١٧٩/١	(فلما أن جرى سمن عليها)	كما طينت بالفدن السياعا
٤١	٢٢٢/١	شجو حساده وغيظ عداه	أن يرى مبصر ويسمع واع
٤٢	٢٤٦/١	ولو شئت أن أبكى دما لبكيته	عليه ولكن ساحة الصبر أوسع
٦٢	٣٣٠/١	فإنك كالليل الذى هو مدركى	وإن خلت أن المنتأى عنك واسع
٧٥	١٠/٢	وكأن النجوم بين دجاها	سنن لاح بينهن ابتداع
١٠٩	١٦٣/٢	وإذا المنية أنشبت أظفارها	ألفيت كل تميمة لا تنفع
١١٨	٢٣٦/٢	إذا لم تستطع شيئا فدعه	وجاوزه إلى ما تستطيع
١٢٩	٥/٣	حتى أقام على أرباض خرشنة	تشقى به الروم والصلبان والبيع
		للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا	والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا
١٣٠	٦/٣	قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم	أوحاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
		سجية تلك فيهم غير محدثة	إن الخلائق فاعلم شرها البدع
١٤٧	٦٩/٣	كأن السحاب الغر غيبن تحتها	حبيبا فما ترقى لهن مدامع
١٦٥	٢٤٢/٣	سريع إلى ابن العم يلطم وجهه	وليس إلى داعى الندى بسريع

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	

حرف العين المهملة

١٩١	٥٦/٤	هو الصنع إن يعجل فخير وإن يرث	فللريث فى بعض المواضع أنفع
١٩٥	٥٩/٤	ولم يك أكثر الفتيان مالا	ولكن كان أرحبهم ذراعا
١٩٦	٥٩/٤	وليس بأوسعهم فى الغنى	ولكن معروفه أوسع
٢٠٩	١٣٧/٤	لئن أخطأت فى مدحيـ ـك ما أخطأت فى منعى لقد أنزلت حاجاتى	بواد غير ذى زرع
٢١١	١٥٢/٤	على أنى سأنشد عند بيعى	أضاعونى وأى فتى أضاعوا
٢١٥	١٩٤/٤	فوالله ما أدرى أأحلام نائم	ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع

حرف الفاء

٣٤	١٨٩/١	نحن بما عندنا وأنت بما	عندك راض ، والرأى مختلف
٥٣	٢٨٢/١	زعمتم أن إخوتكم قريش	لهم إلف وليس لكم إلاف

١٢٤	٢٧٣/٢	كيف أسلو وأنت حقف وغصن	وغزال لحظا وقدا وردفا

١٥٥	١٥٩/٣	أيا شجر الخابور مالك مورقا	كأنك لم تجزع على ابن طريف

حرف القاف

٢٠	١٢٠/١	هواى مع الركب اليمانين مصعد	جنيب ، وجثمانى بمكة موثق
٢٦	١٤٧/١	كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه هذا الذى ترك الأوهام حائرة	وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا وصير العالم النحرير زنديقا
٣٨	٢٠٧/١	لا يألف الدرهم المضروب صرتنا	لكن يمر عليها وهو منطلق

١١٠	١٧٠/٢	ولئن نطقت بشكر برك مفصحا	فلسان حالى بالشكاية أنطق

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٣٨	٢٧/٣	وأخفت أهل الشرك حتى إنه	لتخافك النطف التى لم تخلق
١٤٥	٥٤/٣	ياواشيا حسنت فينا إساءته	نجى حذارك إنسانى من الغرق
١٤٦	٦٧/٣	لو لم تكن نية الجوزاء خدمته	لما رأيت عليها عقد منتطق
٢١٢	١٥٤/٤	إذا الوهم أبدى لى لماها وثغرها	تذكرت ما بين العذيب وبارق
		وتذكرنى من قدها ومدامعى	مجر عوالينا ومجرى السوابق

حرف الكاف

٢٧	١٤٩/١	تعاللت كى أشجى وما بك علة	تريدين قتلى قد ظفرت بذلك
٢٨	١٧٠/١	إلهى عبدك العاصى أتا كا	مقرا بالذنوب ، وقد دعا كا
٥٤	٢٨٥/١	فلما خشيت أظافيرهم	نجوت وأرهنهم مالكا
٢٢١	٢٤١/٤	هى الدنيا تقول بملء فيها	حذار حذار من بطشي وفتكى

حرف اللام

١	٨/١	غدائره مستشزرات إلى العلا	(تضل العقاص فى مثنى ومرسل)
٣	١٨/١	الحمد لله العلى الأجلل	الواهب الفضل الوجوب الجزل
١٥	١٠٩/١	قال لى كيف أنت قلت عليل	سهر دائم وحزن طويل
١٧	١٠١/١	إن الذى سمك السماء بنى لنا	بيتا دعائمه أعز وأطول
٣٥	١٩٤/١	إن محلا وإن مرتبعا	(وإن فى السفر إذ مضوا مثلا)
٤٥	٢٥٦/١	قد طلبنا فلم نجد لك فى السؤ	دد والمجد والمكارم مثلا
٤٦	٢٦٠/١	أنا الذائد الحامى الذمار وإنما	يدافع عن أحسابهم أنا أومثلى
٤٧	٢٦٤/١	ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي	بصبح وما الإصباح منك بأمثل
٥٢	٢٨١/١	زعم العواذل أننى فى غمرة	صدقوا ،ولكن غمرتى لاتنجلي

رقم الشواهد	ص	بيت الشاهد	
٧٢	١/٣٨٢	وننكر إن شئنا على الناس قولهم	ولا ينكرون القول حين نقول
٧٤	٢/٧	(أيقتلني والمشرفي مضاجعي)	ومسنونة زرق كأنياب أغوال
٧٨	٢/٣٢	... ...	والشمس كالمرآة في كف الأشل
٨٠	٢/٤٨	يقعي جلوس البدوي المصطلي	(بأربع مجدولة لم تجدل)
٨٢	٢/٥٣	فإن تفق الأنام وأنت منهم	فان المسك بعض دم الغزال
٨٧	٢/٨٠	كأن قلوب الطير رطبا ويابسا	لدى وكرها العناب والحشف البالي
٨٩	٢/٨٨	صدغ الحبيب وحالي	كلاهما كالليالي
٩٢	٢/٩١	وثغره في صفاء	وأدمعي كاللآلي ،
٩٥	٢/٩٤	عزماته مثل النجوم ثواقبا	لو لم يكن للثاقبات أفول
١٠٦	٢/١٤٩	غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا	(غلقت لضحكته رقاب المال)
١٠٨	٢/١٦١	هي الشمس مسكنها في السماء	فعز الفؤاد عزاء جميلا
		فلن تستطيع إليها الصعود	ولن تستطيع إليك النزولا
١١١	٢/١٧١	صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله	وعرى أفراس الصبا ورواحله
١١٦	٢/٢٠٧	ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا	وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل
١٣٢	٣/١٣	وشوهاء تعدو بي إلى صارخ الوغى	بمستلئم مثل الفنيق المرحل
١٣٤	٣/١٤	ياخير من يركب المطي ولا	يشرب كأسا بكف من بخلا
١٣٥	٣/١٤	لا خيل عندك تهديها ولا مال	(فليسعد النطق إن لم يسعد الحال)
١٣٦	٣/١٦	فعادى عداء بين ثور ونعجة	دراكا ، ولم ينضح بماء فيغسل
١٣٧	٣/٢٥	ونكرم جارنا ما دام فينا	ونتبعه الكرامة حيث مالا
١٥٠	٣/١١١	هو البدر إلا أنه البحر زاخرا	سوى أنه الضرغام لكنه الوبل
١٦٨	٣/٢٥٨	وإن لم يكن إلا معرج ساعة	قليلا فإني نافع لي قليلها
١٧٠	٣/٢٦٦	وإذا البلابل أفصحت بلغاتها	فانف البلابل باحتساء بلابل

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٨٠	٢٩٣/٣	مها الوحش إلا أن هاتا أوانس	قنا الخط إلا أن تلك ذوابل
١٨٤	٤/٤	إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته	على طرف الهجران إن كان يعقل
		ويركب حد السيف من أن تضيمه	إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل
١٨٧	٤٦/٤	هيهات أن يأتي الزمان بمثله	إن الزمان بمثله لبخيل
١٨٨	٤٦/٤	أعدى الزمان سخاؤه فسخا به	ولقد يكون به الزمان بخيلا
١٨٩	٥٠/٤	لو حار مرتاد المنية لم يجد	إلا الفراق على النفوس دليلا
١٩٠	٥٠/٤	لولا مفارقة الأحباب ماوجدت	لها المنايا إلى أرواحنا سبلا
٢٠٦	٩٥/٤	وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى	بعقبان طير فى الدماء نواهل
		أقامت مع الرايات حتى كأنها	من الجيش إلا أنها لم تقاتل
٢٠٧	١٠٩/٤	إن كنت أزمعت على هجرنا	من غير ما جرم فصبر جميل
		وإن تبدلت بنا غيرنا	فحسبنا الله ونعم الوكيل
٢١٧	٢٢٤/٤	قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل	بسقط اللوى بين الدخول فحومل
٢٢٥	٢٧٣/٤	بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله	وهذا دعاء للبرية شامل

حرف الميم

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٨	١٠٧/١	هذا أبو الصقر فردا فى محاسنه	من نسل شيبان بين الضال والسلم
٣٧	٢٠٤/١	أو كلما وردت عكاظ قبيلة	بعثوا إلى عريفهم يتوسم
٤٤	٢٥٥/١	وكم ذدت عنى من تحامل حادث	وسورة أيام حززن إلى العظم
٤٧	٢٧٠/١	لا والذى هو عالم أن النوى	صبر ، وأن أبا الحسين كريم
٤٩	٢٧٨/١	أقول له ارحل لاتقيمن عندنا	وإلا فكن فى السر والجهر مسلما
٥١	٢٧٩/١	وتظن سلمى أننى أبغى بها	بدلا ، أراها فى الضلال تهيم
٥٧	٣٠٥/١	والله يبقيك لنا سالما	برداك تبجيل وتعظيم
٦١	٣٢٥/١	وأعلم علم اليوم والأمس قبله	(ولكننى عن علم مافى غد عم)
٦٧	٣٦٢/١	فسقى ديارك غير مفسدها	صوب الربيع وديمة تهمى
٨٨	٨١/٢	النشر مسك والوجوه دنا	نير وأطراف الأكف عنم

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٩٧	٢/١١٢	لدى أسد شاكي السلاح مقذف	(له لبد أظفاره لم تقلم)[1]
١٢١	٢/٢٥٧	قف بالديار التي يعفها القدم	بلى وغيرها الأرواح والديم
١٣٣	٣/١٤	ولئن بقيت لأرحلن بغزوة	تحوى الغنائم أو يموت كريم
١٦٧	٣/٢٠٧	ومن كان بالبيض الكواعب مغرما	فمازلت بالبيض القواضب مغرما
١٨١	٣/٢٩٥	مودته تدوم لكل هول	وهل كل مودته تدوم
١٩٢	٤/٥٦	ومن الخير بطء سيبك عنى	أسرع السحب فى المسير الجهام
٢٠٣	٤/٨٥	أجد الملامة فى هواك لذيذة	حبا لذكرك ، فليلمنى اللوم
٢١٤	٤/١٩٠	إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه	وصدق مايعتاده من توهم
٢١٨	٤/٢٢٥	قصر عليه تحية وسلام	خلعت عليه جمالها الأيام

حرف النون

٢٤	١/١٤٥	ما كل ما يتمنى المرء يدركه	(تأتى الرياح بما لا تشتهي السفن)
٥٩	١/٣١٠	(وقددت الأديم لراهشيه)	وألفى قولها كذبا ومينا
٦٣	١/٣٣٩	أنا ابن جلا (وطلاع الثنايا	متى أضع العمامة تعرفوني)
٦٨	١/٣٦٩	إن الثمانين وبلغتها	قد أحوجت سمعى إلى ترجمان
٩٣	٢/٩٢	حملت ردينيا كأن سنانه	سنا لهب لم يتصل بدخان
١٠٠	٢/١٣١	فان تعافوا العدل والإيمانا	فان فى أيماننا نيرانا
١١٢	٢/١٧٢	(الضاربين بكل أبيض مخذم)	والطاعنين مجامع الأضغان
١٣٩	٣/٣٤	عقدت سنابكها عليها عثيرا	لو تبتغى عنقا عليه لأمكنا
١٤٠	٣/٣٦	يخيل لى أن سمر الشهب بالدجى	وشدت بأهدابى إليهن أجفانى

(١) وانظره أيضا فى (٢/١٥١)

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٦٣	٢٢١/٣	كلكم قد أخذ الجا	م ولا جام لنـــــــا
		ما الذى ضر مدير الـ	ـجام لو جاملنـــــــا
١٦٩	٢٦٥/٣	دعانى من ملامكما دعانى	فداعى الشوق قبلكما دعانى
١٧١	٢٧١/٣	فمشغوف بآيات المثانى	ومفتون برنات المثانى
١٧٤	٢٨٤/٣	إذا المرء لم يخزن عليه لسانه	فليس على شىء سواه بخزان
١٩٤	٥٨/٤	كأن ألسنهم فى النطق قد جعلت	على رماحهم فى الطعن خرصانا
٢١٠	١٣٩/٤	قد كان ما خفت أن يكونا	إنا إلى الله راجعونا

حرف الهاء

١٦١	٢٠٦/٣	ما مات من كرم الزمان فانه	يحيا لدى يحيى بن عبد الله

حرف الياء المثناة التحتية

١٢	٧٣/١	أشاب الصغير وأفنى الكبير	كر الغداة ومر العشى

حرف الألف اللينة

١١٥	١٨٤/٢	لا تعجبى ياسلم من رجل	ضحك المشيب برأسه فبكى

تمت فهرست الشواهد المشروحة

فى كتاب « معاهد التنصيص ، على شواهد التلخيص »

والحمد لله رب العالمين ، أولا وآخرا

٣ — فهرست بأسماء الشعراء أصحاب الشواهد المشروحة فى « معاهد التنصيص » سواء أ كانت لهم تراجم مفصلة أم لم تكن ، وقد رتبت هذه الفهرس على حروف الهجاء باعتبار أوائل الأسماء غير منظور فيها إلى حرف التعريف ، ولا إلى صدر الكنية ، وطولنا بذكر مباحث التراجم المفصلة

حرف الهمزة

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء المهملة

حرف الخاء المعجمة

حرف الدال المهملة

حرف الذال المعجمة

حرف الراء المهملة

حرف الزاى

حرف السين المهملة

حرف الشين المعجمة

حرف الصاد المهملة

حرف الضاد المعجمة

حرف الطاء المهملة

حرف العين المهملة

حرف الغين المعجمة

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

وقد تم ما وفقنا الله تعالى إلى صنعه من أنواع الفهارس التى قصدنا بها تقريب البحث فى كتاب « معاهد التنصيص » على من أراده وقد ألجأتنا عجلة الناشر إلى الاقتصار على هذه الأنواع ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وصلواته وسلامه على رسوله وآله وصحبه

